إصدارات مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك (٥)

التعليق والإيضاح

مختصر

على

تفسير الجلالين

تأليف

عبد الرحمن بن ناصر البراك

المجلد الأول

الفاتحة، والبقرة

اعتنى به



مؤسسة وقف الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر البراك

التعليق والإيضاح مختصر على تفسير الجلالين



التعليق والإيضاح

على

تفسير الجلالين



ح مؤسسة وقف الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البراك، عبدالرحمن بن ناصر

التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين. / عبدالرحمن بن ناصر البراك - ط ١ .- الرياض، ١٤٤٢هـ

٧٠٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٩-٥-٩١٥٢٨-٦٠٣-٩٧٨

١ - القرآن - تفسير أ.العنوان

ديوي ٢٢٧,٣ ٢٦٠٧/ ١٤٤٢

رقم الإيداع: ٢٦٠٧/ ١٤٤٢

ردمك: ٩-٥-٩١٥٢٨-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م



المَملَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ

الرِّيَاض

الجَوَّال 00966505112242

البَرِيدُ الإِلِكترُونِيُّ .... m@sh-albarrak.com

المَوقِعُ الرَّسمِيُّ .... sh-albarrak.com

إصدارات مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك (٥)

التعليق والإيضاح

مختار

على

تفسير الجلالين

تأليف

عبد الرحمن بن ناصر البراك

المجلد الأول

الفاتحة، والبقرة

اعتنى به



مقدمة التحقيق

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه؛ أمَّا بعد:

فهذه «حاشيةٌ على الجلالين: الفاتحة والبقرة»، لشيخنا العلامة عبد الرحمن البراك ـ حفظه الله ـ سمَّاها: «التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين»، أَملاها في مجالسَ عديدةٍ تعليقًا وتوضيحًا لمُراد المؤلِّفَين من عبارتهما في تفسير الآيات، وصدَّر ذلك بتفسيره ـ حفظه الله ـ على الآيات، ثم ثنّى بالتعليق على كلام المؤلِّفَين، وقد تعقَّبهما في المخالفات العقدية، وكان هذا هو السببُ والباعثُ الأَوَّلُ له على إخراج هذا الكتاب قبل أن يبدو لشيخنا أنْ يكتبَ تفسيرًا على الآية ـ على وجه الإجمال والاختصار ـ قبل التَّعليق.

ولا يخفى على طالبِ العلمِ أَهمية تفسير الجلالين لمؤلِّفَيه: **جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي**؛ فهو من التفاسير المختصرة الشائعة، و«ظهرت خصائصه اللامعة بين الناس على اختلاف المستويات؛ فقد تميَّزَ بصنيع هذين العالمين معًا؛ إذ كان فيه إيجازٌ وافٍ بكثيرٍ من حاجات التفسير مع الاحتفاظ بجميع النص القرآني، واستيعابُ جهودِ العلماءِ في القرون الإسلامية التسعة»[1].

وقد سِرنا في العمل على هذا الكتاب وِفقَ المنهجِ التالي:

١ ـ مقابلةُ أَصل الكتاب وضبطه على طبعة الدكتور: فخر الدين قباوة وهو العمدة في هذه التعليقات، ونُنبِّهُ في الهامش إلى ما قد يكون من اختلافٍ بينهما وبين النسخ الأخرى، كما نُنبِّهُ إلى بعض ما وقع في الكتاب من إشكالات، وننقل ما يُصوِّبه شيخُنا في بعض المواضع منها.

---

(١) **ينظر**: مقدمة تحقيق «تفسير الجلالين» للدكتور قباوة.

٢ ـ تعريفٌ موجزٌ بالكتاب، وبيانُ منزلته وأَهم حواشيه ومَن اعتنى به.

٣ ـ ترجمةٌ مختصرةٌ للمؤلِّفَين: **جلالِ الدِّين المحلي، وجلالِ الدِّين السيوطي**.

٤ ـ تقسيمُ الكتاب إلى فقرات؛ كالتالي:

ـ نُصدِّرها بالآيات المراد تفسيرها.

ـ ثم يليها تفسير شيخنا للآيات.

ـ ثم نُورد تعليق الجلالين على الآيات.

ـ ثم نُعقبه بتعليقات شيخنا على كلام الجلالين.

وطريقة التقسيم هذه من عمل شيخنا، كما نص في مقدمته فيما سيأتي.

٥ ـ توثيقُ النقول التي وردت في الكتاب وعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٦ ـ ربطُ مباحثِ الكتاب بكتب التفسير وعلوم القرآن وغيرِها من سائر الفنون.

٧ ـ إحالةُ بعضِ المباحث إلى مواضع أخرى موسَّعة من كتب وشروح شيخنا حفظه الله.

٨ ـ ضبطُ الكلمات المشكلة، والعنايةُ بعلامات الترقيم.

٩ ـ عزو الآيات إلى مواضعها من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وإثباتها على رواية حفص عن عاصم، أما الآيات في الجلالين؛ فقد أثبتناها بالخط العادي، وشكّلناها وفق ما ضبطه المحقق الدكتور فخر الدين قباوة لأنَّ القراءة التي اختارها المصنفان لآيات القرآن جمهورها الأساسي معتمد على قراءة إمام البصرة أبي عمرو بن العلاء ولم يلتزما ذلك، وقد أشرنا في الحاشية لاختلاف القراءات.

١٠ ـ تخريجُ جميع الأحاديث والآثار الواردة في المتن، أو التعليق والشرح.

والطريقةُ في ذلك كالتالي:

أ- إذا كان الحديثُ في الصحيحين أو أحدهما نقتصرُ في العزو إليه إلا لفائدة؛ كأن يكون اللفظُ المذكورُ لغيرهما.

ب- إذا كان الحديثُ في غير الصحيحين:

ـ خرَّجناه من أهم المصادر، وهي السننُ الأربعُ وموطأ مالك ومسند أحمد، وغيرها من المصادر الحديثية المعتبرة.

ـ لا نتوسع بذكر الطرق والشواهد، وإنما نحيلُ إلى بعض المراجع لمن أراد التوسّع والزيادة، وغالبًا ما تكون الإحالة إلى كتب التخريج، والعلل.

ـ نتقل ما تيسَّر من كلام الأئمة النقاد المتقدمين عليه تصحيحًا أو تضعيفًا، وإذا كان بين الأئمة خلافٌ نذكر أقوالهم دون حُكمٍ أو ترجيحٍ، وقد نستأنس ـ في هذه الحالة ـ بترجيحات المتأخرين، والمعاصرين ممن يشتغل بالتصحيح والتضعيف.

ـ إذا لم نجد للأئمة النقاد كلامًا في الحديث: لا نحكم على الحديث صحةً أو ضعفًا، وغالبًا ما نعتمد في هذه الحالة على أحكام المتأخرين في ضوء قواعد النقاد.

ج- نذكر اسم الصحابي راوي الحديث إلا أن يُذكر في المتن، وإذا كان الحديث مرويًا عن أكثر من صحابي ذكرنا صاحب اللفظ وأشرنا إلى غيره تبعًا.

١١ ـ ترجمةُ الرواة من غير الصحابة والتعريفُ ببعض الأعلام.

١٢ ـ بيانُ معاني الكلمات الغريبة.

١٣ ـ التعريفُ بالفِرق والمقالات.

١٤ ـ صنعُ فهرسٍ تفصيلي للموضوعات، وللمصادر والمراجع.

ملاحظة: إذا ورد في الهوامش كلمة «شيخنا» فالمراد به صاحب التعليقات شيخنا العلامة عبد الرحمن البراك ـحفظه اللهـ.

اللجنة العلمية في



للتواصل:

جوال: ٠٥٠٥١١٢٢٤٢

البريد الإلكتروني: m@sh-albarrak.com

التعريف بالجلالين

أَلَّف هذا التفسير إمامان، ولقب كل واحد منهما جلال الدين، وهما: **جلال الدين المحلِّي، وجلال الدين السيوطي.**

ترجمة جلال الدين المحلي:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي الأصل نسبة للمحلة الكبرى. ولد بالقاهرة سنة (٧٩١هـ) واشتغل وبرع في الفنون؛ فقهًا وأصولًا ونحوًا وغيرها، وكان آيةً في الذكاء والفهم؛ فكان بعض أهل عصره يقول فيه: إن ذهنه يثقب الماس. وكان يقول عن نفسه: أنا فهمي لا يقبل الخطأ.

وكان من أهل الصلاح والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام، ويأتون إليه فلا يلتفت إليهم، ولا يأذن لهم بالدخول عليه، وإذا ظهر له الصواب على لسان من كان رجع إليه، وكان متقشفًا في ملبوسه ومركوبه، ويتكسب بالتجارة، وألف كتبًا تشد إليها الرّحال؛ في غاية الاختصار والتحرير والتنقيح، وقد أقبل عليها الناس وتلقوها بالقبول، وتداولوها؛ منها: «البدر الطالع بشرح جمع الجوامع»، و«كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين»، و«شرح الورقات»، وله مصنفات أخرى في شتى الفنون. توفي في أول يوم من سنة (٨٦٤هـ)[١].

ترجمة جلال الدين السيوطي:

هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، ولد في رجب سنة (٨٤٩هـ)، نشأ في القاهرة يتيمًا إذ مات والده وعمره خمس سنوات،

---

(١) ينظر: «الضوء اللامع» (٧/ ٣٩-٤١)، و«حسن المحاضرة» (١/ ٤٤٣-٤٤٤)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٨٤-٨٥)، و«الأعلام» (٥/ ٣٣٣-٣٣٤)، و«معجم المؤلفين» (٨/ ٣٣١-٣١٢).

ختم القرآن العظيم وله من العمر دون ثمان سنين، ثم حفظ «عمدة الأحكام»، و«منهاج النووي»، و«ألفية ابن مالك»، و«منهاج البيضاوي»، وعرض الثلاثة الأولى على علماء عصره وأجازوه، ولما بلغ أربعين سنة من عمره أقام في روضة المقياس وأخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى، وشرع في تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس، واعتذر عن ذلك، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها، وطلبه السلطان مرارًا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها، وبقي على ذلك إلى أن توفي، وكان يلقب بابن الكتب؛ لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب!

له العديد من المصنفات في شتى الفنون[(١)]، منها في التفسير وعلومه: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، و«الإتقان في علوم القرآن»، و«لباب النقول في أسباب النزول»، و«مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» توفي سنة (٩١١هـ)[(٢)].

التعريف بكتاب تفسير الجلالين:

لم يضع الجلالان لهذا التفسير اسمًا بل عُرف بين العلماء باسم «تفسير الجلالين»، أو «الجلالين» نسبة إليهما.

---

(١) **ينظر**: «دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها» لأحمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني ـ الطبعة الثانية ـ، فقد أوردا فيه (١٠٨٠) عنوانًا ما بين مخطوط ومطبوع ومجهول المكان أو مفقود، وهذا الرقم فيه الكثير من المكررات؛ لكون الكتاب الواحد ذا عناوين مختلفة.

(٢) **ينظر**: «حسن المحاضرة» (١/ ٣٣٥-٣٤٤)، و«الكواكب السائرة» (١/ ٢٢٧-٢٣٢)، وشذرات الذهب (١٠/ ٧٤-٧٩)، و«الأعلام» (٣/ ٣٠١-٣٠٢)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ١٢٨-١٣١).

وقد ابتدأ جلال الدين المحلي تفسيره من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، ثم ابتدأ بتفسير الفاتحة، وبعد أن أتمها اخترمته المنية فلم يُفسِّر ما بعدها، فجاء السيوطي وكمَّل تفسير المحلي ـ في مدة ميعاد الكليم؛ أي: أربعين يومًا! ـ، فابتدأ بتفسير سورة البقرة، وانتهى عند آخر سورة الإسراء، وجعل السيوطي تفسير الفاتحة في آخر تفسير المحلي؛ لتكون منضمة لتفسيره[(١)].

وبعد أن اكتمل هذا التفسير انتشر بأيدي الناس واشتهر وقُرِّر في المعاهد وقُرأ في المساجد.

مصادر الكتاب:

اعتمد الجلالان على عدة مصادر في هذا التفسير منها:

التفسير الكبير والصغير لأحمد بن يوسف كواشي[(٢)]، ويعرف الأول بـ «تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر»، والثاني هو مختصره الموسوم بـ «التلخيص في تفسير القرآن العظيم»، وقد اعتمد عليهما المحلي، واعتمد السيوطي عليهما واقتبس من وضع المحلي واستفاد منه، واستفاد أيضًا من «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» للواحدي، و«أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوي، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير.

---

(١) ينظر مقدمة البقرة وخاتمة الإسراء للسيوطي (ص٣)، و(ص١٠٧٨)، و«حاشية الجمل» (١/ ٧)، (٢/ ٧٠٧) وما بعدها.

(٢) أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيبانيّ الموصلي، موفق الدين أبو العباس الكواشي، عالم بالتفسير، من فقهاء الشافعية، من أهل الموصل، من كتبه: «تبصرة المتذكر» في تفسير القرآن، و«كشف الحقائق» ويعرف بـ«تفسير الكواشي»، و«تلخيص في تفسير القرآن العزيز»، نسبته إلى كواشة أو كواشي، قلعة بالموصل. وكف بصره بعد بلوغه السبعين، وتوفي سنة ٦٨٠هـ. **ينظر**: «النجوم الزاهرة» (٧/ ٣٥٢)، «هدية العارفين» (١/ ٩٨)، «الأعلام» (١/ ٢٧٤).

كما أشار السيوطي في ترجمته للإمام أحمد بن يوسف كواشي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ فقال: «وله التفسير الكبير، والصغير، جود فيه الإعراب، وحرر أنواع الوقوف، وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس.

قلت: وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره، واعتمدت عليه أنا في تكملته مع الوجيز وتفسير البيضاوي وابن كثير»[(١)].

عناية العلماء بالكتاب:

حظي تفسير الجلالين باعتناء الناس وطلاب العلم للآتي:

- كونه أوجز التفاسير وأخصرها، وقد ذكر حاجي خليفة عن بعض علماء اليمن أنه قال: «عددت حروف القرآن وتفسيره للجلالين؛ فوجدتهما متساويين إلى سورة المزمل، ومن سورة المدثر التفسير زائد على القرآن، فعلى هذا يجوز حمله بغير الوضوء»[(٢)].

- اعتناء الكثير من أهل العلم بتدريسه، والإجازة فيه، وتقريره في المعاهد الشرعية.

- كثرة الحواشي والتعليقات التي أظهرت معناه، وكشفت عن كثير مما خفي.

وقد قام الكثير بشرحه، والتعليق عليه، وتوضيح دقائقه في مؤلفات وحواش كثيرة، منها المطبوع والمخطوط، والمفقود، والناقص، تزيد على الثلاثين، وأهمها[(٣)]:

---

(١) «بغية الوعاة» (١/ ٤٠١).

(٢) **ينظر**: «كشف الظنون» (١/ ٤٤٥).

(٣) **ينظر**: «جامع الشروح والحواشي» (١/ ٦٠٩-٦١٣).

١ ـ **«مجمع البحرين ومطلع البدرين على تفسير الجلالين» لمحمد بن محمد الكرخي**، توفي سنة (١٠٠٦هـ) في أربع مجلدات، وحققت أجزاء منه في رسائل جامعية، وله حاشية صغرى عليه[(١)] .

٢ ـ **«حاشية الجمالين على الجلالين» للملا علي القاري**، توفي سنة (١٠١٤هـ) طبع جزء منها[(٢)].

٣ ـ **«حاشية على تفسير الجلالين» لعبد الرحمن بن محمد القصري**، الفاسي، المالكي، توفي سنة (١٠٣٦هـ)، طبع جزء منها في المغرب عام (١٤٣٦هـ) بتحقيق الدكتور السيد حسن عزوزي، نشره المجلس العلمي المحلي لإقليم مولاي يعقوب[(٣)].

٤ ـ **«كتاب الكوكبين النيرين في حل ألفاظ الجلالين» لعطية بن عطية الأجهوري**، توفي سنة (١١٩٠هـ)، وحققت أجزاء منه في رسائل جامعية[(٤)].

٥ ـ **«الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين بالدقائق الخفية» والمعروفة بحاشية الجمل لسليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري**، المعروف بالجمل، توفي سنة (١٢٠٤هـ)، وهو مطبوع مشهور.

٦ ـ **«حاشية الكمالين على الجلالين» لسلام الله بن فخر الدين الدهلوي**، المتوفي سنة (١٢٢٩هـ)، وقيل (١٢٣٣هـ)، طبعت سنة (١٣٨١هـ).

---

(١) **ينظر**: «كشف الظنون» (١/ ٤٤٥)، و«خلاصة الأثر» (٤/ ١٥٢)، و«الأعلام» (٧/ ٦١)، و«إيضاح المكنون» (٤/ ٤٣٣)، و«هدية العارفين» (٢/ ٢٦٣)، و«معجم المؤلفين» (١١/ ٢٦١).

(٢) **ينظر**: «كشف الظنون» (١/ ٤٤٥)، «الأعلام» (٥/ ١٢)، «هدية العارفين» (١/ ٧٥١).

(٣) **ينظر**: شجرة النور الزكية (١/ ٤٣٣)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ١٩٤).

(٤) **ينظر**: الأعلام (٤/ ٢٣٧)، و«إيضاح المكنون» (٤/ ٣٩٥)، و«هدية العارفين» (١/ ٦٦٥) و«معجم المؤلفين» (٦/ ٢٨٧).

٧ـ «**حاشية على الجلالين**» **لأحمد بن محمد الخلوتي**، الشهير بالصاوي، توفي سنة (١٢٤١هـ)، وهو مطبوع مشهور.

٨ـ «**حاشية على تفسير الجلالين**» **لمحمد بن صالح أبي السعود السباعي**، توفي سنة (١٢٦٨هـ)، وهو في ثلاث مجلدات مخطوطة[(١)].

٩ـ «**قرة العين ونزهة الفؤاد**» **لعبد الله بن محمد الشافعي النبراوي**، توفي سنة (١٢٧٥هـ)، هي حاشية على تفسير الجلالين في أربع مجلدات، مخطوطة، وقد حققت أجزاء منه في رسائل جامعية[(٢)].

١٠ـ «**التعليق على الجلالين**» **لعبد الرزاق عفيفي**، توفي سنة (١٤١٥هـ)، من سورة غافر إلى سورة الناس ضمن مقرر التفسير بالمعاهد العلمية.

١١ـ «**قرة العينين على تفسير الجلالين**» **لمحمد أحمد كنعان**، توفي سنة (١٤٣٢هـ)، أضاف إلى التفسير ما تدعو الحاجة إليه، وعلَّق على بعض المواضع منه، وخرَّج أحاديثه، طبعته شركة دار البشائر.

١٢ـ «**تنبيهات مهمة على قرة العينين على تفسير الجلالين**» **لمحمد بن جميل زينو**، توفي سنة (١٤٣١هـ)، وهو تنبيهات على بعض الأخطاء الواقعة في الكتاب السابق، وجعل فصلًا في ذكر تنبيهات مفيدة لمحمد كنعان.

١٣ـ «**تهذيب تفسير الجلالين**» **لمحمد لطفي الصباغ**، توفي سنة (١٤٣٩هـ)، طبعه المكتب الإسلامي.

١٤ـ «**أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين**» **لمحمد بن عبد الرحمن الخميس**، وهو تعقبات على بعض الأخطاء العقدية. طبعته دار الصميعي.

---

(١) **ينظر**: «الأعلام» (٦/ ١٦٤)، و«إيضاح المكنون» (٣/ ٣٠٤) و«هدية العارفين» (٢/ ٣٧٣)، و«معجم المؤلفين» (١٠/ ٨٣).

(٢) **ينظر**: «الأعلام» (٤/ ١٣١)، و«معجم المؤلفين» (٦/ ١٤٢)، و«معجم المفسرين» (١/ ٣٢٦).

١٥ ـ «حاشية هداية الموحدين على تفسير الجلالين» لهشام برغش، طبعته مدار الوطن.

مذهب الجلالين العقدي:

ومما يُؤخذ على هذا التفسير: أنَّ مؤلِّفيه لم يلتزما منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الأسماء والصفات التي أجمع السلف على إثباتها، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ فوقعا في زلات عفا الله عنهما؛ فقد سلكا مسلك التأويل لكثير من الصفات على طريقة الأشاعرة، وقد علق شيخنا عليها وحرَّر مذهب أهل السنة والجماعة بما يقتضيه المقام بسطًا وإيجازًا.

نسأل الله أن يجزي شيخنا خير ما يجزي به العلماء الصادقين والدعاة الناصحين والأئمة المصلحين، كما نسأله جَلَّ وَعَلَا أن يتغمد العلَّامتين المحلي والسيوطي برحمته ويعفو عنهما بمنه وكرمه؛ إنه غفور رحيم.

مقدمة التعليق

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين؛ أمَّا بعد: فقد أشار عليَّ بعضُ الإخوةِ الفضلاء أنْ أُعلِّقَ على المواضع التي فيها مخالفة لعقيدة أهل السنَّة من «تفسير الجلالين»، فاستحسنتُ ذلك، ولكني رأيتُ التَّعليقَ على جميع الكتاب مما يتعلَّقُ بالعقيدة وغيرِها، وذلك بتوضيح مُراد المؤلِّف من عبارته في تفسير الآيات.

ثم بدا لي أنْ أكتبَ تفسيرًا على الآية -على وجه الإجمال والاختصار- قبل التَّعليق، ممَّا فهمتُه منها وممَّا حصل لي من قراءتي في بعض التفاسير، فصار ذلك تفسيرًا مستقلًا متبوعًا بالتَّعليق على كلمات مؤلِّف تفسير الجلالين، فحصل بذلك الجمعِ بين التفسير والتَّعليق تكاملٌ وتمامُ فائدةٍ في تفسير الآية.

وقد أكتفي في بعض المواضعِ بتفسير الجلالين مع التَّعليق عليه إذا رأيت ذلك مُغنيًا عن تفسيرٍ مُستقلٍّ للآية.

والمنهجُ الذي اتَّبعتُه في هذا: أنْ أسوقَ الآيةَ أو الآيات أولًا، ثم أذكرَ تفسيرَها، ثم أذكرَ نصَّ تفسير الجلالين، وأُتبعَه بالتَّعليق عليه.

أسألُ اللهَ أن يجعلَه عملًا خالصًا ومُعينًا على فهم كتابه تعالى.

قال الإمام جلال الدين المحلي:

(سورة الفاتحة)

مكيَّةٌ، سبعُ آياتٍ بالبسملة إن كانت منها، والسابعةُ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إلى آخرها، وإن لم تكن منها فالسابعةُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إلى آخرها، ويُقدَّرُ في أوَّلها «قولوا» ليكون ما قبل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مناسبًا له بكونه من مَقول العباد.

قولُه: (**بالبسملة إن كانت منها**): أي: إن كانت البسملةُ آيةً من الفاتحة، وفي ذلك قولان، والصواب: أنها ليست آية من الفاتحة[١] بدليل الحديث القدسي؛ قال الله: ((قَسَمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين)) -يعني: الفاتحة- ((فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ قال الله: حمدني عبدي...))[٢] الحديث، فبدأ بالحمد لله ربِّ العالمين، ولم يذكر البسملةَ.

وقولُه: (**ويُقدَّرُ في أوَّلها «قولوا»**): لأنَّ الفاتحةَ كلَّها تعليمٌ من الله لعباده المؤمنين، وقد تضمَّنت الحمدَ والثناءَ والتمجيدَ لله، والتوحيدَ والدعاءَ، فالمسلمُ يقرأها يقصدُ تلاوةَ كلامِ الله، ويقصدُ معانيها المذكورة، ومَن يقرأها غافلًا عن معانيها يكون قاصدًا للتلاوة فقط فله أجرُ التلاوة؛ لأنَّ التلاوةَ مع الغفلة عن المعنى تكون ناقصةً.

---

(١) وهو مذهب مالك وأبي حنيفة ورواية عن أحمد هي المنصورة عند أصحابه، ومذهب جمهور الفقهاء والقراء. **ينظر**: «المجموع شرح المهذب» (٣/ ٣٣٣-٣٤٠)، و«المغني» (٢/ ١٥١-١٥٣)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٩٢-٩٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١١٦-١١٧)، و«النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٧٠-٢٧١).

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقولُه: (**ليكون ما قبل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مناسبًا له**): يريدُ أنَّ تقدير «قولوا» يجعل ما قبل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ـوهي الآياتُ الثلاثُـ إنشاءً من العبد بتعليم الله، حمدًا وثناءً وتمجيدًا، ويؤيّده قولُه تعالى في الحديث القدسي: ((حمدني عبدي، أثنى علي عبدي، مجَّدني عبدي))، وعليه يكون قولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ التفاتًا، وهو انتقالٌ من الغيبة إلى الحضور.



قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾.

الباءُ للاستعانة، والاسمُ هو اللفظُ الدالُّ على المسمَّى، فالمعنى: استعينوا بالله ذاكرًا لاسمه، كقوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [الواقعة: ٧٤، ٩٦، الحاقة: ٥٢]، و﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

و﴿ٱللَّهِ﴾: أشهرُ أسمائه تعالى، والجامع لمعاني أسمائه وصفاته[1]، وأصلُ كلمة الله الإله، فحُذفت الهمزةُ وأُدغمتِ اللامُ في اللام مع التفخيم[2].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسمان من أسماء الله يدلَّان على صفة الرحمة، والفرقُ بينهما أنَّ الرَّحمن يدلُّ على الرحمة الذاتية، وقيل: الرحمة العامة، والرحيم يدلُّ على الرحمة الفعليَّة، وقيل: الرحمة الخاصة[3].



(١) **ينظر**: «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٨٢)، و«التعليق على القواعد المثلى» لشيخنا (ص٤٩-٥٠).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ١٢١-١٢٣)، و«الكتاب» لسيبويه (٢/ ١٩٥-١٩٦)، و«لسان العرب» (١٣/ ٤٦٧)، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص٢٣-٣٢)، و«بدائع الفوائد» (٢/ ٧٨٢).

(٣) هذا قول ابن القيم كما في «بدائع الفوائد» (١/ ٤٢)، واختاره شيخنا في «توضيح مقاصد العقيدة الواسطية» (ص٦٧)، و«التعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري» (ص١٠٤ رقم ٦٧). وينظر أقوال أخرى في التفريق بينهما في: «تفسير الطبري» (١/ ١٢٥-١٢٩)، و«تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج (ص٢٨)، و«شأن الدعاء للخطابي» (١/ ٣٥-٣٩)، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص٣٨-٤٣).

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

«ال» في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ للاستغراق، واللام في ﴿لِلَّهِ﴾ للاستحقاق، المعنى: الحمدُ كلُّه مُستحَقٌّ لله، والجملةُ إنشاءٌ للحمد من العبد لربه، وهي خبرٌ من الله مدحًا لنفسه، وتعليمًا لعبده، والربُّ: هو: المالكُ المنعمُ، المربي بالنِّعم، المستحقُّ للعبادة[1].

و﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: جمعُ عالَم، والمرادُ بهم في هذا الموضع: جميعُ الخلق، فكلُّ جنسٍ من المخلوقات عالَم، تقول: عالَمُ الإنس، وعالَم الجنِّ، وعالَم الملائكة، وعالَم الحيوان، وغير ذلك.

وقد يُرادُ بالعالمين: الجنُّ والإنسُ فقط؛ كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]، وقد لا يُراد بهم إلا البشر؛ كقوله تعالى ـ في بني إسرائيل ـ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢][2].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: جملةٌ خبريةٌ قُصد بها الثناءُ على اللّه بمضمونها من أنه تعالى مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، أو مُستحقٌّ لأن يَحمدوه.

و﴿الله﴾: عَلَمٌ على المعبود بحق. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي مالك جميع الخلق من الإنس والجنِّ والملائكة والدواب وغيرهم، وكلٌّ منها يُطلَقُ عليه «عَالَم»، يقال: عالَم الإنس وعالَم الجن إلى غير ذلك، وغلب في جمعه بالياء والنون «أولو العلم» على غيرهم. وهو من العلامة؛ لأنه علامةٌ على مُوجِده.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٤٢-١٤٣)، و«اشتقاق أسماء الله» (ص٣٢-٣٦)، و«شأن الدعاء» (ص٩٩-١٠٠)، و«مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٢-١٣).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٤٤-١٤٧)، و«نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي (ص٤٤٤-٤٤٦، رقم ٢١٤).

وقولُ المؤلِّف: (**جملةٌ خبريةٌ**): أي من حيث اللفظ، أمَّا من حيث المعنى فهي مدحٌ وثناءٌ على الله، ولهذا قال المؤلِّف: (**قصدَ بها الثناء على الله بمضمونها**).

وقولُه: (**مالكٌ... أو مستحق**): إشارةٌ إلى أنَّ اللام في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾: يُحتمل أن تكون للملك أو للاستحقاق، والأظهر: أنها للاستحقاق[1].

وقولُه: (**واللهُ عَلَمٌ على المعبود بحق**): هذا الاسم «الله» مختصٌّ بربِّ العالمين، وهو الإله الحقُّ المعبودُ بحق، ولكن هذا الاسم ليس علمًا محضًا بل هو عَلَمٌ وصفةٌ؛ لأنَّ أصلَ اللفظ مُشتقٌّ، فأصل الله إله، بمعنى: مألوه أي: معبود، فحُذفت الهمزةُ، وأُدغمتِ اللامُ في اللام مع التفخيم كما تقدَّم.

وقولُه: (**وجُمع بالياء والنون**)؛ أي: جُمعَ العالَمُ جمعَ مذكَّرٍ سالمٍ مع أنَّ العوالَمَ منها ما يَعقِل ومنها ما لا يَعقِل، وما لا يَعقِلُ لا يُجمعُ جمعَ مذكَّرٍ، ولكن يقول المؤلِّف: غُلِّب أُولوا العلم؛ يعني: أُولوا العقل؛ أي: غلبَ مَن يَعقِلُ على ما لا يعقل فجُمع جمعَ مذكَّرٍ سالمٍ. والصحيحُ أنَّ عالَم قد فقد فيه ثلاثةَ شروطٍ من شروط ما يُجمعُ جمعَ مُذكَّرٍ سالم:

الأولُ: أنَّ العالم ليس بعَلَمٍ ولا صفة، وهذا شرطٌ فيما يُجمع جمعَ مذكر سالم.

الثاني: أن يكون مذكرًا حقيقيًا، والعالَمُ مذكرٌ لفظًا.

الثالث: أن يكون ما يُجمعُ جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ عاقلًا، والعالَم منه ما يعقلُ ومنه ما لا يعقلُ كما تقدَّم.

ولهذا كان الصواب: أنَّ العالمين مُلحقٌ بجمع المذكَّرِ السالم.

---

(١) لأنها داخلة بين معنى وذات. **ينظر**: «اللامات» للزجاجي (ص٦٥)، و«مغني اللبيب» (ص٢٧٥)، و«حاشية الصبان على الأشموني» (٢/ ٣٢٠).

وقولُه: **(وهو من العلامة)**: يريد أنَّ العالَم والعالمين سُمِّيَ بذلك لأنه دالٌ على موجده، فكلُّ مخلوقٍ هو علامةٌ على الخالق سبحانه، وهذا معنى قول المؤلِّف: أنَّ العالَمَ مأخوذٌ اسمُه من العلامة، والعلامةُ ما يعرف به الشيء ويدلُّ عليه(١)، ويقال: له أيضًا آية، والآية والآيات بهذا المعنى هي الآياتُ الكونية، وهي: المخلوقات. والآية والآياتُ في القرآن يُرادُ بها في الغالب الآياتُ الكونيةُ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ [البقرة: ٢٤٨]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ [يونس: ٦٧]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ [الروم: ٢٠]، ويُرادُ بها تارةً الآياتُ الشرعية، وهي: آياتُ القرآن؛ كقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ [يونس: ١]، ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].



(١) **ينظر**: «تفسير الماوردي» (١/ ٥٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٢)، و«تفسير ابن عطية» (١/ ٧٤)، و«الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» للهمذاني (١/ ٧٥).

وقولُه تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾.

ما يتعلَّقُ بهذين الاسمين تقدَّم في البسملة، وقال الله في الحديث القدسي: ((وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي)).

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة، وهي إرادةُ الخيرِ لأَهلِه.

وقولُ المؤلِّف: (**أي: ذي الرحمة، وهي إرادةُ الخيرِ لأَهلِه**): تفسيرُ الرحمة بالإرادة مبنيٌّ على نفي حقيقةِ الرَّحمةِ، وهو من مذهب الأشاعرةِ الذين لا يُثبتون إلَّا سبعًا من الصفات[1]، ومنها الإرادةُ، فيفسرون بها كثيرًا من الصفات التي ينفونها؛ كالرحمة والغضب والمحبة والبُغض، والواجبُ إثباتُ هذه الصفات على حقيقتها اللائقةِ بالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ كما هو ظاهرُ القرآن، فالاسمان دالَّان على أنَّ الرحمةَ صفةٌ لله ـ تعالى ـ قائمةٌ به.



(١) وقد انتقد شيخ الإسلام هذا التقسيم عندهم. **ينظر**: «درء التعارض» (٣/ ٢١-٢٢)، و«بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٣٣٠)، و«موقف ابن تيمية من الأشاعرة» للمحمود (٣/ ١٠٤٩).

قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾.

«يوم الدين»: أحدُ أسماءِ يومِ القيامة، ومعناه: يومُ الجزاءِ والحسابِ للعباد على الأعمال.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: الجزاءُ، وهو يوم القيامة، وخُصَّ بالذِّكر لأنه لا ملك ظاهرًا فيه لأحدٍ إلَّا لله تعالى، بدليل: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ [غافر: ١٦]. ومن قرأ «مالك» فمعناه: مالكُ الأمر كلّه في يوم القيامة؛ أي: هو موصوفٌ بذلك دائمًا كـ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ [غافر: ٣]، فصحَّ وقوعُه صفةً للمعرفة.

وقولُ المؤلِّف: (**خُصَّ بالذِّكر**): معناه: خُصَّ يومَ الدين بأنَّ اللهَ ملكه، والملكُ فيه له سبحانه مع أنه تعالى مالكُ الدنيا والآخرة، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ [الليل: ١٣]، ويُبيِّنُ المؤلِّفُ وجهَ التخصيص بقوله: (**لأنه لا ملك ظاهرًا فيه لأحدٍ إلَّا لله تعالى**)، بخلاف الدنيا ففيها ملوكٌ لكنَّ ملكَهم عاريةٌ، وهم: ذاهبون، ولهذا في الحديث الصحيح: أنَّ اللهَ إذا أخذ الأرضَ والسماوات بيديه يقول: ((أنا الملكُ، أين ملوك الأرض؟))[(١)]، فلا ملكَ لأحدٍ يومَ القيامةِ سواه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

وقولُه: (**ومن قرأ «مالك»**...) إلى آخره: يدلُّ على أنَّ في الكلمة قراءتين، و﴿مَلِكِ﴾ بلا ألف قراءةُ الجمهور[(٢)]، واختارها ابنُ جرير[(٣)]. ووجهُ التخصيص بـ «يوم الدين» مثل: وجه التخصيص على القراءة الأولى.

(١) رواه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وأبو حاتم وخلف بإثبات ألف بعد الميم لفظًا، وقرأ الباقون بغير ألف. **ينظر**: «النشر في القراءات العشر» ١/ ٢٧١.

(٣) «تفسير الطبري» (١/ ١٥٠).

وقولُه: (**أي: هو موصوفٌ بذلك دائمًا**): يريد أنَّ إضافةَ الملك ليوم الدين يحتملُ أنه ليس للتقييد والتخصيص بل ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ اسمٌ لله وصفةٌ له دائمًا، وعلى هذا فيكون الاسمُ معرفةً بالعلمية، وعلى الأول يكون: معرفةً بالإضافة، فيصحُّ أن يكون صفةً للمعرفة على التقديرين، ولهذا قال المؤلِّف: (**فصحَّ وقوعُه صفةً للمعرفة**)، لكنْ عبارتُه توهم أنه لا يصحُّ وقوعُه صفةً للمعرفة إلَّا على التقدير الثاني.

ومضمونُ هذه الآية تمجيدُ الربِّ بوصفه بالمَلِك في يوم الدِّين على قراءة الجمهور، وبمالك يوم الدِّين على القراءة الأخرى، وفي الحديث القدسي: ((وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال الله: مجَّدني عبدي)).



﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصُّكَ بالعبادة من توحيدٍ وغيره، ونطلبُ منك المعونةَ على العبادة وغيرِها.

قولُه: (**نخصُّكَ بالعبادة**): معناه: لا نعبدُ إلَّا إياك، وهذا قصرٌ أفادَه تقديمُ المعمولِ وهو الضميرُ المنفصل المنصوب «إياك»، فتضمَّنت الآية توحيدَ العبادة.

وقولُه: (**ونطلبُ منك المعونةَ على العبادة وغيرِها**): كان الأولى أن يقول: ونخصُّك بطلب المعونةِ على العبادة وغيرها فلا نستعينُ غيرك؛ لأنَّ قولَه تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يفيدُ القصرَ؛ كالجملة التي قبلها، فدلَّت الآية على توحيده سبحانه بالعبادة وبالاستعانة، فتضمَّنت الآية توحيدَ الإلهية في الجملة الأولى، وتوحيد الربوبية في الجملة الثانية، فكما لا معبودَ بحقٍّ إلَّا الله؛

فلا مُستعانَ على الأمور كلِّها إلَّا الله، وتقديمُ العبادة على الاستعانة؛ قيل: هو من تقديم الغايةِ على الوسيلة[(١)].

والعبادةُ هي: كمالُ المحبةِ مع كمال الذلِّ[(٢)]، وهي: أيضًا اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه اللهُ ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[(٣)].

والاستعانةُ: طلبُ العون كما يفيد ذلك: «السين والتاء»؛ كالاستعاذة والاستغفار.

ويحسنُ التنبيهُ إلى أنَّ مضمونَ الآيات الثلاث ـوهو ما تدلُّ عليه من أسماء الله وصفاتهـ هو المقتضي لما تدلُّ عليه الآية الرابعةُ من التوحيد في العبادة والاستعانة.

وفي الآية الرابعةِ انتقالٌ من الغيبة إلى الخطاب، وهو ما يُسمَّى عند البلاغيين التفاتًا، وفي الحديث القدسي: ((فإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل))، ومعنى ذلك: أنَّ العبادةَ لله والعونَ للعبد من الله.



(١) **ينظر**: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٨٤)، و«مدارج السالكين» (١/ ١١٧). **تنبيه**: في بعض كتب التفسير في هذا الموضع مخالفات عقدية، والكلام عن الاستطاعة هل هي قبل الفعل أو معه، ونحو ذلك؛ فلينتبه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٩، ٥٦، ١٥٣، ٢٥١)، و«مدارج السالكين» (١/ ١١٥-١١٦)، و«التدمرية وشرحها» (ص٤٨١).

(٣) **ينظر**: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤٩)، و«شرح التدمرية» لشيخنا (ص٤٨١).

قولُه تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦...﴾ إلى آخر السورة.

هذا هو السؤالُ المشارُ إليه في الحديث القدسي، وقد تضمَّن سؤالَ الهدايةِ إلى الصراط المستقيم وهو: دينُ الإسلام الذي هو الدِّين عند الله، وهو: دينُ النبيين والمرسلين[١]. ومعنى «الصراط» في اللغة: الطريقُ المسلوكُ الواضحُ الواسعُ المستقيمُ الموصلُ إلى المقصود[٢].

والهدايةُ المذكورةُ تشملُ الهدايتين: هدايةُ الدلالةِ والإرشادِ، وهدايةُ التوفيق، وكلاهما تُطلَبُ من الله[٣].

والمرادُ بـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: هم المُنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وهذا الصراطُ يُضافُ إلى الله لأنه هو الذي شَرعَه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ويُضافُ إلى المنعم عليهم لأنهم سالكوه كما في هذه الآية، ويُضافُ إلى الرسول لأنه الدالّ عليه والداعي إليه كما في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨][٤].

---

(١) جاء هذا التفسير مرفوعًا للنبي ﷺ كما رواه أحمد (١٧٦٣٤)، والحاكم (٢٤٥) عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال: ((ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا... ثم قال: والصراط الإسلام)). وروي أيضًا هذا التفسير: عن ابن مسعود، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن الحنفية، ومقاتل، ورويت أقوال أخرى، وهي من اختلاف التنوع الذي منشأه تعدد الصفات أو الأسماء التي تكون لمسمى واحد. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ١٧٣-١٧٥).

(٢) **ينظر**: «لسان العرب» (٧/ ٣١٤)، و«بدائع الفوائد» (٢/ ٤١٦-٤١٧).

(٣) **ينظر**: «مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٧١-١٧٢)، و«بدائع الفوائد» (٢/ ٤٤٥-٤٤٨).

(٤) **ينظر**: «الانتصار لأهل الأثر» (ص٨٢)، و«مدارج السالكين» (١/ ١٥-١٦).

وقوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ معناه: اهدنا طريقَ غير المغضوب عليهم والضالين، وهم: المُنعَمُ عليهم، واجنبنا طريقَ المغضوب عليهم والضالين، فتضمَّن هذا الدعاءُ سؤالَ الهداية لطريق المُفلحين، وتجنيبَ طريق الهالكين.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: أرشدنا إليه، ويبدلُ منه: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية، ويبدلُ من «الذين» بصلته ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود ﴿وَلَا﴾ وغير ﴿الضَّالِّينَ﴾ وهم النصارى. ونكتةُ البدل أفادت أنَّ المهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى.

واللهُ أعلمُ بالصواب، وإليه المرجعُ والمآب، وصلَّى اللهُ على سيدنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله العلي العظيم.

وقولُ المؤلِّف: (**أرشدنا إليه**): فسَّرَ الهدايةَ إلى الصراط بالإرشاد، وهذا تفسيرٌ للهداية بأحد معنييها، فإنَّ الهدايةَ من الله لها معنيان: هدايةُ الإرشاد والدلالة والبيان، وهدايةُ التوفيق، والصواب: أنَّ قولَه: ﴿اهْدِنَا﴾ شاملٌ للنوعين كما تقدَّم.

وقولُه: (**ويبدلُ منه**): يريد أنَّ صراط الثاني بدلٌ من الأول، فهو منصوبٌ بناصبه.

وقولُه: (**بالهداية**): يريد أنَّ النعمةَ التي أنعم اللهُ بها على أوليائه هي الهدايةُ إلى الصراط المستقيم بنوعيها.

وقولُه: (**ويبدلُ من «الذين» بصلته**): يريد أنَّ «غير» بدلٌ مِن الموصول ﴿الَّذِينَ﴾، فإنَّ محلَّه الجرُّ بالإضافة، ومن تفسير القرآن بالقرآن أنَّ الذين أنعمَ الله عليهم هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ

﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]. وقولُه: (**بصلته**): يريد جملةَ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ لأنَّ الاسم الموصول لا يُعرَفُ المرادُ به إلَّا بصلته.

وقولُه: (**﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وهم النصارى**): صحَّ هذا التفسيرُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)] ويشهدُ له آياتٌ من القرآن؛ كقوله تعالى في اليهود: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، وقوله في النصارى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٣٨١)، والترمذي (٢٩٥٣)، و(٢٩٥٤)، وابن حبان (٧٢٠٦) من طريق سماك بن حرب، عن عباد بن حبيش، عن عدي بن حاتم، به. قال الترمذي: «حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب».

وسماك صدوق في غير روايته عن عكرمة، التقريب (٢٦٢٤)، وعباد بن حبيش لا يُعرف إلا بهذا الخبر ولم يرو عنه غير سماك؛ لذلك قال الذهبي في «الميزان» (٤١١٢): «لا يعرف»، لكنه توبع في روايته عن عدي، تابعه مري بن قطري: أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٨٦) من طريق محمد بن مصعب، عن حماد بن سلمة، عن سماك، به، بنحوه. وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد؛ فإن مري بن قطري وثقه ابن معين كما في تاريخه برواية الدارمي (رقم ٧٦٦)، ومحمد بن مصعب ـ وهو القرقساني ـ مختلف فيه، قال الحافظ: «صدوق كثير الغلط»، التقريب (٦٣٠٢).

وله طريق آخر: رواه الطبري (١/ ١٩٤) عن أحمد بن الوليد الرملي، عن عبد الله بن جعفر الرقي، عن سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم به. وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير أحمد بن الوليد الرملي، وهو أبو بكر الأمي البغدادي؛ فقد ترجم له الخطيب وسكت عنه. «تاريخ بغداد» (٦/ ٤١٩، رقم ٢٩١٢).

وله شاهد من حديث أبي ذر؛ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٢) من رواية ابن مردويه من طريق عبد الله بن شقيق عنه. وقد حسَّن ابن حجر إسناده في «الفتح» (٨/ ١٥٩).

والحديث صححه وأثبته جمع من أهل العلم، منهم ابن حبان، وابن تيمية في «درء التعارض» (١/ ١٦٦)، و«مجموع الفتاوى» (١/ ٦٤)، و«منهاج السنة» (٢/ ١١-١٢)، وابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٢/ ٨٠٠)، والألباني في «الصحيحة» (٣٢٦٣).

وقولُه: (﴿وَلَا﴾ وغير): يريد أنَّ ﴿لَا﴾ بمعنى غير، فيكون المعنى: غير المغضوب عليهم وغير الضالين.

وقولُه: (**ونكتة البدل**...) إلى آخره: يريد أنَّ جعلَ ﴿غَيْرِ﴾ بدل من الموصول ﴿الَّذِينَ﴾؛ ليفيد أنَّ الذين أنعم اللهُ عليهم ليسوا يهودًا ولا نصارى، فدلَّتِ الآيةُ على طوائف الناس الثلاث:

الأولى: المنعمُ عليهم، المهتدون، الذين علموا الحقَّ واتَّبعوه وعملوا به.

الثانية: المغضوب عليهم، وهم الذين علموا الحقَّ فعاندوه ولم يعملوا بما علموا.

الثالثة: الضالون، وهم: الذين لم يعلموا الحقَّ، وعملوا بلا علمٍ.

فالأولون هم أهلُ الصراط المستقيم. والآخرون هم: الناكبون عن الصراط؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٤]، وفي الحديث القدسي: ((فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل))، فنسألُ اللهَ أن يجعلنا من أهل هذا الوعدِ الكريمِ من الربِّ الرحيمِ.



قال المؤلِّف جلال الدين السَّيوطي في مقدمة تفسيره:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمدًا موافيًا لنعمِه مكافئًا لمزيده، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد وآلِه وصحبِه وجنودِه.

هذا ما اشتدَّتْ إليه حاجةُ الراغبين، في تكملة تفسيرِ القرآن الكريم، الذي ألَّفَهُ الإمامُ المحقِّق جلالُ الدين محمد بن أحمد المحلِّي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتتميمُ ما فاتَه ـ وهو من أول سورة «البقرة» إلى آخر «الإسراء» ـ بتتمَّةٍ على نمطِه، مِن ذكر ما يُفهَمُ به كلامُ الله ـ تعالى ـ والاعتماد على أرجحِ الأقوال، وإعرابِ ما يُحتاج إليه، وتنبيهٍ على القراءاتِ المختلفة المشهورة، على وجهٍ لطيفٍ وتعبيرٍ وجيزٍ، وتركِ التطويل بذكرِ أقوالٍ غير مرضية وأعاريبَ محلُّها كتب العربية.

واللهَ أسألُ النفعَ به في الدنيا، وأحسنَ الجزاء عليه في العُقبى، بمنِّه وكرمه.

قولُ المؤلِّف: (الحمدُ للهِ حمدًا موافيًا لعمِهِ مكافئًا لمزيدِهِ): هذا اللفظُ مُقتبَسٌ مِن حديثٍ ذكر ابنُ القيم أنه لا يصحُّ عن النبي ولم يُرْوَ بإسنادٍ صحيح ولا ضعيف، وإنما يُروى عن أبي نصر التمَّار[1] عن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[2]، قال ابن

(١) أبو نصر التمار: عبد الملك بن عبد العزيز، من أبناء أهل خراسان من أهل نسا، ونزل بغداد، وتجر بها في التمر وغيره، وكان ثقةً فاضلًا، خيرًا ورعًا، وثقه: أبو داود، والنسائي، وأبو حاتم. توفي ببغداد سنة (٢٢٨هـ). ينظر: «الطبقات» لابن سعد (٧/ ٣٤٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٧١، رقم ١٩٩).

(٢) رواه أبو نصر التمار، عن محمد بن نضر الحارثي، عن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، به. كما قال ابن الصلاح في «شرح مشكل الوسيط» (٤/ ٣١٦-٣١٧)، والنووي في «الأذكار» (ص١١٣-١١٤)، وابن حجر في «التلخيص» (٥/ ٣١٢٥)، و«نتائج الأفكار» (٣/ ٢٨٨-٢٨٩). =

القيم: «ولا يدري كم بين آدمَ وأبي نصرٍ إلا اللهُ عَزَّوَجَلَّ»[١]، ولابن القيم رسالة تكلَّم فيها عن أصل هذا الحديث ومعناه[٢]، وبيَّنَ أنه لا يصح روايةً ولا معنىً، وذلك أنه لا أحدَ من الخلق يقدر على أن يحمدَ الله حمدًا يوافي نعمه كمًّا ولا كيفًا[٣]؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا أُحصي ثناءً عليكَ))[٤]، ورحم الله المؤلِّف وعفا عنه.

وقولُه: **(سيدنا)**: لو قال نبيّنا كانَ أولى؛ لأنَّ النبوةَ خاصيتُه ومناطُ الإيمان به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو كذلك سيدُ ولد آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٥]، لكن مطلقُ السيادةِ يثبت لغيرِه من خيار الصحابة وخيار الأمة.

= وقال ابن القيم في «فتيا في صيغة الحمد» (ص٤-٥): إنه من رواية أبي نصر التمار، عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بإسقاط محمد بن نضر الحارثي، والصواب هو الأول، والله أعلم.

وله شاهد ضعيف عن ابن عمر، رواه البخاري في الضعفاء كما في «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٤٤١) ت عمارة، وبيض له الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (رقم ٩٦٢).

(١) **ينظر**: «فتيا في صيغة الحمد» (ص٤-٥).

(٢) طبعت هذه الرسالة عدة مرات، طبعت أول مرة بعنوان «مطالع السعد بكشف مواقع الحمد»، بتحقيق فهد بن عبد العزيز العسكر في دار ابن خزيمة بالرياض عام ١٤١٣هـ. ثم طبعت بعنوان «جواب في صيغ الحمد»، بتحقيق: محمد بن إبراهيم السعران في دار العاصمة في الرياض عام ١٤١٥هـ. ثم طبعت بعنوان «فتيا في صيغة الحمد»، بتحقيق عبد الله البطاطي في دار عالم الفوائد ضمن آثار الإمام ابن قيم الجوزية، وهي الرسالة السابعة منه.

(٣) **ينظر**: «فتيا في صيغة الحمد» (ص١١-١٣)، و«عدة الصابرين» (ص٢٦٦-٢٦٧).

(٤) رواه مسلم (٤٨٦)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) أخرج البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أنا سيد القوم يوم القيامة، هل تدرون بم؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد...)) وذكر حديث الشفاعة.

(سورة البقرة)
مدنيةٌ[(١)]، وهي مائتانِ وستٌّ أو سبعٌ وثمانونَ آيةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قولُه تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ١-٥].

اختلف المفسِّرون في المراد بالموصول في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾[(٢)]، فقيل: إنه صفةٌ ثانيةٌ للمتقين، وهو: معطوفٌ على الموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾. وقيل: إنه معطوفٌ على المتقين، والمراد بهم: مؤمنو أهل الكتاب، والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ المؤمنون من غيرِ أهل الكتاب، وعلى هذا فَهُمْ صنفانِ واختارَه ابنُ جرير[(٣)]، والأظهر أنَّ الآيتين في عموم المؤمنين مِن أهل الكتاب وغيرهم، وهو الصواب؛ فكلُّهم يؤمنون بالغيب، وبما أُنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما أُنزل مِن قبل ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾[(٤)].

---

(١) قال ابن عباس: هي أول ما نزل بالمدينة، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل. **ينظر**: «تفسير ابن عطية» (١/ ٩٨)، و«زاد المسير» (١/ ٢٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٥٥).

(٢) **ينظر**: «تفسير الماوردي» (١/ ٧٠)، و«تفسير ابن عطية» (١/ ١٠٨)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٧٠).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٤٦).

(٤) وقاله مجاهد، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٤٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٧٠).

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: بالدَّار الآخرة، وهي: دارُ القيامة في مقابل دار الدنيا؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ١٣﴾ [الليل: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾؛ أي: على نورٍ وبيِّنةٍ وبصيرةٍ واستقامةٍ وسَدادٍ.

﴿الم﴾ الله أعلمُ بمرادِهِ بذلك ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يَقرؤُه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شكَّ ﴿فِيهِ﴾ أنه مِن عند الله، وجملةُ النفي خبرٌ مبتدؤُه «ذلك»، والإشارةُ به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبرٌ ثانٍ أي: هاد ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرينَ إلى التقوى بامتثالِ الأوامرِ واجتنابِ النَّواهي لاتِّقائِهم بذلكَ النار ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يُصدِّقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما غابَ عنهم من البعثِ والجنةِ والنارِ ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يأتونَ بها بحقوقِها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعةِ الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: التوراةُ والإنجيلُ وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفونَ بما ذُكِرَ ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنَّة النَّاجونَ مِن النار.

وقولُ المؤلِّف: (**الله أعلمُ بمرادِهِ بذلك**): هذا أحد الأقوالِ في الحروف المقطَّعة في أوائل السور كالبقرة وآل عمران والأعراف وغيرها، ومعنى: هذا القولُ في الحروف المقطَّعة أنها مِن المتشابهِ الذي لا يَعلمُ تأويلَه إلا الله، وقد اختار المؤلِّفُ هذا القول(١)، ولهذا قال: (**الله أعلمُ بمرادِهِ**)، وفيها أقوالٌ أخرى(٢): استوفاها الإمامُ ابن جرير، ورواها بالأسانيد(٣)، واختار أنَّ الحروفَ

(١) روي هذا القول عن: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعامر الشعبي، وسفيان الثوري، والربيع بن خثيم. **ينظر**: «تفسير القرطبي» (١/ ١٥٤).

(٢) ينظر الخلاف في المسألة، والأقوال فيها تزيد على العشرين قولاً في: «تفسير الطبري» (١/ ٢٠٤-٢٢٨)، و«زاد المسير» (١/ ٢٥-٢٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٥٦-١٦٠).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٠٤-٢١٠).

المقطَّعة تحتملُ كلَّ المعاني التي قيلت، ولم يذكر أنها مِن المتشابه الذي لا يَعلمُ معناه إلا الله[١]، ومن أحسن ما قيل: أنَّ الحروف المقطعة إشارةٌ إلى إعجاز القرآنِ، وذلك أنه مؤلَّفٌ من هذه الحروف التي يتألَّفُ منها سائر الكلام، وقد تحداهم الله أن يأتوا بسورة مثل القرآن فلم يفعلوا، واستُدلَّ لهذا القول بذكر القرآن بلفظ القرآنِ أو الكتابِ أو التنزيلِ في مطلع كلّ سورة افتُتحت ببعض هذه الحروف، إلا قليلٌ من السور إما بالإشارة إليه أو إلى آياته أو القَسَمِ به أو التَّنويهِ بإنزاله أو إحكامه، وهو: قولٌ حسن، ولا ينافي ما جاء عن السلف في تفسير الحروف المقطعة[٢].

وقولُه: (**أيْ: هذا**): يريد: أن ذلك من قَبيلِ وضع إشارةِ البعيد موضعَ إشارةِ القريب، وتأويل ﴿ذَلِكَ﴾؛ «بهذا» عزاهُ ابنُ جرير إلى عامَّة المفسرين[٣]، وهو: جائزٌ في اللغة[٤]، وقيل: إنَّ الإشارة في الآية على بابِها، وهي: للبعيد، وأنها تدلُّ على علوِّ منزلة القرآن، وقد أشار المؤلِّف إلى ذلك بقوله: (**والإشارةُ به للتعظيم**)[٥].

وقولُه: (**الذي يَقرؤُه محمد**): يريد: أن «أل» في الكتاب للعهد الذِّهني.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٢٣).

(٢) حكى هذا المذهب: الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، كما ذهب إليه الزمخشري. **ينظر**: «الكشاف» (١/ ١٣٦-١٣٨)، و«تفسير الرازي» (٢/ ٢٥٣)، و«تفسير القرطبي» (١/ ١٥٥)، و«العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (٣/ ٧).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٢٨).

(٤) **ينظر**: «شرح التسهيل» (١/ ٢٤٨)، و«التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل» لأبي حيان (٣/ ٢٠٦) وما بعدها.

(٥) **ينظر**: «مفتاح العلوم» للسكاكي (١/ ١٨٤)، و«حاشية الطيبي على الكشاف» (٢/ ٤٤)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٢٢١).

وقولُه: (**لا شَكَّ**): هذا تفسيرٌ للرَّيب بالشَّك، وهو المشهور[١]، وسُمِّيَ الشك: ريبًا لأن أصلَ الرَّيب القلقُ والاضطراب، والشَّك: يؤدي إلى ذلك.

وقولُه: (**أنه مِن عند الله**): هذا بيانٌ لـمتعلَّقِ الشك المنفي فيكون المعنى: لا ريبَ في أن هذا الكتاب من عند الله.

وقولُه: (**وجملةُ النفي خبرٌ**): يريد أنَّ جملة ﴿لَا رَيْبَ﴾ فيه خبرٌ، فهي في موضع رفع، واسمُ الإشارة مبتدأ.

وقولُه: (**والإشارةُ به للتعظيم**): يريد أنَّ وضع إشارةِ البعيد موضعَ إشارة القريب يُفيد التعظيمَ للكتاب.

وقولُه: (**خبرٌ ثانٍ**): يريد أنَّ ﴿هُدًى﴾ خبرٌ ثانٍ للمبتدأ الذي هو اسمُ الإشارة، والخبر الأول جملةُ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وقولُه: (**هَادٍ**): يريد أنَّ ﴿هُدًى﴾ مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل.

وقولُه: (**الصائرينَ إلى التقوى**): معناه: الذين صاروا متَّقين بلزومِهم التقوى بامتثال الأوامر والنواهي، بفعل المأمورات واجتناب المنهيَّات، وسُمِّيَ امتثالُ الأوامر والنواهي تقوى؛ لأن العبد يتقي بذلك غضبَ الله وعقابَه، وخصَّ المتقين بهداية القرآن مع أنه هدىً لجميع الناس؛ لأنهم المنتفعون به[٢]، وهدايةُ القرآن: هي هداية الدَّلالة والإرشاد والبيان.

وقولُه: (**يُصدِّقون**): هذا هو المشهور في معنى الإيمان في اللغة[٣]، ومعناه في الشرعِ: تصديقٌ خاصٌّ، ويتضمَّن القبولَ والانقياد، ويشمل الاسمُ جميعَ شرائع الدين[٤]، وهي: شُعَبُ الإيمان؛ كما جاء في الحديث[٥].

---

(١) **ينظر**: «مقدمة التفسير» لابن تيمية (ص٥٢-٥٣).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٣٤-٢٣٥)، و«تفسير القرطبي» (١/ ١٦١).

(٣) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بعض التنبيهات المهمة في الفرق بين الإيمان والتصديق لغة. **ينظر**: «الإيمان الكبير» (ص٢٢٧-٢٣٠)، و«الإيمان الأوسط» (ص٤١٣-٤٢٣)، و«شرح الطحاوية» لشيخنا (ص٢٢٩-٢٣٠).

(٤) **ينظر**: «الإيمان الكبير» (ص٢٢٦)، و«جواب في الإيمان ونواقضه» لشيخنا (٧-١٣).

(٥) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقولُه: (**بما غابَ عنهم**): يُفهم منه أن الغيبَ مصدرٌ؛ بمعنى: اسم الفاعل.

وقولُه: (**من البعثِ والجنةِ والنارِ**): لو قال: كالبعثِ والجنة والنار كان أولى؛ لأنَّ الغيب الذي يجب الإيمانُ به أعمُّ من ذلك فيدخل فيه الملائكةُ، والعرشُ، وأخبارُ الأمم الماضية، وغير ذلك، وأعظم ذلك ما يتعلَّق بشأن الربِّ تعالى، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٤٩].

وقولُه: (**بحقوقِها**): أي بما يجب لها وفيها من الشروط والأركان والواجبات.

وقولُه: (**في طاعةِ الله**): يريد: أنهم يُنفقون النفقاتِ الواجبة والمستحبة، ولا يَخرجون عن ذلك، وأوجبُ النفقاتِ: الزكاة المفروضة، ولذا يأتي الإنفاق مقرونًا بإقامِ الصلاة في كثيرٍ من الآيات.

وقولُه: (**يَعلمونَ**): أي علمَ اليقين.

وقولُه: (**الموصوفونَ بما ذُكِرَ**): أي من قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿يُوقِنُونَ﴾، وعليه فتشمل الآياتُ المؤمنين من هذه الأمة، ومن أهل الكتاب، فاسم الموصول في الآيتين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ صفتانِ لموصوفٍ واحد، كما تقدَّم(١).

وقولُه: (**الفائزون بالجنَّة النَّاجونَ مِن النار**): يدلُّ له قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وهذا أعظم فلاح.



(١) (ص٣٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ [البقرة: ٦-٧]:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي جحدوا الحقَّ، وأصلُ الكفر في اللغة: السَّتْرُ والتغطية[١]، والجاحدُ ساترٌ لِما جحدَه.

وقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾: خبرٌ من الله عن أولئك الكفار بأنهم مُقيمون على الكفر في حالِ إنزالهم وعدمهم، لذلك كان إنذارُهم وعدمُه سواءٌ بالنسبة لإيمانهم. ثم أخبر ـ تعالى ـ عن سببِ إصرارهم على الكفر وعدمِ انتفاعِهم بالنذارة وهو الخَتمُ على قلوبِهم وسمعهم فلا يعقلون الآياتِ ولا يسمعونها سماعَ تدبُّرٍ.

﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾: غطاءٌ[٢] يمنعهم من النظر في آيات الله نظرَ تفكُّرٍ واعتبارٍ. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾: وهو عذابُ جهنم الذي يَصْلَونه يومَ القيامة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي جهلٍ وأبي لهبٍ ونحوهما ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتهمْ﴾ بتحقيقِ الهمزتينِ، وإبدالِ الثانية أَلِفًا وتسهيلها، وإدخالِ ألفٍ بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلمِ اللهِ منهم ذلك فلا تطمعْ في إيمانهم، والإنذارُ: إعلامٌ مع تخويفٍ[٣]. ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبعَ عليها واستوثقَ فلا يدخلُها خيرٌ ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي:

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» (٥/ ١٩١).
(٢) ينظر: «المفردات» للراغب الأصبهاني (ص٦٠٧).
(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» (١٤/ ٣٠٤).

مواضعُه، فلا ينتفعون بما يسمعونَه مِن الحق ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ غطاءٌ فلا يُبصرون الحقَّ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قويٌّ دائمٌ.

وقولُ المؤلِّف: (**كأبي جهلٍ وأبي لهبٍ**): يُبيِّنُ بهذا أنَّ المرادَ بـ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية هم الذين عَلِمَ اللهُ أنهم يموتون على الكفر[1]، ومنهم: أبو جهل وأبو لهب، وأصحابُ القَلِيب، وهم: الذين قُتلوا في بدر من المشركين، وطُرحوا في القَليب، فهم ممن قال الله فيهم: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٧]، وقال الله فيهم: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ١٠].

وقولُه: (**بتحقيقِ الهمزتينِ وإبدالِ الثانية أَلِفًا**...) إلى آخره: يبيِّنُ بذلك القراءاتِ في الهمزتين، وذكرَ فيها أربعَ قراءاتٍ[2].

وقولُه: (**لعلمِ اللهِ منهم ذلك**): يريد أنَّ الله أخبرَ بنفي إيمانهم، وما أخبرَ بنفيه لن يكون، ومَن أخبرَ اللهُ بنفي إيمانِه فلن يؤمنَ، وحينئذٍ فإنذارُه وعدمُه سواءٌ، ومَن عُلِمَ أنه لا يؤمن فلا يُشرعُ إنذارُه، ومثل هؤلاء مثل قوم نوح الذين قال الله فيهم: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]، ولذا أخبر ـ تعالى ـ أنَّ الإنذارَ لا يُجدي، ولذا إنذارُه إيَّاهم وعدمُه سواءٌ، فلا طمعَ في إيمانهم.

وقولُه: (**والإنذارُ: إعلامٌ مع تخويفٍ**): ولذا يقترن الإنذارُ بذكرِ العذاب كثيرًا؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]،

---

(١) **ينظر**: «تفسير ابن عطية» (١/ ١١٠-١١١)، و«زاد المسير» (١/ ٢٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٧٣).

(٢) **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٣٥) وما بعدها، و«الحجة للقراء السبعة» (١/ ٢٤٤).

وقوله: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢]، وقوله في نوح: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١].

وقولُه: (**طبعَ عليها واستوثقَ**): يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الفرقِ بين الخَتْم والطَّبْع، وقد ذكر الله الختمَ على القلوب والأسماع في موضعَيْنِ من القرآن؛ في هذه الآية، وفي آية الجاثية، وذكر الختم على القلوب في موضع ثالث من سورة الأنعام، وذكر الطبع على القلوبِ في مواضع كثيرة، والظاهر أن الختم أشدُّ، وهو: يدلُّ على الاستيثاق، كما في عبارة المؤلِّف.

وقولُه: (**أي: مواضعُه**): يريد أنَّ الختم على مواضعِ السمع، وهي: آذانهم فلا يسمعون بها ما ينفعُهم، وأصل السمعِ: مصدرُ سَمِعَ يَسمَعُ، عبَّرَ به عن الآذان، وأكثرُ ما يرد السمع مفردًا؛ لأنه مصدرٌ يَصدقُ على القليلِ والكثير[1].

وقولُه: (**غطاءٌ فلا يُبصرون الحقَّ**): هذا غطاءٌ معنويٌّ سببُه الإعراض عن التفكُّر في الآيات الكونية، وعن التدبُّر للآيات القرآنية، وكذلك الختم على قلوبِهم وسمعِهم هو أمر معنويٌّ سببُه الإعراض.

وقولُه: (**قويٌّ دائمٌ**): لو قالَ: «شديد» بدل «قويٌّ» لكانَ أولى؛ لأن هذا مِن صفتِهم في آيات أخرى، والمراد به عذابُ النار، وقد وُصِفَ بأنه شديدٌ وأليمٌ ومهينٌ وعظيمٌ.



(١) **ينظر**: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٨٢-٨٣)، و«تفسير القرطبي» (١/ ١٩٠).

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة: ٨-١٠]:

يخبر -تعالى- في هذه الآية وما بعدَها عن الصِّنف الثالث مِن الناس، وهم المنافقون الذين يُظهرون الإيمانَ ويُبطنون الكفرَ، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: بعضُ الناس الذي يقولُ بلسانه: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وما هو بمؤمنٍ في الباطن، فهو يقول بلسانِه ما ليس في قلبِه، وهذا هو النفاقُ الأكبر. ثم أخبرَ -تعالى- عن هؤلاء المنافقين أنهم بنفاقِهم يُخادعون الله ويُخادعون المؤمنين؛ أي: يفعلونَ ذلك ظانِّين أنهم يخدعونَ الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسَهم ولكنَّهم لا يشعرون بأنَّ خِدَاعهم راجعٌ إلى أنفسهم، فهم المخدَعون بهذا الخداعِ، ولا يَروجُ على الله ولا على الذين آمنوا؛ لأن الله يعلم السرائرَ فلا يخدعُه المخادعون، والذين آمنوا يعرفونَهم بلحنِ القول، وهذا ما دلَّ عليه الحصرُ في قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾.

ثم أخبر -تعالى- أنَّ في قلوب المنافقين مرضًا، وهو: الشكُّ في الحقِّ في الله ورسوله وكتابه وفي اليوم الآخر، ولذلك لم يكونوا مؤمنينَ على الحقيقة، بل يقولون بألسنتِهم ما ليس في قلوبِهم، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ على مرضِهم الأول فازدادوا كفرًا على كفرٍ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، وذلك بسبب كذبِهم في دعوى الإيمان، وقد أكذبَهُم الله بقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾، وقُرِئ: ﴿يُكَذِّبون﴾ بفتحِ الكاف وتشديد الذال[1]، ورجَّح ابن جرير القراءة

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿يَكذِبون﴾، خفيفة بفتح الياء وتخفيف الذال. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٤٣).

الأولى: بسكونِ الكاف وكسرِ الذال[١]؛ لقوله في الآية السابقة: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ المعنى: أنهم كاذبون في قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾.

ونزلَ في المنافقينَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يومَ القيامة؛ لأنه آخرُ الأيام ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ رُوعِيَ فيه معنى «من» وفي ضميرِ ﴿يَقُولُ﴾ لفظُها ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بإظهار خلافِ ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامَه الدنيوية ﴿وَمَا يُخادعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأنَّ وبالَ خداعِهم راجعٌ إليهم فيُفْتضحون في الدنيا بإطلاع اللهِ نبيَّه على ما أبطنوه ويُعاقَبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعلمون أنَّ خداعَهم لأنفسِهم، والمخادعةُ هنا مِن واحد كعاقبتُ اللصَّ، وذِكْرُ اللهِ فيها تحسينٌ، وفي قراءةٍ: ﴿وما يَخْدَعُونَ﴾. ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاقٌ فهو يمرض قلوبَهم أي: يُضعفُها ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزلَهُ من القرآن لكفرِهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤلمٌ ﴿بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديدِ أي: نبيَّ الله، وبالتخفيفِ أي: في قولهم: ﴿آمَنَّا﴾.

وقول المؤلِّف: (ونزلَ في المنافقينَ): يبيِّن أنَّ الآيات الآتية ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾، وهي: ثلاث عشرة آية كلّها في صفة المنافقين، وأنَّ الآيتين المتقدِّمتين ـ السادسة والسابعة ـ في شأنِ الكفار وبيانِ مصيرهم.

وقولُه: (**يومَ القيامة**): يريد أنَّ اليوم الآخر من أسمائِه؛ وقولُه: (**لأنه آخرُ الأيام**): يريد أنَّ يوم القيامة سُمِّيَ الآخر؛ لأنه لا ليلةَ بعده فلا يوم بعده؛ لأنَّ كلَّ يومٍ مسبوقٌ بليلته، وكلُّ يومٍ من أيام الدنيا تأتي بعده ليلة[٢].

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٩٣-٢٩٦).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٧٨-٢٧٩).

وقولُه: (رُوعِيَ فيه معنى «من» وفي ضميرِ ﴿يَقُولُ﴾ لفظُها): يريد أنَّ «من» في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾: اسمٌ موصولٌ لفظُه مفرد، ومعناه: جمع، ففي قوله: ﴿وَمَا هُمْ﴾ رُوعِي معنى: من، وهو الجمع، وفي قوله: ﴿يقولُ﴾ رُوعِي لفظها، وهو الإفراد.

وقولُه: (بإظهارِ خلافِ ما أبطنوهُ مِن الكفر): معنى ذلك أنَّ خداعَهم لله وللمؤمنين هو نفاقُهم؛ فهُم بإظهارِ الإيمان وإبطانِ الكفر يقصدون خداعَ الله والمؤمنين، وهذا من جهلِهم وسَفَهِهم؛ فالله لا يخدعه أحدٌ؛ لأنه علَّام الغيوب، ويعلم ما في القلوب، وكذلك المؤمنون لا يضرُّهم خداع المنافقين؛ لأنَّ الله يفضحُ المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُخَادَعُونَ إِلَّا أَنْفسهمْ﴾: مشى المؤلِّفُ على قراءة نافع[١] وابن كثير[٢] وأبو عمرو[٣]، وقرأ جمهور القُرَّاء: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بحذف الألف[٤]، واختارها ابنُ جرير[٥]، وضعَّفَ القراءةَ الأولى قائلًا: إنها لا

---

(١) نافع بن عبد الرحمن، أبو نعيم المدني، أحد القراء السبعة والأعلام، ثقة صالح، أخذ القراءة عرضًا عن جماعة من تابعي أهل المدينة، وأقرأ الناس دهرًا طويلًا نيفًا عن سبعين سنة، وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة وصار الناس إليها. مات سنة (١٦٩هـ) وقيل غير ذلك. **ينظر**: «معرفة القراء الكبار» للذهبي (ص٦٤، رقم ٣)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠، رقم ٣٧١٨).

(٢) عبد الله بن كثير بن المطلب أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي، إمام المكيين في القراءة وأحد القراء السبعة، توفي سنة (١٢٠هـ). **ينظر**: «معرفة القراء الكبار» (ص٤٩، رقم ١٥)، و«غاية النهاية» (١/ ٤٤٣، رقم ١٨٥٢).

(٣) أبو عمرو زبان بن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري الإمام، مقرئ أهل البصرة وأحد القراء السبعة، وليس في القراء السبعة أكثر شيوخًا منه، توفي سنة (١٥٤هـ). **ينظر**: «معرفة القراء الكبار» (ص٥٨، رقم ١)، و«غاية النهاية» (١/ ٢٨٨، رقم ١٢٨٣).

(٤) **ينظر**: «التيسير في القراءات السبع» للداني (ص٢٧٦)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص١٢٦-١٢٧).

(٥) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٨٥).

تناسب مع قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ لأنها تؤدي إلى تضاد بين أول الآية وآخرها، ولأنها خلاف قراءة جمهور القَرَأة.

وقولُه: (**لأنَّ وبالَ خداعِهم راجعٌ إليهم**): هذا وجهُ الحصر في قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾، فضررُ خداعِهم لا يتعدَّاهم، فلن يضرُّوا الله شيئًا، ولا المؤمنين، والله يجزيهم بخداعِهم بأن يخدعَهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقولُه: (**فيُفتضحون في الدنيا...**) إلى آخره: هذا وصفٌ لضرر خِداعهم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا فضيحةٌ وتهديدٌ، وفي الآخرة خزيٌ وعذابٌ شديدٌ.

وقولُه: (**يعلمون أنَّ خداعَهم لأنفسِهم**): الشعورُ بالشيء هو العلم به[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ خبرٌ من الله بأنَّ المنافقين لا يعلمون أنَّ خداعَهم لأنفسهم، فضررُهُ عائدٌ إليهم، ولن يضرَّ اللهَ والمؤمنين شيئًا.

وقولُه: (**والمخادعةُ هنا مِن واحد كعاقبتُ اللصَّ**): يريد أنَّ المخادعة في هذه الآية من طرفٍ واحد، وهم: المنافقون، فلا يقال: إنَّ الله يُخادع المنافقين بل يَخدعهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...﴾ الآية [النساء: ١٤٢][(٢)]، والصواب: أن المخادعة من الأفعال التي تكون من فاعلين كالمخاصمة والمدافعة، وهذا اختيار ابن جرير[(٣)].

وقولُه: (**وذِكْرُ اللهِ فيها تحسينٌ**): يريد أنَّ ذكرَ الله في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾؛ تحسينٌ للكلام وتشنيعٌ على المنافقين بقصدِهم خداعَ الله، وليس لأنَّ الله يُخادع، وهذا مبني على ما اختاره المؤلِّف من أن المخادعة في الآية من واحد، وهم المنافقون؛ كما تقدم، وتقدم أن الصواب خلافه.

---

(١) **ينظر**: «لسان العرب» (٤/ ٤٠٩).

(٢) **ينظر**: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٤٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٨٥).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٨١-٢٨٣).

وقولُه: (**شكٌّ ونفاقٌ**): الشكُّ ضدُّ اليقين، وهو تردد بين التصديق والتكذيب، وشكُّ المنافقين مرضٌ في قلوبهم، وهو شكُّهم في توحيد الله وصدقِ الرسول، وفي اليوم الآخر، وهذا الشكُّ الذي في قلوبهم مع قولهم بألسنتهم: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو حقيقةُ النفاق، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٧]. وسُمِّيَ الشكُّ في الحق مرضًا؛ لأنه علَّةٌ في الإيمان والاعتقاد، وأضافه إلى القلوب؛ لأنها محلُّ الإيمان والاعتقاد؛ قاله ابن جرير[١].

وقولُه: (**فهو يمرض قلوبَهم أي: يُضعفُها**): أي: يُضعفُ إيمانَهم واعتقادَهم، فعبَّر بالمحلِّ وهو القلوب عن الحالِّ فيها، وهو الاعتقاد، كما تقدَّم.

وقولُه: (**بما أنزلَه من القرآن لكفرِهم به**): معناه أنَّ الله زادَهم مرضًا؛ بسبب ما أنزله من القرآن لـمَّا كفروا به، فكفرُهم به مرضٌ في قلوبهم متضمِّنٌ للشك في قلوبهم، فيكون زيادةً على مرضهم الأول.

وقولُه: (**مُؤلِمٌ**): يريد أنَّ ﴿أَلِيمٌ﴾ فعيل بمعنى اسمِ الفاعل مِن آلَمَهُ.

وقولُه: (**بِالتَّشْدِيدِ...**) إلى آخره: يشيرُ إلى القراءتين في قوله: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾، بتشديد الذَّال وتخفيفِها، وهي: قراءة الجمهور؛ أي: قراءةُ التخفيف، ورجَّحها ابن جرير[٢]، قال: لأنها المناسبةُ لقوله تعالى في المنافقين: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾، فدلَّ على أنهم يكذبون في قولهم: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، ولا شك أنَّ قراءة التخفيف هي المناسبةُ لسياق الآيات، ومعناها هو الغالبُ على وصف المنافقين في القرآن، وقراءةُ التشديد صحيحةٌ، ومعناها حقٌّ؛ فإنَّ المنافقين في حقيقة أمرِهم مُكذِّبون، وهم في دعوى الإيمان كاذبون.



---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٨٦-٢٨٨). (٢) تقدم في (ص٤١).

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ [البقرة: ١١-١٢]:

يخبرُ -تعالى- في هاتَين الآيتَين عن هؤلاء المنافقين أنهم إذا قيل لهم: ﴿لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي والصدِّ عن سبيل الله ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾، فجعلوا الإفسادَ إصلاحًا إمَّا جهلًا وإمَّا عِنادًا، وهذا كقولهم في الآية الأخرى: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٢﴾ [النساء: ٦٢]، فأكذبَهم الله بقولهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾، وأخبر خبرًا مؤكدًا أنهم ﴿هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ أي: لا يعلمون.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفرِ والتعويقِ عن الإيمان ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ وليسَ ما نحن فيه بفسادٍ، قال الله -تعالى- ردًّا عليهم ﴿أَلَا﴾ للتنبيهِ ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يشعرون﴾ بذلك.

وقولُ المؤلِّف: (**لهؤلاء**): الإشارة إلى مَن تقدَّم ذكرهم قريبًا، وهم: المنافقون.

وقولُه: (**بالكفرِ والتعويقِ عن الإيمان**): هذا تفسيرٌ للإفساد في الأرض، ولا ريب أن الكفر والصدَّ عن دين الله أعظم فسادٍ وإفسادٍ، كما أن الإيمان والدعوةَ إلى الله أعظم إصلاحٍ في الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: دعوى كاذبة تتضمنُ مغالطةً وهي نفيُ الفساد عن عملهم وأنه إصلاح.



وقولُه: (**بذلكَ**): أي لا يعلمون أنهم هم المفسدون، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ حصرٌ للإفساد فيهم يدلُّ على أنهم أمكنُ في الإفساد مِن سائر المفسدين.



وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣]:

هذا خبرٌ من الله عن المنافقين إذا دُعُوا إلى الإيمان، وقيل: لهم آمنوا كما آمنَ الناسُ ـ الذين هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ ردُّوا على مَن يَدْعُوهم إلى الإيمان؛ قائلين: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، والسُّفهاء: هم ناقصُو العقل وسَيئُو التدبير، فجمعوا بين ردِّ الحق وتنقُّصِ المؤمنين، فردَّ الله عليهم بنعتِهم بالسَّفَهِ الذي نعتُوا به المؤمنين وقَصَره عليهم؛ فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ أي: لا يعلمون أنهم أحقُّ بهذا الوصف، وأيُّ سَفَهٍ وأيُّ جهلٍ فوق تركِ الإيمان مع ازدراءِ المؤمنين؟

قال المصنف: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاس﴾ أي: أصحابَ النَّبيِّ ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ الجُهَّال، أَيْ: لَا نفعل كفعلِهم، قالَ ـ تعالى ـ رَدًّا عليهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمْ السُّفَهَاء وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ.

وقولُ المؤلِّف: (**أَصْحَاب النَّبِيّ**): معناه أنَّ المراد بالناس الذين دُعِيَ المنافقون أن يؤمنوا كإيمانهم هم أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقولُ المنافقين: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾: تسفيهٌ وتجهيلٌ لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إيمانهم؛ لذلك فهم لا يقتدون بهم في الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمْ السُّفَهَاء﴾: ردٌّ على المنافقين في رمي الصحابة بالسَّفَهِ بقَصْرِ السَّفهِ على المنافقين، وفي هذا قلبٌ للحكم عليهم بإثباتِ السَّفهِ لهم، ونفيه عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1].

وقولُه: (**ذلكَ**): أي لا يَعلمون أنَّهم هم السُّفهاء.

(١) **ينظر**: توجيه لطيف في علة إثبات السفه لهم ونفيه عن الصحابة في: «تفسير الرازي» (٢/ ٣٠٨)، و«اللباب في علم الكتاب» لابن عادل (١/ ٣٥٧).

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ [البقرة: ١٤-١٥]:

يُخبرُ -تعالى- أنَّ المنافقين إذا لقوا المؤمنين أظهروا الإيمانَ بقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾، وإذا ذهبوا إلى شياطينِهم -وهم كبراؤهم ورؤساؤهم- وخَلَوا بهم اعتذروا إليهم عن قولهم للمؤمنين: ﴿ءَامَنَّا﴾ بأنهم مُستهزئون، والاستهزاء: نوعٌ من الـمَكر بإظهار ما يحبُّه المستهزَئُ به وإخفاء ما يسوؤه.

ثم أخبر -تعالى- أنه يَستهزئُ بهم كما فعلوا مع المؤمنين، ومِن استهزائِه -تعالى- بالمنافقين: إظهارُ قبولِ إيمانهم بعصمة دمائِهم وأموالِهم واعتبارهم في عِداد المؤمنين والعيش بينهم، وقد أعدَّ اللهُ لهم الدَّرْكَ الأسفل من النار، فكان الجزاء من جنس العمل، ومع استهزاء الله بهم يُملي لهم ليزدادوا طغيانًا، وهم: ﴿يَعْمَهُونَ﴾؛ أي: يتحيَّرون لا يهتدون سبيلًا[(١)].

ثم أخبر -تعالى- عن جزاءِ المنافقين على استهزائِهم بالمؤمنين، وذلك أمران:

الأول: أنَّ الله يستهزئُ بهم وهذا من باب أنَّ الجزاء من جنس العمل، وتقدَّمَ تفسير: الاستهزاء مِن الله بالمنافقِين.

الثاني: أملى اللهُ لهم بجعلِهم يتمادَون في طغيانهم، وهذا معنى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾، وفرَّقَ أهلُ اللغة والمفسرون بين: مَدَّ يَمُدُّ، وأمدَّ يُمِدُّ؛ فقالوا: مَدَّ في الشر، وأمدَّ في الخير[(٢)]. والطغيان: مجاوزةُ الحدِّ في الباطل. وقوله: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيَّرون.

---

(١) ينظر: «المفردات» (ص٥٨٨).

(٢) حكي عن يونس بن حبيب الجرمي. ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣١٩)، و«لسان العرب» (٣/ ٣٩٢).

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أصلُه لَقِيُوا حُذفتِ الضمة؛ للاستثقالِ، ثم الياءُ؛ لالتقائِها ساكنةً مع الواو ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ منهم ورجعُوا ﴿إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدِّين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بهم بإظهارِ الإيمان ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يُجازيهم باستهزائِهم ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يُمْهِلهُمْ ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ بتجاوزِهم الحدَّ في الكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتردَّدون تَحَيُّرًا، حالٌ.

وقولُ المؤلِّف: (**أَصله لقيوا**): يريد أنَّ أصلَ الفعل قبل إسنادِه إلى واو الجماعة: لَقِيَ كرضِيَ، فلمَّا أُسند إلى واو الجماعةِ ضُمَّت الياءُ لمناسبةِ واو الجماعة، ثم نُقلت الضمَّةُ إلى القاف. وقولُه: (**حُذفت الضمةُ؛ للاستثقال**): يريد الضمَّةَ التي على الياءِ، لمناسبة إسنادِ الفعل إلى واو الجماعة، والصواب: أنَّ الضمةَ لم تُحذفْ بل نُقلت مِن لام الفعل وهي الياء إلى عين الفعل وهي: القاف، فسُكِّنت الياءُ ثم حُذفت؛ لالتقاءِ الساكنين الياء والواو.

وقولُه: (**منهم ورجعُوا...**) إلى آخرِه: يعني خلا المنافقون من المؤمنين بعد لقائِهم، ورجعوا إلى شياطينهم؛ وهم الرؤساء.

وقولُه: (**فِي الدِّين**): يعنون أننا لم نتحوَّل عن دينِنا في قولنا للمؤمنين عند لقائهم: ﴿آمَنَّا﴾، بل نحن مُستهزئون بهم غيرَ جادِّين.

وقولُه: (**يُجازِيهم باستهزائِهم**): مضمونُه تفسير الاستهزاء من اللهِ بمجازاةِ المستهزئين، وهذا التفسير يتضمَّن نفيَ حقيقةِ الاستهزاء عن الله، وصرفَ اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، فيكون من قَبيلِ التعبير بالسبب عن المسبَّبِ؛ من أجل المشاكلة اللَّفظية، والصواب: إجراءُ اللفظ على ظاهرِه وإثباتُ حقيقة الاستهزاء من الله بالمنافقين جزاءً على استهزائهم بالمؤمنين، فالجزاءُ من جنسِ العمل،

وهكذا يقال: في المكر والكيدِ من الله ـتعالى ـ، فكلُّ ذلك حقيقةٌ على ما يليق به ـسبحانه ـ ولا موجبَ لصرفِ الكلام عن ظاهرِه(١).

وقولُه: (**يُمهلهُم**): هو تفسير يمدُّهم؛ أي: يزيدُهم في المدَّة إملاءً لهم واستدراجًا، وهو مِن مَدَّهُ الثلاثي، وذكر ابنُ جرير الخلافَ في الفرق بين مدَّهُ وأمدَّهُ، والمشهور «مدَّهُ» في الشرِّ، و«أمدَّهُ» في الخير، كما تقدَّم.

وقولُه: (**تجاوزهم الحدَّ في الكفر**): لأنَّ المنافقين أغلظُ كفرًا من غيرهم؛ لجمعِهم بين الكذب والتكذيب مع شدَّة العداوة للمؤمنين.

وقولُه: (**يتردَّدون تَحَيُّرًا**): يريد أنَّ العَمَهَ هو الترددُ والحيرةُ، وهذه حال المنافقين، ولهذا قال الله في وصفِهم: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقولُه: (**حالٌ**): يريد أنَّ جملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ حاليةٌ في موضعِ نصبٍ.



(١) **ينظر**: «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٤٧١)، و«مختصر الصواعق» (٢/ ٧٣٧-٧٤٧)، و«التعليقات على المخالفات العقدية في الفتح» (ص١٢٦، رقم ٨٥).

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [البقرة: ١٦]:

اسم الإشارة راجعٌ إلى المنافقين، والإشارةُ إليهم بإشارة البعيد يُشعر ببعدِ منزلتِهم في الشر، وبُعدهم عن مواطنِ الرحمة والكرامة، يخبرُ ـ تعالى ـ عنهم أنهم بإيثارِهم الكفر على الإيمان قد استبدلوا الضلالةَ بالهدى، فسمَّى اللهُ هذا الاستبدال اشتراءً؛ تشبيهًا لهم بالتاجرِ المغبون إذ خسرَ في الصفقة؛ لأنه قد باع الشيءَ الثمين بأبخس الأثمان، وكانت تجارتُهُ تجارةً خاسرةً ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾، وفي إسنادِ الربح إلى التجارة مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ الأصلَ أن يُسندَ إلى صاحبِ التجارة، فإنَّ المعنى: فما ربحُوا ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾.

> **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَة بِالْهُدَى﴾ أي: استبدلُوها به ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتهمْ﴾ أي: ما ربحُوا فيها بل خسرُوا لمصيرهم إلى النارِ المؤبَّدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.**

وقولُ المؤلِّف: (**استبدلُوها به**): أي استبدلُوا الضلالةَ بالهُدى، يريد أنَّ معنى اشتروا: استبدلوا، وفي التعبير عن استبدلوا بـ ﴿اشْتَرَوْا﴾ استعارةٌ تصريحية، علاقتُها التشبيه؛ لأنه عبَّرَ بالمشبَّه به عن المشبّه، والضمير المنصوب في قوله: (**استبدلُوها**).

وقولُه: (**أي: ما ربحُوا فيها**): يشير إلى أنَّ الأصلَ إسنادُ الفعلِ رَبِحَ إلى صاحب التجارة، وقد أسند إلى التجارة، فكان من المجازِ العقلي الذي علاقتُه المحلية أو السببية.



وقولُه: (**بلْ خَسِرُوا...**) إلى آخره: يريد أنه لم يقتصر أمرُهم على عدم الربح؛ بل خسروا خسرانًا مبينًا.

وقولُه: (**فيما فعلوا**): أي لم يكونوا على هدىً في استبدال الضَّلالة بالهدى، وفي هذا تأكيدٌ لنفي الربحِ عنهم، ونفيٌ للاهتداء عنهم قبل أن يُظهروا الإسلام، ويفعلوا ما فعلوا من الاستبدال، وفي هذا احترازٌ من أن يُظنَّ أنهم كانوا على هدىً قبل أن يفعلوا ما فعلوا.



وقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٧-١٨]:

هذا مَثَلٌ ضربه الله للمنافقين لإظهارِهم الإيمانَ وما حصل لهم مِن الانتفاع بذلك في الدنيا مِن عصمة أموالهم وأولادِهم وعيشهِم بين المسلمين، فإذا انتقلوا عن هذه الدنيا لم ينتفعُوا بذلك الإيمان؛ لأنه لم يكن إيمانهم صحيحًا؛ بل يُصيَّرون إلى أسوء العواقب، فمثلُهم في ذلك ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ فانتفعَ بضوئِها فيما حوله، ثم انطفأتِ النارُ فذهب الضوءُ واستحكمتِ الظلمة فصاروا ﴿لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾[1]، واسم الموصول «الذي» بمعنى: «الذين»، فلفظُه مفردٌ ومعناه الجمعُ؛ فعادتِ الضمائرُ أولًا باعتبار اللَّفظ ثم باعتبار المعنى[2].

ومعنى ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صفتهم، ﴿كَمَثَلِ﴾: أي كصفة الذي استوقدَ نارًا، وهذا من التشبيه التمثيلي، وحقيقتُه تشبيهُ هيئةٍ مجتمعةٍ من أشياء بهيئةٍ مجتمعةٍ كذلك.

وقوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾: هذا وصف آخر للمنافقين، أخبر اللهُ فيه بأنَّ المنافقين صُمٌّ لا يسمعون سماعَ قبولٍ ينفعُهم، بُكمٌ لا يتكلَّمون بخيرٍ، عميٌ: لا ينظرون بأبصارِهم إلى آياتِ الله فيعتبرون ويهتدون، فلم ينتفعوا بأسماعهم ولا بألسنتِهم ولا بأبصارِهم، فلما لم ينتفعوا بشيء من ذلك كان وجودُها كعدمِها، فهذا وجه وصفهم بالصَّمَمِ والبكم والعمى؛ فلذلك لا يرجعونَ من نفاقِهم وطغيانهم وضلالِهم.

---

(١) ويسمى هذا بالمثل الناري. ينظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٠٢-١٠٣)، و(١٩-٩٥)، و«إعلام الموقعين» (٢/ ٢٧٠-٢٧١)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ٦٣-٦٨)، و«الوابل الصيب» (ص١٢٥-١٢٧).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٥٤)، «تفسير الطبري» (١/ ٣٣٢-٣٣٦)، و«الكشاف» (١/ ١٩١-١٩٢).

﴿مَثَلهمْ﴾ صِفَتُهم في نفاقِهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾ أوقدَ ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارتْ ﴿مَا حَوْلَه﴾ فأبصرَ واستدفأَ وأمِنَ ما يخافُه ﴿ذَهَبَ اللَّه بِنُورِهِمْ﴾ أطفأه، وجُمِعَ الضميرُ مراعاةً لمعنى «الذي»، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم مُتحيِّرين عن الطريقِ خائفينَ، فكذلك هؤلاء أمنوا بإظهارِ كلمة الإيمان، فإذا ماتوا جاءَهم الخوفُ والعذابُ، هم ﴿صُمٌّ﴾ عن الحق فلا يسمعونَه سماعَ قبولٍ ﴿بُكْمٌ﴾ خُرْسٌ عن الخيرِ فلا يقولونه ﴿عُمْيٌ﴾ عن طريقِ الهدى فلا يرونه ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضَّلالة.

وقولُ المؤلِّف: (صِفَتُهم): يريد أنَّ معنى المثل الصفة؛ كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥][(١)]، ووصفُ الشيء قد يكون بتمثيله بشيءٍ آخر؛ كما في هذه الآية، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وقولُه: (في نفاقِهم): يريد أنَّ المشبَّه في هذا المثَل هم المنافقون، أظهروا الإيمان فانتفعوا بذلك عصمةَ دمائِهم وأموالِهم، والعيشَ بين المسلمين، فشُبِّهوا بالذي استوقد نارًا فأضأت ما حولَهُ فانتفع بذلك وأبصر ما حوله وأَمِنَ، فانطفأَ الضوءُ، وعادت الظُّلمةُ فصار لا يُبصر وعاد الخوف، وهذا المستوقد شُبّه به المنافقون؛ آمنوا ثم كفروا وأبصروا ثم عمُوا[(٢)]، ويُسمَّى هذا التشبيه تشبيهًا تمثيليًا؛ لأنه تشبيهُ هيئةٍ مجتمعةٍ من أشياء بهيئةٍ مجتمعةٍ من أشياء، كما تقدم.

---

(١) ينظر: «الوجوه والنظائر» للدامغاني (ص٤١٥-٤١٦)، و«نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي (ص٥٥١-٥٥٢).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٣٦-٣٤٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٩٣).

وقولُه: (**أوقَدَ**): في تفسير استوقد؛ ليدلَّ على أنَّ السين والتاء في ﴿اسْتَوْقَدَ﴾ ليست للطلب، فهي كالتي في استجاب بمعنى: أجاب[١].

وقولُه: (**فِي ظلمةٍ**): معناه أنه أوقدَ النار في مكانٍ مُظلمٍ لظلمة الليل أو غيرها، بدليل قوله: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ إلى آخر الآية.

وقولُه: (**فأبصرَ واستدفأَ**): ليس في الآية إشارةٌ إلَّا للأبصار دون الاستدفاء والأمن.

وقولُه: (**وجُمِعَ الضميرُ**): يريد الضميرَ في قوله: ﴿بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ﴾.

وقولُه: (**مراعاةً لمعنى «الذي»**): يريد أنَّ الذي استوقد نارًا بمعنى الذين استوقدوا نارًا؛ لأنَّ المناسب تشبيهُ الجمع بالجمع.

وقولُه: (**ما حولهم مُتحيِّرين عن الطريقِ**...) إلى آخرِه: هذا بيانٌ لوجه الشَّبَه بين المشبَّه ـوهم: المنافقونـ والمشبَّه به ـوهم: الذين استوقدوا نارـ.

وقولُه: (**هم ﴿صُمٌّ﴾**): يريد أنَّ ﴿صُمٌّ﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره: هم صم.

وقولُه: (**فلا يسمعونَه سماعَ قبولٍ**): فكان سماعُهم وجوده كعدمه لذلك قيل فيهم: ﴿صُمٌّ﴾، وهكذا قوله: ﴿بُكْمٌ عُمْيٌ﴾.

وقولُه: (**عن الضلالةِ**): أي لا يتوبون عن الضلالة، وترتيب نفي الرجوع على ما قبلَه؛ لأنهم لا ينتفعون بالآياتِ والمواعظ بسببِ إعراضِهم عنها.



---

(١) وهو قول الأخفش. **ينظر**: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٥٣)، و«تفسير الطبري» (١/ ٣٣٥).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٩-٢٠]:

هذا مثلٌ آخرُ ضربَه اللهُ للمنافقين[١]، فقال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ...﴾ الآية، والتقدير: أو مثلُهم كأصحاب صَيِّبٍ؛ وهو المطرُ النازل من السحاب، وفي السحاب ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ ومع الرعد صواعقٌ، ولذا أصحابُ الصَّيِّب الواقعون تحت السَّحاب يجعلون أصابعَهم في آذانهم من أصوات الصواعق يَحْذَرون الموتَ.

فهذا المثل كالذي قبله؛ تشبيهٌ تمثيليٌّ، فالمنافقون مع القرآن وما فيه من الوعدِ والوعيد والتهديد المُرعب للمنافقين هم كأصحاب هذا الصَّيِّب مع ما فيه من الظلمات والرعد والبرق والصواعق، فالظلماتُ مَثَلٌ للشبهات التي يظهرها المنافقون، والرعد والبرق والصواعق مَثَلٌ لِمَا في القرآن من الوعد والوعيد والتهديد الشديد الذي يجعل المنافقين يخافون أن يؤخذوا ويُقتلوا[٢].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾: تهديدٌ للمنافقين وتصريحٌ بإطلاق اسم الكفر عليهم.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾: بيانٌ لحال أهل الصَّيِّب مع البرق الشديد، وأنه لشدة لَمَعانِه يقرب أن يخطفَ أبصارَهم، وأنه تارةً يُضيءُ

---

(١) قال شيخ الإسلام: «فإن المفسرين اختلفوا: هل المثلان مضروبان لهم كلهم، أو هذا المثل لبعضهم؟ على قولين، والثاني هو الصواب»، وذهب الطبري إلى أنهما صنف واحد. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٣٥٤-٣٥٦)، و«الإيمان الكبير» (ص٢١٧).

(٢) ويسمى هذا بالمثل المائي. **ينظر**: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٠٢-١٠٣)، و(١٩-٩٥)، و«إعلام الموقعين» (٢/ ٢٧١)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ٦٨-٧٢)، و«الوابل الصيب» (ص١٢٧-١٣٢).

وتارةً يُظلمُ، فإذا أضاء مشَوا ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ أي: وقفُوا[1]، وهذا مَثَلٌ للمنافقين.

﴿أَوۡ﴾ مَثَلُهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي: كأصحابِ مطرٍ، وأصلُه صَيْوِبٌ مِن صابَ يصوبُ أي: ينزلُ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ السَّحاب ﴿فِيهِ﴾ أي: السَّحاب ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ بتكاثفه ﴿وَرَعۡدٌ﴾ هو الـملَكُ الموكَّل به، وقيل: صوتُهُ ﴿وَبَرۡقٌ﴾ لمَعَانُ صوتُه الذي يزجرُه به ﴿يَجۡعَلُونَ﴾ أي: أصحابَ الصَّيب ﴿أَصَٰبِعَهُمۡ﴾ أي: أناملُها ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ أجل ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ شدة صوتِ الرعد لئلَّا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿ٱلۡمَوۡتِ﴾ مِن سماعِها، كذلك هؤلاء إذا نزلَ القرآنُ وفيه ذِكْرُ الكفر المشبَّه بالظلماتِ، والوعيدِ عليه المشبَّه بالرعد، والحججِ البيِّنة المشبَّهة بالبرقِ، يسدُّون آذانَهم؛ لئلَّا يسمعوه فيَميلوا إلى الإيمان وتركِ دينِهم، وهو عندهم موتٌ ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ علمًا وقدرةً فلا يفوتونه ﴿يَكَادُ﴾ يقربُ ﴿ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ يأخذُها بسرعة ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ أي: في ضوئِه ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾ وقفوا تمثيلٌ لإزعاجِ ما في القرآن مِن الحُجَجِ قلوبهم وتصديقهم بما سمعوا فيه مما يحبُّون ووقوفهم عما يكرهون ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ﴾ بمعنى أسماعِهم ﴿وَأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ الظاهرة كما ذهبَ بالباطنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ شاءَه ﴿قَدِيرٞ﴾ ومنه إذهابُ ما ذُكِرَ.

وقولُ المؤلِّف: (مَثَلُهمْ): يريد أنَّ «أو» عاطفة على مَثَلهم الأول، ويحتمل أنها عاطفة على قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾، و«أو» للتنويع.

---

(١) ينظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٠)، و«الكشاف» (١/ ٢٠٨)، و«تفسير ابن عطية» (١/ ١٤٢).

وقولُه: (**كَأَصْحَابِ مَطَرٍ**): يريد أنَّ ﴿صَيِّبٍ﴾ على تقديرِ مضافٍ محذوف، والتقدير: أصحاب صَيْبٍ، وهم: المشبَّه به؛ فالمعنى: أو مثل المنافقين كأصحاب صيِّبٍ. والصَّيبُ: المطر، وهو: مِن صابَ يصوبُ إذا نزل، ووزنُ صَيِّب فَيْعِل، وأصلُه: صَيْوِب[(١)].

وقولُه: (**السحاب**): تفسيرٌ للسماء؛ لأنَّ السماءَ تُطلق على كلِّ ما علا وارتفع[(٢)]، ولذا سُمِّيَ السحابُ سماء.

وقولُه: (**هو الـملَكُ الموكَّل به، وقيل: صوتُهُ**): هذان القولان معناهُما واحد، فمن يقول: «الرعدُ هو الملَك»؛ فإنه يُريد أنَّ ما نسمعُهُ صوت الملَكِ الذي يزجرُ السحاب، ومَن يقول: الرعدُ صوتُ المَلَك؛ فقولُه راجعٌ للأول[(٣)]، ولا ريب أنَّ الرعد هو ذلك الصوت الذي ينطلقُ من السحاب، فتارةً يكون قاصفًا فيُوجب الخوف، وتارةً يكون هادئًا، وأمَّا مصدرُ الصوت فأكثر المفسِّرين على أنه مَلَكُ السحاب، وإذا لم يكن لهذا التفسير أصلًا من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يجوزُ الجزم به نفيًا ولا إثباتًا، ولعل هذا التفسيرَ المأثورَ مأخوذٌ عن بعض أهل الكتاب، والله أعلم.

وقولُه: (**لمَعَانُ صوتِه**): أي صوت الملَك، وتفسيرُ البرق بلَمَعانِ صوتِ الملَك لا يظهر وجهُه، وذكر ابنُ جرير أنَّ البرقَ مخاريقُ يَزجرُ بها الملَكُ السحاب[(٤)].

وقولُه: (**أي: أناملها**): الأناملُ: أطرافُ الأصابع، يريد أنهم لا يجعلون في الآذانِ كلَّ الأصبع بل طرف الأصبع، وهو الأُنملة، ويقول أهل البلاغة: أنَّ هذا من التعبير بالكلِّ عن البعض، وهو: مجازٌ مرسل.

---

(١) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٤٢)، و«تفسير الطبري» (١/ ٣٥٠-٣٥١).

(٢) **ينظر**: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٠٨)، «لسان العرب» (١٤/ ٣٩٨).

(٣) ينظر الخلاف في: «تفسير الطبري» (١/ ٣٥٦-٣٦٢)، و«تفسير ابن عطية» (١/ ١٣٩)، و«زاد المسير» (١/ ٣٩-٤٠).

(٤) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٣٦٢-٣٦٣)، وأسنده لعلي بن أبي طالب، وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

وقولُه: (**أجلِ**): يريد أنَّ يُبيّنَ أنَّ «مِن» للتعليل؛ فالمعنى: أنهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من أجل ما يسمعون من أصوات الصواعق لئلَّا يسمعوها.

وقولُه: (**من سماعِها**): يريد أنهم يجعلون أصابعهم في آذانهم خوفًا من الموت بسبب سماعِهم الصواعق.

وقولُه: (**كذلكَ هؤلاء...**) إلى آخره: يريد أنْ يُبيِّن وجهَ الشَّبه بين أصحاب الصيِّب والمنافقين، فالظلماتُ ما في قلوبِهم من الكفر، والرعدُ ما يقرعُ أسماعَهم من الوعيد في القرآن، والبرقُ ما في القرآن من الحُجج البيِّنة المبيِّنة للحقِّ، أو هي الآيات الدالَّة على إقرارِهم على ما يظهرون، وذلك نافع لهم في أمر دنياهم.

وقولُه: (**علمًا وقدرةً**): يريد أنَّ معنى إحاطة اللهِ بالكافرين إحاطةُ علمِه وقدرته، فلا يخفى عليه من أمرِهم خافيةٌ، وأنَّ قدرتَه محيطةٌ بهم فلا يُعجزونه، ولا يمنعُه منهم مانع، ولا يفوتونه إن طلبَهم.

وقولُه: (**يقربُ**) هذا معنى: يكاد، والنحويون يقولون: كاد من أفعال المقاربة ترفع الاسم، وتنصب الخبر، والبرق اسمها، والمضارع خبرها، ومعنى: يخطف: يذهب بالأبصار بسرعة من شدة ضوئه.

وقولُه: (**في ضوئِه**) يعني: أصحاب الصيِّب إذا أضاء لهم البَرقُ الطريقَ مشَوا فيه.

وقولُه: (**تمثيلٌ...**) إلى آخره: يريد أنَّ ما ذكر من حالِ أصحاب الصيِّب مِن أنهم تارةً يُضيء لهم البرق فيمشون، وتارةً ينطفئُ البرق فيظلم عليهم المكان فيقومون؛ أي: يقفون متحيِّرين، فهذه الحال تمثِّل بها ـ أي تشبه ـ حالَ المنافقين، فإنهم إذا وَرَدَ عليهم من آي القرآنِ ما يَسرُّون به داموا على إيمانهم، وإذا وَرَدَ عليهم ما يفضحهم صاروا متحيِّرين فصارت حالُهم كحال أصحاب الصيب.

وقولُه: (**بمعنى: أسماعِهم**): يريد أنَّ سمع ـوهو مفردـ معناه: الجمع، وهذا مُطَّردٌ في القرآن، يذكر السمع مفردًا، ومعناه: الجمع؛ كقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا﴾ [الأحقاف: ٢٦]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [النحل: ٧٨].

وقولُه: (**الظاهرة**): يريد أسماعَهم وأبصارَهم الحسيَّة بآذانهم وعيونهم.

وقولُه: (**كما ذهبَ بالباطنة**): يريد أنَّ الله جمعَ لهم بين عمى الأبصار وعمى القلوب.

وقولُه: (**شَاءَهُ**): عبارته تقتضي أنَّ قدرةَ الله لا تتعلَّق إلَّا بما شاءه، والصواب: عدم التقييدِ بالمشيئة، فالله ـتعالىـ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، سواء ما شاءَه أو لم يشأه.

وقولُه: (**ومنه إذهابُ ما ذُكِرَ**): يريد أنَّ إذهابَ الأسماع والأبصار داخلٌ في عموم قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.



وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]:

هذا أمرٌ من الله لجميع الناس بعبادتِه وحده لا شريك له، بأنه ربُّهم الذي خلقَهم وخلق مَن قبلَهم مِن آبائهم، وهو الذي خلقَ الأرضَ وجعلها فِراشًا يستقرُّ عليه الناس، وخلقَ السماء وجعلها بناءً؛ أي: سقفًا مرفوعًا، وهو الذي أنزل على الأرض من السماء ماءً فأخرج به منها الزروعَ والأشجارَ، وأخرج به من أنواع الثمار رزقًا للعباد، فذكر -سبحانه- الحكمَ وهو وجوب عبادته، وذكر البرهانَ العقليَّ على ذلك، وهو أنه خالقُ الأولين والآخرين، وخالقُ السموات والأرض، ومنزلُ الغيث ورازق العباد، وكلُّ هذا من معاني ربوبيتِه ولا شريكَ ولا نِدَّ له في شيءٍ من ذلك، ولهذا نهى أن يجعل له أندادًا؛ أي: نظراء يُعبدون من دونه، فكما أنه -سبحانه- لا نِدَّ له في ربوبيته فلا نِدَّ له في إلهيتِه، فلا ربَّ غيرُه ولا إله سواه، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾.

وبيَّن -سبحانه- أنَّ الغايةَ من العبادة تكون وقايةً للعبد من عذاب الله، ولهذا قال: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾، فبدأتِ الآيتان بالأمرِ بالتوحيد: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، وختُمتا بالنهي عن الشرك: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾، وهذا الأمر والنهي هو معنى لا إله إلا الله، وعُلِمَ مما تقدَّم أنَّ الآيتين قد دلَّتا على توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية.

﴿يأيها النَّاس﴾ أي: أهلَ مكة ﴿اُعْبُدُوا﴾ وحِّدُوا ﴿رَبّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشأَكُم ولم تكونوا شيئًا ﴿وَ﴾ خلقَ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعبادتِه عقابَه، ولعلَّ في الأصل للترجي وفي كلامِه -تعالى- للتحقيق ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ خلقَ ﴿لَكُمْ الْأَرْض فِرَاشًا﴾ حالٌ «بساطًا» يفترش

لا غايةً في الصلابة أو اللُّيونة فلا يمكن الاستقرارُ عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفًا ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ﴾ أنواع ﴿الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ تأكلونَه وتَعلفُونَ به دوابَّكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاءَ في العبادة ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الخالقُ ولا تخلقون ولا يكون إلهًا إلا مَنْ يخلق.

وقولُ المؤلِّف: (**أي: أهلَ مكة**): يريد أنَّ المخاطَب في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ هم الكفار مِن أهل مكة، وفي هذا التفسير نظرٌ؛ لأنَّ السورة مدنية، والصواب: أنه خطابٌ لجميع الناس من المؤمنين والكفار والمنافقين، وهم الطوائفُ المذكورة قبل.

وقولُه: (**وحِّدُوا**): فسَّرَ العبادة بالتوحيد؛ لأنَّ التوحيدَ هو عبادة الله وحدَه لا شريك له، وهذا ما بعثَ الله به جميعَ المرسلين.

وقولُه: (**أنشأَكُم ولم تكونوا شيئًا**): هذا معنى ﴿خَلَقَكُمْ﴾، ومعنى: أنشأكم: أوجدكم بعد العدم.

وقولُه: (**خلقَ**): يريد أنَّ العامل في الموصول محذوفٌ، والتقدير: وخلق الذين مِن قبلكم، والمعطوف هو الموصول، والمعطوف عليه ضميرُ المخاطبين، وكلاهما في موضع نصب.

وقولُه: (**بعبادتِه عقابَه**): يريد أنَّ التقوى تتحققُ بعبادة الله وحده لا شريك له، فمَن عبدَ اللهَ كما أُمر فقد اتقاه، والـمُتَّقَى: هو العقاب، ويصحُّ أن يكون التقدير: لعلَّكم تتقون الله. وقولُه: (**ولعلَّ...**) إلى آخره: يريد أنَّ معنى «لعل» في الأصل: الرجاء، وهذا مِن المخلوق ظاهرٌ، أمَّا مِن الله فيقول المؤلِّف: إنها للتحقيق؛ مثل ما قالوا في «عسى» من الله واجبةٌ[١]، وقيل: أنَّ «لعلَّ» في مثل هذا السِّياق للتعليل.

(١) وهذا مروي عن ابن عباس، قال: «كل عسى في القرآن فهي واجبة»، أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٧٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (٦/ ١٧٦٦، رقم١٠٠٦٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٣، رقم ١٧٧٥٣).

وقولُه: (**خلقَ**): فسَّر الجعل في هذه الآية؛ بمعنى الخلق، والأظهر أنَّ ﴿جَعَلَ﴾ في الآية بمعنى صَيَّرَ؛ فتَنصب مفعولين؛ المفعول الأول: ﴿الأرضَ﴾، والثاني: ﴿فِرَاشًا﴾[1].

وقولُه: (**حالٌ**): أعرب ﴿فِرَاشًا﴾ حال ﴿بِنَاءً﴾، على أن ﴿جَعَلَ﴾ عنده بمعنى: خلق، وهي لا تنصبُ إلَّا مفعولًا واحدًا.

وقولُه: (**بساطًا...**) إلى آخره: المعنى: جعل الأرض فراشًا مبسوطًا ومهادًا تصلحُ للاستقرار عليها والعيش فيها، فلم تكن صلبةً كالحديد، ولا رِخوة كالطين؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨].

وقولُه: (**سقفًا**): المعنى: جعل السماءَ سقفًا؛ أي: بناءً عاليًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وقولُه: (**أنواعِ**): أي أصناف ثمرات الأشجار والزروع مِن الفواكه والحبوب، رزقًا لكم ولدوابِّكم مما يأكل الناس والأنعام، والجار والمجرور الأول حال، و«من» بيانية، والجار والمجرور الثاني صفة لرزق، ومعنى الآية: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ـ أي: السحاب ـ ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ﴾ رزقًا لكم من أنواع الثمار، والباء في ﴿بِهِ﴾ سببية.

وقولُه: (**تأكلونَه...**) إلى آخره: يبيّن أنَّ الرزق عامٌّ فيما يأكلُه الناس وما تأكله الأنعام، ويشهد له قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ [طه: ٥٤]، وقوله: ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [يونس: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ﴾؛ أي: لا تعتقدوا أنَّ لله أندادًا، وتحكموا بذلك، والفاء للتفريع أو هي الفصيحة،

---

(١) **ينظر**: «تفسير الراغب» (١/ ١١١-١١٢)، و«تفسير البيضاوي» (١/ ٥٥)، و«الدر المصون» (١/ ١٩٢).



والأنداد: جمعُ نِد، وهو: المثلُ والنظير[١]، المعنى: لا تجعلوا لله نظراءَ في العبادة فتجعلوا معه آلهةً أخرى.

وقولُه: (﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: **أنه الخالق**) لهذه المخلوقات المذكورة في الآيات، فكما أنه لا خالقَ غيره؛ فلا إله غيره.



---

(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٧٦٩).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]:

هذا خطابٌ من الله للكفار من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين الشاكِّين فيما أُنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن هذا القرآن؛ قاله: ابن جرير[1]، واحتجاجٌ عليهم إن كانوا شاكِّين فيما أنزل الله عليهم من القرآن بأن يأتوا بسورةٍ من مثله ثم لِيَدعوا شهداءهم؛ أي: أعوانهم وأنصارهم؛ رواه ابن جرير عن ابن عباس[2]، ورجَّحه، ورجِّح أنَّ الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ يعودُ إلى القرآن[3].

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾: في زعمِكم أن قد جئتم بسورةٍ مثل القرآن. ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾: ما طُلب منكم من الإتيان بسورةٍ - ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ - وإذًا فقد قامت الحجَّة عليكم، فوجب عليكم أن تتَّقوا النارَ بالتوحيد والإيمان بالرسول وبما جاء به، وهي النارُ التي وقودها الناسُ والحجارة، وهي معدَّةٌ للكافرين، فتضمَّنت الآيتان تقريرَ رسالة محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما تضمَّنت الآيتان قبل تقريرِ التوحيد، فدلَّت الآيات على الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾: أي من الذي نزَّلناه، وهو القرآن. وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: أي رسولنا الذي جاء بالقرآن، ذكره بوصف العبودية الخاصة، وقد ذكره الله بهذا الوصف في أربع مقامات:

أحدها: مقام التحدي، وهو: المذكور في هذه الآية.

والثاني: مقام الإسراء، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ومنه مقام الوحي، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠].

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٥).
(٢) «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٩).
(٣) «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٧).

والثالث: مقام الإنذار، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

والرابع: مقام الدعاء، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩][1].

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْب﴾ شكٍّ ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدنَا﴾ محمدٍ مِن القرآن أنه مِن عندِ الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْله﴾ أي: الـمُنزَّل، و«مِن» للبيان أي: هي مثلُهُ في البلاغةِ وحُسن النَّظم والإخبار عن الغيب، والسورةُ قطعةٌ لها أولٌ وآخر أقلُّها ثلاثُ آيات ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ آلهتكم التي تعبدونَها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾أي: مِن غيره لِتُعِيْنكُم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنَّ محمدًا قالَهُ مِن عند نفسِه، فافعلوا ذلك فإنكم عربيُّون فصحاءُ مثله، ولـمَّا عجزوا عن ذلك قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذُكِرَ لِعَجْزِكُم ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبدًا لظهور إعجازِه ـ اعتراضٌ ـ ﴿فَاتَّقُوا﴾ بالإيمان بالله وأنه ليس من كلامِ البشر ﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ الكفارُ ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامِهم منها، يعني: أنها مُفرطة الحرارة تتقدُ بما ذُكِرَ، لا كنارِ الدنيا تتقد بالحطبِ ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيِّئَتْ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يُعذَّبون بها، جملةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ أو حالٌ لازمةٌ.

وقولُ المؤلِّف: (شكٍّ): تقدم تفسيرُه للرَّيب بالشك، والرَّيب أخصُّ من الشك؛ لأنه شكٌّ يفضي إلى الحَيرة والقلق[2].

وقولُه: (أي: الـمُنزَّل): يريد أنَّ الضمير في قوله: ﴿مِثْلِهِ﴾ يعود إلى الموصول في قوله: ﴿مما نَزَّلْنَا﴾، والمنزَّل: هو القرآن، وهذا أحد الوجهين

---

(١) ينظر: «روضة المحبين» (ص٨٤)، و«مدارج السالكين» (١/ ١٥٦-١٥٧)، و(٣/ ٤٠٠).

(٢) ينظر: «توضيح مقدمة التفسير» لشيخنا (ص٧٩-٨٠).

في مرجع الضمير، وقيل: أنه يعود إلى العبد[١]؛ في قوله: ﴿عَبْدِنَا﴾ فيكون المعنى: فأتوا بسورةٍ من مثل الرسول؛ فالمماثلة بين من يأتي بالسورة، وبين الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمعنى: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعني: في البشرية، والأميَّة، و«مِن» على هذا القول ابتدائية.

وقولُه: («**مِن» للبيان**...) إلى آخره: يريد أن «مِن» في قوله: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ بيانيَّة، والمماثلةُ المطلوبة بين السورة التي يأتون بها والقرآن المنزَّل في البلاغة وحُسنِ النظم، والإخبارِ عن الغيب؛ فتضمَّن الكلام وجهين من الإعجاز؛ أحدها: البلاغة وحسن النظم. الثاني: الإخبار بالغيب.

وقولُه: (**والسورةُ قطعةٌ**...) إلى آخره: يريد أنَّ السورة اسمٌ لقطعةٍ من الكلام لها أولٌ وآخر، والمراد: قطعة من القرآن، أقلُّها: ثلاث آيات كسورة الكوثر والعصر[٢]، وتُطلَق السورة في اللغة على المنزلة الرفيعةِ، ومنه: «سُور البلد» لارتفاعه[٣].

وقولُه: (**آلهتكم**...) إلى آخره: في هذا التفسير نظرٌ، بل غير مستقيم؛ لأنه خلافُ ما جاء عن ابن عباس[٤]، واختاره ابن جرير؛ قال: ﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾: أعوانَكم وأنصاركم على الإتيان بسورة، وأيضًا فإنَّ الآلهة أصنامٌ لا تشهد ولا تُستشهد.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٦-٣٩٩)، و«تفسير ابن عطية» (١/ ١٤٧)، و«زاد المسير» (١/ ٤٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٤) ط. أولاد الشيخ.

(٢) **ينظر**: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/ ٢٦٣-٢٦٥).

(٣) **ينظر**: «لسان العرب» (٤/ ٣٨٦).

(٤) جاء عن ابن عباس: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني أعوانكم على ما أنتم عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٩)، و(١/ ٤٠١)، ورواه ابن أبي حاتم في التفسير رقم (٢٤٠).

وقولُه: (أي: غيره..): فَسَّرَ ﴿دُونِ﴾ بغير، وهذا أحد معاني هذه الكلمة، وجاءت في القرآن بهذا المعنى كثيرًا[١].

وقولُه: (في أنَّ محمدًا قالَهُ مِن عند نفسِه...) إلى آخره: المعنى: إنْ كنتم صادقين في زعمكم أن محمدًا افترى هذا القرآن فهاتوا أنتم سورةً واحدةً مثل الذي جاء به محمد، واستعينوا على ذلك بمن شئتم ثم أخبر ـتعالى ـ أنهم لم يفعلوا، ولن يفعلوا، وجواب الشرط في قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ محذوفٌ دلَّ عليه ما قبله.

وقولُه: (ما ذُكِرَ): يريد أن مفعول ﴿تَفْعَلُوا﴾ محذوف؛ تقديره: ما ذكر؛ أي: من الإتيان بسورة مثل القرآن؛ المعنى: فإن لم تأتوا بسورةٍ لعجزكم عن ذلك، وقد عجزوا فلم يفعلوا، ثم أخبر ـتعالى ـ أنهم لن يفعلوا، والجملة معترضةٌ بين الشرط وجوابه، وفي هذا الاعتراض زيادة في التحدي.

وقوله: ﴿فاتَّقوا﴾ جواب الشرط في قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾، وهو واقعٌ موقع الأمر بالإيمان؛ لأنه من التعبير بالمسبَّب عن السبب؛ لأنَّ مَن آمن اتقى.

وقولُه: (بالإيمان بالله وأنه ليس من كلامِ البشر): يريد أنَّ اتقاء النار يكون بذلك فالإيمان بالله ورسوله هو الواقي بتوفيق الله من عذاب النار.

وقولُه: (الكفارُ): بيانٌ للمراد بالناس، فيكون الناس في الآية من العامِّ الذي أُريد به الخصوص.

وقولُه: (كأصنامِهم منها): يريد أن مِن الحجارة التي توقد بها النار ما كان يَعبده المشركون من الحجارة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

---

(١) ينظر: «المفردات» (ص٣٢٤).

وقولُه: (هُيِّئَتْ...) إلى آخره: تفسير لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ﴾، والصواب أنَّ جملة: ﴿أُعِدَّتْ للكافرينَ﴾ مستأنفةٌ تضمَّنت الخبر بأنَّ النارَ مخلوقةٌ للكافرين.

وقولُه: (**يُعذَّبون بها**): المعنى: هُيِّئَتْ لتعذيبهم.



وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥]:

لـمَّا ذكر الله النار ومَن أُعدّت لهم إنذارًا وتحذيرًا أمرَ نبيَّه أن يبشِّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بما أعدَّ لهم من الجنات التي تجري مِن تحتها الأنهار، وأخبر ـتعالى ـ أنهم يُرزقون فيها من أنواع الثمرات المختلفة في الطُّعوم واللذات المتشابهة في الألوان لذلك كلما رُزقوا شيئًا من هذه الثمار؛ قالوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾، والصواب أنَّ المراد ما رُزقوه مِن قبلُ في الجنة، وأخبر ـتعالى ـ أنَّ لهم في الجنة أزواجًا مُطهَّرة من العيوب الخَلقية والخُلقية، وأنهم مع ذلك في الجنة خالدون؛ أي: مقيمون أبدًا؛ نسأل الله من فضله.

﴿وَبَشِّرِ﴾ أخبرْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صدَّقُوا بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مِن الفروضِ والنوافل ﴿أَنَّ﴾ أي: بأنَّ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ حدائقَ ذات أشجارٍ ومساكن ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت أشجارِها وقصورِها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي: المياهُ فيها، والنهرُ: الموضعُ الذي يجري فيه الماء؛ لأن الماءَ يَنْهَرُهُ، أي: يحفرُهُ، وإسنادُ الجري إليه مجازٌ ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ أُطعمُوا من تلك الجناتِ ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي﴾ أي: مثلَ ما ﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبله في الجنةِ لتشابهِ ثمارِها بقرينةِ ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ أي: جيئوا بالرزقِ ﴿مُتَشَابِهًا﴾ يشبهُ بعضُه بعضًا لونًا، ويختلفُ طعمًا ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾ مِن الحورِ وغيرها ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ مِن الحَيضِ وكلِّ قَذَرٍ ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ماكثونَ أبدًا لا يَفْنَوْنَ وَلَا يَخْرُجُونَ.

وقولُ المؤلِّف: (**أخبِرْ**): البشارةُ: الإخبار بما يَسُرُّ الـمُخبَر، والمبشِّر: الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمبشَّر هم: الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وقولُه: (**صدَّقُوا بالله**): فسَّر الإيمان بالتصديق، ولا شك أن الإيمان؛ أصلُه في اللغة: التصديق، أو نوعٌ من التصديق، وفي الشرع: الإيمانُ بالله وبكلِّ ما يجب الإيمان به؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الإيمانُ أن تؤمنَ باللهِ وملائكتِهِ..)) الحديث[1].

وقولُه: (**من الفروضِ والنوافل**): معناه أن الأعمال الصالحة تشمل جميع العبادات من الواجبات والمستحبات، و﴿الصَّالِحَاتِ﴾ في الآية صفةٌ لموصوف محذوف؛ المعنى: عملوا الأعمالَ الصالحات، وعَطْفُ الإيمان على الأعمال من عَطْفِ الخاص على العام[2].

وقولُه: (**بأنْ**): يريد أنَّ جملة ﴿أَنَّ﴾ وما دخلتْ عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء فالمعنى: بشِّرهم أيها النبيُّ بما أعدَّ الله لهم من الجنات وما فيها مِن النعيم.

وقولُه: (**حدائقَ ذات شجرٍ ومساكن**): يريد أن الجنات ـ وهي البساتين ـ، وعبَّر عنها بحدائق فيها أشجار وأنهار ومساكن.

وقولُه: (**من تحتِ أشجارِها وقصورِها**): يريد أن الأنهار ليست تحت أرضِ الجنة، بل فيها تجري تحتَ أشجارها وقصورها[3].

وقولُه: (**أي: المياهُ فيها**): يريد أن النهر في الأصلِ هو الحفرُ الذي يجري فيه الماء، فإسناد الجريان إليه مجازٌ مُرسلٌ علاقته المحليَّة؛ لأنه تعبيرٌ بالمحليِّ عن الحال، والأولى أن يُقال: إن النهر يُطلق على المجرى الذي هو الحَفر،

(١) أخرجه البخاري (٥٠) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٨) من حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) **ينظر**: «الإيمان الكبير» (ص١٣٨-١٤٣)، و(ص١٥٧-١٦١).

(٣) جاءت أحاديث فيها: أن الكوثر وأنهار الجنة تجري من غير أخدود. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٤٠٦-٤٠٧)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٣٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٠٤).

وعلى الماء الجاري، والسياق والتركيب يُعيِّنُ أحدَ المعنيين، إذًا: فالأنهار في الآية هي أنواع الأشربة من الماء واللَّبن والخمر والعسل وغيرها.

وقولُه: (**وإسنادُ الجري إليه ـ أي: إلى النهرِ ـ مجازٌ**): جعله من قَبيل المجاز العقلي، والأظهر أن المجاز في كلمة ﴿الْأَنْهَارُ﴾ فيكون مِن المجاز المرسل؛ كما تقدم.

وقولُه: (**أُطعمُوا من تلكَ الجناتِ**): يعني أُوتي لهم بطعامٍ من ثمار الجنة، و(مِن) في قوله: ﴿مِنْهَا﴾ ابتدائية، وفي قوله: ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ بيانية، و﴿رِزْقًا﴾ مفعولٌ ثانٍ لرُزقوا.

وقولُه: (**مثلَ ما**): يريد أنَّ قولهم: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ مثلَه لا عينه.

وقولُه: (**قبلَه في الجنة**): يريد أن المعنى أن الذي رُزقوه من قبلُ هو من رزق الجنة، وهذا أحد القولين في الآية[١]، وهو الصواب، وقيل: المراد: بما رُزقوه من قبلُ في الدنيا، واختاره ابن جرير[٢]؛ لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾ فيدخل فيه أول رزقٍ يُرزقونه في الجنة، والصواب: هو القول الأول؛ لأن رزق الجنة لا يشبه رزقَ الدنيا، وإن كان يوافقُه في الاسم، ولقوله تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾، وهذا مختصٌّ بثمار الجنة[٣].

وقولُه: (**جِيئوا بالرزقِ**): هذا معنى ﴿أُتُوا بِهِ﴾. وقوله تعالى: ﴿مُتَشَابِهًا﴾ حالٌ من الرزق، ومعنى ﴿مُتَشَابِهًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضًا فاللون واحد والطعم مختلف.

---

(١) وهو قول يحيى بن أبي كثير، وأبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٤٠٩-٤١٠).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٤١٠).

(٣) **ينظر الخلاف وذكر الحجج في**: «حادي الأرواح» لابن القيم (٣٥٨-٣٦٢)، وكأن ابن القيم يميل لما ذكره شيخنا؛ فقد عقب على حجج الطبري ولم يصرح بشيء.

وقولُه: (**مِن الْحُور وغيرها**): يريد أنَّ أزواج المؤمنين في الجنة؛ أي زوجاتُهم بعضُهن من الحور التي خلقهن الله لِيَكُنَّ أزواجًا للمؤمنين، وبعضهن من غيرهن، وبعضُهن من غير الحور من المؤمنات اللاتي يدخلن الجنة فهن من نساء الدنيا سواءً كن في الدنيا مُزوَّجات أو غير مُزوَّجات، كما قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِم﴾ [الرعد: ٢٣]، والله أعلم بتفاصيل ذلك(١).

وقولُه: (**مِن الحَيضِ وكلِّ قَذَرٍ**): المعنى: أنَّ زوجات المؤمنين في الجنة مُطهَّرات، من الحور العين وغيرهن، مُطهَّرات من عيوبِ نساء الدنيا من الحيض والبول والغائط، الخَلقية والخُلقية وكل قذرٍ، بل الأزواج من المؤمنات أكملُ من الأزواج من الحور؛ بفضل الإيمان والعمل الصالح(٢).

---

(١) للاستزادة **ينظر**: حادي الأرواح (١/ ٤٧٠-٥٠٦).

(٢) جاء معنى هذا في حديث طويل أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٠)، و«الأوسط» (٣١٤١) وأورده الضياء في «صفة الجنة» (١١٩) من طريق بكر بن سهل الدمياطي، ثنا عمرو بن هاشم البيروتي، ثنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، «.... قلت: يا رسول الله، أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: ((بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة)). قلت: يا رسول الله، وبم ذاك؟ قال: ((بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله عَزَّوَجَلَّ)). وقال الضياء: «لا أعلمه إلا من طريق سليمان بن أبي كريمة، وفيه كلام».

قلنا: ولا خلاف في ضعفه. قال العقيلي في «الضعفاء» (٢١٣٨، رقم ٦٢٧): «سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان، يحدث بمناكير ولا يتابع على كثير من حديثه»، وذكر هذا الحديث، وقال: «لا يعرف إلا به».

وقال ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٥٠، رقم٧٤٠): «وعامة أحاديثه مناكير، ويرويه عنه عمرو بن هاشم البيروتي».

وذكره ابن الجوزي في «الضعفاء والمتروكين» (٢/ ٢٤، رقم ١٥٤٢)، والذهبي في «المغني في الضعفاء» (١/ ٢٢٨، رقم ٢٦١٦)، وفي «ديوان الضعفاء والمتروكين» (ص١٧٥، رقم ١٧٧٢).



وقولُه: (**ماكثونَ أبدًا...**) إلى آخره: يعني مقيمون في الجنة أبدًا فلا يموتون ولا يخرجون، كما قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦]، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].



وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧]:

يخبر -تعالى- أنه لا يستحيي من ضربِ المثل ببعض الأشياء الحقيرة، بأنه -تعالى- حكيمٌ يريد بيان الحقِّ لعباده في كلِّ طريق للعباد ويحصل لهم به الفرقان بين الحق والباطل؛ لهذا ضرب المثل بالذبابِ والعنكبوت، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ الآية [العنكبوت: ٤١]، ولو شاء -تعالى- لضرب المثل بأحقرَ من العنكبوت كالبعوضة.

ومن حكمته -تعالى- في ذلك: ابتلاءُ العباد ليتميَّز المؤمن من الكافر، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، وبضرب هذا النوع من الأمثال يهدي الله كثيرًا ويُضِلُّ به كثيرًا؛ يهدي به المؤمنين، ويُضِلُّ به الفاسقين الذين يعترضون على الله في كلامه وبيانه؛ فيقولون فيما ضربه اللهُ من الأمثال مُعترضين على الله: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾. وأما الذين آمنوا فلا يعترضون على الله؛ لأنهم يعلمون أن ما جاء عن الله كلُّه حقٌّ.

والفاسقون: هم الخارجون عن طاعة الله بالكفر والنفاق ونقضِ الميثاق، ومِن فِسقِهم قَطْعُ ما أمرَ الله به أن يُوصل، وإفسادهم في الأرض بالمعاصي وبالصدِّ عن سبيل الله وقد حكم -تعالى- عليهم بالخسران؛ فقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾، والكفار والمنافقون هم أخسرُ الناس؛ لأنهم صائرون إلى النار خالدين فيها، فبذلك يخسرون أنفسَهم وأهليهم؛ كما قال

تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾ [الزمر: ١٥].

ونزلَ ردًّا لقول اليهود لَمَّا ضرب الله المثلَ بالذبابِ في قوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبهُمْ الذُّبَاب شَيْئًا﴾ والعنكبوت في قوله: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوت﴾ ما أرادَ الله بذكرِ هذه الأشياء الخسيسةِ؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ﴾ يجعلَ ﴿مَثَلًا﴾ مفعولٌ أول ﴿مَا﴾ نكرةٌ موصوفة بما بعدها مفعولٌ ثان أي: مثل كان، أو زائدة لتأكيدِ الخِسَّة، فما بعدها المفعول الثاني ﴿بَعُوضَة﴾ مفردُ البعوضِ وهو صغارُ البَقِّ ﴿فَمَا فَوْقهَا﴾ أي: أكبرُ منها أي: لا يترك بيانُه لِمَا فيه مِن الحِكَم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِنْ رَبّهمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّه بِهَذَا مَثَلًا﴾ تمييزٌ أي: بهذا المثل، و«ما» استفهامُ إنكارٍ مبتدأٌ و«ذا» بمعنى الذي، بصلته خبرُهُ أي: أيُّ فائدةٍ فيه؟ قال ـ تعالى ـ في جوابِهم ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحقِّ لكفرِهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ مِن المؤمنين لتصديقِهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجينَ عن طاعتِه ﴿الَّذِينَ﴾ نَعتٌ ﴿يَنْقُضُونَ عَهْد اللَّه﴾ ما عَهِدَهُ إليهم في الكتبِ من الإيمان بمحمَّدٍ ﴿مِنْ بَعْد مِيثَاقِهِ﴾ توكيدِهِ عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّه بِهِ أَنْ يُوصَل﴾ مِن الإيمان بالنبي والرَّحِم وغيرِ ذلك و«أَنْ» بدلٌ مِن ضميرِ «به» ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْض﴾ بالمعاصي والتعويقِ عن الإيمان ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفونَ بما ذُكِرَ ﴿هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرِهم إلى النارِ المؤبَّدةِ عليهم.

وقولُ المؤلِّف: (ونزلَ ردًّا...) إلى آخره: يذكر هنا سببَ نزول هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾، وذلك أنَّ الله لَمَّا ضرب المثلَ بالذباب وبالعنكبوت

لأصنام المشركين قال الكفار والمنافقون: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، ومعنى قولهم: أنَّ هذه الأشياء حقيرةٌ فكيف يضرب اللهُ المثلَ بهذه الأشياء الحقيرة التي يُستحيا من ذكرها؟! فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[1]، فإنَّ ضَرْبَ الأمثال من طرق بيانِ الحق وإبطالِ الباطل، لذلك يضرب الله المثلَ بما شاء بعوضةً أو أكبر من البعوضة أو أصغر من البعوضة. وقولُه: (**يجعلَ**): فيه تفسيرُ ضربِ المثل بالجَعْلِ، والجَعْلُ: بمعنى: التصيير، ينصبُ مفعولين، وجعل المثل تشبيه الشيء بالشيء، ولذا جعل المؤلِّف مثلًا مفعولًا أولًا، و«ما» نكرة موصوفة.

وقولُه: (**لا يترك بيانُه لِمَا فيه من الحِكَم**): يريد أنَّ معنى الآية أنَّ الله لا يتركُ ضربَ المثَلِ بما شاء من صغيرٍ وكبيرٍ؛ لأنَّ في ضربِ المثل حِكَمًا، وهو بيان الحق.

وقولُه: (**أي: المثل**): يريد أنَّ الضمير في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ يعود إلى المثل الذي ضربَه الله، فالمعنى: أنَّ الذين آمنوا بالله ورسوله يؤمنون بأنَّ المثلَ الذي يضربه الله يعلمون أنه الحق، أي: الموافقُ للحكمة المحصِّل للمقصود.

وقولُه: (**تمييزٌ**): يريد أنَّ ﴿مَثَلًا﴾ منصوبٌ على التمييز؛ لقولهم: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا﴾، وقدَّره المؤلِّف بقوله: «ماذا أراد الله بهذا المثل مثلًا»[2]، فاسم الإشارة راجعٌ إلى المثل الذي ضربه الله في ضرب المثل بالعنكبوت والذباب.

وقولُه: (**و«ما» استفهامُ إنكارٍ مبتدأٌ...**) إلى آخره: يريد أنَّ «ما» في قولهم: «ماذا» اسم استفهام، وهي: مبتدأ فهي في موضعِ رفع، والاستفهام إنكار أي: استنكارٌ واعتراضٌ من الكفار على ما ضربه الله من المثل، فالمعنى: أيُّ فائدةٍ

(١) وهو قول ابن عباس كما في رواية عطاء وأبي صالح عنه، والحسن وقتادة ومقاتل. **ينظر**: «أسباب النزول» للواحدي (ص ٢٣-٢٤)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٢٤٥).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٤٣٢).

من ضرب ذلك المثل؟ و«ذا» في قولهم ﴿مَاذَا﴾ اسم موصول بمعنى: الذي، وجملة ﴿أَرَادَ اللَّهُ﴾ صلةُ الموصول، والموصول وصلتُه خبرُ المبتدأ الذي هو: «ما» الاستفهامية.

وقولُه: (**قال -تعالى- في جوابِهم...**) إلى آخره: يريد أنَّ قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ جوابٌ لقول الكفار: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾، وقد تضمَّن الجواب بيانَ حكمته -تعالى- في ضرب المثل؛ وهي ابتلاء العباد فيهتدي به مَن آمن بأنه الحق -وهم كثيرٌ- ويُضِلُّ به مَن طعن في حكمة لله مِن ضرب المثل حتى قالوا: ماذا أراد الله بضرب هذا المثل، فإنه لا تظهرُ فيه حكمة فأيُّ فائدة في ضربه المثلَ؟ فصار ضَرْبُ المثل سببًا لهداية المؤمنين وسببًا لضلال الكافرين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾.

وقولُه: (**الخارجينَ عن طاعتِه**): يريد أنَّ الفاسقين هم الكفار والمنافقون، فَفِسْقُهُم هو الفِسق الأكبر، وهو: المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]. وفي قول المؤلِّف: (**الخارجينَ**) إشارةٌ إلى أصل معنى الفِسق في اللغة، وهو الخروج عن الشيء، ومنه قولهم: «فسقتِ الرُّطبةُ مِن قشرها» أي: خرجتْ[١].

وقولُه: (**نَعْت**): يريد أنَّ الاسم الموصول بصلتِه نعتٌ للفاسقين، فالموصول في محل نصب؛ لأنَّ الفاسقين مفعولٌ به ليضل، والاستثناء مُفرَّغ.

وقولُه: (**مَا عَهِدَهُ إليهم...**) إلى آخره: هذا تفسيرٌ للعهد الذي ينقضونه، وهو أنَّ مما عهد الله به إلى أهل الكتاب أن يؤمنوا بالنبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا

(١) ينظر: «لسان العرب» (١٠/ ٣٠٨).

بعث إليهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به[(١)]، والآية عامة لكل عهدٍ من الله، والأول هو المناسب لسببِ النزول[(٢)].

وقولُه: (**توكيدِهِ عليهم**): أصل الميثاق: العهدُ المؤكَّدُ، لكنه هنا اسم مصدر؛ بمعنى: التوثيق؛ فالمعنى: ينقضون عهد الله من بعد توكيدِه عليهم.

وقولُه: (**مِن الإيمان بالنبي والرَّحم وغيرِ ذلك**): هذا بيانٌ من المؤلِّف للمراد بالموصول في قوله تعالى: ﴿مَا أَمَرَ اللَّه بِهِ﴾ أي: يقطعون الذي أَمر الله بوصلِه.

وقولُه: (**و«أنْ» بدلٌ مِن ضميرِ «به»**): يريد أنَّ المصدر الـمؤول مِن «أن» والفعل بدلٌ من الضمير المجرور في «به» فيكون التقدير: أمر الله به بأن يوصل؛ أي: بوصلِه.

وقولُه: (**بالمعاصي والتعويقِ عن الإيمان**): يريد أنَّ الإفساد في الأرض يكون بمعاصي الله والصدِّ عن سبيله.

وقولُه: (**الموصوفونَ بما ذُكِرَ**): يريد أنَّ اسم الإشارة: ﴿أُولَئِكَ﴾ راجعٌ إلى الموصوفين بنقضِ عهد الله، وقطعِ ما أمر الله بوصله.

وقولُه: (**لمصيرِهم إلى النارِ المؤبَّدةِ عليهم**): هذا تعليل، فالمعنى: أنهم خسروا لمصيرهم إلى النار، وقد دلَّ القرآن على الذي خسروه، وهو أنفسهم وأهلوهم؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، فهذا هو الخسران المذكور في هذه الآية، والله أعلم.



(١) نسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٨) لابن عباس ومقاتل، واختاره الطبري في تفسيره (١/ ٤٣٦-٤٣٧) بعد أن ساق الأقوال، ولم ينسبها.

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٤٣٥-٤٥٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ١٥٨-١٥٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢١٠).

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ [البقرة: ٢٨]:

هذا توبيخٌ من الله للكافرين بالله واليوم الآخر وتعجُّبٌ من حالهم، وهم يعلمون أحوالَ الموت والحياة، وقد كانوا أمواتًا في الأصلاب والأرحام فأحياهم الله هذه الحياة الدنيا ثم يميتهم فيفارقون الدنيا، ثم يُحيهم يوم القيامة فيَبعثهم من القبور ثم يرجعون إلى الله ليجزيهم بأعمالهم، فهم يعلمون الموتتين والحياة الأولى ويُنكرون الحياة الأخرى فكفروا بذلك بربهم.

﴿كَيفَ تَكْفُرونَ﴾ يا أهلَ مكة ﴿باللهِ و﴾ قد ﴿كُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نُطَفًا فِي الأصلَاب ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الأرحامِ والدنيا بنفخِ الروح فيكم. والاستفهامُ للتعجيبِ مِنْ كُفْرهمْ مع قيام البرهان، أو لِلتَّوبِيخ ﴿ثُمَّ يُمِيتكُمْ﴾ عِنْد انتهاءِ آجالِكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعثِ ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تُرَدُّونَ بعد البعث فيُجازيكم بأعمالِكم.

وقولُ المؤلِّف: (**يا أهلَ مكة**): يريد أنَّ الخطابَ في الآية للكفار بمكة، وهذا التخصيص غير صحيح؛ لأنَّ ذلك خلافُ ظاهر الآية، بل الخطاب للكفار والمنافقين الذين تقدم ذِكْرُهم في أول السورة، وذُكِروا فيما بعد، وأيضًا فالسورة مدنية فالمخاطَبُ بها الكفار من أهل الكتاب والمنافقين.

وقوله تعالى: ﴿وكُنْتُم أَمْوَاتًا﴾: زاد المؤلِّف «قد» الدالَّة على التحقيق، والواو للحال.

وقولُه: (**نُطَفًا فِي الْأَصْلَاب**): تفسيرٌ لقوله: ﴿أمواتًا﴾[١]، وهي الموتة التي لم يتقدمْها حياةٌ، وهي الموتة الأولى في قوله ـ تعالى ـ عن الكفار: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، والموتة الثانية: هي موتُهم بعد إحيائهم في الدنيا، والإحياءةُ الثانية حين يُنفخ في الصور ويُبعثون من القبور، وهي المذكورة في قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقولُه: (**في الأرحامِ والدنيا بنفخِ الروحِ فيكم**): هذه الحياة الأولى، ومبدؤُها نفخُ الروح في الجنين، وتشمل هذه الحياة أطوارَ الإنسان جنينًا وطفلًا وما بعد ذلك من أطوار الإنسان في هذه الدنيا.

وقولُه: (**والاستفهامُ للتعجيبِ...**) إلى آخره: يريد أنَّ الاستفهامَ في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ المقصود منه: التعجُّب مِن كفرهم، أو التوبيخ على كفرهم[٢] مع ما يعلمونه ويشاهدونه مِن خلق الله لهم، ونقلهم من طور إلى طور بالإحياء والإماتةِ، وذلك برهانٌ على كمال قدرته وحكمته، فمنه المبدأُ وإليه المعاد ـ وهو الرجوع إليه بعد البعث ـ للجزاء على الأعمال، ولهذا قال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.



(١) جاء هذا التفسير عن ابن عباس في رواية عطاء عنه، وقتادة، وهناك أقوال أخرى. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٤٤٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٧٣، رقم ٣٠٢)، و«زاد المسير» (١/ ٤٩).

(٢) **ينظر**: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٠٧)، و«الإيضاح» لابن الأنباري (١/ ٥١٠-٥١١)، و«الكشاف» (١/ ٢٤٨).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩]:

يخبر ـتعالى ـ في هذه الآية ممتنًا على عباده بأنه خلق لهم جميع ما في الأرض من أسباب المنافع من أنواع النبات والحيوان والمعادن، ثم صعد إلى السماء فخلق السمواتِ وجعلهُنَّ سبعًا، ثم أخبر أنه بكلِّ شيء عليمٌ، فدلَّت الآيةُ على كمال رحمته وكمال قدرته وإحاطة علمه، وذلك يقتضي أنه الإلهُ الحقُّ، لا يستحقُّ العبادةَ سواهُ، وفي ضمن ذلك تقريعٌ للذين كفروا به فأشركوا به وجحدوا ما أخبرَ به من البعث والجزاء، وبهذا يظهر اتصالُ هذه الآية بالتي قبلها، فالمخاطبون بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾ هم الذين قيل لهم: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾.

وقال دليلًا على البعثِ لَمَّا أنكروه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الأرضِ وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لِتنتفِعُوا به وتَعتبرُوا ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ بعد خلقِ الأرضِ أي: قصدَ ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ الضميرُ يرجعُ إلى السماء؛ لأنها في معنى الجملةِ الآيلةِ إليه، أي: صيَّرها كما في آية أخرى: ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ [فصلت: ١٢] ﴿سَبْعَ سَمَاوَات وَهُوَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيم﴾ مُجملًا ومُفصَّلًا، أفلا تَعتبرون أنَّ القادرَ على خلقِ ذلك ابتداءً ـوهو أعظم منكم ـ قادرٌ على إعادتِكم؟

وقولُ المؤلِّف: (**أي: الأرضِ وما فيها**): يريد أنَّ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ يتضمَّن خلقَ الأرض وما فيها؛ لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ كما فصل ذلك في سورة فصلت.

وقولُه: (لِتَنتفِعُوا به وتَعتبرُوا): يشير إلى ما تدلُّ عليه اللام في قوله: ﴿لَكُمْ﴾ من الامتنان بما خلقَه الله في الأرض من النعم لمصلحة العباد.

وقولُه: (بعد خلقِ الأرضِ أي: قصدَ): هذا بيانٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، وأنَّ ذلك بعد خلق الأرض كما تدلُّ عليه الآيات في سورة فصلت، وفسَّر المؤلِّف: ﴿اسْتَوَىْ﴾ بقَصَدَ، وهو معنى قول بعضهم: عمدَ، وهو معنى صحيح[(١)]، والأولى: تفسيرُه بصعد[(٢)]؛ لأنَّ كلًّا منهما يتعدى بـ«إلى».

وقولُه: (الضميرُ يرجعُ إلى السماء): يريد ضمير جمع المؤنث «هُنَّ»، يقول: يرجع إلى السماء، وهو مفرد، فعَوْدُ الضمير إليها بلفظ الجمع باعتبار ما هي صائرةٌ إليه، وهو كونها سبعَ سموات، وأصل معنى السماء: العُلُو من سماء يسمو[(٣)]، وكانت السماء دخانًا كما في آية فصلت: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، قال المفسرون: وهذا الدخان هو بخارُ الماء الذي عليه العرش[(٤)]، فسوَّى الله من هذه السماء سبعَ سماوات، كما قال في سورة

---

(١) قاله: الفراء وابن كيسان وابن قتيبة، واختاره: ابن كثير والسعدي. **ينظر**: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٠٧)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٤٥)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢١٣)، و«تفسير السعدي» (١/ ٥٢-٥٣).
وتفسير الاستواء هنا بالقصد ليس من التحريف المذموم؛ فإن ﴿اسْتَوَى﴾ ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها: الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾، وتارة تكون بمعنى «علا وارتفع»، وذلك إذا عديت بـ«على» كما في قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾، ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾، وتارة تكون بمعنى «قصد»، كما إذا عديت بـ«إلى» كما في هذه الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات. **ينظر**: «تفسير السعدي» (١/ ٥٢-٥٣)، (١/ ٢٢-٢٣).

(٢) قال البغوي: قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: «أي: ارتفع إلى السماء»، واختاره الطبري. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٤٥٦) (١/ ٤٥٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٧٥ رقم ٣٠٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٨).

(٣) تقدَّم (ص٥٩).

(٤) روي بنحوه عن وهب بن منبه. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١٢/ ٣٣٤)، و«زاد المسير» (٤/ ٤٧).



فصلت: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢].

وقولُه: (**مُجملًا ومُفصَّلًا**): يريد أنَّ الله يعلم كلَّ الأشياء جملةً، ويعلم كلَّ واحدٍ منها بمفرده، ويعلم الكليات والجزئيات.

وقولُه: (**أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ**...) إلى آخره: يشير إلى أنَّ ذِكر خلق السموات والأرض وعلمه بكلِّ شيءٍ سِيقَ للدلالة به على قدرته ـتعالىـ على البعث، وهذا في القرآن كثيرٌ؛ كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].



وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]:

يذكر تعالى بقوله حين قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي: سأجعل فيها مَن يخلف مَن سبقَه مِن المخلوقات وهو آدمُ وذريته، وهم أممٌ يخلف بعضهم بعضًا، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩]، وقد أطلعَ ـسبحانهـ الملائكةَ على ما يحصل من بني آدم من الإفساد في الأرض وسفكِ الدماء، لذلك قالوا متعجّبين مِن خلق مَن هذه صفته من الإفساد وسفك الدماء وجعلِهم خلفاءَ في الأرض، هذا وهم ـأي: الملائكةُـ قائمونَ بما يليق بالله من حقِّه عليهم تسبيحًا وتحميدًا وتقديسًا، وإنما صدر هذا التعجُّبُ من الملائكة؛ لعدم علمهم بحكمته ـتعالىـ في خلقه وتدبيره، ولذلك جاء الرد قال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿و﴾ اذكرْ يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يَخْلُفُنِي في تنفيذِ أحكامي فيها، وهو آدم ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يُرِيقهَا بالقتل كما فعلَ بنو الجانِّ، وكانوا فيها فلمَّا أفسدوا أرسلَ اللهُ عليهم الملائكة فطردوهُم إلى الجزائرِ والجبالِ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ مُتَلَبِّسِينَ[1] ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نقولُ: سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نُنَزِّهكَ عما لا يليقُ بكَ، فاللام زائدةٌ، والجملة حالٌ، أي: فنحن أحقُّ بالاستخلافِ ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن المصلحة في استخلافِ آدم وأنَّ ذريتَه فيهم المطيعُ

(١) في النسخة المحققة (ص ١٦): (مُلتَبسين)، وأشار المحقق لنسخة (مُتَلَبِّسِينَ) كما أثبتناه، وهو ما رجحه شيخنا.

والعاصي فيظهرُ العدلُ بينهم، فقالوا: لن يخلقَ ربُّنا خلقًا أكرمَ عليه مِنَّا ولا أعلمَ لِسَبْقِنَا له ورؤيتِنا ما لم يره، فخلقَ الله ـتعالى ـ آدمَ مِن أديمِ الأرض أي: وجهها، بأن قبضَ منها قبضةً من جميع ألوانِها وعُجنتْ بالمياه المختلفة وسوَّاه ونفخَ فيه الروحَ فصار حيوانًا حساسًّا بعد أن كان جمادًا.

وقولُ المؤلِّف: (**اذكرْ يا محمد**): يريد أنَّ الظرف «إذ» متعلِّقٌ بمحذوف تقديره: اذكر؛ فالمعنى: اذكر أيها النبي، حين قال الله للملائكة.

وقولُه: (**يَخلُفُني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم**): ما ذكره المؤلِّف في تفسير الخليفة، وهو أنَّ الخليفة آدم، وأنه خليفةٌ عن الله في تنفيذ أحكامه، هذا أحدُ الأقوال في معنى الخليفة[١]، واستشهد لهذا القول بقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦]، قيل: ويؤيد هذا التفسير أنَّ الخبرَ عن الخليفة ذُكِرَ توطئةً لقصة آدم، ويُشكِلُ على هذا قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾؛ لأنَّ آدم لا يكون منه ذلك، وأيضًا الخليفة إنما يكون لِمن يغيب أو يموت، فالله لا يجوز أن يكون له خليفةٌ لهذا المعنى، بل هو ـتعالى ـ يكون خليفةً لمن شاء عند غيبتِه أو بعد موته كما جاء في دعاء السفر: ((اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل))[٢]، وكما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الدجال: ((إنْ يخرجْ وأنا فيكم فأنا حَجِيْجُهُ دونكم، وإن يخرجْ ولستُ فيكم فامرئٍ حجيجُ نفسِه، واللهُ خَليفتي على كلِّ مسلمٍ))[٣].

---

(١) وهو قول ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٤٧٩)، و«زاد المسير» (١/ ٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وبهذا يُعلم أنَّ الصواب أنَّ المراد بالخليفة آدم وذريتُه؛ فإنَّ الله جعلهم خلائفَ في الأرض؛ أي: يخلُف بعضُهم بعضًا، وآدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خليفةٌ عمَّن سكن الأرض قبلَه من الجن أو الملائكة على قول جمهور المفسرين(١)، وعليه: فخليفة فعليةٌ بمعنى: فاعل، ويصح أن يكون بمعنى مفعول؛ أي: مُستخلَف، فاللهُ استخلف آدم عمَّن قبلَه واستخلف ذريتَه بعضَهم عن بعض وجعلهم خلائفَ في الأرض، وشواهد هذا المعنى في القرآن كثيرٌ.

وقولُه: (**بالمعاصي**)، وقولُه: (**يُرِيقهَا بِالْقَتْلِ**...) إلى آخره: تضمَّن كلامُ المؤلِّف أنَّ الإفساد في الأرض بفعل المعاصي؛ وهي جميع ما حرَّمه الله، وأنَّ سفكَ الدماء يكون بالقتل، وهو من الإفساد في الأرض، فَعَطْفُه على الإفساد مِن عطف الخاص على العام، وتضمَّن كلام المؤلِّف الإشارة إلى سبب قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، وهو أنهم قاسوا آدمَ وذريته على سكان الأرض قبل آدم، وقد قيل: أنهم الجن كما أشار المؤلِّف(٢).

وقولُه: (**مُتَلَبِّسِينَ**): يريد أنَّ المعنى أننا نسبِّحكَ مُتَلَبِّسِين بحمدك، فالباء للملابسة، فيصير المعنى: نقول: سبحان الله وبحمده أو سبحان الله والحمد

---

(١) حكي هذا القول عن الحسن البصري، واختاره ابن كثير. **ينظر**: المصادر السابقة، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢١٦).

وفي «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٢٧-٤٣٢) تفصيل في قول: «فلانٌ خليفةُ الله في أرضه»، خلاصته: «إن أريد بالإضافة إلى الله أنه خليفةٌ عنه، فالصوابُ قولُ الطائفة المانعة منها، وإن أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممَّن كان قبله، فهذا لا يمتنعُ فيه الإضافة، وحقيقتُها: خليفةُ الله الذي جعله اللهُ خَلَفًا عن غيره. وبهذا يخرَّجُ الجوابُ عن قول أمير المؤمنين -يقصد علي بن أبي طالب-: «أولئك خلفاءُ الله في أرضه».

ولشيخنا مقال منشور في موقعه الرسمي بعنوان: هل يُقال: خليفة الله؟!

وينظر أيضًا: «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٤٢-٤٦).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٤٨٢) وما بعدها، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٧٧، رقم ٣٢١-٣٢٣).

لله، والتسبيحُ: هو التنزيه عن النقائص والعيوب[١]، والحمدُ: هو الثناء بصفات الكمال[٢].

وقولُه: (**نُنَزِّهكَ عما لا يليقُ بكَ**...) إلى آخره: فسَّر التقديسَ بالتنزيه، وهذا معنى مَن فسَّره بالتطهير، فيصير معنى نقدِّسُكَ هو معنى نسبِّحُك، وقد ذُكر التسبيح قبل فلا بدَّ من الفرق إذن بين التسبيح والتقديس، وقد ذُكِرا معًا، والأَولى تفسير التقديس بالتنزيه والتعظيم[٣]؛ ليظهرَ وجهُ الجمع بينهما.

وقولُه: (**اللام زائدةٌ**): يريد اللام الداخلةَ على ضمير المخاطَب، وهو: «الكاف» في قوله: ﴿نُقَدِّسُ لكَ﴾.

وقولُه: (**والجملة حالٌ**): يريد أنَّ الجملةَ الاسمية التي بعد الواو حال.

وقولُه: (**مِن المصلحة في استخلافِ آدمَ**...) إلى آخره: في هذا ردٌّ على الملائكة في تفضيلِهم أنفسَهم على الخليفة الذي يكون من ذريته مَن يُفسد ويَسفك الدماء، وذلك لقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، وأنهم لذلك أولى بالاستخلاف، ومما يعلمه -تعالى- مِن أمر الخليفة ما يكون من ذريته من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وما يكون من الابتلاء الذي يحصل به من الأعمال التي هي أحبُّ إلى الله من أعمالِ الملائكة؛ كالتوبة من الذنوب، والجهاد في سبيل الله، وبذلِ الأنفس والأموال في ذلك مما جعل الله ثمنَهُ الجنة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ الآية [التوبة: ١١١]، فخلقَ اللهُ آدمَ ليجعلَه الخليفة في الأرض للحِكَم التي يعلمها، ثم أظهر -سبحانه- فضلَ آدم على الملائكة بالعلم كما في الآيات التي بعد هذه الآية.

---

(١) **ينظر**: «لسان العرب» (٢/ ٤٧١).

(٢) **ينظر**: «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٣٦)، و«الوابل الصيب» (ص٢١٩).

(٣) جاء عن أبي صالح: ﴿وَنُقَدِّسُ لكَ﴾: نعظمك ونمجدك، وعن مجاهد نحوه. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٥٠٥-٥٠٦).

وقولُه: (**فَقَالُوا: لن يخلقَ ربُّنا خلقًا أكرمَ عليه مِنَّا ولا أعلمَ**): نسبةُ هذا القول إلى الملائكة لا يجوز الجزمُ به ـ لأنه مِن الغيب ـ إلَّا بنقلٍ صحيح[(١)].

وقولُه: (**فخلقَ الله ـ تعالى ـ آدمَ مِن أديم الأرض...**) إلى آخره: ما دلَّ عليه من أنَّ آدم خُلِقَ من تراب من طين فهو معلوم بالضرورة من دَلالة القرآن، وأمَّا سائر ما تضمَّنه الكلام من التفصيل فقد جاءت فيه آثارٌ كثيرة رواها ابن جرير وغيره[(٢)]، ثم إنَّ قول المؤلِّف: (**فخلقَ اللهُ آدم**) يقتضي أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ كان قبل خلقِ آدم، وظاهرُ سياق القرآن أنه بعدَه، وخلقُ آدمَ تعقبُه وجودُ الملائكة له بأمرِ الله تعالى، ثم إنه ـ تعالى ـ أظهر فضلَ آدم عليهم بتعليمه أسماءَ كلِّ شيء، وعجز الملائكة عن معرفتها حتى أنبَأَهم آدم بها بأمر الله ـ تعالى ـ كما في الآيات التالية، وعلى هذا فقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ متقدِّمٌ على قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.



(١) لم يصح في ذلك خبر مرفوع، وقد روي بنحوه عن الربيع بن أنس، وعن أبي العالية. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٥٣٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٨٣، رقم ٣٥٦).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٤٨٢-٤٨٨).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣١-٣٣]:

يخبر -تعالى- في هذه الآيات أنه علَّم آدمَ الأسماء كلها، وهي: أسماء أجناس الأشياء[1]، ثم إنه -تعالى- عرض هذه المسمَّيات على الملائكة، قال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، فاعتذروا وقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾، ثم إنه -تعالى- أمر آدم أن يُعْلِمَ الملائكةَ بأسماء هذه الأشياء، فلما أخبرهم آدم بها ظهر فضلُه بذلك عليهم، وقال الله للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ..﴾ أي: في السموات والأرض ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فلما علّمَه -سبحانه- وخفي على الملائكة الحِكمُ والمصالحُ المترتبة على استخلافِ آدم وذريته بالأرض؛ أقرَّ الملائكةُ بالعجز وفوَّضوا العلم إلى الله -تعالى- وآمنوا بكمال علم الله وحكمته لقولهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ أي: أسماءَ الـمُسمَّيات ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القصعة والقُصَيعة، والفَسوة والفسيّة، بأنْ ألقى في قلبه عِلْمَها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: المسمَّيَات، وفيهِ تغليبُ العقلاء ﴿عَلَى الْمَلَائِكَة فَقَالَ﴾ لهم تبكيتًا: ﴿أَنْبِئُونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ المسمَّيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أني لا أخلقُ أعلمَ منكم أو أنكم أحقُّ بالخلافةِ، وجوابُ

(١) وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وجماعة من السلف. ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٥١٤-٥١٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٨٠، رقم ٣٣٦-٣٣٨).

الشرط دلَّ عليه ما قبلَهُ ﴿قَالُوا سُبْحَانك﴾ تنزيهًا لكَ عن الاعتراضِ عليكَ ﴿لَا عِلْم لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتنَا﴾ إيّاه ﴿إِنَّك أَنْتَ﴾ تأكيدٌ للكافِ ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرجُ شيء عن علمِه وحكمتِه. ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ أيْ: الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ المُسمَّيات فسمَّى كلَّ شيءٍ باسمِه، وذكرَ حِكمتَه التي خُلِقَ لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ تعالى لهم موبِّخًا ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما غابَ فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تُظهرون من قولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا...﴾ إلخ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تُسِرُّون من قولِكم: «لن يخلقَ ربنا أكرمَ عليه مِنَّا ولا أعلمَ»؟

وقولُ المؤلِّف: (**أي: أسماءَ المُسمَّيات**): أي الألفاظ الدالَّة على معانيها، وهي: أجناس الأشياء، والاسم هو: اللفظُ الدالُّ، والمسمَّى هو: المعنى المدلول عليه باللفظ.

وقولُه: (**بأنْ ألقى في قلبه عِلمَها**): هذا بيانٌ لكيفية تعليم الله آدم الأسماء، والقرآن دلَّ على التعليم، ولم يدلَّ على الكيفية فالواجبُ الوقوف عند ما ورد به النص، والله أعلم.

وقولُه: (**أي: المسمَّيَات**) يريد؛ أن الضمير في قوله: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ يعود إلى المسمَّيات المفهومة من ذكر الأسماء.

وقولُه: (**وفيهِ تغليبُ العقلاء**): وجهُ ذلك: أن المسمَّيات عامةً للعقلاء وغيرهم، وضمير الجمع الذي بالهاء والميم مختصٌّ بالعقلاء لذلك كان في عَوده إلى المسميات تغليبٌ للعقلاء.

وقولُه: (**تبكيتًا**): أي قال لهم ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ على وجهِ التبكيت[١] لهم على تفضُّلِهم على آدم، وأنهم أولى بالاستخلاف منه، فامتحنَهم الله بعرضِ المسمَّيات عليهم واستخبارِهم عن أسمائها؛ ليظهرَ عجزَهم وفضلَ آدم عليهم.

وقولُه: (**الْمُسَمَّيات**): يريد أنَّ هؤلاء اسم إشارة إلى المسمَّيات المعروضة على الملائكة. وقولُه: (**في أني لا أخلقُ أعلمَ منكم أو أنكم أحقُّ بالخلافةِ**): يبيِّن المؤلِّف بما ذكر دعوى الملائكة التي طُولب بالبرهان على صدقِهم فيها، وهو علمُ الأسماء، ودعواهم تلك يدلُّ عليها قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. وقولُه: (**وجوابُ الشرط دلَّ عليه ما قبلَهُ**): الشرطُ قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ﴾، وجوابه محذوف دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

وقولُه: (**تنزيهًا لكَ**): هذا تفسير لقوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ إذ معنى التسبيح: التنزيه، و«سبحان» مصدرٌ بمعنى التنزيه لا يتصرف؛ لأنه ملازمٌ للنصب.

وقولُه: (**عن الاعتراضِ عليك**): تنبيهٌ إلى أنَّ قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ لم يكن على وجهِ الاعتراض، بل هو السؤالُ عن الحكمة.

وقولُه: (**تأكيدٌ للكافِ**): يريد بذلك الضميرَ المنفصل ﴿أَنتَ﴾، ذُكِرَ تأكيدًا للضمير المتصل الواقع اسم إنَّ وهو: الكاف ﴿إِنَّكَ﴾، فكلٌّ من الضمير المتصل والمنفصل في محلِّ نصبٍ بـ«إنَّ». وقولُه: (**الذي لا يخرجُ شيء عن علمِه وحكمتِه**): يريد أنَّ علمَه محيطٌ بكل شيء، وأنَّ له حكمةٌ في كلِّ شيء.

وقولُه: (**أي: الملائكةُ**): يريد أنَّ الضمير بالهاء والميم في قوله: ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ يعود على الملائكة. وقولُه: (**المسمَّيات**): يريد أنَّ الضمير في قوله: ﴿بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ راجعٌ إلى المسمَّيات، فيكون التقدير: أَنبِئهُم بأسماء المسمَّيات.

---

(١) التبكيت: هو التقريع والتوبيخ. **ينظر**: «لسان العرب» (٢/ ١١).

وقولُه: (**فسمَّى كلَّ شيءٍ باسمه**): هذا هو الإنباء بأسماء المسمَّيات؛ المعنى: أنَّ آدم امتثل أمرَ ربِّه فسمَّى كلَّ شيءٍ باسمه الذي يُعرف به.

وقولُه: (**وذكرَ حِكمتَه التي خُلِقَ لها**): ليس في الآية ما يدل على هذا المعنى الذي ذكره المؤلِّف.

وقولُه: (**مُوَبِّخًا**): يريد أنَّ الاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ الآية للتوبيخِ، وهو العَتَبُ واللَّومُ.

وقولُه: (**ما غابَ فيهما**): هذا تفسيرٌ لغيب السموات والأرض، والظاهر ـوالله أعلمـ أنَّ قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ إشارةٌ إلى قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقولُه: (**ما تُظهرون من قولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾**) إلَخْ: هذا بيانٌ للقول الذي أظهروه.

وقولُه: (**تُسِرُّونَ**): هذا تفسيرٌ لقوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

وقولُه: (**لن يخلقَ ربُّنا أكرمَ عليه مِنَّا ولا أعلمَ**): تقدَّم أنَّ إضافةَ هذا القول إلى الملائكة لا يجوز الجزمُ به إلا بحجَّةٍ من كتابٍ أو سنَّة.



وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]:

يذكِّرُ -تعالى- بقوله للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾، والقول المشار إليه في الآية هو قولُه تعالى للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ كما في سورة الحِجر وص [الحجر: ٢٩، ص:٧٢]، فالمعنى في الآية: اذكرْ حين قلنا للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾، و«إذ» ظرفٌ في موضعِ المفعول به لـ«اذكرْ» المقدَّر. وقوله: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾: أي سجد الملائكة كلُّهم أجمعون كما في سورة الحجر وص. وقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾: أي إنَّ إبليس لم يسجد لآدمَ، منعَه من السجود الاستكبارُ، فصار بذلك من الكافرين كما هو في علمِ الله، والصواب: أنَّ إبليسَ لم يكن من الملائكة بل مِن الجنِّ[1]؛ لقوله -تعالى- في الكهف: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجودَ تحيةٍ بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيس﴾ هو أبو الجنِّ، كان بين الملائكةِ ﴿أَبَى﴾ امتنعَ من السجود ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ تكبَّرَ عنه وقال: أنا خيرٌ منه ﴿وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ في علمِ الله.

(١) وهذا قول الحسن والزهري وقتادة وابن زيد وجماعة، والذي حققه ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٤٦): «أن الشيطان كان من الملائكة باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله، ولا باعتبار مثاله». **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٥٣٥-٥٤٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٣٦٦)، و«آكام المرجان في أحكام الجان» للشبلي (ص٢٠٩-٢١٢).

وقولُ المؤلِّف: (اذكُرْ): تقديرٌ للعامل في الظرف «إذ»، وعلى هذا فـ«إذ» مبنيٌّ على السكون في محلِّ نصبِ مفعولٍ به لـ«اذكر».

وقولُه: (سجودَ تحيةٍ بالانحناء): أمَّا قولُه: (سجودَ تحية): طاعةً لله لا سجودَ عبادة[1]، فحقٌّ، وأما قولُه: (بالانحناءِ): فمعناه أنَّ سجودَ الملائكة ليس على جباههم بل هو ركوعٌ، وهذا محتملٌ، فقد يُطلَق السجودُ على الركوع؛ كما قال ـتعالى ـ لبني إسرائيل: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [النساء: ١٥٤]، ولكن لا نجزم بأنَّ سجودَ الملائكة لآدم كان ركوعًا، فالله أعلم[2].

وقولُه: (هو أبو الجنِّ): هذا صحيح[3]، يدلُّ له قوله تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ الآية [الكهف: ٥٠].

وقولُه: (كان بين الملائكةِ): يريد أنَّ إبليس كان مع الملائكة حين أُمروا بالسجود لآدم فدخل في الأمر تبعًا.

وقولُه: (امتنعَ من السجود): هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿أَبَى﴾.

وقولُه: (تكبَّرَ عنه): يريد أنَّ الحاملَ له على تركِ السجود الاستكبار.

وقولُه: (وقال: أنا خيرٌ منه): لم يُذكر معنى هذا القول في هذه السورة، ولكنه ذُكِرَ في الأعراف والحِجر والإسراء وص.

وقولُه: (فِي علمِ الله): يريد أنَّ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بمعنى: أنَّ الله عَلِمَ بعلمِه القديم أنَّ إبليس سيكفر، وليس معنى: ﴿وَكَانَ مِنَ

---

(١) وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٥٤٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٣٢).

(٢) **ينظر**: «المحرر الوجيز» (١/ ١٧٧-١٧٨)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٩٣)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٤٢١-٤٢٢).

(٣) روي ذلك عن ابن زيد والزهري. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٥٤١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٣٦٦، رقم ١٢٨٤٦).



الْكَافِرِينَ﴾ أنْ قد كفر قبلَ أن يؤمَرَ بالسجود ويعصي، بل قبل أمرِه بالسجود ومعصيتِه كان مؤمنًا[١].



(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٥٤٦)، و«المحرر الوجيز» (١/ ١٨٠)، و«زاد المسير» (١/ ٥٤).

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة: ٣٥-٣٧]:

يخبرُ ـ تعالى ـ في هذه الآية عن إسكانِه لآدم وزوجِه الجنة والإذنِ لهما بالأكل من الجنة حيث شاءا، ونهيِه لهما عن الأكل مِن شجرة، إمَّا شجرةٍ معينةٍ أو جنس شجرة من أشجار الجنة، وأنَّ ذلك كلّه كان بقولٍ قالَه لآدمَ وزوجه.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾: أي بالأكل منها.

وقوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾: أي تصيران بسبب أكلِكُما من الشجرة من الظالمين، والفاء سببيةٌ، ثم أخبر ـ سبحانه ـ بأنَّ الشيطان قد أزلَّ آدم وزوجَه، أي: أوقعَهُما في الزَّلل؛ وهي المعصية، وذلك بالأكل من الشجرة، أزلَّهما بسبب أنَّ الله أسكنَهُما الجنة حسدًا منه لهما، وهذا معنى ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾، وقُرِئ: ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾[1] وضعَّف ابن جرير هذه القراءة[2]، وقال: أنها لا تناسبُ مع قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾؛ لأن معنى: «أَزَالَهُمَا» أخرجهما فيلزم من ذلك التَّكرار.

وقوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾: أي أخرجَ الشيطانُ آدمَ وزوجَه مما كانا فيه من النعيم في الجنة بسبب ما زيَّنه لهما من المعصية التي نُهيا عن قربانها، ثم أخبر ـ تعالى ـ أنه قال لآدم وزوجه وإبليس: ﴿ٱهْبِطُوا۟..﴾؛ أي: من الجنة، وهي في السماء إلى الأرض، و﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، وقيل لهم: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: مكان تستقرُّون فيه ومتاعٌ تتمتعون به إلى وقتِ الأجل المقدَّر، ثم أخبر ـ تعالى ـ أنَّ آدم ـ أي: وزوجَه ـ تلقّيا من ربهما كلماتٍ علَّمهم اللهُ إياها يُعبِّران بها عن

(١) قرأ حمزة وحده: ﴿فأزالهُما﴾ بألف مع التخفيف. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٥٤)، والنشر (٢/ ٢١٢).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٥٦٠).

توبتِهما واعترافِهما بذنبهما، وهذه الكلمات هي المذكورة في سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]، فتاب الله عليهما وغفرَ ذنبَهما بأنه ـ سبحانه ـ توَّابٌ أي: كثيرُ التوبة على عبادِه رحيمٌ بهم.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾ تأكيدٌ للضمير المستترِ ليَعطفَ عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمدِّ، وكان خَلْقُها مِن ضلعِهِ الأيسرِ ﴿الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أَكْلًا ﴿رَغَدًا﴾ واسعًا لا حَجْرَ فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكلِ منها، وهي الحِنطة أو الكَرْم أو غيرهما ﴿فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ العاصينَ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليسُ أذهبَهما، وفي قراءة: ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾ نحَّاهما ﴿عَنْهَا﴾ أي: الجنة بأنْ قالَ لهما: هَلْ أدلُّكما عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ؟ وَقَاسَمَهُمَا بالله إنه لهما لِمَن النَّاصِحين فأكَلَا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ مِن النعيم ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ إلى الأرضِ أي: أنتما بما اشتملْتُما عليه مِن ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعضُ الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مِن ظلمِ بعضكم بعضًا ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَى حِينٍ﴾ وقت انقضاء آجالكم ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ ألهمَهُ إيَّاها، وفي قراءة: بنصب آدم ورفعِ كلماتٌ، أي: جاءَهُ؛ وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ الآية، فدعا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قَبِل توبتَه ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عباده ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

وقولُ المؤلِّف: (تأكيدٌ للضمير المستترِ ليعطفَ عليه): يريد أنَّ الضمير المنفصل وهو «أنت» جاء في الجملة تأكيدًا للضمير المستتر الواقع فاعلًا لفعل الأمر «اُسكن».

وقولُه: (لِيَعطفَ عليه): أي ليعطفَ على الضمير المستترِ، فإنه ضميرُ رفعٍ متصلٍ، ولا يجوز العطفُ على ضمير الرفع المتصل إلَّا أن يفصلَ بينهما بفاصلٍ كضمير الفصل، وهو في هذه الجملة «أنت»، وزوج معطوف على الضمير المستتر.

وقولُه: (حواء...) إلى آخره: هذا اسمُ زوجِ آدم، وهو المعروف، وجاء تسميتها في الصحيح: ((لولا حواءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زوجَها))[1]، وليستِ الخيانة بفعل الفاحشة[2]، ولهذا يقال للنساء: بنات حواء.

وقولُه: (وكان خَلْقُها مِن ضلعِهِ الأيسرِ): أي مِن ضلع آدم من جنبِه الأيسر، أمَّا خلقُها من آدم فهو نصُّ القرآن؛ قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وأمَّا خلقُها من الضِّلع فجاء في السنَّة[3].

وقولُه: (أَكْلًا): قدَّرَ المصدر؛ ليُبيِّنَ أنَّ ﴿رَغَدًا﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ تقديره: أَكْلًا رغدًا، والأولى تقديره رزقًا[4].

وقولُه: (واسعًا لا حَجْرَ فيه): معناه أنَّ الرزق الذي أُذِنَ لهما بأكله من الجنة واسعٌ لا حجرَ فيه ولا حرجَ، فلهما أن يأكلا من جميع أشجارِ الجنة إلَّا التي نُهيا عنها، ولذا قيل في معنى: ﴿رَغَدًا﴾: واسعًا هنيئًا[5]، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: في أيِّ مكان من الجنة.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣٠)، ومسلم (١٤٧٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٦٨): «وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش، حاشا وكلا، ولكن لَمَّا مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسَّنت ذلك لآدم؛ عُدَّ ذلك خيانة له».

(٣) في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء)). رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة، واللفظ للبخاري.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٥٥١).

(٥) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٤٦)، و«المفردات» للراغب (ص٣٥٣).

وقولُه: (بالأَكل منها): بيانٌ للمنهي عنها المتعلِّق بالشجرة يدلُّ لذلك قوله قبل ذلك: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾، فقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾: كالاستثناءِ من الإباحةِ العامة المفهومةِ من قوله: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

وقولُه: (وهي الحِنطة أو الكَرْم أو غيرهما): لم يقل دليلًا على تعيينِ الشجرة المنهي عنها أو جنسِها فلا معنى للخوض في ذلك.

وقولُه: (فتَصيرَا): لأنَّ من معاني كانَ: صار، وذلك إذا وقعتْ بعد فاءِ السببية كما هنا. وقولُه: (العاصينَ): بيانٌ لنوعِ الظلم، وأنه مِن ظلم العبد نفسَه بالمعصية لا بالكفر.

وقولُه: (إبليسُ أذهبَهما): فسَّرَ الشيطانَ بإبليس الذي امتنعَ من السجود لآدم، وأَزَلَّهُمَا أذهبهما، فالمعنى: أذهبَهما إبليس عن الجنة فصار لعدوِّهما اسمانِ: إبليس والشيطان، وإبليسُ من الإبلاس، وهو: اليأسُ من رحمة الله(١)، والشيطان قيل: مِن شاط، وقيل: مِن شَطَنَ(٢).

وقولُه: (وفي قراءةٍ: ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾ نحَّاهما): قلتُ: القراءتان متقاربتان لفظًا ومعنى، على ما ذكره المؤلِّف في معنى «أَزَلَّهُمَا» قال: أذهبَهما، والصوابُ أنَّ معناهما مختلفٌ؛ «فأَزَّلَهُمَا» مِن الزَّلل، و«أزالهما» من الإزالة.

وقولُه: (أي: الجنة...) إلى آخره: بيَّن مَرْجِعَ الضميرِ في قوله تعالى: ﴿عَنْهَا﴾، ثم ذكر المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيلةَ الشيطان في إخراج آدم وزوجِه من الجنة، وذلك مبيَّن في سورة الأعراف وطه، ففي الأعراف قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا...﴾ [الأعراف: ٢٠] إلى قوله: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وفي سورة طه: قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا..﴾ الآية [طه: ١٢٠،١٢١].

(١) ينظر: «لسان العرب» (٦/ ٢٩).

(٢) ينظر: «لسان العرب» (١٣/ ٢٣٨).

وقولُه: **(من النعيم)**: بيانٌ لما كان فيه من الحال الحسنة في الجنة، وقد بيَّن ـسبحانهـ ذلك في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى *﴾ [طه: ١١٨-١١٩]، وقوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥].

وقولُه: **(إلى الأرض...)** إلى آخره: الهبوطُ ضدُّ الصعود، وكلاهما يتعدَّى بـ«إلى»، وكان هبوطُ آدم وزوجِه من الجنة إلى الأرض، وجاء في هذه الآية أمرُهما بالهبوط بصيغة الجمع، وتأوَّلَه المؤلِّف: بأنه خطابٌ لآدم وزوجِه بلفظ الجمع؛ لاشتمالِهما على الذرية التي ستكون منهما، وهذا مِن أحسن التوجيه[١]، وقد قيل: بأنه خطابٌ لآدمَ وزوجِه وإبليس، وهذا أجود؛ لقوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، وإبليس: عدوٌّ لآدم وزوجه وذريتهما، وعليه فلا إشكالَ في جمع الضمير[٢].

وقولُه: **(بعضُ الذرية)**: هذا التفسير يتضمَّن أنَّ العداوةَ المذكورة هي التي تكون بين بني آدم، وأظهرُها وأكثرُها العداوة بين المؤمنين والكفار، ومن أسباب العداوة ما سببُهُ الظلم بين الناس. وقولُه: **(موضعُ قرار)**: يريد أنَّ ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ اسمُ مكانٍ من استقرَّ، والاستقرارُ في المكان هو: الثباتُ فيه[٣].

وقولُه: **(ما تتمتعونَ به من نباتها)**: أصل المتاع اسمُ مصدر بمعنى التمتُّع، وهو الانتفاع بالشيء[٤]، وقد يُعبَّر به عن المتمتَّعِ به، وقد مشى المؤلِّف على هذا فقال: المتاع: ما يُتَمتَّعُ به من نبات الأرض، والصحيح: أنه عامٌّ لكلِّ ما

(١) واختاره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣١)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٢٥٥).
(٢) قاله مقاتل، واختاره الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ٨٤)، والطبري في تفسيره (١/ ٥٧١).
(٣) **ينظر**: «المفردات» للراغب (٦٦٢)، و«لسان العرب» (٥/ ٨٤).
(٤) **ينظر**: «لسان العرب» (٨/ ٣٢٩).

يُنتفع به مما خلقَه الله لعباده في الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩][١].

وقولُه: (**وقتَ انقضاءِ آجالكم**): من المعلوم بالحسِّ والشرع أن تمتُّعُ الإنسان بما في الأرض من متاعٍ غايتُه الأجل المقدر لحياته فينتهي المتاع بانتهاء الحياة.

وقولُه: (**ألهمَهُ إياها...**) إلى آخره: هذا تفسير لـ«تلقى»؛ فمعنى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾: ألهمَه الله كلمات، وعلى قراءة رفع ﴿كَلِمَاتٌ﴾ المعنى: فجاه من ربِّه كلماتٌ، وهذا الكلمات بينها ـ تعالى ـ في سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وهذا استغفارٌ متضمِّنٌ للتوبة النَّصوح، فقَبِلَ اللهُ توبتهما؛ لأنه ـ تعالى ـ هو التوَّاب الذي يُوفِّقُ من شاء للتوبة، ويقبل التوبة ممن تاب إليه، وهو الرحيم بعباده، وتوبتُه على التائبين من رحمتِه بهم.



---

(١) واختاره الماوردي في تفسيره (١/ ١٠٨)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٢٥٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٨٧).

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩]:

يخبر -تعالى- أنه أمرَ آدمَ وزوجَه وإبليسَ بالهبوط إلى الأرض كما في الآية السابقة. وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾: تأكيدٌ لمعنى الواو في قوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾، وأعادَ الأمر بالهبوط -والله أعلم- بذكر ما يترتَّبُ عليه مما لم يُذكر في الأمرِ الأول، وذلك قوله: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ وهو ما بعثَ به رُسُلَهُ، ثم ذكر حالَ الناس مع هذا الهدى وأنَّهم فريقان: متبعٌ له، ومُعرضٌ عنه، وحُكْمَ كلِّ فريق، وذلك قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨...﴾ الآيتين.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ مِن الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كرَّرَهُ ليَعْطِفَ عليه ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغامُ نونِ «إنْ» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَأْتِيَنكُم مِنِّي هُدًى﴾ كتابٌ ورسولٌ ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ فآمَنَ بي وعملَ بطاعتي ﴿فَلَا خَوْف عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة بأنْ يدخلوا الجنة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كُتُبنَا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ماكثونَ أَبدًا لَا يَفْنَونَ ولا يَخرجون.

وقولُ المؤلِّف: (**مِن الجنةِ**): الهبوطُ من الجنة يدلُّ على أنها في العُلو.

وقولُه: (**كَرَّرَهُ**): أي كرَّرَ الأمرَ بالهبوط، وقد جاء الأمرُ بالهبوط في هذه الآية، والآية السابقة؛ يقول المؤلِّف: (**كَرَّرَهُ لِيَعْطِف عَلَيْهِ**) وليس قولُه هذا بظاهرٍ؛ فإنه ليس في الآية عطفٌ، ولو قال: كرَّره ليذكر ما سيكونُ بعد الهبوط، وذلك في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنكُمْ مِنِّي هُدًى...﴾، إلى قوله: ﴿خَالِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا﴾ يقول المؤلِّف: (**فيه إدغامُ نونِ «إنْ» الشرطية في «ما» المزيدة**): لذلك تُنطَقُ ميمًا مشدَّدة، والفاء للتفريع.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: فعلُ الشرط مبنيٌّ على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وهو في محلِّ جزم. وقوله تعالى: ﴿هُدًى﴾ دَلالةٌ وإرشادٌ بكتاب مُنزَّل، ونبيٍّ مُرسَل، ولذا قال المؤلِّف: (﴿هُدًى﴾ **كتابٌ ورسولٌ**).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾: الفاء واقعةٌ في جواب الشرط «إن»، و«مَن» اسمُ شرط. وقوله تعالى: ﴿تَبِعَ هُدَايَ﴾: قال المؤلِّف: (**فآمن بي وعمل بطاعتي**)، وهذا تفسيرٌ صحيحٌ، فاتباع الهدى يتحققُ بالإيمان بالله والعمل الصالح.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: الفاء واقعةٌ في جواب «مَن» الشرطية، ونفيُ الخوف والحزن عنهم يتضمَّنُ السعادةَ بالأمن والسرور، وذلك في الجنة، ولذلك قال المؤلِّف: (**بأنْ يدخلوا الجنةَ**).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الموصول مبتدأ، وكفروا؛ أي: كفروا الله؛ أي: جحدوه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: قال المؤلِّف: (﴿بِآيَاتِنَا﴾: **كُتبنا**)، وهذا تفسيرٌ للآيات بالآيات الشرعية، ولكنَّ الآيةَ تعمُّ الآيات الشرعية والكونية كالمعجزات، فالكفار كذَّبوا بآيات لله كلها.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم الإشارة عائدٌ إلى الذين كفروا وكذَّبوا.

وقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أي هم أهلُ النار.

وقوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: قال المؤلِّف: (﴿خَالِدُونَ﴾: **مَاكثونَ أَبَدًا لَا يَفْنَوْنَ وَلَا يَخْرُجُونَ**). كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].



وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣ ۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾ [البقرة: ٤٠-٤٦].

هذا خطابٌ من الله خاصٌ ببني إسرائيل بعد الخطاب العام لجميع الناس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ...﴾ إلى آخر قصة آدم وإبليس.

وإسرائيلُ: هو نبيُّ الله يعقوب بن إسحاق عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، وفي ذِكْر نَسبِهم إلى إسرائيلَ تنويهٌ بفضله وتحريضٌ لبَنِيه على الاستجابة لدعوة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ كما يقال: يا بني العبد الصالح، اقتدوا بأبيكم، واستقيموا[١].

والمقصودون بهذا الخطاب أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى فإنهم بنو إسرائيل، واليهودُ أخصُّ بذلك؛ لأنهم الموجودون حولَ المدينة في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، والمقصود: تذكيرُهم بأسلافهم، وما جرى لهم أو عليهم من النِّعم والابتلاءات، وما جرى منهم من المخالفات في عهد موسى رسول الله إليهم وبعده، وامتنانٌ على المخاطَبين، ودعوةٌ لهم إلى شكر لله والإيمانِ بهذا الرسول، وتحذيرٌ لهم من الإصرار على التكبُّر والعصيان.

ثم أمر اللهُ بني إسرائيل أن يؤمنوا بما أنزلَ اللهُ على محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهو القرآنُ، وهو مُصدِّقٌ لِمَا معهم من التوراة والإنجيل؛ أي: شاهدٌ بصدقهما، وينهاهم تعالى عن المبادرة إلى الكفر به، وذلك قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾.

(١) ينظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٤١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: هذا نهيٌ من الله لأحبار اليهود أن يؤثروا الدنيا على الآخرة، فيستبدلوا بآيات الله التي عندهم ثمنًا؛ أي: عرضًا من الدنيا قليلًا يُعطَونه ليُحرِّفوا أو يكتموا آياتِ الله التي فيها الخبرُ عن الرسول ﷺ وَصِفَتُه، ثم أكَّد الأمرَ بالخوف منه فقال: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾.

وقوله: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾: هذه الجملةُ إعرابُها كالتي قبلها ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾، وهذا أمرٌ من الله لأَحبار اليهود أن يتَّقوه فلا يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، والتقوى: هي امتثالُ الأوامر والنواهي خوفًا من الله تعالى، ولهذا قال المؤلِّف: ـتفسيرًا لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ـ: (**خَافُونِ فِي ذَٰلِكَ دون غيري**).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾: اللَّبس: خلطُ الشيء بالشيء حتى لا يتميَّزْ أحدُهما من الآخر[١]، والآية نهيٌ لليهود عن خلط الحقِّ المنزَّل عليهم بالباطل الذي افتروه من تشريعاتٍ وتحريفاتٍ، ولذا قال المؤلِّف في تفسير كلمات الآية: في معنى ﴿تَلْبِسُوا۟﴾: تخلطوا، ﴿ٱلْحَقَّ﴾: الذي أنزلتُ عليكم، ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: الذي تفترونه.

وقوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾: الواو: قيل عاطفة؛ فالتقدير: ولا تكتموا الحقَّ؛ فتفيد الآية النهيَ عن كلٍّ من الأمرين على انفراد: اللبس والكتمان، ﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾ مجزومٌ بلا الناهية، وقيل: الواو واو المعيَّة، والفعلُ منصوبٌ بأنْ بعدها، فتفيدُ الآيةُ على هذا الإعراب: النهيَ عن الجمع بين الأمرين ـاللبس والكتمانـ، وهذا اختلافٌ في الإعراب ودلالةِ الكلام[٢]، وأمَّا الحكمُ فمعلومٌ أنَّ كلًّا من اللبس والكتمان حرامٌ مجتمعَين أو منفردَين،

---

(١) **ينظر**: «المفردات» للراغب (ص٧٧٥)، و«التبيان في تفسير غريب القرآن» لابن الهائم (ص٧١).

(٢) الوجه الأول هو قول ابن عباس، والوجه الثاني هو قول أبي العالية ومجاهد. **ينظر**: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣)، و«تفسير الطبري» (١/ ٦٠٧-٦٠٩).

والجمعُ بينهما أقبحُ، والحقُّ الذي نُهوا عن كتمانه: ما عندهم من الخبر عن بعثة النبيِّ ﷺ وصفتِه، وما يجب عليهم من الإيمان به واتِّباعه(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾: هذا أمرٌ من الله لأهل الكتاب بالدخول في الإسلام، وإقامةِ الصلاة المكتوبة، وإيتاءِ الزكاة المفروضة في شريعة محمَّدٍ ﷺ، والركوعِ مع الراكعين النبي ﷺ وأصحابه، وهذا كأمرِ المشركين بالعبادة والصلاة إيمانًا بالله ورسوله، وعملًا بشريعته؛ قال تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٦٢]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات: ٤٨].

وما أُمِر به أهلُ الكتاب في هذه الآية من إقام الصلاة وإيتاءِ الزكاة مُتابعةً للرسول ﷺ هو نظيرُ ما أُخذ عليهم من الميثاق أن يقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ المفروضة عليهم في شريعتهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ..﴾ إلى قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

ثم وبَّخ اللهُ بني إسرائيل -وهم: اليهود- على أَمْرهم الناسَ بالبرِّ -وهو: العمل الصالح- وترك المعاصي، وتركهم أنفسَهم فلا يفعلون ما أَمروا به غيرَهم، ولا يتركون ما نُهوا عنه، وهذا معنى: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾، يفعلون ذلك على عِلم، ولذا قال سبحانه: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة، ومعلومٌ أنَّ أَمْرَ الإنسانِ غيرَه بما ينفعه، وتركَه نفسَه جهلٌ وسَفَهٌ، ولذا قال تعالى منكرًا على الذين سلكوا هذا المسلك: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾، فَعُلم من هذه الآية أنَّ مَن يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر رياءً، وهو في نفسه في السرِّ يُخالفُ ما يُظهره مذمومٌ ومُستحقٌّ للوعيد المذكور في حديث أسامة في الصحيحين في شأن الرجل الذي يُلقى في النار فتندلقُ أقتابه... الحديث(٢).

(١) وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي وجماعة. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٦٠٩-٦١١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٩٨-٩٩).

(٢) رواه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

أمَّا مَن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر صادقًا ولكنه مُقصِّرٌ في نفسه؛ فهو مأجورٌ على قيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى جهاده لنفسه، وليس هو من أهل هذه الآية، ولا حديثِ أسامة، ويغلطُ بعض الناس في فهم هذه الآية فيظنُّ أنَّ مَن كان مقصرًا في طاعة الله ورسوله لا يجوز له أن يأمرَ غيرَه وينهاه، وهذا يُحقِّقُ للشيطان غرضًا؛ وهو تركُ أكثر الناس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنَّ التقصير فيما يجب من طاعة الله وترك معصيته هو الغالبُ على الناس؛ فالواجبُ على المسلم أن يجاهدَ نفسَه ليقومَ بما يجب عليه، ويجاهدَ غيرَه بالأمر والنهي، فكلٌّ من الجهادين واجبٌ لا يُترَكُ أحدُهما للتقصير في الآخر[١].

ثم أمرَ اللهُ بالصبر والصلاة فقال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، والمخاطَبُ بهذا هم بنو إسرائيل على ما اختاره ابنُ جرير[٢]، وذهب ابنُ كثير إلى أنه أمرٌ عام لم يُقصَد به أهلُ الكتاب خاصَّةً[٣]، وكلٌّ من القولين له وجهٌ، فقول ابن جرير هو المناسبُ لسياق الكلام؛ لأنَّ قوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ﴾ معطوف على ما تقدَّم من الأوامر والنواهي من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾. وما قاله ابنُ كثير هو: ما يقتضيه المعنى؛ فقوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ﴾ عامٌّ من حيث المعنى، خاصٌّ من حيث اللفظ، وهكذا القول في كلِّ الأوامر والنواهي المتقدِّمة؛ الأصلُ أنها خطابٌ لبني إسرائيل، ولكنَّ حُكمَها ومعناها عامٌّ، فنحن أمَّة محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مُكلَّفون بما في هذه الآيات من الأوامر والنواهي، فعلينا امتثالها طاعةً لله وعملًا بوصاياه[٤].

وقوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ﴾: أمرٌ من الله بالاستعانة على كلِّ الأمور المهمة بالصبر والصلاة، وهي الصلواتُ الخمسُ، أو الصلاةُ مُطلقًا فتشملُ نوافلَ

---

(١) ينظر: «لطائف المعارف» (ص٥٧-٥٩)، و«غذاء الألباب» (١/ ٢١٥-٢١٩).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٦٢٣).

(٣) ينظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٥٣).

(٤) ينظر: «أسباب النزول» (ص٢٤)، و«التفسير البسيط» كلاهما للواحدي (٢/ ٤٥٧).

الصلاة، ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الصلاة، ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقةٌ[١]، ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: الساكنين الخاضعين لربهم، وللمفسرين من السلف في تفسير الخاشعين عباراتٌ مختلفةٌ في اللفظ مُتَّفِقةٌ في المعنى؛ كقول بعضهم: «المتواضعين»[٢]، وقول بعضهم: «الخاضعين»[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾: معنى ﴿يَظُنُّونَ﴾: يعلمون ويُوقنون كما قال المؤلِّف، والظنُّ يأتي بمعنى العلم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ٢٠]، ويأتي بمعنى الشك[٤]، واعتبر ذلك ابنُ جرير من قَبيل المشترك اللفظي، فالعربُ تُطلِقُ الظنَّ على اليقين والشك، كما تُطلِق على الظلمة: سدفة، وعلى الضياء: سدفة[٥].

وقوله: ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: يعني يوم القيامة إذا بُعثوا. وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: ويعلمون أنهم إلى ربهم راجعون، فَيُنبئهم بأعمالهم، ويجزيهم عليها.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أولاد يعقوب ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على آبائكم من الإنجاء من فرعونَ، وفلقِ البحرِ، وتظليلِ الغمامِ، وغير ذلك؛ بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمَّدٍ ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عهدته إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ خافون في ترك الوفاء به دون غيري

---

(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٦٩٦)، و«نزهة الأعين النواظر» (ص٥٢٠).

(٢) قاله مقاتل بن حيان كما أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/ ١٠٣ رقم ٤٩٢).

(٣) قاله الضحاك. ينظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٥٣). وقال الطبري (١/ ٦٢٢-٦٢٣): «الخاضعين لطاعته، الخائفين سطواته، المصدقين بوعده ووعيده»، وقال: «وأصل الخشوع: التواضع والتذلل والاستكانة».

(٤) ينظر: «نزهة الأعين النواظر» (ص٤٢٥).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٦٢٣-٦٢٤).

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوَّة ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ من أهل الكتاب لأنَّ [مَن][1] خَلفَكم تَبَعٌ لكم فإثمُهم عليكم ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ التي في كتابكم من نعت محمَّدٍ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عوضًا يسيرًا من الدنيا؛ أي: لا تكتموها خوفَ فوات ما تأخذونه من سَفَلَتِكم ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ خافون في ذلك دون غيري. ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ تخلِطوا ﴿الْحَقَّ﴾ الذي أَنزلتُ عليكم ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تَفترونه[2] ﴿وَ﴾ لاَ ﴿تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نعت محمَّدٍ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ صلُّوا مع المصلِّين محمَّدٍ وأصحابه. ونزل فِي علمائهم وكانوا يقولون لأَقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمَّدٍ فإنه حقٌّ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمَّدٍ ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراةَ، وفيها الوعيدُ على مخالفة القول العملَ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سُوءَ فِعلكم فترجعون؟ فجملةُ النسيان محلُّ الاستفهام الإنكاري. ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ اطلبوا المعونةَ على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ أفردها بالذكر تعظيمًا لشأنها، وفي الحديث: ((**كَانَ ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ بَادَرَ إِلَى الصَّلَاةِ**))[3]. وقيل:

---

(١) زيادة من شيخنا، قال: لا يستقيم المعنى إلا بها، ولم نجدها في نسخ الجلالين المطبوعة.

(٢) كذا في طبعة دار السلام، وابن كثير وحاشية الصاوي وحاشية الجمل، وهي التي رجحها شيخنا، وفي نسخة قباوة: (تغيرونه).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩)، كلاهما من طريق يحيى بن زكريا، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة، عن حذيفة، قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر، صلى». وهذا إسناد رجاله ثقات غير محمد بن عبد الله الدؤلي وشيخه عبد العزيز بن أخي حذيفة، فهما مجهولان.
أما محمد بن عبد الله الدؤلي؛ فقد قال الذهبي في «الميزان» (٧٧٤٧): «ما أعلم روى عنه غير عكرمة بن عمار»، وقال الحافظ في «التقريب» (٦٠٤٢): «مقبول»، أي حيث يتابع وإلا فهو لين؛ بحسب اصطلاحه.

الخطابُ لليهود لَمَّا عاقَهم عن الإيمان الشَّرهُ وحُبُّ الرياسة فأُمروا بالصبرِ وهو الصوم؛ لأنهُ يكسرُ الشهوةَ، والصلاةَ؛ لأنها تُورثُ الخشوعَ وتنفي الكِبْرَ ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الصلاةُ ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلةٌ ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الساكنين إلى الطاعة ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فِي الْآخرة فيجازيهم.

وقولُ المؤلِّف: (**أولاد يعقوب**): في هذا بيانُ المراد بإسرائيل أنه نبيُّ اللهِ يعقوب، ومعنى إسرائيل: عبد الله[1]؛ كإسماعيل وجبرائيل.

وقولُه: (**أي: على آبائكم من الإنجاء من فرعونَ، وفلقِ البحرِ، وتظليلِ الغمامِ، وغير ذلك؛ بأن تشكروها بطاعتي**): لأنَّ الإنعامَ على الآباء إنعامٌ على الذريَّةِ؛ كما قال تعالى عن العبد الشاكر[2] في دعائه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وأخبر عن نبي الله سليمانَ بمثل ذلك؛ لذلك أمر اللهُ بني إسرائيل أن يذكروا ما أنعم الله به على آبائهم ممَّا قصَّه تعالى في هذه الآيات التالية، ومن نِعم الله على بني إسرائيل ما ذَكَّر به موسى قومَه إذ قال: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٠].

وأما عبد العزيز بن أخي حذيفة؛ فقد روى عنه حميد بن زياد اليمامي، وذكره ابن حبان والعجلي في ثقاتهما. **ينظر**: على التوالي (٤١٦١)، و(١٠١٩).

والحديث حسنه الحافظ في «الفتح» (٣/ ١٧٢)، والألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١١٩٢).

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٥٩٣).

(٢) قيل: هو أبو بكر الصديق، وروي ذلك عن ابن عباس وجماعة، وقيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقيل: هي عام في جنس الإنسان. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٤١)، و«زاد المسير» (٤/ ١٠٧).

وقولُه: (**الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمَّدٍ**)، وقولُه: (**الذي عهدته إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة**): العهدُ اسمُ مصدرٍ مُضاف إلى مفعوله في الجملتين؛ فيكون التقدير في الجملة الأولى: أوفوا بعهدي الذي أخذتُه عليكم؛ فيدخل في ذلك كلُّ ما أخذه اللهُ على بني إسرائيل من المواثيق؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ...﴾ الآية [البقرة: ٨٣]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ...﴾ الآية [آل عمران: ٨١].

والتقدير في الجملة الثانية: أوفي بعهدكم الذين عهدته إليكم؛ فيدخلُ في ذلك كلُّ ما وعدَ اللهُ به بني إسرائيل من الثواب العاجل والآجل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ الآية [المائدة: ١٢].

وقولُه: (**خافون في ترك الوفاء به دون غيري**): الرهبةُ: خوفٌ مع الفرار من المخوف[1]، لكنَّ اللهَ الفرارُ منه إليه، والضمير المنصوب «إياي»: مفعولٌ به

---

(١) **ينظر**: «المفردات» (ص٣٦٦)، قال ابن القيم: «الرهبة هي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه، وبين الرهب والهرب تناسب في اللفظ والمعنى، يجمعهما الاشتقاق الأوسط الذي هو عقد تقاليب الكلمة على معنى جامع» «مدارج السالكين» (٢/ ١٨١).

مقدَّم لدلالة على القصر، ولهذا قال المؤلِّف: (**دون غيري**)، وقد يكون مفعولٌ به لفعلٍ محذوفٍ يُفسِّرُه ما بعدَه، فيكون من باب الاشتغال[١].

وقولُه: (**من القرآن**): بيانٌ للمراد من المنزَّل أنه القرآنُ المنزَّلُ على محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الأمر تأكيدٌ لِمَا تضمَّنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾؛ لأنَّ الإيمانَ بالرسول والقرآن ممَّا أخذَ اللهُ به الميثاقَ على بني إسرائيل.

وقولُه: (**من التوراة...**) إلى آخره: بيانٌ للمراد بما معهم، وأنَّ القرآن شاهدٌ للتوراة بأنها منزلة من عند الله، وبموافقتها فيما دلَّت عليه من توحيد الله وصدق رسله، وإن كان ناسخٌ لبعض ما فيها من الشرائع.

وقولُه: (**من أهل الكتاب...**) إلى آخره: يريد أنَّ قوله: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي: من أهل الكتاب؛ لأنه قد كفر به قبل ذلك المشركون من أهل مكةَ وغيرهم، فهم أوَّل كافرٍ به مطلقًا[٢].

وقولُه: (**خوفَ فوات ما تَأخذونه من سَفَلتِكم**): السفلةُ: هم لؤماءُ الناسِ وغوغاؤهم، وهم الفَسَقةُ الخبثاءُ اللؤماء[٣].

وقولُه: (**في ذلك**): يريد فيما نُهوا عنه؛ في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾.

وقولُه: (**دون غيري**): ينبِّه إلى ما في الآية من القَصْر؛ لتقديم المفعول: إياي.

وقولُه: (**الذي أنزلتُ عليكم**): أسند فعلَ الإنزالِ إلى المتكلِّم؛ لأنَّ الآية خطابٌ من الله لعلماء أهل الكتاب، وفي تفسير «الباطل» قال: الذي تفترونه.

---

(١) الاشتغال: أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل قد عمل في ضمير ذلك الاسم أو في سببيِّه، وهو المضاف إلى ضمير الاسم السابق، فمثال المشتغل بالضمير: زيدًا ضربته، وزيدًا مررت به. ومثال المشتغل بالسببي: زيدًا ضربت غلامه. **ينظر**: «شرح التسهيل» (٢/ ١٣٦)، و«شرح ابن عقيل على الألفية» (٢/ ١٢٩).

(٢) **ينظر**: «المحرر الوجيز» (١/ ١٩٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٤٣).

(٣) **ينظر**: «لسان العرب» (١١/ ٣٣٧).

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ما كتبتموه هو الحقُّ، ولذا قال المؤلِّفُ في تفسير الحقِّ الذي كتموه: هو نعتُ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: (**أنه الحق**)؛ أي: وأنتم تعلمون أنَّ ما كتمتموه من نعتِ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحق، وجملة: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حال.

وقول المؤلِّف في تفسير البر أنَّه الإيمانُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يقتضي أنَّ من علماء اليهود مَن يأمرُ العامَّةَ بالإيمان بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو لم يؤمنْ به، وهذا لا يُستَبعدُ، ولكنَّ البرَّ في الآية أعمُّ ممَّا ذكرَه المؤلِّفُ[1].

وقوله في الكتاب أنه التوراة: صحيحٌ، ولا يحتملُ الكتابُ غيرَ التوراةِ؛ لأنَّ الخطابَ لعلماء بني إسرائيل.

وقولُه: (**فترجعون**): أي عن سوء فعلِكم.

وقولُه: (**فجملة النسيان**): يريد قولَه تعالى: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾.

وقولُه: (**محل الاستفهام الإنكاري**): يريد أنَّ الاستفهامَ الإنكاري في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾.

وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يتعلَّقُ بقوله سبحانه عنهم: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ لا بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾، فالأمرُ بالبرِّ خيرٌ وفعلٌ لواجبٍ كما تقدَّم بيانُه.

وقولُه: (**اطلبوا المعونة على أموركم**): هذا تفسير قوله: ﴿اسْتَعِينُوا﴾؛ لأنَّ السين والتاء تدلان على الطلب؛ مثل: استغفروا؛ أي: اطلبوا المغفرة.

وقولُه: (**الحبس للنفس على ما تكره**): تفسيرٌ للصبر، وهو يشملُ أنواعَ الصبر الثلاثة:

---

(١) وهو قول السدي وقتادة وابن جريج، واختاره: الطبري وابن كثير. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٦١٣-٦١٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٤٦).

- الصبرُ على المصائب.
- والصبرُ عن المعاصي.
- والصبرُ على طاعة الله.
- وقد فسَّرَ بعضُ السَّلفِ الصبرَ في هذه الآية بالصوم[١].

وقولُه: (**أفردها بالذكر**): أي الصلاة، يريد: خصَّها بالذكر من بين الفرائض والعبادات؛ إظهارًا لفضلها.

وقولُه: (**وفي الحديث**...) إلى آخره: رواه أبو داود وأحمد وابن جرير، ومعنى: «حزبه أمر» أي: نزل به أمرٌ مهم[٢].

وقولُه: (**وقيل: الخطابُ لليهود**...) إلى آخره: هذا يوافقُ اختيارَ ابن جرير كما سبق.



(١) روي ذلك عن مجاهد كما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٠٢، رقم ٤٨٠).
(٢) **ينظر**: «النهاية» (١/ ٣٧٧).

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ [البقرة: ٤٧]:

هذه الآيةُ نظيرُ الآية المتقدِّمة من حيث المخاطَب، والمقصودُ بالخطاب هو التذكيرُ بنِعم الله، وتقدَّمَ أنَّ المراد بإسرائيلَ: نبيُّ الله يعقوب[١].

وقوله: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾: أي نعمي التي أنعمتُ عليكم وعلى آبائكم، واشكروها بالإيمان بمحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتِّباعِه.

وقوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ المعنى: واذكروا أني فضَّلتُكم على العالمين، وتفضيلهم على العالمين هي إحدى نِعَمِه العظيمة عليهم؛ فَعطْفُ هذه النِّعمة على ما قَبلها من عَطْفِ الخاصِّ على العام[٢].

وقوله: ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾: أي عالَم زمانِهم فلا يكونون أفضل من أمَّة محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣]، وأعاد في هذه الآية الخطابَ لبني إسرائيل، والأمر بذكر نعمه تأكيدًا، ولأمرهم باتِّقاء اليوم الذي لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا، ولِتذكيرهم بالنِّعمِ التي أنعمَ اللهُ بها على آبائهم؛ كما في الآيات من قوله: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم﴾.



(١) ينظر: (ص١٠٦).
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (١/ ٣٠٥)، و«تفسير أبي السعود» (١/ ٩٨).
(٣) وهو قول قتادة وأبي العالية ومجاهد وابن زيد، وذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٤٨)، وقال: «وهو من العام الذي أريد به الخاص». ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٦٢٩-٦٣٠)، و«التفسير البسيط» (٢/ ٤٦٧).

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة: ٤٨]:

﴿وَٱتَّقُواْ﴾: أي اتخذوا وقايةً من الإيمان والعملِ الصالح تَقيكم شرَّ ذلك اليوم.

﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾: أي لا يُغني أحدٌ عن أحدٍ، ولا تكون نفسٌ فداءً عن نفسٍ، ولو كان أقربَ قريب؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا﴾.

﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾: أي ولو وُجدَ شافعٌ لم تُقبل شفاعتُه، ولكن ليس هناك من يشفع للظالمين؛ أي المشركين؛ كما قال تعالى عن الكفار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١].

﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾: أي فداء؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠][1].

﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾: أي ليس لهم مَن ينصرُهم، ويُنجيهم من عذاب الله.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم. ﴿وَاتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ هو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ أي ليس لها شفاعة فتقبل ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شافعين﴾. ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يُمنعون من عذاب الله.

(١) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٤٨).

وقولُ المؤلِّف: (**فيه**): الضميرُ يعود لليوم، ولا بُدَّ من هذا التقدير؛ لأنَّ الجملة صفةٌ ليومٍ فلا بُدَّ لها من رابط.

وقولُه: (**بالتاء والياء**): يُشير إلى أنَّ فيها قراءتين: ﴿تُقْبَلُ﴾ و﴿يُقْبَلُ﴾[1].

وقولُه: (**ليس لها شفاعةٌ فتُقبل**): أراد به دفعَ توهُّم أنَّ للكفار مَن يشفعُ لهم، ولكن شفاعتُهم لا تُقبل.

وقولُه: (**فداء**): هذا تفسيرُ ﴿عَدْلٌ﴾، والمرادُ به: ما تقدِّمه النفسُ لتفتدي من العذاب لو أمكنها ذلك.



(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير ويعقوب: ﴿تُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ بالتاء، والباقون بالياء. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة: ٤٩-٥٠]:

هذا شُروعٌ في ذِكر نِعَمه على بني إسرائيل التي أمرهم بذكرها، مع التذكير بما جرى منهم من السَّيئات، وما جرى عليهم من الابتلاءات، وأولُ هذه النِّعم نجاتُهم من آل فرعون الذين كانوا يُعذِّبونهم، ومن عذابهم ذبحُ أَبنائهم، واستبقاء نسائهم للخدمة، وفيما جرى عليهم من التعذيب، وما جرى لهم من النَّجاة ابتلاءٌ عظيمٌ، وهذا ما تضمَّنَه قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ...﴾ الآية، فـ «إذْ»: ظرفٌ يدلُّ على الزمن الماضي، وهو مُتعلِّقٌ بفعلٍ محذوفٍ تقديره: اذكروا حين نجيناكم؛ كما قدَّره المؤلِّف، و«آل فرعون»: هم فرعون وقومه.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: يعني يُذيقونكم أشدَّ العذاب؛ كما قال المؤلِّف، وجملة: يسومونكم: في موضع نصب على الحال من الضمير في نجيناكم؛ على ما ذكر المؤلِّف، ويُحتملُ أن تكون حالًا من آل فرعون(١).

وقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: تفصيلٌ وبيانٌ لنوع العذاب.

وقوله: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾: اسمُ الإشارة راجعٌ إلى العذاب أو الإنجاء كما ذكر المؤلِّف، ويُحتملُ أن يعودَ إلى مجموع الأمرين(٢)، فإنَّ كُلًّا من الأمرين بلاء؛ أي: ابتلاء من الله، والابتلاءُ يكون بالنِّعم، ويكون بالمصائب؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ويُطلَقُ البلاءُ على ما به الابتلاء

(١) **ينظر**: «البحر المحيط» (١/ ٣١٢)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٤٩٢).

(٢) واختار الوجهين: الواحدي، والراغب الأصبهاني، وابن عطية، والشنقيطي. **ينظر**: «التفسير البسيط» (٢/ ٥٠٥-٥٠٧)، و«تفسير الراغب» (١/ ١٨٦)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٠٧)، و«العذب النمير» (١/ ٧٣-٧٤).

من النِّعم والمصائب، وذلك من باب التسميةِ بالمصدر أو اسم المصدر؛ فإنَّ البلاءَ اسمُ مصدرٍ، ومن أعظم النِّعم عليهم فلْقُ البحرِ لهم، وجعلُه يبسًا، وطرقًا يسلكونها آمنين، ومن نِعمِه إغراقُ عدوِّهم فرعونَ وقومه، وهم ينظرون إليهم؛ كما دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾: الواو عاطفة، وإذ ظرف مُتعلِّقٌ بـ ﴿ٱذْكُرُوا﴾، و﴿فَرَقْنَا﴾: أي فلقنا البحرَ حتى صار الماءُ فِرقين، كل فرقٍ كالطود العظيم، وبينهما طرقٌ يبسٌ لا يخافون دَرَكًا، ولا يخشون غرقًا. وقوله تعالى: ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ﴾: الباءُ سببية؛ المعنى: فرقنا البحر بسببكم لنجاتكم، ومن تمام نعمتِه عليكم إغراقُ فرعون وآله، و﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إليهم وهم يغرقون، فجمعَ اللهُ لهم بين نعمتين: نجاتهم، وهلاك عدوهم وقد غَشِيَهم من اليمِّ ما غَشِيهم.

﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ أي: آباءكم، والخطابُ به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم اللهُ على آبائهم تذكيرًا لهم بِنَعم الله ليؤمنوا ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يُذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشدّهُ، والجملة حال من ضمير نجيناكم ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بيانٌ لِمَا قبله ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يَستبْقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لقول بعضِ الكهنةِ له: إنَّ مولودًا يُولدُ في بني إسرائيل يكون سببًا لذهاب ملكك ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ العذابُ أو الإنجاءُ ﴿بَلَاءٌ﴾ ابتلاءٌ أو إنعامٌ ﴿مِنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾ فَلَقْنا ﴿بِكُمْ﴾ بسببكم ﴿الْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوِّكم ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَأَنْتُم تَنْظُرُونَ﴾ إلى انطباق البحر عليهم.

وقولُ المؤلِّف: (**المولودين**): يُشير إلى أنهم يذبحونهم صغارًا رُضَّعًا، ولهذا كان موسى رضيعًا حين ألقته أمُّه في التابوت.

وقولُه: (**لقولِ بعض الكهنة...**) إلى آخره: يُشير إلى سبب ذبحِ فرعون وقومِه أبناءَ بني إسرائيل(١)، وهذا خبرٌ إسرائيليٌّ لا يُقطَعُ به؛ لأنه يُحتمل أنَّ السبب غيرُ ذلك.

وقولُه: (**ابتلاءٌ أو إنعامٌ**): فيه المقابلةُ بين الابتلاء والإنعام، وهو مبنيٌّ على أنَّ أكثر ما يُطلَقُ البلاءُ على المصائب، وإلَّا فالابتلاءُ يكون بالخير والشر؛ كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨]؛ أي: النِّعم والمصائب.



(١) تنظر هذه الآثار في: «تفسير الطبري» (١/ ٦٤٦-٦٤٩)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٠٥-١٠٦ رقم ٥٠٥-٥٠٦).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾ [البقرة: ٥١-٥٣]:

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾ الواو عاطفة، و«إِذْ»: ظرفٌ مُتعلِّقٌ بـ«اذكروا»، واعدَ اللهُ موسى أن يأتيه عند جبل سيناء على رأس أربعينَ ليلةٍ، وقد واعده ثلاثينَ ليلة ثمَّ أتمَّها بعشرٍ؛ فتمَّ ميقاتُ ربِّه أربعينَ، ثم لـمَّا ذهب موسى لميقات ربِّه، صنع السامريُّ لبني إسرائيلَ عِجلًا من الحُلي الذي كان معهم، وقال لهم: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨]، فأطاعوه وعكفوا عليه، وأنكر عليهم نبيُّ الله هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فأبوا أن يتركوا العكوفَ على العجل الذي اتخذوه إلهًا، وقد فصَّلَ اللهُ قصةَ العجل في سورة الأعراف(١) وسورة طه(٢)، وأشار اللهُ إلى ذلك في هذه الآية؛ فقال: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١﴾، وأصلُ الظلم: وضعُ الشيء في غير موضعه(٣).

وفي هذه الآية تذكيرٌ للموجودين من بني إسرائيل بقبيحِ ما صنعه أسلافُهم؛ تحذيرًا لهم من أن يركبوا طريقَهم بعصيان هذا الرسول محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما عصى آباؤهم موسى رسولَ الله إليهم، وفي هذا المقام يُذكِّرهم بنعمتين أنعم اللهُ بهما على مَن قبلهم:

أُولاهما: عفوه تعالى عن الذين تابوا من عبادة العجل.

والنعمةُ الثانية: ما آتى اللهُ موسى من الكتاب، وهو التوراة، وفيها الفرقان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾، فدخل مضمونُ هاتين

(١) آية رقم (١٤٨) فما بعدها.

(٢) آية رقم (٨٥) فما بعدها.

(٣) ينظر: «لسان العرب» (١٢/ ٣٧٣).

الآيتين في عِداد النِّعم التي أمرَ اللهُ بني إسرائيلَ بذكرِها وشكرِها، وبيَّن تعالى في الآيتين حكمتَه من العفو، ومن إيتاء الكتابِ، وكلُّ هذه الخطابات في الآيات السابقة واللاحقة هي خطاباتٌ لليهود الذين كانوا حولَ المدينة؛ لأنهم من بني إسرائيل.

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا﴾ بألفٍ ودونها ﴿مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه عند انقضائِها التوراة لتعملوا بها ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ الذي صاغه لكم السامريُّ إلهًا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذه لوضعِكم العبادةَ في غير محلّها ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ محونا ذنوبَكم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا عليكم ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراةَ ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عطفُ تفسيرٍ؛ أي: الفارق بين الحقِّ والباطل، والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال.

وقولُ المؤلِّف: (**بألفٍ ودونها**): إشارةٌ إلى أنَّ فيها قراءتين: ﴿وَاعَدْنَا﴾، و﴿وَعَدْنَا﴾[1].

وقولُه: (**نعطيه عند انقضائِها التوراة لتعملوا بها**): يُبيّنُ المؤلِّفُ بهذا أنَّ مواعدةَ اللهِ لموسى ليعطيه التوراة مكتوبةً في الألواح، يدلُّ لهذا قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۞ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ...﴾ الآيات. [الأعراف: ١٤٤].

(١) قرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر: ﴿وَعَدْنَا﴾ بغير ألف، وقرأ الباقون: ﴿وَاعَدْنَا﴾ بإثباتها. **ينظر**: «المبسوط في القراءات العشر» (ص١٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٢).

وقولُه: (**محونا ذنوبكم**): أي التي أَعظمُها: اتخاذُ العجل معبودًا؛ فاللهُ عفا عنهم وغفر لهم لَمَّا تابوا إليه، وجعل ذلك نعمةً يستحقُّ تعالى عليها الشكر، ولذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا﴾: إعرابُه كنظائره؛ أي: واذكروا حين آتينا موسى الكتابَ والفرقانَ. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: أي لتهتدوا بالإيمان بالكتاب؛ وهو التوراة، وتعملوا بما فيها.

وقولُه: (**عطف تفسير**...) إلى آخره: معناه أنَّ الفرقانَ هو التوراةُ؛ لأنها متضمِّنة للفرقان بين الحقِّ والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام[1]؛ كما ذكر المؤلِّف.



(١) وروي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد، واختاره الطبري. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٦٧٦-٦٧٨).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة: ٥٤]:

إنَّ أعظمَ عِصيانِ بني إسرائيل في عهد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اتخاذهم العجلَ إلهًا من بعد ما ذهب موسى لميعاد ربه، ولذا يذكر اللهُ بني إسرائيل الموجودين حول المدينةِ في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما صنعَهُ آباؤهم تحذيرًا لهم من أن يسلكوا طريقَهم في المعصية، وفي هذه الآية يُذكِّرُهم بدعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه ـ الذين اتخذوا العجلَ ـ إلى التوبة، مُبيِّنًا لهم أنهم ظلموا أنفسَهم أعظمَ الظلم؛ وهو الشرك، ومُبيّنٌ لهم ما شرعَ لهم طريقًا لصدق التوبة، واعتبار القتل لأنفسهم طريقًا للتوبة هو من الآصار[١] التي حُمِّلتْ عليهم، وذلك في قول موسى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾. ثم أخبر تعالى بتوبته عليهم مخاطبًا بذلك بني إسرائيل الموجودين حين نزول القرآن؛ فقال تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾، فهو على سننِ ما تقدَّم في الآيات من الخطابات: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ﴾، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ﴾، ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجلَ ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ خالقِكم من عبادته ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتلَ البريءُ منكم المجرمَ ﴿ذَلِكُمْ﴾ القتلُ ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ فوفقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابةً سوداءَ لئلّا

(١) الآصار جمع إصر، وهو العهد الثقيل. ينظر: «لسان العرب» (٤/ ٢٢).

يبصرَ بعضكم بعضًا فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفًا ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبِلَ توبتكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (**إلهًا**): تقديرٌ للمفعول الثاني للمصدر المضاف إلى فاعله، وهو: «اتخاذكم»، والمفعولُ الأول: العجلُ؛ لأنَّ «اتخذ» ينصبُ مفعولين.

وقولُه: (**وأرسل عليكم سحابةً سوداء...**) إلى آخره[1]: هذا من أخبار أهلِ الكتاب التي لا تُصدَّقُ ولا تُكذَّبُ، لكنْ أصلُ القصة ثابتُ في القرآن، كما في هذه الآية.

وقولُه: (**قبل توبتكم**): التوبةُ من الله تأتي لمعنيين[2]:

أحدهما: توفيقُ العبدِ للتوبة، وهذه قد تُقيَّدُ بالمشيئة؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾.

والثاني: قبولها؛ ولهذا قال المؤلِّف: (**﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبِلَ توبتكم**).

وجملة: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾: مستأنفة للتعليل، ولا محل لها من الأعراب.



(١) **تنظر تلك الروايات في**: «تفسير الطبري» (١/ ٦٧٩-٦٨٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١١٠).

(٢) **ينظر**: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص٦٢)، و«مدارج السالكين» (١/ ٤٨١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: ٥٥-٥٧]:

قول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾: الواو عاطفةٌ، و«إذ» ظرفٌ يدلُّ على الزمن الماضي، والتقدير: اذكروا حين قلتم، وفي هذا تذكيرٌ لبني إسرائيل بما صدر من آبائهم من القول القبيح: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، فأخذتهم الصَّاعقةُ فماتوا، ثم بعثهم اللهُ من بعد موتهم، وفي الآيتين تذكيرٌ لبني إسرائيل الموجودين بسيئةٍ من سيّئات أَسلافهم، وعقوبةِ اللهِ لهم، ثم الإنعامِ عليهم ببعثهم بعد موتهم بالصاعقة، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ...﴾ الآية: هذا امتنانٌ من الله على بني إسرائيل الذريَّة الموجودين في عهد النبوة بما أَنعم به على آبائهم من تظليلهم بالغمام وقايةً لهم من حرِّ الشمس، وإنزالِ المنِّ والسَّلوى عليهم، وهما من أطيب الطعام؛ فالمنّ: نوعٌ من الحلوى[2]، والسَّلوى: نوعٌ من الطيور الناعمة يقال له: السُّمَانَى[3]؛ كما ذكر المؤلِّف. ثم أخبر تعالى أنه قال لبني إسرائيل الذين أنزل عليهم المنَّ والسَّلوى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، والأمرُ أمرُ إباحةٍ وامتنانٍ[4]، ونهاهم عن الطغيان؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [طه: ٨١]، ولكنهم عصوا، ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي: ما ظلموا اللهَ بمعصيته، ولكن ظلموا أنفسهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٦٨٨).

(٢) **ينظر الخلاف في**: «تفسير الطبري» (١/ ٧٠٠-٧٠٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٢٠).

(٣) هو قول الضحاك والشعبي ورواية عن ابن عباس، وقيل: يشبه السماني. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٧٠٤-٧٠٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ١٥٩٢-١٥٩٣).

(٤) **ينظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٧٣).

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامَه ﴿يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانًا ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الصيحةُ، فمتم ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ما حل بكم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا بذلك.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس فِي التيه ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ هما الترنجبين والطير السُّمَانَى ـبتخفيف الميم والقصرـ وقلنا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدَّخروا، فكفروا النِّعمةَ وادَّخروا، فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأنَّ وَبَاله عليهم.

وقولُ المؤلِّف: (وقد خرجتم مع موسى): يُبيِّن بهذا أنَّ الذين قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾؛ هم الذين حضروا مع موسى لميقات ربه، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥][(١)].

وقولُه: (لتعتذروا إلى الله من عبادةِ العجلِ): يقتضي أنَّ موسى جاء لميقات ربِّه مرَّتين؛ مرَّةً قبل عبادةِ قومِهِ للعجل، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]، ومرَّةً بعد اتخاذهم العجلَ، وهو المذكور في قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا...﴾ الآيات، ففي المجيءِ الأوَّلِ كلَّمه ربُّه، وطلبَ موسى النظرَ إليه، وتجلَّى اللهُ للجبل، وخرَّ موسى صعقًا، وأعطاه اللهُ التوراةَ، وأخبره اللهُ بفتنةِ بني إسرائيل بالعجل، وإضلالِ السَّامري لهم؛ كما في قوله:

---

(١) قاله ابن مسعود وابن عباس، ولم يحك كثير من المفسرين سواه. ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٢١٦)، و«زاد المسير» (١/ ٦٧)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦٥).

﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥]. والظاهرُ أنه لم يكن معه أحدٌ من قومه في هذه المرَّةِ، ولكنَّ اللهَ قد واعدَ بني إسرائيل أن يأتوا مع موسى لجانب الطور؛ كما قال تعالى: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ [طه: ٨٠]، فتقدَّمهم موسى عَجِلًا إلى ربِّه، وكانوا على أَثَره؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٣-٨٤]، ولكنهم تخلَّفوا وأَخلفوا الموعدَ لِمَا ابتلوا به من اتخاذ العجلِ إلهًا بإضلال السامريِّ لهم، فرجع موسى إلى قومه غضبانَ أسفًا، ومعه الألواحُ فيها التوراةُ؛ فذكَّرهم بمواعدة الله لهم، وأنكر عليهم إخلافَهم الموعد، واتخاذهم العجل إلهًا، وعاتبَ أخاه هارونَ وأنكر عليه إذ لم يتبعه حين ضلَّ قومُه كما في سورة طه.

وفي المرَّةِ الثانية كان معه سبعون رجلًا من قومه، وهم الذين اختارهم من قومه لميقات ربِّه، وليس في هذه المرَّةِ طلب النظر من موسى، ولا تجلٍّ، ولكن الذين معه طلبوا أنْ يُريهم اللهَ جهرةً، وهم الذين قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، فأخذتهم الصاعقةُ فماتوا ثم بعثهم اللهُ، وفصَّل اللهُ ذلك في هاتين الآيتين. والصاعقةُ: صيحةٌ عظيمةٌ، وهي الرجفةُ المذكورة في قوله: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾، وسُمِّيت الصاعقةُ رجفةً؛ لأنها تُحدِثُ رجفانًا في الأرض؛ أي: زلزلةً[١]، كما سمَّى اللهُ صيحةَ ثمودٍ وصيحةَ مدين رجفةً في سورة الأعراف والعنكبوت، والله أعلم.

وأمَّا قولُ المؤلِّف: **(وسمعتم كلامَه)**: فليس في الآيات تصريحٌ بذلك، ولكنه وردَ في الآثار المرويَّة في تفسير الآية[٢]؛ فظهرَ ممَّا تقدَّم أنَّ اللهَ كلَّم موسى ثلاث مرات:

---

(١) **ينظر**: «لسان العرب» (١٠/ ١٩٨).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٢٩٣-٢٩٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (رقم ٥٣٦، ٥٣٩).

■ الأولى: عند إرساله كما ذكر ذلك مفصَّلًا في طه والنمل والقصص، وأُشير إليه في سُورٍ أخرى.

■ الثانية: تكليمُه في مجيئه الأول، وهو المذكور في سورة الأعراف؛ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾ الآية [الأعراف: ١٤٣-١٤٥]، وهو المشار إليه كذلك في قوله: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٣-٨٥].

■ الثالثة: تكليمُه في مجيئه الثاني، وهو المشار إليه في قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، هذا القولُ من سيئات بني إسرائيل، وتعنتاتهم، وقد ذمَّهم اللهُ بذلك وعاقبهم بأخذ الصاعقة لهم حتى ماتوا ثم بعثهم ليشكروه، ويتوب إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، فجعل تعالى بَعْثَهم بعد موتِهم نعمةً يستحقُّ عليها الشكرَ، فإنهم إذا بعثوا أَمكنهم أن يتوبوا، ولهذا قال موسى في دعائه بعدما أخذتهم الرجفة: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ أي: تُبنا إليك[(١)].

وقولُه: (**ما حل بكم**): هذا تقديرُ المفعول به لتنظرون، وهو يدلُّ على أنَّ أخذَ الصاعقةِ لهم في حال يقظتهم، وهو أبلغُ في إحداث الرعبِ والفزعِ.

---

(١) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص١٧٣)، و«المفردات» للراغب (ص٨٤٧).

وقولُه: (ستَرناكم بالسَّحاب الرقيق من حرِّ الشمس): فسَّر ﴿ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ﴾: بـ«سترناكم»، وهذا بعضُ معنى الكلمة، وقد عُدِّي الفعلُ بـ«على»، فهو مُضمَّنٌ معنى جعلنا الغمام عليكم؛ أي: من فوقكم يَقِيكم حرَّ الشمس، وفسَّرَ الغمامَ بالسحاب الرقيق، إذًا هو نوعٌ من السحاب، فالسحابُ يكون رقيقًا وغليظًا.

وقولُه: (فِي التيه): يُبيِّن بذلك أن تظليلَهم بالغمام وإنزالَ المنِّ والسَّلوى عليهم كان في زمن التيه، وهو مدة أربعين سنة كما في آية المائدةِ، هذا هو المشهورُ[1]، ويظهر أنه قد حصل لهم أيضًا قبل التيه بعد أن نجاهم اللهُ من عدوهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾، والظاهرُ أنَّ هذا خطابٌ لبني إسرائيل الذين كانوا مع موسى بعد نجاتهم، ومجاوزتهم البحر، فتكون نظيرَ قوله تعالى عن موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾.

وعلى هذا فالخطاب في آية «طه» وآية «إبراهيم» لبني إسرائيل الموجودين في عهد موسى، وتُشبههما آية الأعراف: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾ الآية، وذلك بخلاف ما في سورة البقرة؛ فإنه خطابٌ لبني إسرائيل الموجودين في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تذكيرًا لهم بِنَعم الله على أسلافهم، وتحذيرًا لهم ممَّا وقع من أسلافهم من أنواع الظلم والعصيان.

---

(١) قال ابن عباس: «ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام»، وروي عن ابن عمر، والربيع بن أنس، وأبي مجلز، والضحاك، والسدي، وقتادة؛ نحو قول ابن عباس. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٦٩٩) (١/ ٧٠٦-٧١٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١١٣)، و«التفسير البسيط» (٢/ ٥٤٦).

فعُلِمَ ممَّا تقدَّم أنَّ الخطابَ في أوَّل هذه الآية: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ لبني إسرائيلَ الذرية الموجودين في عهد النبي ﷺ، وهم: اليهود، والخطاب في قوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ لبني إسرائيل الأسلاف الذين أنزلَ عليهم المنَّ والسَّلوى، ويؤيد هذا التفصيلَ أنَّ سورةَ البقرة مدنيةٌ، وكثيرٌ من آياتها الخطابُ فيها لليهود الذين كانوا حولَ المدينة، وأمَّا سورةُ «الأعراف»، و«طه»، و«إبراهيم»، فهي سُورٌ مكيةٌ، وأكثر ما فيها أخبارٌ عن بني إسرائيل في عهد موسى.

وقولُه: (**فيه**): أي في التيه.

وقولُه: (**الترنجبين**): نوعٌ من الطلِّ حلوٌ يجدونه على الشجر[١].

وقولُه: (**وقلنا**): يفيد أنَّ قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: مقولُ قولٍ مُقدَّرٍ حُذِفَ لدلالة الكلام عليه، والجملةُ خبرٌ مُستأنفٌ معطوفٌ على ما قبله من الأفعال: وظللنا، وأنزلنا.

وقولُه: (**ولا تدخروا...**)، إلى قوله: (**فقطع عنهم**): هذا من التفسير بالمأثور، وإذا صحَّ أنهم قد نُهوا عن الادِّخار؛ فالادخارُ يكون من الطغيان الذي نُهوا عنه في قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ [طه: ٨١][٢].

وقولُه: (**بذلك**): أي بمخالفتهم أمرَ الله ونهيَه.

وقولُه: (**لأنَّ وباله عليهم**): يريد أنَّ معصيتهم لله ظلمٌ لأنفسهم؛ لأنَّ شرَّ المعصية واقعٌ عليهم، ولن يضرُّوا اللهَ شيئًا.



---

(١) الترنجبين: طل يقع من السماء وهو ندى شبيه بالعسل جامد متحبب. **ينظر**: «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار (١/ ١٨٧).

(٢) لم نجد خبرًا مسندًا، وذكر بعض المفسرين حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، نحوه؛ يعني: ((لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها))، أخرجه البخاري (٣٣٣٠)، ومسلم (١٤٧٠). **ينظر**: «التفسير البسيط» (٢/ ٥٥١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٢٠-٢٢١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة: ٥٨]:

القول في هذا الظرفِ «إذ» والجملةِ المضافِ إليها؛ كالقول في نظائرِه فيما تقدَّم من الآيات وفيما يأتي، فالتقديرُ: اذكروا وقتَ قلنا لآبائكم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، وهي بيتُ المقدسِ[1]، وهي الأرضُ المقدَّسةُ المذكورةُ في سورة المائدة، وكانت كثيرةَ الخيرات من أنواع الفواكه والثمار، ولهذا قال: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾؛ أي: رزقًا واسعًا هنيئًا[2].

﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾: أي باب القرية.

﴿سُجَّدًا﴾: أي رُكَّعًا خضوعًا لله.

﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾: أي مسألتنا حطة؛ المعنى: أن تحطَّ عنا خطايانا.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: وعدٌ لهم بمغفرة ذنوبهم إذا استغفروا الله، وسألوه أن يحطَّ عنهم الخطايا. ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾: بفعل الأعمالِ الصالحةِ الخالصةِ لله الموافقةِ لشرعه، والمحسنين إلى عباده، وهذا وعدٌ بالزيادة على المغفرة يزيدهم أجرًا عظيمًا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد خروجهم من التيه: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيتَ المقدس أو أريحا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعًا لا حَجْر فيه ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي: بابها ﴿سُجَّدًا﴾ مُنحنينَ ﴿وَقُولُوا﴾: مسألتنا

(١) وهو قول قتادة والسدي والربيع بن أنس، واختاره الطبري وابن كثير. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٧١٢-٧١٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١١٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٧٣).

(٢) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٤٦)، و«المفردات» للراغب (ص٣٥٨).

﴿حِطَّةٌ﴾ أي: أن تحطَّ عنَّا خطايانا ﴿نَغْفِرْ﴾ وفِي قراءة بالياء وبالتاء مبنيًا للمفعول فيهما ﴿لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا.

وقولُ المؤلِّف: (**لهم**): المناسب «لكم» بصيغة الخطاب؛ ليتفق مع سياق الآية السابقة وما قبلها.

وقولُه: (**بعد خروجهم من التيه**): أي الذي أصابهم يوم حُرِّمَ عليهم دخول القرية أربعين سنة بعد أنْ أُمروا بدخولها، فعصوا، كما في سورة المائدةِ، فلمَّا انقضتِ المدةُ، وخلصوا من التيه، غزا بهم نبيُّهم فقاتلَ الكفرة الجبارين فأظهره اللهُ عليهم، ثم قيل لبني إسرائيل بعد الفتح: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ...﴾ الآية، وأُمروا عند دخولها بقولٍ وفعلٍ؛ أن يدخلوا بابَ القريةَ سجدًا، وأن يقولوا: ﴿حِطَّة﴾.

وقولُه: (**منحنين**): يُبيِّنُ أنه ليس المرادُ بالسجود السجودَ على الجبهة على الأرض، بل الركوع؛ لأنه لا يمكن الدخول بهيئة السجود؛ بل بهيئة الركوع[(١)].

وقولُه: (**مسألتنا**): يُبيِّن أنَّ ﴿حِطَّةٌ﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ تقديرُه: مسألتنا.

وقولُه: (**أن تحطَّ عنَّا خطايانا**): تفسيرٌ لقوله: ﴿حِطَّةٌ﴾، وحطّ الخطايا بالمغفرة.

وقولُه: (**وفي قراءة...**) إلى آخره: أفاد أنَّ في هذه الكلمة ثلاثُ قراءاتٍ؛ بالنون مبني للمعلوم ﴿نَغْفِرْ﴾، وهي قراءةُ الجمهور، وبالتاء والياء مبني للمفعول ﴿تُغْفَرْ﴾، و﴿يُغْفَرْ﴾[(٢)].

---

(١) وهو قول ابن عباس واختاره الطبري. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٧١٤).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿نَغْفِر لَكُمْ﴾ بالنون، وقرأ نافع وأبو جعفر: ﴿يُغفَر لَكُمْ﴾ بالياء مرفوعة على ما لم يسم فاعله، وقرأ ابن عامر: ﴿تُغْفَر لَكُمْ﴾ مضمومة التاء. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٥٧)، والنشر (٢/ ٢١٥).

وقولُه: (ثوابًا): هو المفعول الثاني لـ«نزيد»، والمفعول الأول ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾، وقد ذكر المفسرون والمؤرِّخون أنَّ موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ماتا في التيه، وخلفهما على بني إسرائيل يوشعُ بن نون[١]؛ وهو الذي فُتحت قريةُ بيت المقدس على يديه، كما جاء في السنَّة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ يوشعَ بن نون لَمَّا أشرف على فتح القرية وقتَ صلاةِ العصر، وخشي أن تغربَ الشمس؛ دعا اللهَ أن يحبسها عليهم ليتمَّ الفتحَ قبل غروب الشمس[٢]، وعلى هذا فأمر بني إسرائيل بدخول القرية، ودخول الباب سجدًا، وأن يقولوا: ﴿حِطَّةٌ﴾. كلُّ هذا بعد فتح القرية، والمبلِّغُ لهم ذلك هو يوشعُ بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ.



(١) ينظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٤٣٢-٤٤٢)، و«الكامل» لابن الأثير (١/ ١٧٢-١٧٦)، و«البداية والنهاية» (٢/ ٢٢١-٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وورد التصريح باسمه في «المسند» (٨٣١٥)، و«شرح مشكل الآثار» (١٠٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦١٨). ينظر: «الصحيحة» (٢٠٢).

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾ [البقرة: ٥٩]:

يخبر تعالى في هذه الآية عن بني إسرائيل الذين قيل لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، وقيل لهم: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾، وقيل لهم: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾، وقد ظلموا أنفسَهم بمعصية الله؛ بدّل هؤلاء الظالمون من بني إسرائيل القولَ الذي قيل لهم قولًا غيره؛ كما جاء في الحديث المتفق عليه قال رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((قيل لبني إسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، فبدَّلوا، فدخلوا يزحفون على أَسْتاهِهم[١]، وقالوا: حبةٌ في شعرةٍ))[٢].

ثم أخبر تعالى أنَّه عاقبهم فأنزلَ عليهم رجزًا من السماء؛ أي عذابًا، قيل: إنه الطاعون[٣].

وقوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾: أي بسبب فِسقهم؛ أي: خروجهم عن طاعة الله بما ارتكبوه من التبديل، وفي الآية الأخرى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ۝١٦٢﴾ [الأعراف: ١٦٢].

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبةٌ في شعرةٍ، ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر مُبالغةٌ فِي تقبيح شأنهم ﴿رِجْزًا﴾ عذابًا

---

(١) أَسْتاهِهم: جمع است؛ وهي الدُّبر. **ينظر**: «النهاية» (٢/ ٤٢٩)، «لسان العرب» (١٣/ ٤٩٥).

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) وهو قول ابن زيد وابن جبير، وجاء عن النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل كما في «صحيح مسلم» (٢٢١٨). قال الطبري في تفسير الآية: «وجائز أن يكون ذلك طاعونًا، وجائز أن يكون غيره». **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٧٣٠)، و(١/ ٧٣١).

طاعونًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فِسقهم؛ أي: خروجهم عن الطاعة، فهلك منهم في ساعةٍ سبعون ألفًا أو أقل.

وقولُ المؤلِّف: (**فيه وضع الظاهر موضع المضمر**): يُريد أنَّ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ هم الذين تقدَّم ذكرُهم في قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، فالمناسبُ على هذا أن يقال: فأنزلنا عليهم، فكان ذِكْرهم بالاسم الموصول دون الضمير هو من قَبيل وضعِ الاسمِ الظاهرِ موضعَ المضمر، ويشهدُ لقول المؤلِّفِ قولُه تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ١٦٢].

وقولُه: (**فهلك منهم فِي ساعةٍ سبعون ألفًا أو أقل**): هذا ممَّا ذكره المفسرون[١]، وهو من الإسرائيليات؛ فالله أعلم.



(١) **ينظر**: «تفسير البغوي» (١/ ٩٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٢٥)، و«زاد المسير» (١/ ٧٠).

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ۝٦٠﴾ [البقرة: ٦٠]:

قوله: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ﴾: المعنى والتقدير: اذكروا حين استسقى موسى؛ كما في نظائره فيما سبق، و«إذ»: ظرفٌ يدلُّ على الزمن الماضي، و﴿ٱسۡتَسۡقَىٰ﴾: أي طلب موسى السُّقيا من الله تعالى، وذلك حين طلب منه بنو إسرائيل السُّقيا لَمَّا عطشوا في التِّيه، فأوحى الله إليه أن اضربْ بعصاكَ الحجرَ، فضربَه ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾، وجاء في الأعراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ﴾، والانبجاسُ: أقوى من الانفجار[1]، وجاءتِ العيونُ بعدد أسباطِ[2] بني إسرائيل؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَ...﴾ [سورة الأعراف: ١٦٠] الآية.

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡ﴾: أي كلُّ سِبطٍ من بني إسرائيل قد عَلِمَ نصيبَه من الماء والمكان الذي يَرِدُ عليه، ثم قيل لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾، وهذا أمرُ إباحةٍ وامتنانٍ. وقوله: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ۝٦٠﴾: أي ولا تُفسدوا في الأرض قاصدين الفساد.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى﴾ أي: طلب السُّقيا ﴿لِقَوْمِهِ﴾ وقد عطشوا في التِّيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وهو الذي فرَّ بثوبه، خفيفٌ مربعٌ كرأس الرجل رُخامٌ أو كذَّانٌ، فضربه ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ انشقَّتْ وسالت

(١) وقيل: هو دونه، وقيل: هما بمعنى واحد. **ينظر**: «المفردات» للراغب (ص١٠٨)، و«الكشاف» (٢/ ٥٢١)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٢٦).

(٢) قال ابن عباس: «الأسباط: بنو يعقوب، كانوا اثني عشر رجلاً، كل واحد منهم ولد سبطاً أمة من الناس»، فالأسباط من بني إسرائيل: كالقبائل من العرب. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٧-٨).

﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأَسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبطٍ منهم ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ موضعَ شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم. وقلنا لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حالٌ مؤكدةٌ لعاملها من «عَثِيَ» بكسر المثلثة: أفسد.

وقولُ المؤلِّف: (**وهو الذي فرَّ بثوبه...**) إلى آخره: هذا من الإسرائيليات التي لا يُجزَم فيها بإثباتٍ أو نفي[1].

وقولُه: (**وقلنا لهم**): يُبيِّن به أنَّ قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: مقول قولٍ محذوف قدَّره المؤلِّف: (**وقلنا لهم**)، والخطابُ فيه لبني إسرائيل في عهد موسى، والخطابُ في أول الآية الذي قدَّرناه: واذكروا لبني إسرائيل في عصر النبوة؛ كنظائره المتقدِّمة.

◆◈◆◈◆◈◆

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦-٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٢١)، و«التفسير البسيط» (٢/ ٥٦٦-٥٦٧).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦٠-٦١]:

المخاطَبُ في هذه الآية هم المخاطبون في الآيات السابقة، الموجودون من بني إسرائيل في عهد النبي ﷺ، وأخصُّهم بالخطاب في هذه الآيات من قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: هم اليهودُ الذين كانوا حول المدينة؛ تذكيرًا لهم بِنِعَم الله على أسلافهم ليشكروها، وتذكيرًا لهم بما كان لآبائهم من المخالفات وما نزل بهم من العقوبات ليحذروها، فقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ﴾ تقديره: واذكروا حين قال قومُ موسى لموسى: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾، يعنون به المنَّ والسَّلوى، وذلك يوم كانوا في التيه.

وقوله: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾: طلبوا من موسى أنْ يدعو اللهَ بأنْ يُخرج لهم هذه البقول والحبوب؛ فهي آثرُ عندهم من المنِّ والسَّلوى، وكلُّ هذه الأسماء معروفةٌ، والفوم: هو الحنطة، وهي نوعٌ من البُرِّ.

فردَّ عليهم نبيُّ الله موسى بأنَّ ما طلبوا أدنى من الذي أعطاهم اللهُ؛ فقال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾. والاستبدال: كالاشتراء، يتعدَّى بنفسه إلى المأخوذ، وإلى المتروك بالباءِ؛ فهو في معنى: أتشترون الأدنى بالأعلى والأفضل. والأدنى: هو ما طلبوه من البقول والحبوب، والذي هو خيرٌ: ما أنزل اللهُ عليهم من المنِّ والسَّلوى.

وقولهم لموسى: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ...﴾ إلى آخره: هو ممَّا عُدَّ في مساويهم وكفرهم النعمةَ.

وقول موسى: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ﴾: توبيخٌ لهم وإنكارٌ عليهم. وقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾: ظاهرُه أنَّه من تمام كلامِ موسى، وقال: بعضُ المفسرين أنَّه مقولُ قولٍ محذوفٍ، والتقدير: قلنا اهبطوا مصرًا، والأول أظهر[١].

وقوله: ﴿مِصۡرٗا﴾: بالتنوين قرأ الجمهور؛ أي: مصرًا من الأمصار، وقرئ: ﴿مِصْرَ﴾ بلا تنوين[٢]، وعليه فالمراد: مصر، البلد المعروفة التي خرج منها بنو إسرائيل، وقال ابنُ جريرٍ في القراءة الأولى: «لا أستجيزُ القراءةَ بغيرها»[٣].

وقوله: ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡ﴾: أي ما ذكرتم وطلبتم موجودٌ فيه.

وقوله: ﴿وَضُرِبَتۡ﴾: الواو للاستئناف، ﴿وَضُرِبَتۡ﴾: جُعلت عليهم الذلة لازمةً.

و﴿ٱلذِّلَّةُ﴾: الهوانُ والجبنُ.

﴿وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾: الفقرُ، وسُمِّيَ مسكنةً لأنَّه يُورثُ السكونَ وقلة الحركةِ[٤].

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢١)، و«التفسير البسيط» (٢/ ٥٨٦)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٣٠).

(٢) وهي قراءة الحسن وطلحة والأعمش، وهي كذلك في مصحف عبد الله وأبي بن كعب وبعض مصاحف عثمان. **ينظر**: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٢-٤٣)، و«المصاحف» لأبي داود (١/ ٣٠٣، رقم ١٨٤)، و«مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص١٤)، و«الكامل في القراءات» (ص٤٨٦).

(٣) «تفسير الطبري» (٢/ ٢٥) بنحوه. ونص كلام الطبري: «وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها؛ لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين، واتفاق قراءة القرأة على ذلك، ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مستفيضًا بينهما».

(٤) **ينظر**: «لسان العرب» (١٣/ ٢١٧)

﴿وَبَآءُو﴾: أي رجعوا بأعظم الخسران، وهو غضبُ الله عليهم، والجملةُ معطوفةٌ على جملة ﴿وَضُرِبَتْ﴾، والجملتان لا محلَّ لهما من الإعراب.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾: أي ما ذُكر هو بسبب كُفرِهم بآيات الله، وقتلهم النبيين بغيرِ الحقِّ، وممن قتلوه من الأنبياء: أشعيا[1]، وزكريا، ويحيى، على ما ذكر المفسرون[2].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾: قيل: تأكيدٌ للمعنى السابق، ويحتمل: أن يكون بيانًا لسببِ السببِ، وكفرهم بآيات الله وقتلُهم النبيين سببٌ لضرب الذلَّةِ وحلولِ الغَضَبِ، وعصيانُهم وعدوانُهم سببٌ لخذلانهم الذي أوجبَ لهم الكفرَ بآيات الله وقتلَ الأنبياء[3].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ﴾ أي: نوع منه ﴿وَاحِدٍ﴾ وهو المنُّ والسَّلوى ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّك يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئًا ﴿مِمَّا تُنْبِت الْأَرْض مِنْ﴾ للبيان ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أخس ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أشرف، أي: أتأخذونه بدله، والهمزةُ للإنكارِ، فأبوا أن يرجعوا فدعا اللهَ؛ فقال تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾ انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾ فيه ﴿مَا سَأَلْتُمْ﴾ من

(١) هو أشعيا بن آموص، ومعنى أشعيا بالعبرية (خلاص يهوه) أو خلاص الرب، وتكتب: أشعيا، وأشعياء، وشعيا في بعض المراجع، ومع أن أشعيا من أشهر أنبياء العهد القديم إلا أنه لم يعرف عنه إلا القليل من سيرته، وفي مقدمات أسفار هوشع، وعاموص، وميخا ما يدل على أن هؤلاء كانوا معاصرين لأشعيا. **ينظر**: «التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه» لصابر طعيمة (ص١٧٢).

(٢) **ينظر**: «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٠٧)، و«التفسير الوسيط» (١/ ١٤٨)، و«الكشاف» (١/ ٢٧٦).

(٣) **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٢٧٦)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٣٣)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٥٣٠).

النبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾ جُعلتْ ﴿عَلَيْهِمِ الذِّلَّةُ﴾ الذلُّ والهوانُ ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أي: أثر الفقرِ من السكون والخزي، فهي لازمةٌ لهم وإن كانوا أغنياءَ لزومَ الدرهمِ المضروبِ لِسِكَّتِه ﴿وَبَاءُوا﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ أي: الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ كزكرياء ويحيى ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: ظلمًا ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحدَّ في المعاصي. وكرَّره للتأكيد.

وقولُ المؤلِّف: (﴿مِنْ﴾ للبيان): يريد ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾، فإنها بيانٌ لِمَا في قوله: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ﴾، ومن الأولى في قوله: ﴿مِمَّا﴾ ابتدائية.

وقولُه: (**حنطتها**): فسَّر الفومَ بالحنطة، وهو قولُ الأكثر[1]، وقيل: الفوم: الثوم[2]؛ فالأولُ يُناسبُه ذِكر العدسِ، والثاني: يُناسبُه ذِكر البصلِ، فاللفظُ مُحتملٌ للمعنيين.

وقولُه: (**فأبوا أن يرجعوا**): يريد أنهم أصرُّوا على طلبهم فلم ينفع فيهم قول موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

وقولُه: (**فدعا الله**): أي دعا موسى ربَّه.

وقولُه: (**فقال تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾**): هذا يقتضي أنَّ قولَه: ﴿اهْبِطُوا﴾ من كلام الله، وهذا خلافُ ظاهر القرآن، وليس لِمَا ذكره دليلٌ.

---

(١) هو قول ابن عباس وقتادة والحسن وأبي مالك الغفاري والسدي، واختاره الطبري وابن عطية، ونسبه ابن عطية لأكثر المفسرين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١٥-١٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٤٣)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٢٨).

(٢) وهو قول مجاهد والربيع والضحاك وسعيد بن جبير ومقاتل والكسائي والنضر بن شميل وابن قتيبة، وروي عن ابن عباس، وقرأ عبد الله بن مسعود: ﴿وثومها﴾ بالثاء، واختاره الفراء. ينظر المصادر السابقة، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١)، و«غريب القرآن» (ص٥١)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٨-١٩).

وقولُه: (**لازمة لهم... لزومَ الدِّرهم المضروبِ لِسِكَّتِهِ**): هذا مأخوذٌ من قوله: ﴿ضُرِبَتْ﴾.

وقولُه: (**رجعوا**) : تفسيرٌ لـ﴿بَاءُوا﴾، فهي بمعنى آبُوا، مع أنها عكس حروفها في الترتيب[١].

وقولُه: (**أي: الضرب والغضب**): بيانٌ للمشار إليه في قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ على تأويل المذكور.

وقولُه: (**أي: ظلمًا**): تفسيرٌ لقوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، ولا مفهوم لهذا القيد؛ لأنَّ قتلَ الأنبياء لا يكون إلا بغير الحقِّ، فذِكْرُه إظهارٌ لمنشأ القُبح تشنيعًا عليهم.

وقولُه: (**وكرَّره للتأكيد**): سبق بيانُ أنه من باب بيان سببِ السبب.



(١) **ينظر**: «مقاييس اللغة» (١/ ٣١٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة: ٦٢]:

يُخبرُ تعالى في هذه الآية عن الطوائف الأربعِ التي تنقسمُ كلٌّ واحدةٍ منها إلى مؤمنين وغير مؤمنين؛ أنَّ مَن آمنَ منهم وعملَ صالحًا؛ فله أَجرُه عند الله، فالذين آمنوا هم من أظهر الإيمان بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم الصادق ومنهم المنافق، كما ذكر في أول السورة.

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: هم اليهود، وهم المنتسبون لشريعة التوراة والإيمان بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومعنى هادوا: أي صاروا يهودًا، وأصلُ التسميةِ من قول موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: تُبنا إليك.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: هم المنتسبون لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ونصارى جمعُ نصراني، وفي أصل التسميةِ خلافٌ كثيرٌ، والأقرب أنه من قول الحواريين: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢][١].

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: قيل: هم قوم كانوا يعبدون الكواكبَ، وقيل: يعبدون الملائكةَ، ومنهم قومُ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهم طوائف، ومنهم الصابئةُ الحنفاء[٢].

والصابئون: جمعُ صابِئٍ بالهمز، أو جمعُ صابٍ بالياء، وبالهمز قرأ الجمهورُ، وقرأ نافع بالياء[٣]. وقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: مَن: اسمُ شرطٍ، أو اسمٌ

---

(١) اختاره الزمخشري، وينظر الخلاف في: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٣-٣٤)، و«الكشاف» (١/ ٢٧٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٣٦)، و«زاد المسير» (١/ ٧٢).

(٢) الصابئ: هو المستحدث سوى دينه دينًا، كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه، وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب صابئًا. والصابئة نوعان: صابئة حنفاء موحدون، وصابئة مشركون، وهذا بخلاف المجوس والمشركين فإنه ليس فيهم مؤمن، وقد ذكر في معنى الصابئين سبعة أقوال. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٤-٣٧)، و«زاد المسير» (١/ ٧٢-٧٣)، و«الرد على المنطقيين» (ص٣٣٤).

(٣) **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٥٨)، و«النشر» (١/ ٣٩٧).

موصولٌ مُضمَّنٌ معنى الشرط، وهو مبتدأ، وجملةُ ﴿ءَامَنَ﴾: فعلُ الشرطِ أو صلةُ الموصولِ، وفي الكلام ضميرٌ مُقدَّرٌ مجرورٌ بمن يعود على الطوائف الأربع تقديره: «مَن آمنَ منهم بالله واليوم الآخر»[١]. ومعنى: ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: صدَّقَ وأيقن بالله وحده ربًا وإلهًا، وباليوم الآخر؛ وهو يومُ القيامة، يومُ البعث والنشور والجزاء.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: معطوفٌ على ﴿ءَامَنَ﴾، و﴿صَٰلِحًا﴾: صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ؛ تقديره: عملَ عملًا صالحًا. وقوله: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: جوابُ الشرط، واقترنت جملةُ الجواب بالفاء لأنها اسمية، و﴿أَجۡرُهُمۡ﴾: ثوابهم. وقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: في موضع نصبٍ على الحال من ﴿أَجۡرُهُمۡ﴾. وقوله: ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: من مستقبَلٍ. ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾: على فائتٍ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالأنبياء من قبل ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ طائفةٌ من اليهود أو النصارى ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في زمن نبيِّنا ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: ثوابُ أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رُوعي في ضمير ﴿آمَنَ﴾ و﴿وَعَمِلَ﴾ لفظُ ﴿مَنْ﴾، وفيما بعده معناها.

وقولُ المؤلِّف: **(بالأنبياء من قبل)**: في هذا التعميم نظرٌ؛ فإنه يؤول إلى أنَّ المراد بـ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: هم مَن آمنَ من اليهود والنصارى، ويصير تكرارٌ مع قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[٢].

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٣٨).
(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٢)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٣٤).

وقولُه: (**طائفةٌ من اليهود أو النصارى**): هذا أحدُ الأقوال في المراد بالصابئين، وفي المراد بهم خلافٌ كثيرٌ.

وقولُه: (**منهم**): هذا تقديرٌ للضمير الرابط لجملة خبر «إنَّ».

وقولُه: (**في زمن نبيِّنا**): هذا التقييدُ فيه نظرٌ، والصواب: أنَّ هذا الوعدَ عامٌّ لكلِّ مَن آمن بالله واليوم الآخر وعملَ صالحًا في زمن أيِّ نبيٍّ من الأنبياء مُتبعًا له.

وقولُه: (**بشريعته**): يريد الشريعةَ التي هو مُكلَّفٌ بالعمل بها.

وقولُه: (**ثوابُ أعمالهم**): فسَّر الأجرَ بالثواب، وتسميةُ الثوابِ أجرًا كثيرٌ في القرآن؛ كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].

وقولُه: (**رُوعي في ضمير ﴿آمَنَ﴾...**) إلى آخره: المقررُ عند النحاة أنَّ مِن الشرطية أو الموصولة لفظها مفردٌ مذكَّرٌ، ويختلف معناها بحسب سياقِ الكلام، ولهذا يقول المؤلِّف: إنه رُوعي في الفعلين ﴿آمَنَ﴾ و﴿وَعَمِلَ﴾ لفظُ ﴿مَنْ﴾، وهو الإفرادُ والتذكيرُ، وفيما بعده معناها، وهو الجمع.



وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: ٦٣]:

الخطابُ في هذه الآية لبني إسرائيل الموجودين زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي نظيرُ الآياتِ السابقة، والمقصود: تذكيرُهم بما جرى لأسلافهم، فتقدير الكلام: واذكروا حين أخذنا ميثاقكم؛ أي: العهدَ من آباءكم، ورفعنا فوقهم الطور، وقلنا لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: اقبلوا ما جاءكم به نبيُّكم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الكتاب؛ وهو التوراة، وما فيه من الموعظة وتفصيلِ الأحكام، وخذوه بقوة؛ أي: بجدٍّ وعزم صادق، ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ بالعمل به وتبليغه للناس. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾: أي لتتَّقوا بذلك سخطَ الله وعذابَه، فتكونوا من المتقين.

﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ الجبل اقتلعناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها وقلنا ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النار أو المعاصي.

وقولُ المؤلِّف: (**اذكروا**): أي بني إسرائيل، وهم اليهودُ الذين حول المدينةِ؛ كما في الآيات السابقة واللاحقة.

وقولُه: (**قد**) في ﴿رَفَعْنَا﴾: يقتضي أنه جعلَ الواو للحال، ويحتمل أنها عاطفةٌ على ﴿أَخَذْنَا﴾. وقولُه: (**الجبل...**) إلى آخره: يدُّل لِمَا ذكره قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وقولُه: (وقلنا): يُبيِّنُ بهذا أنَّ قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ مقولُ قولٍ محذوف يدلُّ عليه سياقُ الكلام(١)، والخطابُ فيه لبني إسرائيل الأوَّلين، والخطابُ في أوَّلِ الآية لبني إسرائيل الآخِرين، فأوَّلُ الآية إنشاءٌ، وفي ضمنه إخبارٌ عن بعض ما جرى لبني إسرائيل من أخذِ الميثاق ورفعِ الطور، والتكليف بالعمل بالتوراة.



(١) نسب الطبري هذا القول لبعض نحويي أهل البصرة، قال: وقال بعض نحويي أهل الكوفة: أخذ الميثاق قول، فلا حاجة إلى إضمار قول، ورجَّح هذا في «تفسيره»، واختار ابن عطية والزمخشري تقدير لفظ «قلنا». **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٥١)، و«الكشاف» (١/ ٢٧٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٤٠).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة: ٦٤]:

المخاطَبون في هذه الآية هم المخاطَبون في الآية التي قبلها، تذكيرًا لهم بما كان من أسلافهم من الإعراض بعد أَخْذِ الميثاقِ عليهم، ومع هذا الإعراضِ بعد الميثاقِ يذكرُ منَّته عليهم بفضله ورحمته بالعفو عنهم والتوبةِ عليهم وصرفِ العذابِ عنهم، ولولا ذلك لكانوا من الخاسرين، وهم: المستوجِبون للعذاب المحرومون من الثواب.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين.



وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝٦٥﴾ [البقرة: ٦٥]:

المخاطَبون في هذه الآية هم المخاطَبون في الآيات السابقة، وتقدَّم أنهم بنو إسرائيل الموجودون في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النازلون حول المدينةِ مِن طوائفِ اليهود، يُذكِّرهم اللهُ في هذه الآية ما جرى من أسلافهم من الاحتيال على ما حرَّم اللهُ من الصيد يوم السبت، وهو المرادُ بالاعتداء، وما حلَّ بهم من العقوبة بسبب ذلك؛ ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝٦٥﴾، والأمرُ أمرُ تكوينٍ لا يتخلَّفُ مُقتضاه، فصاروا قِردةً فمُسخت صورهم من صورة الإنسان إلى صورة القرد، والقردةُ: جمع قرد، وهو حيوانٌ معروفٌ. وقوله: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾: أي ذليلين مُهانين[1].

﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمْتُمُ﴾ عرفتم ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾ تجاوزوا الحدَّ ﴿مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم أهل أيلة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مُبعدين، فكانوها وهلكوا بعد ثلاثة أيام.

وقولُ المؤلِّف: **(فكانوها)**: أي صاروا قردةً.

وقولُه: **(وهلكوا بعد ثلاثة أيام)**: مثل هذا ممَّا يُتلقَّى عن بني إسرائيل، ولكنه لا يثبتُ إلَّا بدليلٍ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن المشهور عند العلماء أنَّ الممسوخين لا يعيشون ولا يتوالدون[2]. والقردةُ: جنسٌ من الحيوان موجودٌ

(١) **ينظر:** «المفردات» للراغب (ص٢٨٢).

(٢) لما جاء في صحيح مسلم (٢٦٦٣) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إن الله لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك))، وجاء حديث آخر عند مسلم (٢٩٩٧) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فقدت أمة من بني إسرائيل، لا يدرى ما فعلت، ولا أراها إلا الفأر، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان =

قبل وقوع المسخ في بعض الأمم، وقد زعم بعضُ ملاحدةِ اليهود وهو المسمَّى: «داروين»، أنَّ أصلَ الإنسان قردٌ فتطوَّر حتى صار إنسانًا بصورته المعروفة، وتُعرف بنظرية «داروين»[(١)]، وهي مُناقضةٌ لِمَا أخبر اللهُ به في قصَّة خلقِ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهي نظريةٌ باطلةٌ، ومَن يعتقد صحَّتها فهو كافرٌ؛ لأنه مُكذِّبٌ لِمَا جاء في القرآن في شأن خلق الإنسان.



= الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته؟))، ولهذا اختلف العلماء في الممسوخ هل ينسل؟ على قولين، فقال قوم: يجوز أن تكون هذه القردة منهم، واختاره ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص٣٧٣)، والقاضي أبو بكر ابن العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٣٣٢). وقال الجمهور بأن الممسوخ لا ينسل وأن القردة والخنازير وغيرها كانت قبل ذلك، وأجابوا عن حديث أبي هريرة بأجوبة تنظر في: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٤٣-٢٤٤)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٤٤٠-٤٤٣)، و«شرح معاني الآثار» (٨/ ٣٢١-٣٢٧)، و«فتح الباري» (٧/ ١٦٠).

(١) تشارلز روبرت داروين الباحث الإنجليزي، مؤلف كتاب «أصل الأنواع»، وهو مذهب التطور، ويتلخص في أن الكائنات الحية في تطور دائم على أساس من الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح، فتنشأ الأنواع بعضها من بعض، ولاسيما النوع الإنساني الذي انحدر عن أنواع حيوانية، فهو يقرر أن الحياة وجدت على الأرض بالصدفة، في ظروف معينة.
وقد نقض مذهبه في التطور علماء الأحياء في عصره وبعده بأدلة علمية، كما في «صندوق داروين الأسود - التحدي البيوكيميائي للتطور» لمايكل بيهي، و«أيقونة التطور: حقيقة أم خرافة؟» لجوناثان ويلز، إصدار مركز براهين. **ينظر**: «المعجم الفلسفي» (ص٨٣)، و«كواشف زيوف» لعبد الرحمن حبنكة الميداني (ص٣١٧-٣١٨).

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: ٦٦]:

يُخبِرُ تعالى أنه جعل عقوبةَ هؤلاء المعتدين باستحلال ما حرَّم اللهُ من الصيد يوم السبت بالحيلة التي ارتكبوها، وهي نصبُ الشِّباك يوم الجمعة، وأخذُ ما فيها يومَ الأحد، زاعمين أنهم لم يفعلوا ما نُهوا عنه من الصيد يوم السبت، فمسخهم اللهُ قردةً، فقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾: أي جعلنا هذه العقوبة ﴿نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾؛ يعني: ما قبلها من ذنوبهم وما بعدها ممَّا يفعل بعضُ الناس كفعلهم.

وقد ذكر ابنُ جريرٍ اختلافَ المفسرين في مرجع الضمير في قوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾، و﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾، ورجَّح أنه يعود على العقوبة، ورواه عن ابن عباس[(١)]، ورجح ابن كثير أنه يعود على القرية[(٢)]، ويشهدُ له قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٣٦]، وعلى هذا فما بين يديها وما خلفها: ما حولها من القرى.

والنَّكَال: التخويفُ والعقوبة[(٣)].

وقوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾: أي تذكيرًا وتحذيرًا للمتقين الذين يخافون عذابَ الله، ويتَّقون سخطَه بفعل ما أمرهم به وتركِ ما نهاهم عنه.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي تلك العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ عبرةً مانعةً من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: للأمم التي في زمانها أو بعدها

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٨)، (٢/ ٧٢-٧٣).
(٢) ينظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٩١-٢٩٢).
(٣) ينظر: «غريب القرآن» للسجستاني (ص٤٥٨).

﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ اللهَ، وخُصُّوا بالذِّكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم.

وقولُ المؤلِّف: (**عبرةً مانعةً من ارتكاب مثل ما عملوا**): يريد أنَّ من سمع بهذه العقوبة يعتبر نفسه بمَن حلَّتْ به هذه العقوبة بسبب معصيته؛ فيحذر أن يفعلَ فعلهم فيُصيبه ما أصابَهم. وقولُه: (**أي: للأمم التي في زمانها أو بعدها**): يُبين بهذا المراد: بما بيْن يديها وما خلفها؛ وهم الناسُ الذين كانوا موجودين وقتَ العقوبة والذين جاؤوا مِن بعدهم.

وقولُه: (**وخُصُّوا بالذِّكر...**) إلى آخره: يريد أنَّ هذه العقوبةَ موعظةٌ لكلِّ مَن سمع بها، ولكنَّ المنتفعين بذلك هم الذين يخافون اللهَ؛ فلذلك خُصُّوا بالذِّكر.



وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٦٧]:

لا يزال الكلامُ مُتصلًا خطابًا لبني إسرائيل الموجودين زمنَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذا نقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾: واذكروا حين قال موسى لقومه، وقومُه: هم بنو إسرائيل، وهذا خبرٌ من الله عن موسى أنه قال لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾، وقد بيَّن سبحانه في الآيات التالية سببَ أمرِ بني إسرائيل أن يذبحوا بقرةً، والحكمةَ من ذلك، كما في الآيتين (٧٢ و٧٣).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾: إخبارٌ من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه أنَّ اللهَ يأمرهم بذبح بقرةٍ، ولَمَّا لم يعقلوا الحكمةَ من هذا الأمر ولم يكن عندهم إيمانٌ يوجُبُ التسليمَ لأمر الله أساؤوا الظنَّ بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، فظنُّوا أمرَهم بذبح بقرةٍ استهزاءً من موسى بهم، ثم صاروا يتعنَّتون بالأسئلة عن البقرة، عن سِنِّها وعن لونها وعن صفتها، وفي كلِّ مرَّةٍ يدعو موسى ربه فيُجيبهم عمَّا سألوا، فكلَّما سألوا شُدِّد عليهم، ولو امتثلوا من أول الأمر لأجزأهم أيَّ بقرةٍ يذبحونها، ولكنَّهم لم يذبحوها إلَّا بعد تمنُّعٍ وتعنُّتٍ، وما كادوا يفعلون؛ كما قال تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة: ٧١].

وفي قصَّة البقرةِ ذِكْرُ بعضِ مساوئ بني إسرائيل؛ كجراءتهم على أنبيائهم، وعصيانِهم لأمر الله، وقسوةِ قلوبهم.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ وقد قُتِل لهم قتيلٌ لا يُدرَى قاتلُه وسألوه أن يدعو الله أن يُبيّنه لهم فدعاه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ مهزوءًا بنا حيث تُجيبنا بمثل ذلك ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾ أمتنع ﴿بِاللَّهِ﴾ من ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المستهزئين.



وقولُ المؤلِّف: (**اذكر**): الأظهرُ تقدير: اذكروا.

وقولُه: (**وقد قُتِل لهم قتيلٌ...**) إلى آخره: يُبيِّنُ بهذا سببَ الأمرِ بذبح بقرةٍ؛ وهو قصة القتيلِ كما في الآيتين.

وقولُه: (**مهزوءًا بنا**): يُبيِّن أنَّ هُزوًا مصدرٌ بمعنى اسم المفعول.

وقولُه: (**أمتنع**): هذا تفسيرٌ لـ﴿أَعُوذُ﴾؛ فالمعنى: أمتنعُ بالله؛ لأنَّ العائذَ يطلبُ من المستعاذ به أن يَعصمَه ويمنعَه مما يضرُّه.

وقولُه: (**المستهزئين**): تفسيرٌ لـ﴿الْجَاهِلِينَ﴾؛ لأنَّ في الاستهزاء بالخبر عن الله أعظمُ الجهل.



وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة: ٦٨-٧١]:

هذا أوَّل أسئلتهم التعنُّتِيَّة، ومضمونُه: السؤالُ عن سنِّ البقرة كما يدلُّ عليه الجواب؛ قال موسى: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ﴾؛ أي: إن ربي يقول: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ﴾. ومضمونُ الجواب أنها ليست مُسنَّةً ولا صغيرةً، وهو معنى ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾، بل هي وسطٌ؛ وهو معنى ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، والعوانُ من البقر: هي التي ولدت بطنًا أو بطنين[1].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا...﴾ الآية: هذا هو السؤال الثاني عن لونها وقد أجيبوا بأنها صفراء صفرة شديدة مع حسنها، وهو: معنى: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾؛ يعني: تعجب الناظرين إليها.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾: هذا هو السؤالُ الثالث، ومضمونُه: السؤالُ عن صِفتها، وقد أُجيبوا بأنها ليست مُذلَّلة بالحرثِ والسقي، ولا ذاتَ ألوانٍ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾؛ أي: ليست عاملةً، وليس في جلدها لونٌ يُخالف لونَها، وهذا معنى قوله: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾[2].

(١) قاله مجاهد والثوري. **ينظر**: «تفسير الطبري» (١/ ٨٧-٩١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٧٣، رقم ٦٩٥).

(٢) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٥٤)، و«المفردات» للراغب (ص٨٧٢).

وقوله: ﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾: إظهارٌ لقبولهم الأمرَ بذبح البقرة، وقد صَدَقوا وكَذَبوا؛ فصَدَقوا بقولهم لنبي الله موسى: ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾، وكَذَبوا في تقييد ذلك؛ بقولهم: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ﴾؛ يعنون ما أُجيبوا به في سؤالهم الثالث، وقد جاء نبيُّ الله موسى بالحقِّ في كلِّ ما أخبرهم به عن ربه.

وقوله: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾: إخبارٌ من الله بأنهم بعدما أذعنوا بالقول امتثلوا بالفعل بأنْ ذبحوا البقرةَ التي انطبقت عليها تلك الصفاتُ المذكورةُ في الآيات.

وقوله: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ٧١﴾: أي قبل ذبحِها لم يمكن منهم قربٌ من فعل ما أُمروا به مما يدلُّ على شدَّة إعراضِهم عن الطاعة، ولكنهم لَمَّا قامت عليهم الحجَّةُ أذعنوا، وذلك في قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا﴾.

فلمَّا علموا أنه عزم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أي: ما سنُّها؟ ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ مُسِنَّةٌ ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ نصفٌ ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكورِ من السنين ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ به من ذَبْحها. ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ شديدُ الصُّفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ إليها بحسنها؛ أي: تُعجبهم. ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسائمةٌ أم عاملةٌ؟ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ أي: جنسَه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ لكثرتِه فلم نهتدِ إلى المقصودة ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها. وفي الحديث: ((لو لم يستثنوا لَمَا بُيِّنَتْ لهم آخر الأبد))(١). ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ غيرُ مذلَّلةٍ بالعمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ تقلبها للزراعة والجملة صفةُ «ذلول» داخلةٌ في النفي ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ الأرض المهيأة للزراعة ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٩٩-١٠٠) عن قتادة وابن جريج مرسلاً، وبنحوه في «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٤١، رقم ٧٢٢) عن أبي هريرة، به. وفيه سرور بن المغيرة وعباد بن منصور، وهما ضعيفان كما في «الميزان» (٣٠٨٣)، (٤١٤١).

من العيوب وآثارِ العمل ﴿لَا شِيَةَ﴾ لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ نطقتَ بالبيان التامِّ. فطلبوها فوجدوها عند الفتى البارِّ بأمِّه فاشتروها بملءِ مَسْكِها ذهبًا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها. وفي الحديث: ((لو ذبحوا أيَّ بقرةٍ كانت لأجزأتهم ولكن شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد اللهُ عليهم)).

وقولُ المؤلِّف: (**نصفٌ**): أي وسطٌ بين الصغيرة والكبيرة.

وقولُه: (**المذكور من السنين**): يريد أنَّ اسمَ الإشارة راجعٌ إلى الفارض والبكر.

وقولُه: (**به مِن ذَبْحها**): الجارُ والمجرورُ الأوَّلُ متعلِّقٌ بـ﴿تُؤْمَرُونَ﴾، والجارُ والمجرورُ الثاني بيانٌ لِمَا الموصولة في قوله: ﴿مَا تُؤْمَرُونَ﴾.

وقولُه: (**أسائمةٌ أم عاملةٌ؟**): بيانٌ لمضمون سؤالهم الثالث كما يدلُّ عليه الجواب.

وقولُه: (**لكثرته فلم نهتدِ إلى المقصودة**): يريد أنهم اعتذروا في هذه المرَّةِ عن عدم الذبح الذي أُمروا به بتشابه البقر لكثرتها، فلم تتميز البقرةُ المقصودة بما ذكر من سنِّها ولونها؛ لذلك لم يهتدوا إليها، لكنَّهم طَمِعوا أن يهتدوا، وردُّوا ذلك إلى مشيئة الله فأحسنوا. والحديثُ الذي أشار إليه المؤلِّفُ لم يثبتْ مرفوعًا، وقال ابنُ كثير: إنه غريب، وأحسنُ أحواله أن يكون موقوفًا على أبي هريرة[١].

وقولُه: (**مُذلَّلةٌ**): يريد أنَّ ﴿ذَلُولٌ﴾ فعولٌ بمعنى اسم المفعول.

---

(١) **ينظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٠)، ونقل ابن كثير عن الطبري (٢/ ٩٨) أثر ابن عباس، قال: «لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم». وقال: «إسناد صحيح، وقد رواه غير واحد عن ابن عباس. وكذا قال عبيدة، والسدي، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية، وغير واحد».

وقولُه: (**والجملةُ صفةُ «ذلول»...**) إلى آخره: يريد أنَّ جملةَ ﴿تُثِيرُ﴾ صفةُ ﴿ذَلُولٌ﴾، فهي في موضع رفعٍ.

وقولُه: (**داخلةٌ في النفي**): يعني أنها لا تعمل في حراثةِ الأرض، ولا سقي الحرث؛ أي: سانية[1].

وقولُه: (**لون** ﴿فِيهَا﴾ **غير لونها**): يريد أنه ليس فيها لونٌ يُخالِفُ لونَ جلدها.

وقولُه: (**نطقت بالبيان التام...**) إلى آخره: تفسيرٌ لقوله: ﴿جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾.

وقولُه: (**فوجودها...**) إلى آخره: يشيرُ إلى قصةٍ إسرائيليةٍ في شأن البقرة[2].

وقولُه: (**لغلاء ثمنها**): مبنيٌّ على تلك القصة، فالله أعلم.

وقولُه: (**وفي الحديث...**) إلى آخره: هذا طرفٌ من الحديث المتقدِّم الذي رجَّح ابنُ كثيرٍ وقفه على أبي هريرة.



---

(١) سانية: هي الناقة التي يُستقى عليها. **ينظر**: «لسان العرب» (١٤/ ٤٠٤).

(٢) أي قصة شرائهم البقرة بملءِ مَسْكِها؛ أي: جلدها ذهبًا، ذكرها بعض المفسرين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١١٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٨).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [البقرة: ٧٢].

المخاطَبون في هذه الآية هم المخاطَبون في الآيات السابقة، وهم بنو إسرائيلَ الموجودون وقتَ نزولِ القرآن، والتقدير في هذه الآية كالتقدير في نظائرها؛ فالمعنى: واذكروا حين قتلتم، فالذين قتلوا وتدارؤوا وكتموا هم الأسلافُ، وأضيف إلى الخالفين لأنهم أمة واحدة، وقد سبق تقريرُ هذا المعنى مرَّات[١].

وقوله: ﴿نَفْسًا﴾: أي إنسانًا معصومًا.

وقوله: ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾: أي تدافعتم بدعوى كلٍّ منكم البراءةَ من دم القتيل، ومنكم مَن يعلمُ ذلك ويكتمُه[٢].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾: أي مظهرٌ ما تكتمونه من معرفة القاتل.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ﴾ فيه إدغامُ التاء في الأصل في الدال؛ أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مُظهِرٌ ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمرِها، وهذا اعتراضٌ، وهو أوَّلُ القصَّة.

وقولُ المؤلِّف: (**فيه إدغام التاء في الأصل في الدال**...) إلى آخره: لأنَّ أصل الفعل تدارأتم، فقُلبت التاءُ دالًا ساكنة وأُدغمت في الدال، فوزن ادارأتم: اتفاعلتم[٣].

(١) تقدم في (ص ١٠٦)، و(ص ١٢٨).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١١٩-١٢٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٥٣)، و«الكشاف» (١/ ٢٨٤).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١١٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٣-٢٥٤)، و«الدر المصون» (١/ ٤٣٤).



وقولُه: (**من أمرها**): أي من أمرِ النَّفس؛ وهو القتيل[١].

وقولُه: (**وهذا اعتراض**): يشيرُ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ﴾.

وقولُه: (**وهو أوَّل القصَّة**): يريد أنَّ قتل هذه النفس؛ هو سببُ أمرهم بذبح بقرةٍ، وما تَبِع ذلك من سؤال وجواب.



(١) واختاره: الطبري، والشنقيطي، واستظهره أبو حيان. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١٢٣-١٢٤)، و«البحر المحيط» (١/ ٤١٩)، و«العذب النمير» (١/ ١٤٤).

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٣]:

يخبرُ تعالى أنه أمرهم بعد ذبح البقرة أنْ يضربوا القتيلَ ببعض البقرة؛ أي: ببعضٍ منها، ولم يُعيَّن هذا البعضُ، فيجزئهم الضربُ بأيِّ عضوٍ من أعضائها، أو جزءٍ من أجزائها، ولا معنى للاختلاف في تعيين البعضِ الذي يضربونه به[(١)].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: يدلُّ على أنهم لَمَّا ضربوه ببعض البقرة حَيَا، وجاء في الروايات الإسرائيلية أنه تكلَّم، وسمَّى قاتله[(٢)]، وظاهرُ القرآن يشهدُ بصحَّة ذلك.

وقوله: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾: يدلُّ على أنَّ إحياءَ هذا القتيل آيةٌ بينةٌ على قدرة الله على بعث الأموات.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ أي القتيلُ ﴿بِبَعْضِهَا﴾ فضُرب بلسانها أو عجبِ ذنبها فحيي، وقال: قتلني فلانٌ وفلانٌ، لابنَيْ عمه، ومات، فحُرِما الميراث وقُتلا. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياءُ ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائلَ قدرتِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تتدبرون فتعلمون أنَّ القادرَ على إحياء نفسٍ واحدةٍ قادرٌ على إحياء نفوسٍ كثيرةٍ فتؤمنون.

---

(١) قال الطبري: «ولا دلالة في الآية ولا خبر تقوم به حجة على أيِّ أبعاضها التي أُمر القوم أن يضربوا القتيل به».
وقال ابن كثير: «فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا؛ لبينه الله تعالى لنا، ولكن أبهمه، ولم يجئ من طريق صحيح عن معصوم بيانه، فنحن نبهمه كما أبهمه الله». **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١٢٧)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٢).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١٢٥-١٢٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٤٥، رقم ٧٥٠، ٧٥٢).



وقولُ المؤلِّف: (**فضُرب بلسانها...**) إلى آخره: هذا بعضُ ما جاء في الروايات الإسرائيلية، فمنه ما هو حقٌّ؛ وهو ما دلَّ عليه القرآنُ كإحيائه، ومنها ما لا دليلَ عليه؛ كالبعض الذي ذكر أنهم ضربوه به أو أنَّ القاتل ابنا عمِّه، ومثل هذا لا يُصدَّقُ ولا يُكذَّبُ.

وقولُه: (**الإحياءُ**): يريد أنَّ اسمَ الإشارة في كذلك يرجع إلى إحياء القتيل المفهوم من السياق.

وقولُه: (**دلائل قدرته**): أي التي منها إحياءُ هذا القتيل.

وقولُه: (**تتدبرون...**) إلى آخره: أي تتدبرون قدرةَ الله على إحياء القتيل؛ فتعلمون قدرته على إحياء الموتى على كثرتهم لقوله: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].



وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤]:

المخاطَبون في هذه الآية هم المخاطَبون في الآيات السابقة، وهم بنو إسرائيل الحاضرون، والذين قَسَت قلوبُهم: هم بنو إسرائيل المتقدِّمون الذين جَرَت على أيديهم قصَّةُ القتيل وقصَّةُ البقرة؛ يخبر تعالى عنهم بأنها قَسَت قلوبُهم بعدما جرى منهم التدافعُ في أمر القتيل والتعنُّت في شأن البقرة وإظهار الله ما كانوا يكتمون. ومعنى قَسَت قلوبهم: اشتدَّتْ ولم تَلِن بعدما رأوا من آيات الله، فصارت في قسوتها مثل الحجارة أو أشد، ويدلُّ على أنها أشدُّ: أنَّ من الحجارة ما يتفجَّر منها الأنهار، ومنها ما يتشقَّقُ منه الماءُ، ومنها ما يهبطُ من المكان العالي بسبب خشيته لله.

ثم يقول تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾: وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ للذين قَسَت قلوبهم فداموا على المعصية حتى قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أيُّها اليهودُ! صَلُبت عن قبول الحقِّ ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات ﴿فَهْيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ فيه إدغامُ التاء في الأصل في الشين ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ ينزلُ من علو إلى سفل ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثرُ ولا تلينُ ولا تخشع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخِّركم لوقتكم. وفي قراءةٍ بالتحتية، وفيه التفاتٌ عن الخطاب.

وقولُ المؤلِّف: (**صَلُبت عن قبول الحقِّ**): تفسيرٌ للقسوة بالصلابة، والأصلُ أنَّ هذا في الحسيات، ولكنه استُعمل في المعنويات على وجه الاستعارةِ المكنيَّة؛ إذ شبَّه القلوبَ بالحجارة[١].

وقولُه: (**فيه إدغامُ التاء في الأصل في الشين**): يريد أنَّ أصلَ ﴿يَشَّقَّقُ﴾ يتشقَّقُ، وسُكِّنت التاءُ ثم أُدغمت في الشين، وعلى هذا فأصلُ ﴿يَشَّقَّقُ﴾ يتشقَّقُ، فوزن الكلمة: يتفعَّل كما تقدَّم في «ادارأتم».

وقولُه: (**وقلوبكم لا تتأثرُ ولا تلينُ ولا تخشع**): بيانٌ لحال قلوبهم، وأنها أقسى من الحجارة، فالحجارةُ تتفجَّرُ وتتشقَّقُ وتهبطُ، وقلوبُ أولئك لا تلين ولا تخشع.

وقولُه: (**وإنما يؤخِّرُكم لوقتكم**): بيانٌ أنَّ إمهالهم لا لغفلةِ الله عنهم؛ بل ليبلغوا آجالهم. وقولُه: (**وفي قراءةٍ بالتحتية...**) إلى آخره: يريد أنَّ للكلمة قراءتين ﴿تَعْمَلُونَ﴾ و﴿يَعْمَلُونَ﴾[٢]، والتحتية: هي الياء؛ لأنها منقوطةٌ من تحت، والقراءةُ بالتاء على الخطاب، وهو المناسبُ لأوَّل الآية، والقراءةُ بالياء فيه التفاتٌ عن الخطاب إلى الغيبة كما ذكر المؤلِّفُ.



---

(١) **ينظر**: تفسير الألوسي (١/ ٢٩٤)، و«إعراب القرآن وبيانه» لدرويش (١/ ١٢٨).

(٢) قرأ ابن كثير: ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالغيب، وقرأ الباقون: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالخطاب. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٠-١٦٢)، «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٧).

قوله تعالى: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة: ٧٥]:

ينهى اللهُ -تعالى- المؤمنينَ عن إحسان الظنِّ باليهود والطمعِ في إيمانهم، وهم الذين فريقٌ منهم يسمعون كلامَ الله المنزَّل على موسى، وهو التوراةُ ثم يحرفونه؛ أي: يُغيّرون لفظَه أو معناه بعد ما فهموا مرادَ اللهِ منه، وهم يعلمون قُبحَ فعلِهم، فمَن هذه حالُه لا طمعَ في إيمانهم؛ لأنهم ارتكبوا الباطلَ قاصدين وعامدين، ولهذا قال: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٧٥﴾، وفي هذا تيئيس للمؤمنين من إيمانهم.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيُّها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ أي: اليهود ﴿لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ طائفةٌ ﴿مِنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَام اللَّه﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ يُغيرونه ﴿مِنْ بَعْد مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مُفترون؟ والهمزة للإنكار؛ أي: لا تطمعوا فلهم سابقةٌ في الكفر.

وقولُ المؤلِّف: (**أيُّها المؤمنون**): بيانٌ للمخاطَبين في الآية.

وقولُه: (**أي: اليهود**): بيانٌ للمراد في الذين لا طمع في إيمانهم، ويدلُّ له أنَّ الحديثَ في الآيات السابقة عنهم.

وقولُه: (**أحبارهم**): بيانٌ للمراد بالفريق الموصوفين بالتحريف، وهم علماءُ اليهود، وهذا هو الصحيحُ، والصحيحُ أيضًا: أنَّ المرادَ بكلام الله التوراةُ[1]، ولهذا قال المؤلف: (في التوراة).

---

(١) وهو قول مجاهد والسدي. ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ١٤٠-١٤١)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٩)، و«زاد المسير» (١/ ٨٠).



وقولُه: (**يُغيّرونه**): أي يُغيّرون معانيه بما يوافق أهواءهم، ومن أجل ذلك يُغيّرون حروفَه.

وقولُه: (**والهمزةُ للإنكار**): يريد أنَّ همزةَ الاستفهام في أوَّل الآية للإنكار الذي معناه النهي، والأحسنُ في إعراب الفاء التي بعد همزة الاستفهام أنها عاطفةٌ على محذوف؛ فيكون التقديرُ: أتحسنون الظنَّ في هؤلاء وحالُهم ما ذُكِرَ، فتطمعون في إيمانهم[١]؟



(١) **ينظر**: «البحر المحيط» (١/ ٤٣٨)، و«الدر المصون» (١/ ٤٤٠).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة: ٧٦]:

يُخبر تعالى عن المنافقين من اليهود أنهم إذا لقوا المؤمنينَ أظهروا لهم الإيمان وقالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾؛ أي: قد آمنَّا، وإذا مَضوا إلى شياطينهم، وخلا بعضُهم ببعضٍ فإنهم يحذرونهم أن يُحدِّثوا المسلمين بما أعطاهم الله من العلم في التوراة مما يكون حجَّةً للمسلمين عليهم، وأنَّ ذلك خلافُ العقل؛ لقولهم: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾، فتبيَّن أنَّ قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ آخرُ ما أخبر اللهُ به من قول الرؤساء المتبوعين لأتباعهم لائمينَ لهم وموبِّخين على تحديثهم المسلمين بما يكون حجَّة لهم عليهم[1].

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أي: منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بأنَّ محمَّدًا نبيٌّ وهو المبشَّرُ به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجعَ ﴿بَعْضهمْ إِلَى بَعْض قَالُوا﴾ أي: رؤساؤهم الذين لم يُنافقوا لمَن نافقَ ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّه عَلَيْكُمْ﴾ أي: عرَّفكم في التوراة من نعت محمَّدٍ ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ ليخاصموكم، واللام للصيرورة ﴿بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في الآخرة، ويُقيموا عليكم الحجَّةَ في ترك اتّباعه مع علمكم بصدقِه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنهم يُحاجُّونكم إذا حدَّثتموهم فتنتهوا؟

(١) قيل: هو خطاب من الله تعالى للمؤمنين، وقيل: هو من قول الأحبار للأتباع، واختار هذا القول: الطبري، والطاهر بن عاشور. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١٥١)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٦١)، و«البحر المحيط» (١/ ٤٤٢-٤٤٣)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٥٧٢).

وقولُ المؤلِّف: (**وهو المبشَّرُ به في كتابنا**): يشير إلى معنى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. وقولُه: (**رجع**): يُشير إلى أنَّ ﴿خَلَا﴾ في الآية ضُمِّن معنى: «رجع» بدليل التعدية بـ«إلى»[١].

وقولُه: (**أي: رؤساؤهم...**) إلى آخره: يُشيرُ إلى أنَّ الواو في ﴿قَالُوا﴾ تعودُ إلى بعض الثانية المخفوضة بـ «إلى»، وهم الرؤساءُ الذين سُمُّوا في الآية السابقةِ في أوَّلِ السورة بالشياطين.

وقولُه: (**أي: المؤمنين**): بيانٌ لمرجع الضمير المنصوب في قوله: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾.

وقولُه: (**أي: عرفكم...**) إلى آخره: تفسيرٌ للفتح بالمعرفة، ولا ريب أنَّ العلمَ بالحقِّ فتحٌ يفتحُه اللُّه لِمَن يشاء؛ المعنى: أتحدثون المؤمنين بما تعلمون من صفة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيحتجُّون عليكم بذلك؟

وقولُه: (**واللام للصيرورة...**) إلى آخره: يريد أنَّ اللام في قوله: ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ لامُ العاقبةِ وليست للتعليل؛ فالمعنى: إذا حدَّثتموهم يؤول الأمرُ بكم وبهم إلى أنْ يُخاصموكم عند ربكم بعلمكم بصفة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].



(١) **ينظر**: «البحر المحيط» (١/ ٤٤١).

(٢) **ينظر**: «البحر المحيط» (١/ ٤٤١-٤٤٢).

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧﴾ [البقرة: ٧٧]:

هذا توبيخٌ وتهديدٌ من الله للمنافقين ورؤسائهم على ما فعلوا من النفاق وتلقّيهم الوصايا من رؤسائهم، هذا مع علمهم أنَّ الله يعلم ما يُسِرّون وما يعلنون.

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهامُ للتقرير والواو الداخلُ عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَم مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما يُخفون وما يُظهرون من ذلك وغيره فيرعووا عن ذلك.

وقولُ المؤلِّف: (**والواو الداخلُ عليها للعطف**): يريد أنَّ الواو التي بعد الهمزة عاطفةٌ للجملة التي بعدها على جملةٍ محذوفةٍ بعد الهمزة؛ فالتقدير: أيفعلون ذلك ولا يعلمون أنَّ اللهَ يعلم ما يُسِرّون وما يُعلنون؟ فأفادتِ الآية عِلمَ اللهِ بكلِّ ما يُسِرُّون وما يعلنون؛ لأنَّ «ما» من صيغ العموم.

وقولُه: (**فيرعووا عن ذلك**): أي يرجعوا عن نفاقهم وإفسادهم خوفًا من الله تعالى الذي يعلم ما يُسرّون وما يُعلنون.



وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾ [البقرة: ٧٨]:

يخبر تعالى أنَّ من اليهود فريقًا آخر هم أُمِّيُّون لا يفهمون معاني كتابهم التوراة، فلا يعلمون منها إلَّا التلاوة، وهو معنى ﴿أَمَانِيَّ﴾، فهم يعلمون ألفاظها، ولا يعلمون معانيها، إلَّا ظنٌّ يظنونه، وهؤلاء هم عوامهم، وهذا على أحد القولين في تفسير: ﴿أَمَانِيَّ﴾؛ وهو أنَّ ﴿أَمَانِيَّ﴾ جمع أمنية؛ أي: قراءة[1]، وضعَّفَ ابنُ جرير هذا القولَ[2] وكذا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[3]، وقالوا: أنَّ هذا يناقض قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾، والأُميُّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، فكيف مع ذلك يوصفون بالعلم بقراءة الكتاب؟ والاستثناء على هذا القول متصلٌ.

والقول الثاني في الأماني: أنها الأحاديثُ الباطلةُ والتَّخرُّصات والتشهِّيات التي يُمنُّون بها أنفسهم[4]، ومن ذلك قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾، قال الله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١].

وقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾، قال الله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٣٥﴾ [البقرة: ١٣٥]. وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]. والاستثناء على

(١) نسب هذا القول للكسائي وأبي عبيدة، واختاره الواحدي والجرجاني والسعدي. **ينظر**: «التفسير البسيط» (٣/ ٨٥-٨٦)، و«درج الدرر» (١/ ٢١٣)، و«تفسير السعدي» (١/ ٧١)، وشيخ الإسلام يرجح هذا القول في الكثير من كتبه. **ينظر**: «درء التعارض» (١/ ٧٧) و«مجموع الفتاوى» (١٤/ ٧١) (١٦/ ١٢) (١٧/ ٤٣٣).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١٥٨).

(٣) **ينظر**: «أضواء البيان» (١/ ٩٤-٩٥)، و«العذب النمير» (١/ ١٦٦-١٦٧).

(٤) وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي العالية، واختاره الفراء. **ينظر**: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٩-٥٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٥٦-١٥٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٥٢).

هذا القول منقطع؛ فالمعنى: لا يعلمون الكتابَ لكن يتمنَّون أماني لا حقيقةَ لها، ويدَّعون من عِلم الكتاب ما ليسوا منه في شيءٍ، ومع ذلك هم شاكون، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾، والظنُّ في هذا الموضع هو الشكُّ.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ عوام ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراةَ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَمَانِيَّ﴾ أكاذيبَ تلقَّوها من رؤسائهم فاعتمدوها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظنًّا، ولا عِلم لهم.

وقولُ المؤلِّف: (**أكاذيب**...) إلى آخره: هذا مضمون القول الثاني في معنى أماني.

وقولُه: (**ما**): هذا تفسير: لـ«إنْ» يريد أن يبين أنها نافية.

وقولُه: (**في جحد**...) إلى آخره: يُبيّن أنَّ اليهود لا مُستند لهم في أقوالهم الباطلة إلَّا الظن، والظنُّ أكذبُ الحديث.



وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

المخبَر عنهم في هذه الآية بالكذب على الله فيما يكتبونه ليتوصلوا بذلك إلى عَرَض من الدنيا من مالٍ أو رئاسةٍ، الظاهرُ أنهم الفريق الذين وصفوا بأنهم يسمعون كلامَ الله ثم يُحرِّفونه، أو هم فريقٌ منهم وقد توعَّدهم الله في هذه الآية بالويل ثلاث مرات، والويل: هو العذابُ الشديدُ.

﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَاب بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي مُختلقًا من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْد اللَّه لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا وهم اليهود، غيروا صفة النبي ﷺ في التوراة وآيةَ الرجم وغيرها، وكتبوها على خلاف ما أُنزل ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المختلق ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرُّشا.

وقولُ المؤلِّف: (**شدة عذاب**): هذا أحسنُ وأجمعُ ما فُسِّرَ به الويل(١)، وقد ذُكر في سياق الدعاء عليهم والوعيد لهم.

وقولُه: (**مُختلقًا من عندهم**): يُبيِّن أنَّ الذي يكتبونه ليس هو التوراة المنزلة؛ بل كذبٌ يفترونه ويزعمون أنه من التوراة.

وقولُه: (**من الدنيا وهم اليهود...**) إلى آخره: يُبيِّن أنَّ المذكورين في الآيات المذمومين هم اليهود، وأنَّ غايتهم الحظُّ العاجلُ، وهو متاعُ الدنيا،

(١) روي عن ابن عباس بنحوه، **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١٦٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٦٠).

ومتاعُ الدنيا قليلٌ ولو كانت كلها؛ كما يُبيّن المؤلِّفُ أنَّ ممَّا حرَّفوه أو كتموه صفة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾ [البقرة: ٨٠]:

يذكر تعالى في هذه الآية بعض أقوال اليهود الباطلة؛ التي افتروها على الله، وهو قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾؛ أي: قليلة، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى في آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ [آل عمران: ٢٤]، وقد أكذبهم الله في الآية التالية بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾: الاستفهام للإنكار الذي يؤول إلى النفي. و﴿أَمۡ﴾ هي: المنقطعة المؤولة بـ«بل» وهمزة الاستفهام، فالمعنى: بل أتقولون على الله ما لا تعلمون؟[١]، وهذا استفهام توبيخ لهم على افترائهم الكذب على الله، ومَن قال على الله بغير علم فهو مفترٍ كذاب.

﴿وَقَالُوا﴾ لَمَّا وعدهم النبيُّ النارَ ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تُصيبنا ﴿النَّارُ إلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ قليلةً، أربعين [يومًا][٢]، مدَّة عبادة آبائهم العجل ثم تزول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ حذف منه همزة الوصل استغناءً بهمزة الاستفهام ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ ميثاقًا منه بذلك ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ به؟ لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) ينظر: «الكشاف» (١/ ٢٨٩)، و«البحر المحيط» (١/ ٤٤٨-٤٤٩).

(٢) ما بين معكوفتين مثبتة في طبعة دار السلام وابن كثير وحاشية الصاوي، وأثبتها شيخنا وقال: «لا بد منها».

وقولُ المؤلِّف: (**أربعين يومًا** ...) إلى آخره: هذا من الإسرائيليات؛ فلا يجزم بأنه مُرادهم بالأيام المعدودة(١).

وقولُه: (**حذف منه همزة الوصل**...) إلى آخره: يُبيّن أنَّ فعل «اتخذ» كان مبدوءًا بهمزة وصل مكسورة فلما اتصل الفعل بهمزة الاستفهام سقطت همزة الوصل.

وقولُه: (**ميثاقًا منه بذلك**): تفسيرُ العهد من الله بالميثاق فيه نظرٌ، إذ لم يرِدْ أَخذُ الميثاق من الله، والأولى تفسيرُ العهد من الله بالوعد المؤكَّدِ الذي لا يُخلَف(٢).



(١) وهذا قول قتادة والسدي وعكرمة وأبي العالية، ورواه الضحاك عن ابن عباس، ثم اختلفوا في سبب تقديرهم لها بالأربعين، وقيل في الأيام المعدودة غير ذلك. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١٧٠-١٧٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٥٥-١٥٦)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٥-٢٦٦).

(٢) **ينظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٣)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٥٨٠).

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾ [البقرة: ٨١-٨٢]:

يُبيِّنُ تعالى في هاتين الآيتين أنَّ مصيرَ الكافرين النار خالدين فيها، ومصيرَ المؤمنين الجنة خالدين فيها.

وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾: ردٌّ لِمَا تزعمُه اليهود من قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾. والسيئة هي الكفر. ومعنى: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: أي غَلبت عليه سيئاته فلا يصلُ إليه خيرٌ من أي جانب، وبهذا استوجبوا دخول النار والخلود فيها، وأمَّا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فمصيرُهم الجنة خالدين فيها. فهذان الفريقان ـ فريقُ السُّعداء وفريقُ الأشقياء ـ نقيضان في أحوالهما وأعمالهما ومآلهما.

﴿بَلَى﴾ تمسُّكم وتَخلدون فيها ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركًا ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَته﴾ بالإفراد والجمع أي: استولت عليه وأحدقت به من كلِّ جانبٍ بأن مات مشركًا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ رُوعي فيه معنى «من». ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وقولُ المؤلِّف: **(تمسُّكم، وتَخلدون فيها)**: يُبيِّنُ بهذا أن ﴿بَلَى﴾ تُفيد إبطالَ النفي، وإثباتَ المنفي في قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾.

وقولُه: **(شركًا)**: تفسيرٌ للسيئة الموجبة للكفر والخلود في النار[1].

(١) قاله ابن عباس وأبو وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ١٧٨-١٨١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٥٧).

وقولُه: (**بالإفراد والجمع**): يريد أنَّ خطيئةَ فيها قراءتان: خطيئة وخطيئات[1].

وقولُه: (**استولت عليه**): يعني غلبت عليه، فلا يفعل خيرًا حتى مات كافرًا فاستحقَّ الخلود في النار.

وقولُه: (**رُوعي فيه معنى «من»**): يريد أنَّ خالدون ـ وهو جمع ـ روعي فيه معنى: «مَنْ» في قوله: ﴿مَنْ كَسَبَ﴾، فإنَّ لفظَها مفردٌ ومعناها الجمع.



(١) قرأ أبو جعفر ونافع: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَاتُهُ﴾ بالألف على الجمع، وقرأ الباقون: ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ بغير ألف على واحدة. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٢)، و«النشر» (٢/ ٢١٨).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة: ٨٣]:

في هذه الآية عودٌ إلى خطاب اليهود؛ لتذكيرهم بنعم الله على آبائهم وما جرى منهم من المخالفات، وما حلَّ بهم من العقوبات، وفي كلِّ ما تقدَّم تُضافُ هذه الأمور إلى المخاطبين لكن في هذا الموضع أُضيف أخذُ الميثاق إلى بني إسرائيل فيشمل الأولين منهم والآخرين. وفي ذكرهم بنسبهم الذي عُرفوا به تجديدٌ لِمَا افتتح به الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، ولينبني عليه خطابهم في الآيتين التاليتين، وقد دلَّت هذه الآية على ما تضمَّنه الميثاقُ وهو ثمانيةُ أمور:

١ ـ أنهم لا يعبدون إلا الله.

٢ ـ الإحسان إلى الوالدين.

٣ ـ الإحسان إلى ذوي القربى.

٤ ـ الإحسان إلى اليتامى.

٥ ـ الإحسان إلى المساكين.

٦ ـ أن يقولوا للناس حسنًا؛ أي: قولًا حسنًا.

٧ ـ إقام الصلاة.

٨ ـ إيتاء الزكاة.

والخطاب في قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ...﴾ إلى آخره، لبني إسرائيل كلهم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي أعرضتم عن العمل بالميثاق.

وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾: يدلُّ على أنهم لم يُعرضوا كلّهم بل أعرض أكثرُهم؛ فمعنى الآية: واذكروا حين أخذنا ميثاق بني إسرائيل بألا يعبدوا إلَّا الله ويحسنوا بالوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين، ويقولوا للناس حسنًا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ولكنه قد تولَّى عن العمل بهذا الميثاق كثيرٌ منهم أو أكثرُهم.

والخطابُ في أول الآية وآخرها لأهل الكتاب الموجودين زمنَ النبوة، خصوصًا اليهود الذين حول المدينة. والخطاب في قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ...﴾ إلى آخره: لبني إسرائيل الذين أَخذ اللهُ منهم الميثاق.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في التوراة وقلنا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ خبرٌ بمعنى النهي. وقُرئ ﴿لا تعبدوا﴾ ﴿وَ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برًّا ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة عطف على الوالدين ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ قولًا ﴿حَسَنًا﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد، والرفق بهم، وفي قراءةٍ بضمِّ الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفاتٌ عن الغيبة، والمرادُ: آباؤهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عنه كآبائكم.

وقولُ المؤلِّف: (اذكر): جعل الخطاب للنبي ﷺ، ولعلَّ الذي أوجب له ذلك التصريحُ بذكر بني إسرائيل بالاسم الظاهر، والأظهرُ أنه خطابٌ لبني إسرائيل في عهد النبي ﷺ[(١)]، يُذكرهم تعالى الميثاق الذي أخذ

(١) واختاره: الطبري، وابن عطية، وابن كثير، وابن عاشور. ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ١٨٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٨)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٦)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٥٨٢).

على آبائهم؛ كقوله تعالى في آيتين من هذه السورة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾. وتقدَّمَ بيانُ وجه جعل الخطاب لبني إسرائيل الموجودين زمن النبي ﷺ تذكيرًا لهم بنعم الله على آبائهم ليشكروها[١].

وقولُه: (في التوراة...) إلى آخره: يُبيِّنُ بهذا أنَّ الميثاق الذي أخذه اللهُ من بني إسرائيل بما تضمَّنه من الشرائع المذكورة في هذه الآية هو مما أنزله الله في التوراة.

وقولُه: (بالتاء والياء): يُبيِّنُ أنَّ في قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ قراءتين؛ ﴿لا تعبدون﴾ و﴿لا يعبدون﴾[٢]، ومعناهما: واحد، وهو طلبٌ بصيغة الخبر.

وقولُه: (أحسنوا): هذا تقديرُ الفعل المحذوف المعطوف على النهي؛ المفهوم من قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾: مُتعلِّقٌ بـ «وأحسنوا».

وقولُه: (عطف على الوالدين): فيكون المعنى: وأحسنوا بذي القربى إحسانًا واليتامى والمساكين. وقولُه: (قولًا): يُبيِّنُ أنَّ ﴿حَسَنًا﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوف تقديره: قولًا حسنًا.

وقولُه: (من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...) إلى آخره: بيانٌ للقول الحسن وأنه عامٌّ لكلِّ قولٍ سديد يرضاه الله تعالى.

وقولُه: (وفي قراءة...) إلى آخره: يُبيّنُ أنَّ في الكلمة قراءتين: ﴿حسنًا﴾ بفتح الحاء والسِّين، وبضمِّ الحاء وسكون السين[٣]، وهو على هذه القراءة

---

(١) ينظر (ص ١٠٦)، و(ص ١٢٨).

(٢) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائيّ: ﴿لا يَعْبُدُونَ﴾ بالياء، وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر: ﴿لا تَعْبُدُونَ﴾ بالتاء. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٢)، و«النشر» (٢/ ٢١٨).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر: ﴿حُسْنًا﴾ بالضم والتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿حَسَنًا﴾ بالفتح والتثقيل. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٢)، و«النشر» (٢/ ٢١٨).

مصدرٌ وصف به مبالغة، فإنَّ الوصفَ بالمصدر يدلُّ على كمال الصفة في الموصوف؛ كقولك: زيدٌ عدلٌ؛ أي: عادلٌ. وهذا قولٌ حُسن؛ أي: حَسَنًا.

وقولُه: (**فقبلتم ذلك**): يريد أنَّ كلَّ ما تقدَّم من أمرٍ أو نهيٍ داخلٌ في الميثاق، وأنَّ بني إسرائيل قبلوا ذلك؛ كما يدلُّ له قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾.

وقولُه: (**أعرضتم عن الوفاء به**): يُبيِّنُ أنَّ معنى ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم، فعُلم أنهم لم يَفوا بالميثاق.

وقولُه: (**فيه التفاتٌ عن الغيبة، والمراد: آباؤهم**): يريد أنَّ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ التفاتٌ؛ أي: انتقالٌ عن الخبر عن بني إسرائيل بأخذ الميثاق منهم إلى خطاب بني إسرائيل الموجودين في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم اليهود، والمرادُ: توبيخُ الموجودين، والخبر عن أسلافهم، كما قيل في نظائر ذلك في الآيات السابقة؛ كقوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٢]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦]، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧].

وقولُه: (**عنه كآبائكم**): يريد وأنتم يا معشر يهود، مُعرِضون عن موجب الميثاق كما أعرض آباؤكم من قبل، وعلى هذا فالجملةُ مُستأنفةٌ، فكأنه قيل: وأنتم مُعرضون كما أعرض أباؤكم، فتضمَّنت الآية الخبرَ عن إعراض الآباء في قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾، وعن إعراض الأبناء في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[1].



(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٠٠)، و«معاني القرآن» الزجاج (١/ ١٦٤)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٥٨٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة: ٨٤-٨٦]:

الخطابُ لبني إسرائيل الموجودين زمن النبي ﷺ وهم اليهود حول المدينة كما تقدَّم في نظائر هذه الآية، والتقدير: واذكروا حين أخذنا ميثاقكم؛ أي: عهدكم المؤكد، وهو العهد الذي أُخِذ على آبائهم، وموجبه لازم لهم.

وقوله: ﴿لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾: بيانٌ لِمَا تضمَّنه الميثاقُ من التكليف، وهو أمران:

الأول: ألَّا يسفكوا دماءهم؛ أي: لا يقتل بعضهم بعضًا.

والثاني: ألَّا يُخرجوهم من ديارهم؛ أي: بإجلائهم عنها.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾: أي قبلتم ما تضمَّنه الميثاقُ ووافقتم عليه وأنتم تشهدون بذلك على أنفسكم، ثم أنتم يا هؤلاء المخاطَبون بهذا القرآن بعد ذلك تنقضون الميثاقَ؛ فيقتل بعضُكم بعضًا ويُخرج بعضُكم بعضًا من ديارهم.

وقوله: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾: يعني: تتعاونون على إخراجهم بالإثم والعدوان؛ أي: بغير حق.

وقوله: ﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾: يعني: مَن وقع في الأسر منهم لدى العدو تُفادوهم؛ أي: تفتكُّوهم ببذل فدائهم، وهذا مما يجب عليكم

وهو من الإيمان بالكتاب، وقتالهم هو من الكفر بالكتاب، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

وقوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾: تأكيدٌ لِمَا تضمَّنه الميثاقُ من النهي عن إخراج بعضهم من أهل مِلتهم من ديارهم.

وقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: إنكارٌ على اليهود وتوبيخٌ لهم على نقضهم الميثاق وتناقضهم في الإيمان بالكتاب، إذ يقتل بعضُهم بعضًا، ويخرجونهم من ديارهم، وإذا أُسر أحدٌ منهم عند عدوهم فادوهم، فمُفاداةُ أسراهم هو من الواجب عليهم، وهو من إيمانهم بالكتاب، وقتل بعضهم بعضًا هو من كُفْرهم بالكتاب، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

ويوضِّحُ المفسِّرون مضمون الآيتين بذكر ما تُشير إليه من حال اليهود بعضهم مع بعضٍ قبل مَبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيذكرون أنَّ اليهودَ الذين كانوا حول المدينة ثلاثُ قبائل: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، وكان جيرانُهم الأوس والخزرج، وهم مشركون عُبَّاد أوثان، تكون بينهم حروب في الجاهلية، وكان بين اليهود والأوس والخزرج حِلفٌ، فيقاتل اليهود بعضهم بعضًا كل مع حلفائه، فيقتلونهم ويُخرجونهم من ديارهم[1]، وهذا ما نهاهم الله عنه في الميثاق بقوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾، ثم إذا أُسر أحدٌ من اليهود عند الأوس أو الخزرج فإنَّ اليهود يُفادونهم وهو واجبٌ عليهم في التوراة، وقتلُ بعضهم بعضًا وإخراجهم من ديارهم حرامٌ عليهم في التوراة، ولهذا قال الله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٠٧-٢٠٩)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٦٤، رقم ٨٦٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٩).

ثم توعَّد اللهُ اليهودَ على ذلك بالخزي في الدنيا وبأشدِّ العذاب في الآخرة فقال: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾، ثم أخبر تعالى أنَّ علمَه محيطٌ بأعمالهم فقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾، ثم بيَّن سبحانه أنَّ الذي حملهم على ما فعلوا من الكفر بالكتاب ونقض الميثاق هو إيثارُ الدنيا على الآخرة فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾.

الإشارة إلى الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، يُخبر تعالى عنهم بأنهم آثروا الدنيا على الآخرة فاستبدلوا الدنيا بالآخرة، وجعلوا حظوظ الدنيا عوضًا عن حظِّ الآخرة؛ لذلك يصيرون في الآخرة إلى أشد العذاب ولا يُخفَّفُ عنهم العذابُ، ولا هم يُنصرون فيُنقذون من العذاب.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وقلنا ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ تُريقونها بقتل بعضكم بعضًا ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يُخرجْ بعضُكم بعضًا من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم. ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ يا ﴿هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يقتل بعضُكم بعضًا ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَّاهَرُونَ﴾ فيه إدغامُ التاء في الأصل في الظاء. وفي قراءةٍ بالتخفيف على حذفها: تتعاونون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾ وفي قراءةٍ ﴿أَسْرَى تَفْدُوهُمْ﴾ وفي قراءة ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ تُنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو مما عهد إليهم ﴿وَهُوَ﴾ أي الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متصلٌ بقوله: ﴿وَتُخْرِجُونَ﴾، والجملةُ بينهما اعتراضٌ؛ أي كما حرم ترك الفداء، وكانت قريظة حالفوا الأوس، والنضير الخزرج، وكان كلُّ فريقٍ يُقاتلُ مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم، فإذا أسروا فدوهم، وكانوا إذا سئلوا لم

تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: أمرنا بالفداء، فيقال فلم تقاتلونهم؟ فيقولون: حياء أن يستذل حلفاؤنا. قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهو الفداءُ ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو تركُ القتل والإخراج والمظاهرة ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ هوانٌ وذلٌّ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقد خُزوا بقتل قريظة ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلونَ﴾ بالياء والتاء ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ بأن آثروها عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يُمنعون منه.

وقولُ المؤلِّف: (**فيه إدغامُ التاء...**) إلى آخره: يُبيّن أنَّ قوله: ﴿تَظَّاهَرُونَ﴾ أصلُها تتظاهرون، وفيها قراءتان بحذف التاء الثانية وتخفيف الظاء ﴿تَظَاهَرُونَ﴾، والقراءةُ الأخرى بتسكين التاء الثانية وإدغامِها في الظاء مع التشديد ﴿تَظَّاهَرُونَ﴾[1]، وهي القراءة الأولى التي ذكرها المؤلف. والتظاهرُ: التعاون[2]، وفسَّر المؤلفُ الإثم بالمعصية والعدوان بالظلم، فعَطْفُ العدوانِ على الإثم من عطفِ الخاص على العام.

وقولُه: (**وفي قراءة أسرى...**) إلى آخره: يُشير إلى القراءات في الآية، ففي ﴿أسرى﴾ قراءتان: ﴿أَسْرَى﴾ و﴿أُسَارَى﴾، وفي كلٍّ من القراءتين قُرِئَ ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ و﴿تَفْدُوهُمْ﴾[3].

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ خفيفة الظاء، وقرأ الباقون: ﴿تَظَّاهَرُونَ﴾ مشددة الظاء. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٣)، و«الحجة للقراء السبعة» (٢/ ١٣٠-١٣١).

(٢) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٥٧)، و«المفردات» للراغب (ص٥٤٠).

(٣) قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم والكسائي ويعقوب: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ بالألف جميعًا، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ابن عامر: ﴿أُسَارَى﴾ بالألف ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ بغير ألف، وقرأ =

وقولُه: (**وهو مما عهد إليهم**): يعني مفاداة الأسرى ممَّا فرض عليهم.

وقولُه: (**الشأن**): يريد أنَّ الضميرَ المنفصل هو ضميرُ الشأن، وتُفسِّرُه الجملةُ بعده.

وقولُه: (**متَّصلٌ بقوله: ﴿وَتُخْرِجُونَ﴾**): يريد أنَّ قوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ مُتعلِّق بقوله: ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا﴾، فالمعنى: وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم، والحال أنَّ ذلك الإخراجَ حرامٌ عليكم.

وقولُه: (**والجملة بينهما اعتراض...**) إلى آخره: الجملةُ المعترضةُ هي قوله: ﴿تَظَّاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَدُوهُمْ﴾.

وقولُه: (**وهو الفداء**)، وقولُه: (**وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة**): يُبيِّنُ أنهم مأمورون في التوراة بذلك كلِّه، فامتثلوا في المفاداة، وهذا هو إيمانهم ببعض الكتاب، ولم يمتثلوا في ترك القتال والإخراجِ والمظاهرةِ؛ بل قتلوا وأخرجوا، وهذا هو البعضُ الذي كفروا به من الكتاب.

وقولُه: (**وقد خُزوا...**) إلى آخره: يريد أنَّ الخزي الذي توعَّد به في الدنيا قد تحقَّقَ بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وضرب الجزية.

وقولُه: (**بالياء والتاء**): يريد أنَّ في ﴿يعملون﴾ قراءتين ﴿تَعْمَلُونَ﴾ و﴿يَعْمَلُونَ﴾[1].



= حمزة وحده: ﴿أَسْرَى تَفْدُوهُمْ﴾ بغير ألف فيهما. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٤)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٨).

(١) قرأ نافع وابن كثير ويعقوب وخلف وأبو بكر ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالغيب، وقرأ الباقون بالخطاب. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٠-١٦١)، و«النشر» (٢/ ٢١٨).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: ٨٧]:

يُخبر تعالى في هذه الآية أنه آتى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الكتابَ؛ وهو التوراة، وإن كان قد تقدَّم الخبرُ بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾، ثم أخبر بذلك في هذه الآية تمهيدًا لِمَا سيذكره بعدُ من إرسال الرُّسل وإيتاء عيسى البيِّنات وتأييده بروح القدس، وإنكاره تعالى على بني إسرائيل استكبارَهم عن اتّباع الرُّسل الذين أُرسلوا إليهم منهم فكذبوهم وقتلوا بعضهم.

وقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾: يعني: وأرسلنا من بعده رسلًا وهم أنبياء بني إسرائيل المتعبدون بشريعة التوراة، وسمَّاهم رسلًا لأنهم مأمورون بالدعوة إلى الله والحكم بين الناس بالتوراة، وخصَّ منهم عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، والبينات: هي الآيات التي أجراها الله على يده عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إذ جعله يخلق من الطين كهيئة الطيرِ فينفخُ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، ويُبرئُ الأكمه والأبرص ويُحي الموتى ـبإذن اللهـ، وروح القدس قيل: جبريل، وقيل: الوحي الذي به حياةُ القلوب والأرواح[(١)]، والقُدُسُ: هو الطُهر[(٢)]، وإضافةُ الرُّوحِ إلى القدس من إضافة الموصوف إلى الصفة.

وقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ﴾: الخطابُ لليهود الذين كانوا زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاستفهامُ توبيخٌ لليهود المخاطبين على استكبار آبائهم على مَن أُرسل إليهم، ففريقًا من الرسل كذَّبوه وفريقًا قتلوه، وإنما استحقَّ اليهودُ الذمَّ والتوبيخَ لأنهم مشوا على طريق أسلافهم في تكذيب الرسل وعداوتهم.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٢١-٢٢٣)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٧٨).
(٢) قاله ابن عباس. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٢٣).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي: أتبعناهم رسولًا في أثر رسول ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات؛ كإحياء الموتى وإبراءِ الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قوَّيناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: الروح المقدسة: جبريل، لطهارته يسير معه حيث سار. فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى﴾ تُحبُّ ﴿أَنْفُسُكُمْ﴾ من الحقِّ ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبَّرتم عن اتِّباعه جواب «كُلَّمَا» وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿فَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية. أي: قتلتم؛ كزكريا ويحيى.

وقولُ المؤلِّف: **(يسير معه حيث سار)**: بيانٌ لنوعٍ من التأييد وهو أنَّ جبريل يسير مع المسيح حيث سار.

وقولُه: **(جواب «كُلَّمَا»)**: يُبيّن بذلك أنَّ «كلَّما» أداةُ شرطٍ، ففعل الشرط ﴿جَاءَكُمْ﴾، وجوابُ الشرط ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ فكذبتم أو قتلتم.

وقولُه: **(وهو محلُّ الاستفهام)**: يريد أنَّ جوابَ الشرط هو مُتعلِّق الاستفهام.

وقولُه: **(والمرادُ به التوبيخ)**: يعني: المراد بالاستفهام التوبيخ.

وقولُه: **(المضارع لحكاية الحال الماضية)**: يُبيِّنُ أنَّ المضارع ليس خبرًا عن حال حاضرة بل خبرًا عن حال ماضية؛ لأنَّ القتلَ كان في الماضي؛ فالمعنى: فريقًا كذبتم ولم تقتلوهم، وفريقًا كذَّبتموهم وقتلتموهم، وفي الآية دلالةٌ على أنَّ عِنادَ بني إسرائيل وتعنُّتهم لم يقتصر على رسولهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بل كانت حالهم مع الرسل من بعد موسى كحالهم مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلى أن جاء نبيُّنا

محمد ﷺ خاتم النبيين، فكان اليهودُ من أشد الناس عداوةً له وتكذيبًا وحسدًا، وبهذا يتبيَّنُ أنَّ هذه الآية نظير الآيات التي خُوطب بها بنو إسرائيل الموجودون زمن النبي ﷺ التي أولها: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾.



وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ٨٨ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٨٩ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩٠﴾ [البقرة: ٨٨-٩٠]:

يُخبر تعالى في هذه الآية عن اليهود الذين كانوا هم المخاطَبين في الآيات السابقة، أخبر عنهم بلفظ الغيبة، ففيه التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة أنهم قالوا معتذرين عن عدم قبول دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجه الاستهزاء أنَّ قلوبَهم غُلْفٌ؛ أي: عليها غشاءٌ يمنعها من الفهم، و﴿غُلْفٌ﴾: جمعُ أغلف، وهو الذي في غلاف(١)، وهذا نظيرُ ما أخبر اللهُ به عن المشركين في قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥].

ثم أكذبهم اللهُ في زعمهم عدمَ الفهم لِمَا جاء به الرسولُ، فبيَّن سبحانه أنَّ عدم إيمانهم بسبب أن لعنهم الله بسبب كُفْرهم أوَّل مرة، وطبع على قلوبهم كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٥٥﴾ [النساء: ١٥٥]، وقال هنا: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ٨٨﴾، واللعن من الله: هو الإبعاد من الرحمة.

ثم أخبر تعالى عن حال اليهود مع القرآن فقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ﴾: أي القرآن الذي أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن نعته أنه مصدقٌ لِمَا معهم من كتب الله، وهي التوراة والإنجيل؛ أي: شاهدٌ لها بالصِّدق؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣-٤]، ودالٌّ على ما دلَّت عليه من أصول الإيمان.

(١) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٥٧)، و«المفردات» للراغب (ص٦١٢).

وقوله: ﴿لِّمَا مَعَهُمۡ﴾: أي التوراة والإنجيل.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: جملةٌ معترضةٌ يُحتمل أن تكون حالًا، ويُحتمل أن تكون مُستأنفة لبيان أنهم على معرفةٍ بالرسول والكتاب[١].

ومعنى: ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يستنصرون اللهَ على مَن يقاتلهم من العرب المشركين ببعث محمد ﷺ، وكانوا يتوعَّدون الأوسَ والخزرجَ، وكانوا في الجاهلية كفارًا مشركين لا يؤمنون بكتابٍ ولا رسولٍ، وكان اليهود إذا قاتلوهم يتوعَّدونهم بأنه يخرج رسولٌ في آخر الزمان، فإذا خرج آمنوا به وقاتلوا معه، فينتصرون عليهم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾؛ وهو الكتابُ أو الرسولُ، ﴿كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾؛ أي: حقَّت لعنةُ الله عليهم؛ فوضع الظاهرَ موضعَ المُضمر بإثبات وَصْفِ الكفر لهم. وجملة ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾: بدلٌ من جملة ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ﴾؛ لترتيب جواب الشرط، فيكون المعنى: «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم كفروا به».

وقوله تعالى: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾: تقبيحٌ لِمَا اعتاضوا به عن أنفسهم، والاشتراءُ في هذا الموضع: البيعُ في قول أكثر المفسرين[٢]، ويشهدُ له قوله تعالى: ﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ أي: باعوا؛ فالشراء في هذه الآية بمعنى البيع بالاتفاق؛ فالمعنى: بئس الشيء باعوا به أنفسهم وأخذوه عوضًا عنها؛ وهو كفرهم بما أنزل الله في التوراة على موسى، وهو: البشارة بمحمد ﷺ والأمر بالإيمان به واتباعه، وكذا كفرهم بما أنزل

---

(١) ينظر: «الدر المصون» (٥/ ٥٠٥)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٦٠٢).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٦)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٤٦-٢٤٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٢).

الله على محمد ﷺ من الكتاب. وفاعل «بئس»: الاسم الموصول في قوله: ﴿بِئْسَمَا﴾، والمخصوص بالذم المصدر المؤول في قوله: ﴿أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، وهو في محل رفع. و﴿بَغْيًا﴾: مفعول لأجله، والبغي: الحسدُ والظلمُ والعدوانُ؛ فالمعنى: كفروا بما أنزل اللهُ حسدًا للنبي ﷺ أنْ بُعث من بني إسماعيل لا من بني إسرائيل.

﴿وَقَالُوا﴾ للنبي استهزاء: ﴿قُلُوبنَا غُلْفٌ﴾ جمعُ «أغلف» أي مُغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول. قال تعالى: ﴿بَلْ﴾ للإضراب ﴿لَعَنَهُمْ اللَّه﴾ أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ «ما» زائدة لتأكيد القلة، أي: إيمانهم قليلٌ جدًا ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْد اللَّه مُصَدِّق لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة وهو القرآن ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحقِّ وهو بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسدًا وخوفًا على الرياسة. وجواب «لَمَّا» الأولى دلَّ عليه جوابُ الثانية ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: حظَّها من الثواب، و«ما» نكرة بمعنى «شيئًا» تمييزٌ لفاعل «بئس»، والمخصوص بالذم: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ أي: كفرهم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّه﴾ من القرآن ﴿بَغْيًا﴾ مفعول له، لـ ﴿يَكْفُرُوا﴾، أي: حسدًا على ﴿أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يُشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل، والتنكيرُ للتعظيم ﴿عَلَى غَضبٍ﴾ استحقُّوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَاب مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

وقولُ المؤلِّف: (**للإضراب**): يريد أنَّ «بل» تُفيد الإضراب؛ وهو الانتقالُ عن إثبات حكمٍ لشيءٍ بإثباتِه لغيره، فتبيَّن بذلك أنَّ السببَ الحقيقيَّ في عدم قَبولهم دعوةَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو اللعنُ من الله والطبعُ على قلوبهم.

وقولُه: (**وخذلهم عن القبول**): أي لم يوفِّقهم لقبول الحقِّ، فالخذلانُ عدم التوفيق.

وقولُه: (**وليس عدم قَبولهم لخللٍ في قلوبهم**): يريد أنَّ كفرَهم أوَّلَ مرَّةٍ هو سببُ عدم قبولهم، لا لمانعٍ في قلوبهم كما زعموا بقولهم: ﴿قُلُوبنَا غُلْفٌ﴾.

وقولُه: (**ما زائدة لتأكيد القلة**): يُريدُ أنَّ «ما» المتصلة بقليل مؤكدة لِمَا يفيده قليل، ولهذا فسَّره بقوله: (**قليلٌ جدًّا**). و«قليلًا»: صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ مقدَّم؛ عامله: يؤمنون؛ فالتقدير: فيؤمنون إيمانًا قليلًا ما.

وقولُه: (**وهو القرآن**): بيانٌ للمراد بالكتاب المصدّق الذي جاء من عند الله.

وقولُه: (**قبل مجيئه**): بيانٌ للمُضاف إليه المحذوف في قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل مجيء الكتاب الذي هو القرآن.

وقولُه: (**يستنصرون**): هذا معنى ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾؛ لأنَّ الفتحَ هو النصر، والاستفتاحُ: طلبُ النصر، وكانوا يدعون اللهَ أن ينصرهم على الكفار[1].

وقولُه: (**يقولون...**) إلى آخره: بيانٌ لِمَا كانوا يدعون به في استفتاحهم، وهو يدلُّ على أنهم على علمٍ بمبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذا كانوا يترقَّبون مبعثه.

وقولُه: (**وجواب «لَمَّا» الأُولى...**) إلى آخره: لَمَّا الأولى في قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ﴾، ولَمَّا الثانية في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾، وجوابها قوله: ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾، وجواب «لَمَّا» الأولى محذوفٌ دلَّ عليه جواب «لَمَّا» الثانية؛ فالتقدير: ولَمَّا جاءهم كتاب من عند الله مصدقٌ لِمَا معهم كفروا به.

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٣٦) وما بعدها، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٧١).

وقولُه: (**باعوا**): هذا تفسيرُ ﴿اشْتَرَوْا﴾، وهذا من مواضع مجيء «اشترى» بمعنى باع؛ فيكون ﴿اشْتَرَوْا﴾ في الآية مثل قوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: باعوا به أنفسهم، ولهذا كانت الباءُ داخلةً على المأخوذ في الآيتين.

وقولُه: (**حظها من الثواب**): تفسيرٌ لقوله: (**باعوا أنفسهم**)؛ فالمعنى: باعوا حظَّهم من الثواب في الآخرة بأعظم أسباب العذاب وهو الكفر بما أنزل الله.

وقولُه: (**و«ما» نكرة بمعنى شيئًا...**) إلى آخره: هذا أحدُ الأقوال في «ما» التي بعد «بئس»، وقيل: «ما» اسم موصول بمعنى الذي، فتكون في موضع رفعٍ فاعلٍ لـ«بئس»، وهذا أظهر لفهم المعنى[(١)].

وقولُه: (**من القرآن**): بيانٌ لِمَا في قوله: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، وقيل: ما أنزل الله في التوراة في شأن محمد ﷺ، والأولُ هو ما يقتضيه السياق، ولو قيل إنَّ قولَه: ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ عامٌّ لكان له وجهٌ[(٢)].

وقولُه: (**مفعول له...**) إلى آخره: يُبيِّن بذلك إعراب ﴿بَغْيًا﴾ ومعناها؛ فالمعنى: كفروا بما أنزل الله حسدًا على إنزال الله من فضله على من يشاء من عباده، وهو ما أنزله من الكتاب والحكمة على محمد ﷺ.

وقولُه: (**بالتخفيف والتشديد**): يُبيّن أنَّ في قوله: ﴿أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ﴾ قِراءتين؛ بتشديد الزاي وتخفيفها[(٣)].

---

(١) **ينظر**: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٦-٥٨)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٤٣-٢٤٦)، و«الكشاف» (١/ ٢٩٧)، و«التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٩١).

(٢) ومال إليه ابن عطية. **ينظر**: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٢-٢٨٣).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٤-١٦٥)، «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٨-٢١٩).

وقولُه: (**الوحي**): تفسيرٌ للفضل المنزَّل وهو الوحيُ المتضمنُ للإنباء والإرسال.

وقولُه: (**للرسالة**): يُبيّن أنَّ ﴿**يَشَاءُ**﴾ مضمَّنٌ معنى يختار؛ فالمعنى: على مَن يختاره للرسالة.

وقولُه: (**رجعوا**): فيه أنَّ معنى: «باء» رجع، فهي مثل «آب» في المعنى، مع أنها عكسها في ترتيب الحروف[(١)].

وقولُه: (**من الله بكفرهم...**) إلى آخره: يريد أنَّ المعنى: رجعوا بغضبٍ عظيمٍ من اللهِ بسبب كفرهم بما أنزل الله على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقولُه: (**استحقوه...**) إلى آخره: يُبيِّن أنَّ معنى ﴿**عَلَى غَضَبٍ**﴾: أنَّ اللهَ قد غضب عليهم بكفرهم بما أنزل الله على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على غضبٍ استحقُّوه قبل ذلك بسبب تحريفِ التوراة وكفرهم بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكفروا مرَّتين، وغضب الله عليهم مرتين[(٢)].

وقولُه: (**ذو إهانة**): معناه أنَّ عذابَ الكافرين فيه إهانةٌ وإذلالٌ لهم.



---

(١) تقدم في (ص ١٤٥).

(٢) قال شيخ الإسلام: «وأخبر أنهم باؤوا بغضب على غضب؛ فإنهم ما زالوا يفعلون ما يغضب الله عليهم، فإما أن يراد بالتثنية تأكيد غضب الله عليهم، وإما أن يراد به مرتان، والغضب الأول: تكذيبهم المسيح والإنجيل، والغضب الثاني: لمحمد والقرآن». «الجواب الصحيح» (١/ ٣٩٨). **وينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٥٠-٢٥٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٧٤)، و«زاد المسير» (١/ ٨٧-٨٨).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١]:

يُخبر تعالى في هذه الآية عن قول اليهود إذا دُعوا إلى الإيمان بالقرآن رَدُّوا بأنهم لا يؤمنوا إلَّا بما أُنزل عليهم ولا يؤمنون بغيره، هذا والذي دعوا إلى الإيمان به هو الحق وهو مصدقٌ لِمَا معهم شاهدٌ له، ثم يُبيِّنُ سبحانه أنهم كاذبون فيما ادَّعوا من الإيمان بما أُنزل عليهم، بدليل قتلهم أنبياءَ الله بغيرِ حقٍّ؛ ولذا قال: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِن بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي: التوراة قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ سواه أو بعده من القرآن ﴿وَهْوَ الْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثابتة مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ﴾ لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي: قتلتم ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة، وقد نهيتم فيها عن قتلهم. والخطابُ للموجودين في زمن نبيِّنا بما فعل آباؤهم لرضاهم به.

وقولُ المؤلِّف: (**القرآن وغيره**): بيانٌ للمُراد بالموصول في قوله: ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، والمراد: بغير القرآن: الحكمة؛ وهي السنَّة، وعلى هذا فالمراد ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: ما أنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكتاب والحكمة.

وقولُه: (**أي: التوراة**): بيانٌ لِمَا يدعي اليهودُ الإيمانَ به، وهو ما أَنزلَ الله على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ وهو التوراة، وهي أعظمُ كتابٍ أنزله اللهُ غير القرآن.

وقولُه: (**الواو للحال**): أي: وهم يكفرون بما وراءه، ويحتمل أنَّ الواو للاستئناف، لبيان ما يتضمَّنه قولهم: ﴿نُؤْمِن بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ من نفي الإيمان بما سواه[(١)].

وقولُه: (**سواه أو بعده من القرآن**): يريد أنَّ «وراء» بمعنى سِوى أو عدى[(٢)]؛ فالمعنى: يكفرون بما سوى ما أنزل عليهم.

وقولُه: (**حال**): يريد أنَّ جملةَ ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حالٌ في موضع نصب، وهي حالٌ من الموصول في قوله: ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾.

وقولُه: (**لهم**): يريد مَن وجّه الخطاب إليهم، وهم: اليهود.

وقولُه: (**أي قتلتم**): يريد أنَّ قوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ ليس حكايةَ حالٍ حاضرةٍ بل حكايةُ حالٍ ماضيةٍ؛ لأنَّ القتل لم يكن من المخاطَبين بل من أسلافهم[(٣)].

وقولُه: (**بالتوراة...**) إلى آخره: يريد أنَّ المعنى: إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾؟ وقد كان القتلُ من أسلافهم والخطابُ والعتابُ لليهود الموجودين الذين إذا قيل لهم: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾، واستحقُّوا اللوم على ما فعله آباؤهم لرضاهم به.



---

(١) **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٢٩٧)، و«البحر المحيط» (١/ ٤٩٢)، و«الدر المصون» (١/ ٥١٣).

(٢) **ينظر**: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٦٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٥٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٤).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٥٧-٢٦٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٧٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٤-٢٨٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٩٢﴾ [البقرة: ٩٢]:

يُخبر تعالى خبرًا مؤكدًا بـ«قد» والقسم بأنَّ موسى جاء بني إسرائيل بالبينات؛ وهي الآيات الواضحاتُ، وهي التسع الآيات المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ﴾ [الإسراء: ١٠١]، ثم إنَّ بني إسرائيل من بعد مجيء موسى بالبينات وبعد ذهابه لميقات ربه أضلَّهم السَّامريُّ فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار، فقالوا: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨﴾ [طه: ٨٨]، فاتخذوه إلهًا وعكفوا عليه وعصوا نبيَّ الله هارون لَمَّا نهاهم، وقالوا: ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١﴾ [ط:٩١]، فكانوا بذلك ظالمين أعظمَ الظلم، وهو الشرك، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٩٢﴾.

ونظيرُ هذه الآية قولُه تعالى في سورة النساء في عرض قبائح اليهود: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣﴾ [النساء: ١٥٣].

ونظيرهما قوله تعالى في الآيات السابقة في خطاب بني إسرائيل: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٥١ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٢﴾ [البقرة: ٥١-٥٢].

ثم أُعيد الخبرُ عن هذا المعنى في هذه الآية توبيخًا لليهود الذين إذا قيل لهم: ﴿ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾؛ أي: ولا نؤمنُ بغيره، والخطابُ في هذه الآية والتي بعدها لليهود الموجودين زمنَ النبي ﷺ المخاطبين في الآيات السابقة من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾، وما في هذه الآية عَودٌ على خطابهم بعد الخبر عنهم بلفظ الغيبة من قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ هو

من مقول القول الذي أُمر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولَه لهم في قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾، وفيه توبيخٌ وتكذيبٌ لهم في قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾.

﴿وَلَقَدْ جاءَكُم مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات؛ كالعصا واليدِ وفَلْقِ البحر ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذه.

وقولُ المؤلِّف: (**بالمعجزات...**) إلى آخره: التعبيرُ عن حُجج الرسل بالمعجزات هو من اصطلاح المتكلِّمين، واسمها في الكتاب والسنَّة: آيات، وبينات، وبراهين[1].

وقولُه: (**إلهًا**): تقديرٌ للمفعول الثاني: ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾، فإنَّ «اتخذ» ينصب مفعولين.

وقولُه: (**أي: بعد ذهابه إلى الميقات**): فيه بيانُ أنَّ اتخاذ بني إسرائيل العجلَ في مدة ذهاب موسى لميقات ربه، ويشهدُ لذلك الآيات من سورة «طه»؛ كقوله تعالى لموسى: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [طه: ٨٥-٨٦].

وقولُه: (**باتخاذه**): يُبيِّن أنَّ سبب وصفهم بالظلم اتخاذُهم العجل إلهًا، ومعلومٌ أنَّ اتخاذهم العجلَ إلهًا هو أظلم الظلم؛ لأنَّ ذلك من الشرك الأكبر.



(١) **ينظر**: «النبوات» (١/ ٢١٥-٢١٦)، و(٢/ ٧٨٢)، (٢/ ٧٨٥)، و«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٥/ ٤١٢-٤١٩).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣].

يُذكِّرُ تعالى في هذه الآية بني إسرائيل الموجودين زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما جرى لإسلافهم من أَخْذِ الميثاق ورفعِ الطور فوقهم؛ ليوفوا بعهد الله فيعملوا بما جاءهم به موسى بالألواح، ثم إنهم أصروا على العصيان، فلمَّا قيل لهم اسمعوا؛ قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، فهذه ثلاثةُ أمورٍ تُكذِّبُهم وتُبطل زعمَهم الإيمان بما أُنزل عليهم:

فأول الأمور الثلاثة: قتلهم أنبياء الله.

الثاني: اتخاذهم العجل من بعد ما جاءهم موسى بالبينات.

الثالث: قولهم لَمَّا أُمروا بالأخذ بما في التوراة قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.

وهذه الأمور وإن كانت من فِعل أسلافهم فاليهود الموجودون ماضون على طريقهم راضون بأفعالهم؛ فلذا توجَّه الخطابُ لهم بالتكذيب والتوبيخ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ المعنى: واذكروا حين أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطورَ، وقلنا لكم: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟﴾، المعنى: اقبلوا ما جاءكم به موسى من التوراة في الألواح واعملوا به، واسمعوا سماعَ استجابة وطاعة.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، أي: سمعنا بآذاننا.

وقولهم: ﴿وَعَصَيْنَا﴾، قيل: أنهم قالوا ذلك بلسان المقال، وقيل قالوا ذلك: بلسان الحال[١]، وكلٌّ من الأمرين واقعٌ منهم، كما يدل لذلك قوله

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٥-٢٨٦)، و«البحر المحيط» (١/ ٤٩٤)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٦١٠).

تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ [البقرة: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ﴾: أي حُبب إليهم العجلُ الذي اتخذوه إلهًا، وتخلَّلَ حبُّه في قلوبهم حتى كأنَّ العجل حلَّ في قلوبهم، وهذا الوصف يختصُّ بالذين أصرُّوا على عبادة العجل ولم يتوبوا، فعوقبوا بأن أُشرب حبُّه في قلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩٣﴾: هذا أمرٌ من الله لنبيِّه أن يقول لليهود الذين قالوا نؤمن بما أنزل علينا، واتبعوا أسلافَهم الذين قتلوا أنبياءَ الله واتخذوا العجل إلهًا من دون الله، أن يقول لهم: ﴿بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾ قتلَ الأنبياءِ واتخاذَ العجل، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩٣﴾ كما تزعمون.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍّ واجتهادٍ ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماعَ قبولٍ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرَك ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمِ الْعِجْلَ﴾ أي: خالط حبُّه قلوبَهم كما يُخالط الشراب ﴿بِكُفْرِهِمْ قُلْ﴾ لهم: ﴿بِئْسَمَا﴾ شيئًا ﴿يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ بالتوراة: عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم. المعنى: لستم بمؤمنين لأنَّ الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد آباؤهم؛ أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمدًا، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه.

وقولُ المؤلِّف: (**على العمل بما في التوراة**): يدلُّ له ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾.

وقولُه: (**قد**): تقديره: قد بعد الواو، يُبيِّنُ به أنَّ الواوَ واوُ الحال.

وقولُه: (**الجبل**...) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ رفعَ الجبل فوقهم تهديدٌ لهم ليعملوا بما في التوراة.

وقولُه: (**وقلنا**...) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ قولَه: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ مقولُ قولٍ محذوف تقديره: وقلنا لكم.

وقولُه: (**بجدٍّ واجتهادٍ**): تفسيرٌ لقوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾، المعنى: اعملوا بما في التوراة بعزمٍ وصدقِ رغبةٍ لا مع فتورٍ وكسلٍ.

وقولُه: (**شيئًا**): يُبيِّنُ بذلك أنَّ «ما» المتصلة بـ«بئس»: نكرةٌ في محلِّ نصبٍ على التمييز[1].

وقولُه: (**عبادة العجل**): هذا هو المخصوصُ بالذمِّ بـ«بئس»، والإيمانُ الذي يأمرُ بذلك ليس بالإيمان الذي يرضاه الله.

وقولُه: (**بها كما زعمتم**...) إلى آخره: يريد أنَّ المعنى: إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون بقولكم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾، فبئس ما يأمرُكم به إيمانُكم من عبادة العجل، ونسبةُ الأمر إلى الإيمان تهكُّمٌ بهم، ودِلالةٌ على أنَّ الإيمان الحقَّ لا يأمر بعبادة غير الله، فالإيمانُ الذي زعموا باطلٌ[2].

والخطاب من قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، لليهود الموجودين، تذكيرًا لهم بقبائح أسلافهم، وتحذيرًا لهم من السير على طريقهم.



(١) تقدم في (ص ١٩٤).

(٢) **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٢٩٨)، و«تفسير الرازي» (٣/ ٦٠٥)، و«البحر المحيط» (١/ ٤٩٦).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٤-٩٦].

يأمر اللهُ نبيَّه أن يُظهِرَ كذبَ اليهود في زعمهم أنَّ الدار الآخرة ـوهي الجنةـ لهم دون غيرهم، ويُباهلهم بالدعاء بالموت على الكاذب منهم أو من المسلمين، وذلك في قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾. وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [الجمعة: ٦].

ثم أخبر تعالى أنهم لن يتمنوا الموت بسبب ما يعلمون من أنفسهم من قبيح ما قدَّمته أيديهم من الكفر والتكذيب والعصيان مما يستوجبون به عذابَ الله؛ فقال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾، وقال في الآية الأخرى مثل ذلك.

ودلَّ قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ أنَّ دعواهم أنَّ الدارَ الآخرةَ لهم ظلمٌ منهم.

وتفسيرُ الآية بالمباهلة مرويٌّ عن ابن عباس بأسانيدَ صحيحة، قاله ابنُ كثيرٍ ورجَّحه(١)، وضعَّفَ القولَ بأنَّ مقصودَ الآية مُطالبتهم بتمني الموت لأنفسهم إن كانوا صادقين في زعمهم، ولا ريب أنَّ القول الأول أظهرُ(٢).

---

(١) ينظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٣١-٣٣٢).

(٢) واختاره ابن القيم والسعدي. ينظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٦٣٨-٦٣٩)، و«تفسير السعدي» (١/ ٧٨).

ثم أكَّد تعالى امتناعَ تمنِّيهم للموت لشدَّة حِرصهم على الحياة؛ فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾، وهم أحرصُ على الحياة من المشركين، ومِن حِرصهم على الحياة: أنَّ أحدَهم يودُّ لو يُعمَّرُ ألفَ سنةٍ، ثم أخبر تعالى أنَّ ذلك لا يُنجيهم من عذاب الله؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾، المعنى: أنَّ اللهَ عليمٌ بأعمالهم وسيجزيهم عليها بعدلٍ وحكمةٍ.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿عِنْدَ اللَّه خَالِصَة﴾ خاصة ﴿مِنْ دُون النَّاس﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تعلَّق بتمنِّيه الشرطان على أنَّ الأولَ قيدٌ في الثاني؛ أي: إن صدقتم في زعمكم أنها لكم ومن كانت له يؤثرها والموصل إليها الموت فتمنوه. ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن كُفْرِهم بالنبيِّ المستلزم لكذبهم ﴿وَاَللَّه عَلِيم بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فيجازيهم. ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ لام قسم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاة وَ﴾ أحرص ﴿مِن الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المنكرين للبعث عليها؛ لِعِلْمهم بأنَّ مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿أَحَدهمْ لَو يُعَمَّر أَلْف سَنَة﴾ «لو» مصدرية بمعنى «أن» وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يود» ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ مُبعده ﴿مِنْ الْعَذَاب﴾ النار ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ فاعل «مزحزحه» أي تعميره ﴿وَاَللَّه بَصِير بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء فيجازيهم.

وقولُ المؤلِّف: (**تعلَّق بتمنِّيه**): يُريد أنَّ جوابَ الشرط ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ محذوفٌ دلَّ عليه ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾، وهو جوابُ الشرط الأول، ووجهُ ترتيب الجواب على الشرط أنَّ الموتَ هو الطريقُ لدخول الجنة لمن كان من أهلها،

ومَن قطع لنفسه بالجنة حُقَّ له أن يتمنى الموتَ، ولعلم اليهود بكذبهم بما زعموا لأنفسهم لم يتمنوا الموت مع شدَّة حرصهم على الحياة.

وقولُه: (**الشرطان...**) إلى آخره: يريد بالشرط الأول قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾، ويريد بالشرط الثاني: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقولُه: (**الكافرين**): فسَّرَ الظلمَ بالكفر الذي هو أظلم الظلم؛ كما قال تعالى: ﴿والكافرون هم الظَّالمون﴾.

وقولُه: (**لام قسم**): يريد اللامَ المتصل بها «تجدنَّ»، والدليلُ على أنها لام القسم؛ تأكيدُ الفعل بالنون الثقيلة.

وقولُه: (**أحرص**): يريد أنَّ المعنى: وأحرص من الذين أشركوا، وهذا من عطف الخاصِّ على العام[١].

وقولُه: (**المنكرين للبعث...**) إلى آخره: تفسيرٌ للمشركين عُبَّادِ الأوثان[٢]؛ لأنهم يُنكرون البعثَ بخلاف أهل الكتاب.

وقولُه: (**عليها**): أي على حياة؛ فالمعنى: احرص من المشركين على حياة.

وقولُه: (**لعلمهم...**) إلى آخره: تعليلٌ لكون اليهود أحرص من المشركين على الحياة؛ لأنهم يعلمون أنَّ مصيرهم النار، بخلاف المشركين فإنهم لا يؤمنون بالبعث فلا يؤمنون بجنة ولا نار. وقولُه: (**لو مصدرية...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ مفعول «يود» هو المصدر المؤول من «لو» وصلتها[٣].

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٧٦)، و«الكشاف» (١/ ٣٠٠)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٠٢-٥٠٣).

(٢) وفي الذين أشركوا قولان: أحدهما: أنهم: المجوس، قاله ابن عباس وابن قتيبة والزجاج. والثاني: مشركو العرب الذين ينكرون البعث، قاله ابن عباس في رواية ومقاتل. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٧٦-٢٧٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٧٨)، و«زاد المسير» (١/ ٨٩).

(٣) **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٣٠٠)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٠٤)، و«الدر المصون» (٢/ ١٣-١٤).



وقولُه: (**أي: أحدهم**): تفسيرٌ للضمير المنفصل «وما هو».

وقولُه: (**بالياء والتاء**): إشارةٌ إلى أنَّ في الآية قراءتين ﴿يعملون﴾ بالياء، ﴿وتعملون﴾ بالتاء[١].



(١) قرأ يعقوب وحده بالتاء مثل قراءة الحسن وقتادة وسلام وغيرهم، وقرأ الباقون بالياء. **ينظر**: «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/ ٨٧٧-٨٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٩).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧]:

أمر اللهُ نبيَّه في هذه الآية أن يقول ردًّا على اليهود في قولهم: إنَّ جبريل الذي يأتي محمدًا بالوحي هو عدو يهود، وذلك أنهم سألوا الرسول مَن يأتيه بالوحي؛ فقال: ((جبريل))، فقالوا ما قالوا(١)، فأخبر تعالى أنَّ جبريل هو الموكل بالوحي فهو المنزل للقرآن على قلب النبي محمد ﷺ بإذن الله، فهو المَلَك الذي اصطفاه الله للنزول بالقرآن على قلب خاتم النبيين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]، ومَن هذا شأنُه لا يُعاديه إلَّا مُلحدٌ كفور، وقد وصف الله تعالى هذا القرآن الذي نزل به جبريل بثلاث صفات، وموقعها في الكلام أحوال منصوبة، وذلك في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾، وما بين يديه: ما قبلَه من كتب الله كالتوراة والإنجيل، وخصَّ المؤمنين بما في القرآن من الهدى والبشرى؛ لأنهم المنتفعون بما في القرآن من ذلك، وجبريلُ هو الملك الذي ينزل بالوحي على الأنبياء، وهو الذي نزل بالقرآن على قلب محمد ﷺ كما في هذه الآية وآية الشعراء، وهو الروحُ الأمينُ وروحُ القُدُس، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ...﴾ الآية [النحل: ١٠٢]، وهو ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ المذكور في سورة النجم، وهو الرسولُ الكريمُ المذكور في سورة التكوير. وجبريلُ على وزن قطمير، وهي لغة أهل الحجاز

---

(١) قيل: نزلت في عبد الله بن صوريا، وقيل: في مناظرة عمر مع أحد اليهود، وقيل: في عبد الله بن سلام. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٨٣-٢٩٢)، و«أسباب النزول» (ص٢٩-٣١)، و«العجاب» (١/ ٢٩٦-٣٠٠).

في هذا الاسم، وبها قرأ الجمهور[١]، وفيه لغات وقراءات أخرى ذكرها المفسرون[٢]؛ ومعنى جبريل: عبد الله[٣].

والخلاصةُ في تفسير الآية: أنها نزلت للردِّ على اليهود في قولهم: إنَّ جبريلَ عدوهم، فهم أعداء له، هذا وجبريل ولي الله ومصفاه من الملائكة، وهو الذي نزّل القرآن بأمر الله، ومَن يكن عدوًّا له فهو عدوٌّ لله، ومن يكن عدوًّا لله فاللهُ عدوُّه كما في الآية التالية، فقد باء اليهودُ بقولهم في جبريل بعداوة الله، ويشهدُ لمعنى الآية من السنَّة قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسي؛ قال الله تعالى: ((مَن عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب))[٤]، وفي لفظ: ((فقد بارزني بالمحاربة))[٥]. والآية وإن نزلت في اليهود فهي عامَّةٌ كما يفيد العموم لفظ «من» الشرطية؛ فحكمُها لا يختصُّ باليهود.

وسأل ابنُ صوريا النبيَّ أو عمرَ عمَّن يأتي بالوحي من الملائكة فقال: ((جبريل))، فقال: «هو عدونا يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآمنا لأنه يأتي بالخصب والسلم»، فنزل:

---

(١) **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٦-١٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٩).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٩٤-٢٩٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٢)، و«الدر المصون» (٢/ ١٨-٢٠).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٩٦-٢٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٠٩)، من حديث أنس، به. وتفرد به عمر بن سعيد أبو حفص الدمشقي، وهو متروك. **ينظر**: «الضعفاء» للعقيلي (رقم ١١٥٧)، و«الكامل في الضعفاء» (رقم ١٢٣١).

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، من حديث عمر بن عمر بن الخطاب، وفي إسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف، وعيسى بن عبد الرحمن -وهو ابن فروة الزرقي- متروك الحديث، كما في «الميزان» (رقم ٦٥٨٣).

وله طريق عند أبي نعيم في الحلية (٨/ ٣١٨) وهو ضعيف. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٧٧٥)، وينظر طرق حديث الولي وألفاظه في «السلسلة الصحيحة» (١٦٤٠).

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيل﴾ فليمت غيظًا ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي القرآن ﴿عَلَى قَلْبك بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿اللَّه مُصَدِّقًا لِمَا بَيْن يَدَيْهِ﴾ قَبْله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (وسأل ابنُ صوريا النبيَّ...) إلى آخره: يُشير بذلك إلى سبب نزول الآية[1]. وقولُه: (فليمت غيظًا): مُستنبطٌ من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وهذا يتضمن أنه أشرفُ الملائكة، فمَن يُعاديه لم يضرَّ إلا نفسه.

وقولُه: (أي: القرآن): تفسيرٌ للضمير المنصوب بالفعل نزله.

وقولُه: (بأمر): تفسير للإذن في قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وهو يحتمل الإذن الكوني أو الشرعي أو هو شاملٌ لهما.

وقولُه: (بالجنة): لأنها الأجرُ الكبيرُ الذي يُبشِّر به القرآنُ المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].



(١) تقدم في (ص ٢١٠).

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة: ٩٨]:

يُخبر تعالى أنَّ مَن عاداه أو عادى أولياءه من الملائكة أو الرُّسلِ أو جبريلَ وميكالَ؛ فهو كافرٌ، والله عدوٌّ للكافرين. ومَن في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ شرطية، وجوابُ الشرط قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾، وفعل الشرط: كان وما بعدها.

والواو في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ بمعنى «أو»؛ لأنَّ كلَّ مَن عادى واحدًا من المذكورين فهو كافرٌ، والله عدوه[1].

وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾: قال المفسرون في هذه الجملة: وُضِعَ الظاهرُ مَوضعَ المضمر في موضعين:

الأول: قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: وُضعَ موضع «فإنه»، وذلك لمنع اللبس على السامع؛ قاله ابن جرير[2].

والثاني: قوله: ﴿عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾: مَوضع «عدو لهم»، وذلك لإفادة عموم الحكم، وهو عداوةُ الله لكلِّ كافرٍ، ولإثبات وصف الكفر لمن يكون عدوًّا لله، أو لأحدٍ من أوليائه[3].

وعَطْفُ جبريل وميكال على الملائكة مِن عطف الخاص على العام؛ لأنهما داخلان في اسم الملائكة[4]. وفي ميكال لغاتٌ وقراءات ذكرها

(١) ينظر: «البحر المحيط» (١/ ٥١٥)، و«الدر المصون» (٢/ ٢٢).
(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٠٣-٣٠٤).
(٣) ينظر: «التفسير البسيط» (٣/ ١٧٦)، و«الكشاف» (١/ ٣٠٣)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٦٢٤).
(٤) ينظر: «البحر المحيط» (١/ ٥١٦)، و«الدر المصون» (٢/ ٢٣)، و«اللباب» (٢/ ٣١٥)، و«تفسير الفاتحة والبقرة» لابن عثيمين (١/ ٣١٥).

المفسرون وأهلُ القراءات، وميكال بلا همز ولا ياء؛ لغةُ أهل الحجاز، وبها قرأ حفص[١] عن عاصم[٢][٣].

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم وفتحها بلا همز وبه بياء ودونها ﴿وَمِيكَالَ﴾ عطفٌ على الملائكة، مِن عَطْفِ الخاصِّ على العام. وفي قراءة: ﴿مِيكَائِيل﴾ بهمزة وياء، وفي أخرى بلا ياء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أوقعه موقع «لَهُمْ» بيانًا لحالهم.

وقولُ المؤلِّف: (**بكسر الجيم وفتحها...**) إلى آخره: ذكر فيها أربع لغات، وذكر في: (مِيكَال) ثلاث لغات وثلاث قراءات.

وقولُه: (**أوقعه موقع «لهم»**): يريد وضعَ الظاهر مَوضع المضمر.

وقولُه: (**بيانًا لحالهم**): وهي الكفر.



(١) حفص بن سليمان أبو عمر الدوري مولاهم الغاضري الكوفي، المقرئ الإمام، صاحب عاصم وكان ربيبه ابن زوجته، كان ثقة ضابطًا في القراءة، وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ بها على عاصم، أقرأ الناسَ دهرًا، وكانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، توفي سنة (١٨٠ هـ). **ينظر**: «معرفة القراء الكبار» للذهبي (١/ ١٤٠، رقم ٥٢)، و«غاية النهاية» لابن الجزري (١/ ٢٥٤، رقم ١١٥٨).

(٢) عاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي القارئ الإمام، أبو بكر، أحد السبعة، واسم أمه بهدلة على الصحيح، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن، توفي آخر سنة (١٢٧ه)، وقيل غير ذلك. **ينظر**: «معرفة القراء الكبار» (١/ ٨٨، رقم ٣٥)، و«غاية النهاية» (١/ ٣٤٦، رقم ١٤٩٦).

(٣) **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٦-١٦٧)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٩٤-٢٩٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٤-٢٩٥)، و«البحر المحيط» (١/ ٥١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا
تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ
يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ
مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ
بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا
شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ٩٩-١٠٣]:

يُخبر تعالى مُمتنًا على نبيِّه بما أنزل عليه من الآيات البينات؛ وهي القرآن، وأنه مع ظهور دلالتها وقوة حجيتها لا يكفر بها إلَّا الفاسقون الخارجون عن طاعة الله، وفي هذا تعريضٌ باليهود الذين كفروا بالكتاب، فكفروا بما فيه من الآيات، ومن فِسقهم أنهم كلَّما عاهدوا عهدًا نبذه فريقٌ منهم فلم يوفوا به، هذا وأكثرهم لا يؤمنون بما جاءهم من الآيات البينات.

ونظيرُ هذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنفال: ٥٦]، والاستفهام في قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ للإنكار والتوبيخ[١]. وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ أي: شاهدٌ بصدق ما معهم من كتب الله من التوراة والإنجيل، مُقِرٌّ به.

(١) ينظر: «درج الدرر» (١/ ٢٤٢)، و«البحر المحيط» (١/ ٥١٨)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٦٢٥).

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: أي طرح فريقٌ من الذين أُوتوا الكتاب ـوهم اليهودـ كتابَ الله وراء ظهورهم، وهو التوراة الناطقة بالخبر عن بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبصفته فلم يعملوا بما توجبه من الإيمان بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل أعرضوا عنها إعراضًا تامًا؛ كإعراض من يجعل الشيءَ خلف ظهرِه لا يبالي به ولا يلتفتُ إليه، ولم يقف كفرُهم وضلالُهم عند حدِّ الإعراض عن هدى الله الذي بعث به رسولَه، بل تعوضوا عن ذلك باتباع ما تتلوا الشياطين من السحر زاعمين أنه الذي قام عليه مُلك سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد كَذَبوا، فلم يكن نبيُّ اللهِ سليمان ساحرًا، ولكن الشياطين هم الذين يُعلِّمون الناسَ السحر، فعُلِم بذلك أنَّ اليهود تعوَّضوا عن اتباع كتب الله ورسله باتِّباع الشياطين وتَعلُّمِ السحر منهم، وهذا ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾: الأظهرُ أنَّ «ما» اسم موصول معطوف على السحر؛ أي: يعلمون السحر ويُعلِّمونهم ما أنزل على الْمَلكين الذين بابل[1]؛ وهو موضعٌ معروفٌ بالعراق[2]، وسموا الملكين هاروت وماروت، والذي أُنزل عليهما نوعٌ من السحر، ولذا تتعلَّمُه الشياطين وتُعلِّمُه الناس، وإنزاله على الْمَلكين إنزالٌ كونيٌّ بإلهامٍ أو غيره ليكون فتنة؛ أي: ابتلاء للناس.

وأَذِن اللهُ لهما بتعليمه لمن يطلب ذلك منهم، مع تحذيره وبيان أنَّ تعلُّمَه كفرٌ وأنَّ اللهَ جعلهما فتنةً فلا يغترُّ بتعليمهما من يطلبُ عِلمَ السحر

---

(١) ينظر: «الكتاب الفريد» (١/ ٣٤٦)، و«الدر المصون» (٢/ ٣١)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٦٣٩).

(٢) ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٠٩-٣١١).

منهما، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، و«ما» في قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ نافيةٌ.

ثم بيَّن تعالى أنَّ ما يتعلَّمُه الناسُ من هاروت وماروت يتوصَّلون به إلى التفريق بين المرء وزوجه، بتبغيض كلٍّ منهما إلى الآخر، ثم بيَّن تعالى أنَّ الذين تعلَّموا عِلم السِّحر لن يضرُّوا به أحدًا إلَّا بإذن الله؛ الإذن الكوني، وهو مشيئته، فقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. ثم أخبر أنَّ الذين يتعلَّمون السحر يتعلَّمون ﴿مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾؛ لأنه يُفضي بهم إلى الكفر بالله والظلم لعباد الله.

ثم أخبر تعالى خبرًا مؤكدًا بأَّن الذين يتعلمون السحر ويستبدلونه بالعلم الذي جاءت به الرسلُ أخبر تعالى أنهم يعلمون أنَّ مَن فعل ذلك ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾؛ يعني: من نصيبٍ[1].

ثم ذمَّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على إيثار ما يضرُّ على ما ينفع؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾، و﴿شَرَوْا۟﴾ بمعنى: باعوا؛ فالمعنى: باعوا أنفسهم بما فيه هلاكُهم وشقاؤهم، والمعنيون بذلك هم اليهودُ الذين أخبر الله عنهم في أول الآية بأنهم نبذوا كتابَ الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر، ثم أخبر تعالى بأنهم لو آمنوا بالله وكتبه ورسوله واتقوا ربَّهم بفعل الواجبات وترك المحرمات؛ لكان لهم من ثواب الله ما هو خيرٌ لهم مما اختاروه وآثروه وتعلَّموه؛ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ المعنى: لو كانوا يعلمون العلمَ النافعَ لَمَا آثروا ما يضرُّ على ما ينفع، ولكنهم لا يعلمون.

---

(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٢٩٧).

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿آيَات بَيِّنَات﴾ واضحات. ردٌّ لقول بن صوريا للنبي ما جئتنا بشيء. ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الفَاسِقُون﴾ كفروا بها ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا﴾ اللَّه ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج أو النبي ألا يعاونوا عليه المشركين ﴿نَبَذَهُ﴾ طرحه ﴿فَرِيق مِنْهُمْ﴾ بنقضه؟ جواب «كلما» وهو محل الاستفهام الإنكاري ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿أكثرهم لا يؤمنون﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُول مِنْ عِنْد اللَّه﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّق لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّه﴾ أي: التوراة ﴿وَرَاء ظُهُورهمْ﴾ أي: لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبيٌّ حق أو أنها كتاب الله ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ عطف على «نبذ» ﴿مَا تَتْلُو﴾ أي: تلت ﴿الشَّيَاطِينُ عَلَى﴾ عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَان﴾ من السِّحر، وكانت دفنته تحت كرسيه لما نُزِع ملكه، أو كانت تسترقُ السمعَ وتضمُّ إليه أكاذيب وتُلْقِيه إلى الكهنة فيدونونه، وفشا ذلك وشاع أنَّ الجنَّ تعلمُ الغيب، فجمع سليمانُ الكتب ودفنها، فلما مات دلَّت الشياطينُ عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما مَلَكَكُم بهذا فتعلَّموه ورفضوا كتب أنبيائهم. قال تعالى تبرئةً لسليمان وردًّا على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحرًا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي: لم يعمل السِّحر لأنه كُفْرٌ ﴿وَلَكِنَّ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿الشَّيَاطِين كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاس السِّحْرَ﴾ الجملة حال من ضمير كفروا ﴿و﴾ يُعلِّمونهم ﴿مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ أي: ألهماه من السحر، وقُرِئ بكسر اللام الكائنين ﴿بِبَابِل﴾ بلدٌ في سواد العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدل أو عطف بيانٍ للملكين. قال ابن عباس: هما ساحران كانا يعلمان السحر. وقيل ملكان أُنزلا لتعليمه ابتلاءً من الله للناس ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾

زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له نصحًا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَة﴾ بلية من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه، فمَن تعلَّمه كفرَ ومَن تركه فهو مؤمنٌ ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلُّمه، فإن أبى إلَّا التعليم علماه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ بأن يُبَغَّضَ كُلٌّ إلى الآخر ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي السحرة ﴿بِضَارِّينَ بِهِ﴾ بالسحر ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَنْ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها و«مَنْ» موصولة ﴿اشْتَرَاهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾ شيئًا ﴿شَرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: الشارين؛ أي: حظَّها من الآخرة أن تعلموه حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقةَ ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلَّموه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿آمَنُوا﴾ بالنبي، والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عقاب الله بترك معاصيه كالسحر، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لأُثيبوا، دلَّ عليه: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسم ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبره مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خيرٌ لَمَا آثروه عليه.



وقولُ المؤلِّف: (ردٌّ لقول ابن صوريا): هذا إشارةٌ إلى سبب نزول الآية[١].

وقولُه: (كفروا بها): هذا تقديرٌ لمدخول همزة الاستفهام المعطوف عليه ما بعده بالواو، والتقدير: أكفروا بها وكلَّما عاهدوا اللهَ عهدًا نبذه فريقٌ منهم.

وقولُه: (على الإيمان بالنبي...) إلى آخره: بيانٌ لمضمون العهد.

(١) تقدم ذكر الخلاف في (ص ٢١٠).

وقولُه: (**وهو محلُّ الاستفهام الإنكاري**): يريد أنَّ مُتعلّق الاستفهام في قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ هو قوله: ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ﴾، فالمنكر هو نبذهم للعهد بنقضِه وتركِ الوفاء به.

وقولُه: (**للانتقال**): يريد أنَّ «بل» تُفيدُ الانتقال من وصف فريقٍ منهم بنبذ العهد إلى وصفِ أكثرهم بعدم الإيمان.

وقولُه: (**ما فيها...**) إلى آخره: بيانٌ لِمُتعلق العلم المنفي عنهم؛ فالتقدير: كأنَّ الذين نبذوا الكتابَ وراء ظهورهم ـوهو التوراةـ لا يعلمون ما فيها من الخبر بنبوة محمد ﷺ، أو كأنهم لا يعلمون أنَّ التوراةَ حقٌّ، وهم يعلمون ولكنهم معاندون[١].

وقولُه: (**عطف على «نبذ»**): يريد أنَّ فعل ﴿اتبعوا﴾ ـوهو مُسندٌ إلى واو الجماعةـ معطوفٌ على فعل «نبذ» ـالمسند إلى فريقـ، فأفاد العطفُ بالواو أنهم جمعوا بين نبذِ الكتاب واتباعِ ما تتلوا الشياطين، فتركوا الحقَّ وأخذوا الباطل.

وقولُه: (**أي: تلت**): يُبيِّن بهذا أنَّ الفعلَ المضارع «تتلوا» حكايةُ حالٍ ماضية، وهذا محتملٌ، ويُحتملُ أنه خبرٌ عن الحال الحاضرة؛ لأنَّ الشياطين يتلون علمَ السحر في الماضي والحاضر والمستقبل[٢].

وقولُه: (**عهد**): يُبيِّن بذلك معنى ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ وهو أنَّ المراد: ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أي: في زمن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقولُه: (**من السحر...**) إلى آخره: بيانٌ لِمَا تتلوا الشياطين.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٣١٢-٣١٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٨٢)، و«الكشاف» (١/ ٣٠٢).

(٢) **ينظر**: «درج الدرر» (١/ ٢٥١)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٨)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٢٢).

وما ذَكَره من دفن السحر تحت كرسي سليمان، وما دوَّنته الكهنةُ من الأكاذيب في كتب، وأنَّ سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أخذ هذه الكتب ودَفَنها، إلى آخر ما ذكره: هو من أخبار بني إسرائيل التي يجب عرضُها على الشرع، فما دلَّ على صدقه وجب تصديقُه، وما دلَّ على كذبه وجب تكذيبه، وما لا وجب التوقف فيه.

وقولُه: (**قال تعالى تبرئةً لسليمان وردًّا على اليهود...**) إلى آخره: يُبيِّنُ بهذا أنَّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ تبرئة لنبي الله سليمان من الكفر بعلم السحر والعمل به، وفيه تكذيبٌ لليهود فيما زعمته أنَّ سليمان كان ساحرًا ولم يكن نبيًّا.

وقولُه: (**الجملة حال...**) إلى آخره: يريد: أنَّ جملة ﴿يُعلِّمون﴾ حال من واو الجماعة[1] في قوله: ﴿كفروا﴾، فالشياطين كفروا حال تعليمِهم السحر للناس.

وقولُه: (**يعلمونهم**): يُبيِّنُ بهذا أنَّ الاسمَ الموصول في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ معطوفٌ على السحر؛ فالمعنى: يُعلِّمون الناسَ السحر ويُعلمونهم ما أُنزل على الملكين.

وقولُه: (**بكسر اللام**): تثنية ملِك واحد الملوك، وردَّ ابنُ جريرٍ هذه القراءةَ واعتبرها شاذَّة[2]. وقولُه: (**الكائنين**): هذا مُتعلق الجار والمجرور ببابل، فالباء ظرفية بمعنى في.

وقولُه: (**بلد في سواد العراق**): هذا هو المشهورُ عن المفسرين[3].

---

(١) **ينظر**: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٩)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٢٤).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٤٩-٣٥٠).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٥٠)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٢).

وقولُه: (**بدل أو عطف بيان للملكين**): هذا صحيحٌ فهما في موضع جر بالفتحة لأنهما ممنوعان من الصرف.

وقولُه: (**قال ابن عباس...**) إلى آخره: الصوابُ أنهما ملكان كما هو ظاهر القرآن[(١)].

وقولُه: (**زائدة**): أي زائدة لتأكيد العموم.

وقولُه: (**له نصحًا**): يُبيِّنُ أنَّ قول الملكين لمن يريد أن يتعلَّم منهما السحر هو نصحٌ منهما له ليترك تعلُّمه، فدلَّ ذلك على أنهما مَلَكان لا ساحران.

وقولُه: (**بلية من الله للناس...**) إلى آخره: فيه تفسيرُ الفتنة بالبلية[(٢)]؛ فمعنى قول الملكين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: أي ابتلاءٌ من الله للعباد، ليتبيَّنَ مَن يؤثِرُ تعلُّمَ السحرِ والكفرِ على الإيمان فيكفر بذلك، ومَن يؤثِرُ الإيمان على السحر فيترك تعلُّمَه فيكون مؤمنًا.

وقولُه: (**فإنْ أبى إلا التعليم علَّماه**): يدلُّ له قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ وقوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾.

وقولُه: (**أي: السحرة**): وهم الذين تعلَّموا السِّحر من الملكين.

وقولُه: (**زائدة**): أي لتأكيد العموم.

وقولُه: (**بإرادته**): تفسيرٌ للإذن، وهو الإذنُ الكوني والإرادة الكونية التي بمعنى المشيئة؛ فالمعنى: إلَّا بمشيئته تعالى.

وقولُه: (**في الآخرة**): لأنَّ الضررَ في الآخرة أعظمُ من الضرر في الدنيا، والسحرُ ضررٌ على صاحبه في الدنيا والآخرة.

---

(١) أثر ابن عباس لم نجده مسندًا، وذكره بعض المفسرين منسوبًا له. **ينظر**: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٨٠)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٢٧).

(٢) **ينظر**: «الوجوه والنظائر» لمقاتل (ص٦٣-٦٤)، و«نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي (ص٤٧٨-٤٧٩).

وقولُه: (**لام قسم**): يريد اللام التي قبل «قد»، فقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ خبرٌ مؤكَّدٌ بالقسم عن علم اليهود بضررِ السحر.

وقولُه: (**أي: اليهود**): يريد أنَّ الواو في قوله: ﴿عَلِمُوا﴾ تعودُ إلى اليهود لأنهم المذكورون في أول الآية في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾.

وقولُه: (**لام ابتداء**): يريد أنَّ اللام في قوله: ﴿لَمَنِ﴾ لامُ الابتداء.

وقولُه: (**مُعلقة لما قبلها**): يُبيِّنُ أنَّ لام الابتداء لما وقعت في صدر الجملة بعد «علموا» صار الفعل معلقًا عن العمل بنصب مفعولين، وهذا هو معنى التعليق، فجملة ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ في موضع نصب بـ﴿عَلِمُوا﴾، و«من»: اسم موصول مبتدأ، وجملة ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ﴾: في موضع رفع خبر.

وقولُه: (**بكتاب الله**): يريد أنَّ اليهود اشتروا السحر فأخذوه وتركوا كتابَ الله؛ لأنَّ الباء تدخل على المتروك.

وقولُه: (**نصيب في الجنة**): تفسيرٌ للخلاق، وهو الحظُّ الذي ينال به الفلاح، ولا يكون إلا في الجنة[1].

وقولُه: (**شيئًا**): يريد أنَّ «ما» المتصلة ببئس في موضع نصب على التمييز.

وقولُه: (**باعوا**): تفسيرٌ لـ﴿شَرَوْا﴾، وهذا هو معنى «شرى» في اللغة وفي القرآن[2].

وقولُه: (**أن تعلموه**): هو المخصوص بالذم؛ فالمعنى: باعوا أنفسهم بتعلم السحر المفضي بهم إلى الشقاء الدائم.

---

(١) تقدم في (ص ٢١٧).

(٢) تقدم (ص ١٩٤).

وقولُه: (**حقيقة ما يصيرون إليه...**) إلى آخره: هذا تقديرٌ لمفعول «يعلمون» في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، فيكون المعنى: لو كانوا يعلمون حقيقةَ ما يصيرون إليه من عذاب الله ما تعلَّموا السحر.

وقولُه: (**أي: اليهود**): يُفيد أنَّ الآية من تمام الكلام عن اليهود في الآيات السابقة، وفيها ترغيبهم في الإيمان والتقوى ببيان عاقبة ذلك، والمثوبة مصدرٌ ميمي بمعنى الثواب، وهو الثوابُ من عند الله، وذلك خيرٌ لهم مما باعوا به أنفسهم، وجواب «لو» الأولى جملة ﴿لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وجواب «لو» الثانية محذوفٌ تقديره: لو كانوا يعلمون العلمَ الصحيح لَمَا آثروا الكفرَ والسحرَ على الإيمان والتقوى.

وبعد: فقد دلَّت هذه الآية، وهي الثانية بعد المئة على تحريم السحر، وتحريمِ تعلُّمه وتعليمه والعمل به، وذلك من وجوه:

الأول: ذم اليهود باتباعهم له.

الثاني: أنه من علم الشياطين؛ تتلوه، وتعلمه.

الثالث: أنه كفرٌ؛ لقوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾، وقوله: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾.

الرابع: أنه وسيلةٌ للتفريق بين الزوجين وإفسادِ ما بينهما من المودة.

الخامس: أنه يضرُّ ولا ينفع.

السادس: أنَّ مَن اشترى علمَ السحر ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

السابع: قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾[١].

ومما ينبغي أن يُعلَم أنَّ السحر نوعان:

---

(١) **ينظر**: «تيسير العزيز الحميد» (٢/ ٦٧٦).

سحرٌ حقيقي، وله آثار حقيقيةٌ على المسحور، وهو المذكور في هذه الآية، ولكن لا يصل به الساحر إلى قلب الأعيان[١]، ولا ليقول للشيء: كن فيكون؛ فذلك لله وحده.

والثاني: سحرٌ تخيلي، يخيلُ به الساحر على الأبصار، ومنه سحرُ سحرةِ فرعون؛ كما قال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦][٢].



---

(١) **ينظر**: «الصفدية» (١/ ١٣٨)، و«مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٣٦٨-٣٦٩)، و(٢٩/ ٣٩٠-٣٩١).

(٢) ينظر أنواع السحر وتقسيماته في: «تفسير الرازي» (٣/ ٦١٩-٦٢٥)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٧-٣٧١)، و«شرح نواقض الإسلام» لشيخنا (ص٣٣-٣٤).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾ [البقرة: ١٠٤]:

ينهى اللهُ المؤمنين في هذه الآية أن يقولوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿رَٰعِنَا﴾؛ لأنه لفظٌ يحتملُ حقًّا وباطلًا؛ لأنه إمَّا من المراعاة: وهي الرِّفقُ والتيسيرُ في المعاملة، أو الرعونة: وهي الحمقُ والصَّلفُ في القول[١]؛ لذلك كان اليهودُ يُخاطبون بها النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويريدون المعنى القبيح، فنهى الله المؤمنين عن أن يقولوا ذلك في خطابهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتى لا يتذرَّع اليهودُ بذلك إلى مقصودهم إذا سمعوا المؤمنين يقولونها، فنهى المؤمنون عن ذلك سدًّا للذريعة، ولذا عُدَّت هذه الآية من أدلة قاعدةِ سدِّ الذرائع[٢].

وأمر اللهُ المؤمنين أن يقولوا: ﴿ٱنظُرۡنَا﴾؛ يعني: انظر إلينا، فحُذِف حرف الجر، واتصل الضميرُ بالفعل، فهو من الحذف والإيصال. وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾: أي سماعَ قبولٍ واستجابةٍ وطاعةٍ لكلِّ ما أمركم اللهُ به ورسولُه، وفي هذا تأكيدٌ لِمَا سبقَ في الآية من النهي والأمر.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾: وعيدٌ لجميع الكافرين، وهو أخصُّ باليهود، والأليم: المؤلم الموجع.

﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبي ﴿رَاعِنَا﴾ أمر من «المراعاة»، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سبٌّ من «الرعونة»، فسُرُّوا بذلك وخاطبوا بها النبيَّ، فنهي المؤمنون عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها: ﴿انْظُرْنَا﴾ أي: انظر إلينا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماعَ قبول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم هو النار.

(١) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٦٠)، و«المفردات» للراغب (ص٣٧٥-٣٥٨).
(٢) ينظر: «إعلام الموقعين» (٥/ ٦)، و«الموافقات» للشاطبي (٣/ ٧٦).



وقولُ المؤلِّف: (**للنبي**): بيانٌ لمتعلق الحكم.

وقولُه: (**أمر من المراعاة...**) إلى آخره: فيه بيانُ سبب نزول الآية[١].

وقولُه: (**بدلها**): أي قوله» ﴿انْظُرْنَا﴾ بدل عن قولهم: ﴿رَاعِنَا﴾، فما أمروا به بدلوا عمَّا نهوا عنه.



(١) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٣٣-٣٤)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٤٣-٣٤٧).

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥]:

يُخبر تعالى عن كفَّار أهلِ الكتاب وعن المشركين أنهم لا يُحبون أن يُنزل اللهُ على نبيِّه والمؤمنين شيئًا من الخير من عِلمٍ أو نصرٍ أو رزقٍ، بل يُبغضون ذلك ويحسدون المؤمنين على ذلك، يدلُّ لذلك قوله تعالى: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٠]، وهم بذلك يُعارضون حكمةَ الله وتدبيره، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ من النبوة وغيرها، وهو تعالى ﴿ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾؛ أي: العطاء والإحسان البالغ غاية العظمة كثرةً وكمالًا.

﴿مَا يَوَدّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْل الْكِتَاب وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب، عطف على أهل الكتاب، و«مِن» للبيان ﴿أَن يُنْزَل عَلَيْكُم مِنْ﴾ زائدة ﴿خَيْرٍ﴾ وحي ﴿مِنْ رَبّكُمْ﴾ حسدًا لكم ﴿وَاَللَّه يَخْتَصّ بِرَحْمَتِهِ﴾ بنبوَّته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاَللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم﴾.

وقولُ المؤلِّف: **(عطف على أهل الكتاب)**: يريد أنَّ المشركين معطوفٌ على المجرور بـ «من» ولا الذين كفروا من المشركين، وأهل الكتاب منهم كفار ومنهم مؤمنون وأمَّا المشركون فكلُّهم كفارٌ.

وقولُه: **(من للبيان)**: يريد «من» في قوله: ﴿مِنْ أَهْل الْكِتَابِ﴾، فمِن: بيانٌ للمراد بالموصول في قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.



وقولُه: (**زائدة**): يريد من في قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ زائدة؛ لتأكيد العموم[(١)].

وقولُه: (**وحي**): تفسيرٌ للخير، والخيرُ في الآية أعمُّ من ذلك.

وقولُه: (**حسدًا لكم**): بيانٌ للحامل لهم على عدم المودَّةِ لنزول الخير.



---

(١) **ينظر**: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٨)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٤٥).

وقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٦-١٠٧]:

يُخبر تعالى نبيَّه والمؤمنين خبرًا فيه بشرى لهم، أنه لا ينسخُ آيةً من آيات الكتاب التي أنزلها على نبيِّه إمَّا برفع حُكمِها أو إنساء لفظها إلَّا أتى بخيرٍ منها؛ أي: بأيسر منها لفظًا أو أخفَّ حُكمًا أو أنفع لهم، وإن كان حكمُ الثانية أشقَّ، أو يأتي بآيةٍ مثلها لا أخفَّ ولا أثقلَ[١]، ومَردُّ ذلك إلى حِكمته -تعالى- وعِلمه وقدرته، وعموم ملكه، ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وما في هذه الآيةِ مِن ذِكر النسخِ وحِكمته جاء في سياق الردِّ على اليهود؛ لأنهم زعموا أنَّ النسخ يمتنع على الله؛ لأنه يتضمَّنُ البداء من الله؛ وهو أن يعلم من الأمر ما لم يكن عالمًا به[٢]، ليتوصَّلوا بذلك إلى نفي نسخِ شريعةِ التوراة بشريعة القرآنِ، وإلى الطعنِ في نبوة محمَّدٍ ﷺ، وإلى الطعنِ في شريعة محمَّدٍ ﷺ بنسخ استقبالِ بيت المقدس بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة كما سيأتي في الآيات من اثنتين وأربعين إلى خمسين بعد المئة[٣]، وجاء ذِكرُ النسخِ وحِكمتِه في هذه الآية تمهيدًا لِمَا سيأتي من أمر تحويلِ القبلة.

ومعنى النسخ في اللغة: الإزالة، تقول: نسختِ الشمسُ الظلَّ، ويُطلَقُ على نقل الكتاب، تقول: نسختُ الكتابَ؛ أي: نقلتُ المكتوب بكتابة مثله في مكان آخر[٤].

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٩٩-٤٠٢)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٨).
(٢) **ينظر**: «التعريفات» للجرجاني (ص٤٣).
(٣) **ينظر**: (ص ٣٠١).
(٤) **ينظر**: «لسان العرب» (٣/ ٦١).

وفي اصطلاح أهلِ الأصولِ: رفعُ حُكمٍ ثبتَ بدليلٍ متقدِّمٍ بدليلٍ مُتأخِّرٍ[١].

و﴿مَا﴾: اسمُ شرطٍ في محل نصب مفعول به «للنّسخ»، وفعلُ الشرط وجوابُه مجزومان بها، و﴿نُنسِهَا﴾ معطوفٌ على ننسخ مجزومٌ بحذف الياء.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: الاستفهامُ للتقرير، والمعنى: قد علمت أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير، فيدخل في قدرته شرعُ الأحكام ونسخ ما شاء منها.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي قد علمتَ أنَّ اللهَ له مُلك السماوات والأرض، ومما يدخل في ملكه التصرُّفُ بالأحكام بالإثبات والنسخ.

وقوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧﴾: تهديدٌ لليهود الطاعنين في حِكمته وأحكامِه، وفي الكلام التفاتٌ مِن خطاب النبي ﷺ إلى خطاب جماعةِ المؤمنين؛ لتحذير المؤمنين من الانخداع بشُبهات الكافرين التي يحملون بها المؤمنين على الأسئلة التي لا تليقُ بمقام النبي ﷺ ولا تليقُ بحال المؤمنين الموقنين، ولهذا قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾، فالمعنى: ليس لكم وليٌّ من دون الله يتولاكم بما ينفعكم، ولا نصيرٌ ينصركم على مَن يُريدكم بسوءٍ، أو يُنقذكم من عذابٍ يَحِلُّ بكم.

ولَمَّا طعنَ الكفارُ في النسخ وقالوا إنَّ محمَّدًا يأمر أصحابَه اليوم بأمرٍ وينهى عنه غدًا أنزل الله: ﴿مَا﴾ شرطية ﴿نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ أي نزلَ حُكمها إمَّا مع لفظها أو لا. وفي قراءةٍ بضمِّ النون، من أنسخ؛ أي: نأمرك أو جبريل

---

(١) عرف بتعاريف كثيرة، والتعريف الذي ذكره شيخنا قريب من تعريف الغزالي وابن قدامة. ينظر: «المستصفى» للغزالي (٢/ ٣٥-٣٦)، و«روضة الناظر» لابن قدامة (١/ ٢٨٣-٢٨٤).

بنسخها ﴿أو نَنْسَأْهَا﴾ نُؤَخِّرْها فلا نُزِل حكمها ونرفع تلاوتها أو نؤخرها في اللوح المحفوظ. وفي قراءة بلا همز من النسيان؛ أي: نُنسِكْها؛ أي: نمحُها من قلبك، وجواب الشرط ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النسخُ والتبديلُ، والاستفهام للتقرير. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل فيهما ما يشاء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلِيٍّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنع عذابَه عنكم إن أتاكم.

وقولُ المؤلِّف: (**ولَمَّا طعن الكفارُ...**) إلى آخره: يُشير بذلك إلى سببِ نزول هذه الآية في شأن النسخ[١].

وقولُه: (**نُزِل حكمها...**) إلى آخره: تضمن الإشارة إلى أصل معنى النسخ في اللغة، وهو الإزالة، وأنَّ نسخَ الآية تارةً يكون بحُكمِها ولفظِها، وتارةً يكون للحُكم مع بقاء اللفظ.

وقولُه: (**وفي قراءةٍ بضمِّ النون...**) إلى آخره: يُشير إلى قراءةٍ مرجوحةٍ ردَّها ابنُ جرير، قال إنها خلافُ الحُجَّةِ من القَرَأَة؛ أي: جمهور القراء[٢].

وقولُه: (**أو نَنْسَأْهَا...**) إلى آخره: مشى المؤلِّفُ في هذا الحرف على إحدى القراءات، وهي: بفتح النون والهمز[٣]، من النسأ؛ وهو: التأخيرُ كالبيع نسيئة؛ أي: إلى أجل[٤]، وفسَّرَ المؤلِّفُ هذه القراءةَ بتأخير النزول، فتضمَّنت

---

(١) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٣٤)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٤٧-٣٤٨).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٩٦-٣٩٧).

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون بضم النون الأولى وترك الهمز. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٨)، و«النشر» (٢/ ٢٢٠).

(٤) **ينظر**: «لسان العرب» (١/ ١٦٦).

الآيةُ على هذا نوعين من الآيات؛ آيةٌ نزلت ثم نُسخ حُكمها، وآيةٌ أُخِّر نزولها، وفي كلٍّ من النوعين وعدَ اللهُ أن يأتي بخيرٍ منها أو مثلها.

وقولُه: (**وفي قراءة بلا همزة من النسيان...**) إلى آخره: يذكر القراءة الأخرى، وهي التي بضمِّ النون بلا همزٍ، وجزمِ الفعل بحذف حرف العلة، وهي من النسيان الذي هو ذهابُ الشيءِ من القلب، ولهذا قال المؤلف ـ مُفسِّرًا هذه القراءة ـ: (أي: نمحُها من قلبك)؛ لأنَّ الخطابَ فيها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدليل قوله بعدها: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾.

وقولُه: (**وجواب الشرط**): أي: المفهوم من «ما» الشرطية؛ جوابه هو قوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ﴾.

وقولُه: (**في السهولة أو كثرة الأجر**): يُبيِّنُ بهذا أنَّ الخيرَ الموعود هو ما ينفع العباد في العاجل إذا كان النسخُ إلى الأخفِّ والأسهلِ، أو الآجلِ بكثرة الأجرِ إذا كان النسخُ إلى أثقلَ من الأول.

وقولُه: (**في التكليف والثواب**): يُبيِّنُ أنَّ الآيةَ الثانية تكون مِثل الأولى في التكليف من حيث السهولة والمشقة، وفي الثواب؛ أي: من حيث مقدار الأجر.

وقولُه: (**يفعل فيهما ما يشاء**): يُشير إلى أنَّ من مُقتضى مُلكه التصرفُ في الأحكام بالنسخ والتبديل والتقديم والتأخير.

وقولُه: (**أي: غيره**): تفسيرٌ لقوله: (**من دونه**).

وقولُه: (**«من» زائدة**): يريد: «من» في قوله: ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾، يقول: زائدة؛ أي: لتأكيد العموم. وقولُه: (**يحفظكم**)، وقولُه: (**يمنع عذابه**): بيانٌ للفرق بين الوليِّ والنصيرِ، فالوليُّ: هو الجالبُ للمنافع، والنصيرُ: هو الدافعُ للمضار، والله تعالى هو الوليُّ والنصيرُ، وما للعباد من دونه وليٌّ ولا نصيرٌ؛ لأنه لا يأتي بالحسنات ولا يدفع السيئات غيره.

فعُلمَ ممَّا تقدَّم أمورٌ:

١ ـ سببُ نزول الآية؛ وهو إنكارُ اليهود النسخَ وطعنهم على النبي والمؤمنين بتحويل القبلة.

٢ ـ أنَّ في ﴿ننسخ﴾ قراءتين؛ بفتح النون والسين، وهي: أصحُّ القراءتين، وبضم النون وكسر السين، وهي: التي ردَّها ابنُ جرير.

٣ ـ أنَّ في ﴿نُنْسِهَا﴾ ثلاثُ قراءات: بضمِّ النونِ وحذفِ الياءِ للجزم، وبفتحِ النون والهمزة الساكنة من «النَّسْأ» بمعنى: التأخير، وبفتحِ النونِ وحذفِ الألف من النسيان؛ بمعنى: الترك.

٤ ـ الاستفهامُ في الآيتين للتقرير، والخطابُ في اللفظ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمعنى: عام للمؤمنين.

٥ ـ الإشارةُ إلى الدليل العقلي على جواز النسخ بذكر عموم قدرة الله وعموم ملكه.



وقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾ [البقرة: ١٠٨]:

يُنكر تعالى على مَن يسأل الرسولَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المؤمنين سؤالَ تعنُّتٍ واعتراضٍ على شرعه، وإنما يكون هذا من المنافقين الذين يُظهرون الإيمان وهم بخلاف ما يظهرون، وقد ذُكروا في أوّل السورة، وأنهم بذلك يُشبهون بني إسرائيل في تعنُّتهم على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما في قصة البقرة، وذِكْرُ ذلك في الآية يُشعر بوقوعه؛ وأنه سببُ نزول الآية[١].

ثم يُبيِّنُ تعالى أنَّ هذا المسلكَ قد يُفضي بصاحبه إلى الكفر أو هو كفر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾؛ أي: مَن يشتري الكفرَ بالإيمان فيتعوَّضُ عن الإيمان بالكفر فقد ضلَّ سواءَ السبيل؛ أي: أخطأ سبيلَ الله، وذهب عنه إلى سُبل الغي والفساد، و﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾: هي المنقطعةُ، فهي بمعنى بل[٢]، وهمزة الاستفهام الإنكاري.

والخطابُ في قوله: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ للمؤمنين، فهو متصلٌ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾، والمراد؛ بقوله: ﴿رَسُولَكُمْ﴾: محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسولُ يُضافُ إلى مُرسلِه، وإلى مَن أُرسِل إليه.

ونزل لَمَّا سأله أهلُ مكة أن يوسِّعها ويجعل الصفا ذهبًا: ﴿أم﴾ بل ﴿أتُرِيدُونَ أَنْ تَسْألُوا رَسُولكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى﴾ أي: سأله قومه ﴿مِنْ قَبْل﴾ من قولهم: ﴿أَرِنَا اللَّه جَهْرَةً﴾ وغير ذلك ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّل الْكُفْر بِالْإِيمَانِ﴾ أي

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٠٩-٤١١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٠٢-٢٠٣)، و«زاد المسير» (١/ ٩٩).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٧٣).

يأخذه بدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيل﴾ أخطأ الطريقَ الحقَّ، والسواءُ في الأصل: الوسطُ[1].

وقولُ المؤلِّف: (**ونزل...**) إلى آخره: يُشيرُ إلى أنَّ سببَ نزول هذه الآية هو سؤالُ أهل مكة، وفي هذا نظرٌ، فإنَّ سورةَ البقرة مدنيةٌ، والأظهرُ أنَّ السببَ سؤالُ بعض المؤمنين كما تقدَّم.

وقولُه: (**من قولهم**: ﴿أَرِنَا اللَّه جَهْرَةً﴾): هذا بعض أسئلة بني إسرائيل التعنتية وهي كثيرةٌ. وقولُه: (**أخطأ الطريقَ الحقَّ**): فسَّر الضلالَ بالخطأ؛ لأنَّ ضلَّ في الآية متعدٍّ بنفسه، و﴿سواء﴾: مفعولٌ به، ويتعدَّى بـ«عن»؛ فيُقال: ضلَّ سواءَ السبيل، وضلَّ عن سواءِ السبيل.



(١) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٦١)، و«مقاييس اللغة» (٣/ ١١٢).

وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩]:

يُخبر تعالى عن كثيرٍ من أهل الكتاب -وهم اليهود والنصارى- بأنهم يودُّون أن يُطيعهم المؤمنون في التحوُّل عن الإيمان إلى الكفر، والحاملُ لهم على ذلك الحسدُ، وأخصُّ الطائفتين بذلك اليهودُ كما وصفهم اللهُ بذلك؛ في قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]، ولم يكن ذلك منهم لجهلٍ أو شبهةٍ، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾. ثم أمرَ سبحانَه بالعفو والصفح عنهم، وذلك بالصبر على أذاهم حتى يأتيَ اللهُ بأمره؛ وهو النصرُ عليهم بإجلائهم أو قتلهم، وقد وقع ذلك في طوائفِ اليهود حولَ المدينة كما في سورة الحشر والأحزاب، وفي هذا بشارةٌ للمؤمنين ووعيدٌ للكافرين، وتأكيدًا لهذا الوعد والوعيد أخبرَ تعالى أنه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾.

والعفو: هو تركُ المؤاخذة على الذنب بترك العقوبة. والصفح: هو الإعراضُ وتركُ التثريبِ والعتابِ، فهو أبلغُ من العفو(١).

﴿وَدَّ كَثِير مِنْ أَهْلِ الْكِتَاب لَوْ﴾ مصدرية ﴿يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْد إيمَانكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ مفعول له، كائنًا ﴿مِنْ عِنْد أَنْفُسهمْ﴾ أي: حملتهم عليه أنفسُهم الخبيثةُ ﴿مِنْ بَعْد مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ في التوراة ﴿الْحَقّ﴾ في شأن النبي ﷺ ﴿فَاعْفُوا﴾ عنهم؛ أي: اتركوهم ﴿وَاصْفَحُوا﴾ أعرضوا فلا

(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٤٨٦)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٦٧١).

تجاوزوهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فيهم من القتال ﴿نَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (**مصدرية**): يريد أنها من الحروف التي تُؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر، وتقدير ذلك هنا: ودَّ كثيرون من أهل الكتاب ردَّكم.

وقولُه: (**مفعول له**): يُبيِّنُ إعراب ﴿حسدًا﴾ بأنه مفعولٌ لأجله، فنصبه على المفعولية، فعلم بذلك أنَّ الحسدَ هو الحاملُ لهم على هذه المودَّة، وهذا الحسدُ متمكِّنٌ في نفوسهم وقلوبهم، وهذا هو معنى ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾.

وقولُه: (**كائنًا**): صفةٌ لحسد، والجار والمجرور ﴿مِنْ عِنْدِ﴾ مُتعلِّقٌ بـ«كائنًا».

وقولُه: (**في شأن النبي ﷺ**): يعني تبيَّن لهم الاعتقادُ الحقُّ في شأن النبي محمد ﷺ، وتبيَّن لهم ذلك بدلائلَ كثيرةٍ.



وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة: ١١٠]:

يأمر اللهُ -تعالى- عبادَه المؤمنين بإقام الصلاة؛ وهي الصلوات الخمس التي كتبها اللهُ على عباده في كلِّ يومٍ وليلةٍ، وبإيتاء الزكاة؛ وهي الحقُّ الذي فرضَه الله على الأغنياء في أموالهم، ويُبشرهم تعالى أنَّ ما قدَّموه لأنفسهم من خيرٍ -أي: عمل صالح- فإنهم يجدون ثوابَه موفورًا مُضاعفًا عند ربهم، ثم أخبر سبحانه أنه بصيرٌ بأعمال عباده حسناتهم وسيئاتهم، وهو بصيرٌ بأحوالهم ونيَّاتهم فيها، فيجزيهم بالحسنات بحسب تفاضلهم فيها، ويُضاعِف لهم الثوابَ، الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبع مئةِ ضِعفٍ إلى ما شاء الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

والبصيرُ: من البصر بالشيء، وهو كمالُ العلم به، فهي من معنى: أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وليست من البصر بمعنى الإبصار الذي هو بمعنى الرؤية؛ فالبصيرُ من المعنى الأول يأتي مقرونًا بالخبير، ومن المعنى الثاني يأتي مقرونًا بالسميع[(١)]، وقد عُلِمَ مما تقدَّم أنَّ الخطاب في هذه الآيات للمؤمنين من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة: ١١٠].

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ طاعةٍ؛ كصِلةٍ وصدقةٍ ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.



(١) ينظر: «اشتقاق الأسماء» للزجاجي (ص٦٥-٧١)، و«شأن الدعاء» للخطابي (ص٦١)، و«النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» لمحمد الحمود النجدي (١/ ٢٣٥).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١١-١١٢]:

يُخبر تعالى عن اليهود والنصارى أنهم قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، ومعنى ذلك أنَّ الجنةَ مختصَّةٌ بهم، وخالصةٌ لهم من دون الناس، وهذا ما سبق الإشارةُ إليه في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٩٤][(١)]، و﴿أَوْ﴾ للتقسيم والتنويع بعد الإجمال؛ فالمعنى: وقالت اليهود: لن يدخلَ الجنةَ إلا من كان هودًا، وقالت النصارى: لن يدخلَ الجنةَ إلا من كانوا نصارى[(٢)].

ثم بيَّنَ تعالى أنه لا حقيقةَ لقولهم، بل هو محضُ أماني، وأنهم لا برهان لهم على ما قالوا؛ فقال تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾، وهذا أمرُ تعجيزٍ، ثم بيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ المستحقَّ لدخول الجنة وله الأجر عند الله هو مَن أسلم وجهَه لله بعبادته وحده لا شريك له، وهو محسنٌ باتباع الرسولِ، فذلك الذي له الأجرُ عند الله ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾. وفي هذه الآية عَودٌ إلى الإخبار عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وذِكرُ أقوالهم الباطلة بعد ما مرَّ في الآيات السابقة من خطاب للمؤمنين أمرًا ونهيًا وتحذيرًا وإرشادًا، لكنَّ المعني في الآيات التي قبل ذلك من «٤٠» إلى «١٠٣» هم اليهود، والمعني: في هذه الآية «١١١» وما بعدها الطوائفُ الثلاثُ؛ اليهود والنصارى والمشركون.

---

(١) ينظر: (ص ٢٠٦).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٢٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٢-٣٢٣)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٦٧٢-٦٧٣).

وفي قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ ردٌّ لنفي في قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، فالمعنى: بل يدخلُها ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، و﴿مَنْ﴾ شرطيةٌ، وجوابُ الشرط قوله: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ جمعُ هائدٍ ﴿أَوْ نَصَارَى﴾ قال ذلك يهودُ المدينة ونصارى نجران لَمَّا تناظروا بين يدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أي قال اليهود: لن يدخلَها إلَّا اليهود. وقال النصارى: لن يدخلَها إلَّا النصارى ﴿تِلْكَ﴾ القولة ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ شهواتهم الباطلة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجَّتكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. ﴿بَلَى﴾ يدخلُ الجنةَ غيرهم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهه لِلَّهِ﴾ أي انقاد لأمره، وخُصَّ الوجهُ لأنه أشرفُ الأعضاء فغيره أولى ﴿وَهْوَ مُحْسِن﴾ موحِّدٌ ﴿فَلَهُ أَجْرُه عِنْدَ رَبّه﴾ أي: ثواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْف عَلَيْهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُون﴾ في الآخرة.

وقولُ المؤلِّف: (**جمعُ هائدٍ**): يُبيِّنُ بهذا أنَّ هودًا جمعُ هائدٍ لا مفرد، ونظيرُه: عُوذ جمع عائذ[1].

وقولُه: (**قال ذلك يهودُ المدينة**...) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ الآية نزلت على سبب، وهو ما ذكره من القصة[2].

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٧٣)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٤٢٨).

(٢) أخرج القصة الطبري (٢/ ٤٣٤-٤٣٥) لكن في سبب نزول آية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾]، وأوردها في سبب نزول هذه الآية: السمعاني في تفسيره (١/ ١٢٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٠٢)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٥٦١).

وقولُه: (**القولة**): يريد أنَّ اسمَ الإشارة في قوله: ﴿**تلك**﴾ راجعٌ إلى الفعلة من القول.

وقولُه: (**شهواتهم الباطلة**): أي التي يتمنَّونها ويطمعون في حصولها، ومنها: دخولهم الجنة دون غيرهم.

وقولُه: (**حجَّتكم على ذلك**): فسَّر البرهانَ بالحجة، وهو الحجةُ القاطعةُ المفيدة لمدلولها؛ فالبرهانُ أخصُّ من الحجة.

وقولُه: (**فيه**): أي فيما تدعونه من اختصاصكم بدخول الجنة.

وقولُه: (**يدخل الجنة غيرهم**): يُبيِّنُ أنَّ ﴿**بلى**﴾ إبطالٌ للنفي في قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾، فكلُّ ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهه لِلَّهِ وَهْوَ مُحْسِن﴾ فإنه يدخل الجنة.

وقولُه: (**انقاد لأمره**): فسَّرَ الإسلامَ بالانقياد؛ لأنَّ الإسلام استسلامٌ وتسليمٌ.

وقولُه: (**خص الوجه...**) إلى آخره: فالمعنى: مَن أسلم وجهَه فقد أسلمَ بكليَّته لربه وخضع له[1]، وهذا يتضمَّنُ إخلاصَ الدِّين لله وعبادته وحده لا شريك له.

وقولُه: (**موحدٌ**): فسَّر الإحسان بالتوحيد، وفي هذا التفسير نظرٌ؛ فإنَّ التوحيد هو معنى إسلام الوجه لله، فلا بدَّ أن يكون الإحسانُ معنى آخر، وهو اتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٣٢-٤٣٣)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٣-٣٢٤).

(٢) **ينظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٨٥).

وقرر هذا المعنى شيخ الإسلام في غير موضع من كتبه. **ينظر**: «منهاج السنة» (٥/ ٢٥٢-٢٥٣)، و«جامع المسائل» (٦/ ٢٦)، و«مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٣٤) -وهي من رسالة العبودية (ص١٤٨)-، و(٢٨/ ١٧٥).



وقولُه: (**أي ثواب عمله الجنة**): تفسيرٌ للأجر عند الله، وبذلك يظهر الردُّ على اليهود والنصارى في نفي دخول غيرهم الجنة.

وقولُه: (**في الآخرة**): يُبيِّنُ أنَّ الوعد بعدم الخوف والحزن يكون في الآخرة، وهذا هو الأهمُّ؛ لأنَّ الخوفَ والحزن في الدنيا مآلهما إلى الزوال، وقد جاء التصريحُ بالوعد بالأمن وذهاب الحزن؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]، وقوله عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].



وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: ١١٣]:

يُخبر تعالى عن اختلاف اليهود والنصارى، وأنَّ كلًّا من الطائفتين تذمُّ الأخرى وأنها ليست على شيءٍ من الحق، مع أنهم يقرؤون كتبَ الله ـ التوراة والإنجيل ـ.

كذلك يُخبر تعالى عن الذين لا يعلمون ـ وهم المشركون الذين لا عِلم عندهم لأنهم لا كتاب لهم ـ أنهم قالوا في كلِّ مَن خالفهم من اليهود والنصارى وغيرهم: ليسوا على شيءٍ، مثل قول اليهود والنصارى بعضهم لبعض.

ثم أخبر تعالى أنه يحكم بين جميع المختلفين يوم القيامة فيُبيِّنُ المحقَّ منهم من المُبطل؛ كما قال تعالى في حكمة البعث: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل: ٣٩].

﴿وَقَالَتْ الْيَهُود لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْء﴾ مُعْتَدٍّ به وكفرت بعيسى ﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُود عَلَى شَيْء﴾ مُعْتَدٍّ به وكفرت بموسى ﴿وَهُمْ﴾ أي: الفريقان ﴿يَتْلُونَ الْكِتَاب﴾ المنزلَ عليهم، وفي كتاب اليهود تصديقُ عيسى، وفي كتاب النصارى تصديقُ موسى، والجملةُ حال ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي المشركون من العرب وغيرهم ﴿مِثْل قَوْلهمْ﴾ بيانٌ لمعنى ذلك. أي: قالوا لكلِّ ذي دينٍ: ليسوا على شيءٍ ﴿فَاَللَّه يَحْكُم بَيْنهمْ يَوْم الْقِيَامَة فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمرِ الدِّين، فيدخل المحقُّ الجنةَ، والمبطلُ النارَ.

وقولُ المؤلِّف: (**مُعْتَدٍّ به...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ مرادَ اليهود بهذا القول نفيُ أن يكون مع النصارى شيءٌ من الحقِّ يُعتدُّ به لهم، ولا إيمان مَن آمن منهم بعيسى، فتضمَّن قولُ اليهود كفرهم بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقولُه: (**معتد به...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ قول النصارى في اليهود من جنس قولِ اليهود في النصارى، كلٌّ منهما يتضمَّنُ جحد ما عند الطائفة الأخرى من الحقِّ والكفرَ بنبيِّها.

وقولُه: (**المنزل عليهم**): معناه أنَّ المراد بالكتاب التوراة والإنجيل، وفي كلِّ كتابٍ دلالةٌ على الحقِّ الذي عند الطائفة الأخرى، فكانوا بهذا التَّجاحُدِ كافرين بالكتاب الذي نزل عليهم؛ لأنَّ كتابهم يُكذبهم فيما قالوه في الطائفة الأخرى.

وقولُه: (**وفي كتاب اليهود...**) إلى آخره: هو معنى ما تقدَّم أنَّ كلًّا من الكتابين يدلُّ على الحقِّ الذي مع الطائفة الأخرى.

وقولُه: (**والجملة حال**): يعني قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾، فالمعنى: قالوا ما قالوا وهم يتلون الكتاب الذي يُكذِّبُهم؛ لأنه يدلُّ على نقيض قولهم، وبعد: فقولُ اليهود في النصارى هو لازمٌ لقولهم: «لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا»، ومضمونُ قول النصارى في اليهود هو لازمُ قول النصارى: «لن يدخلَ الجنةَ إلا من كانوا نصارى»، فمضمون كلٍّ من الآيتين رقم: «١١١» و«١١٣» لازمٌ لمضمون الآية الأخرى.

وقولُه: (**كما قال هؤلاء**): أي مثل قول اليهود في النصارى وقول النصارى في اليهود قال الذين لا يعلمون؛ فالمعنى: قال الذين لا يعلمون وهم المشركون في اليهود والنصارى ليسوا على شيءٍ.

وقولُه: (**أي المشركون من العرب وغيرهم**): هذا أصحُّ ما قيل في بيان المراد بالذين لا يعلمون(١)، وأخطأ خطأً بيِّنًا مَن قال: المرادُ بهم اليهود أو النصارى، ويؤيد أنَّ المرادَ بهم المشركون قوله تعالى فيما سيأتي: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٨]، والراجحُ في هذه الآية أنَّ المرادَ بالذين لا يعلمون كفارُ العرب، كما ذكره ابنُ كثير ورجَّحه(٢)، وهو قول الجمهور؛ قاله ابن عطية(٣) والقرطبي(٤).

وقولُه: (**بيان لمعنى ذلك...**) إلى آخره: يريدُ أنَّ قوله تعالى: ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: بيانٌ لمعنى اسم الإشارة في قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾، فالمعنى أنَّ الذين لا يعلمون قالوا لكلِّ مَن خالفهم في الدينِ: ليسوا على شيء؛ كقول اليهود للنصارى، وقول النصارى لليهود.

وقولُه: (**فيدخل المحقُّ الجنةَ والمبطلُ النارَ**): هذا تفسيرٌ للحكم في الآية بالحكم الجزائي الفعلي، والآية تشمل هذا، وتشمل الحكمَ البياني القولي المذكور في قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [النحل: ٣٩]، فإنه تعالى يُبيِّنُ لهم المحقَّ من المبطل، ثم يدخل المحقُّ الجنةَ والمبطلُ النارَ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٦].



---

(١) وهو قول السدي ومقاتل، واختاره الجمهور. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٣٩)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٠٩، رقم ١١٠٧)، و«زاد المسير» (١/ ١٠٢).

(٢) **ينظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٩٩).

(٣) «المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٥).

(٤) «تفسير القرطبي» (٢/ ٧٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾ [البقرة: ١١٤]:

يُخبر تعالى عن حال مَن يمنع مساجد الله التي أفضلُها المسجدُ الحرام، يمنعها من أنْ يُذكَر فيها اسمُ الله، ويصدُّ مَن يقصدها بذكر اسم الله فيها، وفعلِ ما شرع اللهُ فيها من العبادات، وهذا الصدُّ أعظم سعي في خرابها، فإنَّ عمارتَها بذكر اسم الله فيها وإقام الصلاة فيها؛ وأعظمُ الصدِّ عن ذلك الصدُّ عن المسجد الحرام، فأخبر تعالى أنَّ مَن هذه حالُه فلا أحد أظلم منه.

﴿وَمَنۡ﴾ في قوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾: اسمُ استفهامٍ إنكاري، وهو بمعنى النفي، فالتقدير: لا أحدَ أظلم. ثم أخبر تعالى أنَّ أولئك الظالمين لا يحقُّ لهم دخول مساجد الله، ولا يليقُ بهم إلَّا أن يدخلوها خائفين ذليلين مقهورين، ثم أخبر تعالى عن سوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة؛ فقال: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾؛ وهو الفضيحةُ والعارُ، ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾؛ وهو عذاب النار.

﴿وَمَنْ أَظْلَم﴾ أي: لا أحدَ أظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمه﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم أو التعطيل، نزلت إخبارًا عن الروم الذين خرَّبوا بيت المقدس، أو في المشركين لَمَّا صدُّوا النبيَّ ﷺ عامَ الحديبية عن البيت ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر؛ أي: أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحدٌ آمنًا. ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوانٌ، بالقتل والسبي والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَة عَذَاب عَظِيم﴾ هو النار.

وقولُ المؤلِّف: (**نزلت إخبارًا عن الروم...**) إلى آخره: يُبيِّن بذلك أنَّ المعنيَّ بالذمِّ والوعيد المذكور في الآية هم النصارى الذي خرَّبوا بيتَ المقدس، أو المراد: المشركون الذين صدُّوا النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابَه عن المسجد الحرام، وما ذكرَه حقٌّ ولكنَّ الآية عامَّةٌ في جميع المساجد[١]، ويدخل فيها المسجد الحرام والمسجد الأقصى دخولًا أوليًّا، وكذا ما في الآية من ذمٍّ ووعيدٍ عامٌّ لجميع المانعين مساجدَ الله أن يُذكَر فيها اسمُه، وجميع الساعين في خرابها، ويدخلُ النصارى والمشركون في الذمِّ والوعيدِ دخولًا أوليًّا، وسياقُ الآيات السابقةِ واللاحقةِ يشهد للقولين، ففيها ذكرُ المشركين والنصارى، ومن ذلك آياتُ تحويل القبلة الآتية.

وقولُه: (**خبر بمعنى الأمر...**) إلى آخره: يعني قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلا خَائِفِينَ﴾، ويُبيِّنُ أنَّ هذا الخبرَ مُتضمِّنٌ أمر المؤمنين بإخافة الكفار، فلا يدخلوا المساجد إلا خائفين من سلطان المسلمين. ولا يَرِدُ على هذا دخولُ نصارى نجران مسجدِه[٢]؛ فإنهم غير مُطمئنين ولا يقدرون على أن يفعلوا فيه ما شاؤوا؛ لأنَّ الولاية فيه والحكم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٤٢-٤٤٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٥-٣٢٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٨٧-٣٨٨).

(٢) دخول وفد نجران لمسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء في حديث رواه ابن إسحاق، قال حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قدموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، يعني: وفد نجران، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، الحديث. وإسناده منقطع. **ينظر**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٧٤)، و«فتح الباري» لابن رجب (٣/ ٢٤٤)، و«التعليق على فقه السيرة» للألباني (ص٤٢٤). وجاء دخول وفد ثقيف للمسجد كما عند أبي داود (٣٠٢٦) من طريق الحسن، عن عثمان بن أبي العاص. وأصح ما جاء في هذا الباب: هو ربط ثمامة بن أثال في المسجد لما أتي به إليه أسيراً،كما في البخاري (٤٦٩)، ومسلم (١٧٦٤).



وقولُه: (**هوان...**) إلى آخره: الهوانُ: الذلةُ والصَّغارُ[١]، فقد أخزاهم اللهُ بما ألزمهم من الذِّلة والصَّغارِ؛ بالقتل والأسْرِ والسَّبي وأخذِ الجزية.



(١) **ينظر**: «لسان العرب» (١٣/ ٤٣٨).

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: ١١٥]:

بعدما ذكر اللهُ ما يدلُّ على فضل المساجد فقد أضافها إلى نفسه تعالى وذمَّ وتوعَّدَ المانعين لها أن يُذكَر فيها اسمُه، والمساجدُ مواضعُ الصلاة، أخبر تعالى في هذه الآية بسعة ملكه، فله المشرقُ والمغربُ، فإلى أيِّ جهةٍ وجَّه المصلي فهناك جهةُ القبلة إذا كان قد أمر الله بها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: قبلة الله، وعلى هذا فليست الآية من آيات الصفات؛ لأنَّ المراد بالوجه: «الجهة»[(١)].

وقيل: المرادُ بالوجه: ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ الذي هو صفته الموصوف بالجلال والإكرام، ويدل لهذا المعنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إن أحدكم إذا قام يصلي، فإن الله تبارك وتعالى قبل وجهه، فلا يبصقنَّ قبل وجهه))[(٢)]، وعلى هذا فالآية من آيات الصفات؛ لأنها دالةٌ على إثبات الوجه لله تعالى[(٣)]، والآية تحتمل القولين، والقولُ الأوَّلُ هو قولُ جمهور المفسرين[(٤)]، وهو الذي يدلُّ عليه

(١) وإلى هذا القول ذهب شيخ الإسلام. **ينظر**: «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٧١) وما بعدها، و«جامع المسائل» (٨/ ١٩٣-١٩٤)، و«مجموع الفتاوى» (٢/ ٤٢٨-٤٢٩)، (٣/ ١٩٣)، (٦/ ١٥-١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٨) عن جابر بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري (٤٠٦)، (٧٥٣) ومسلم (٥٤٧) عن ابن عمر بنحوه.

(٣) عامة أهل الإثبات جعلوا هذه الآية من آيات الصفات وذكروها مع نصوص الوجه، وحكاه الطبري عن بعض أهل التفسير. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٥٩)، و«النقض على المريسي» (١/ ٢١٦-٢١٧)، (٢/ ٧٠٤) (٢/ ٧٠٥)، (٢/ ٧٥١)، و«التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٢٥)، و«الإبانة» لابن بطة (٧/ ٣١٩)، و«الحجة في بيان المحجة» (١/ ١١٣)، و«مختصر الصواعق» (٣/ ١٠١٠-١٠٢٤)، و«تفسير السعدي» (١/ ٨٧)، و«تفسير الفاتحة والبقرة» للعثيمين (٢/ ١٣-١٤).

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وعكرمة والشافعي. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٥٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٩١) و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ١٠٦-١٠٧).

السياق، ويشهدُ لهذا قولُه تعالى في شأن تحويل القبلة: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾ [البقرة: ١٤٢]. وينبغي أن يعلم أن اختلاف المفسرين من أهل السنة في تفسير الوجه في الآية لا يستلزم اختلافهم في إثبات الوجه صفة لله تعالى؛ فإن أهل السنة مجمعون على إثبات وجه الله تعالى؛ للأدلة على إثباته من الكتاب والسنة، وإن اختلفوا في عد هذه الآية من جملة تلك الأدلة.

ونزل لَمَّا طعن اليهودُ في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجَّهت: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الأرضُ كلُّها؛ لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْه اللَّه﴾ قبلته التي رضيها ﴿إِنَّ اللَّه وَاسِعٌ﴾ يسع فضلُه كلَّ شيءٍ ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه.

وقولُ المؤلِّف: (**ونزل لَمَّا طعن اليهود...**) إلى آخره: يُشير بذلك إلى سبب نزول الآية[1]. وقولُه: (**وجوهكم في الصلاة بأمره**): فيه بيانُ مفعول ﴿تُوَلُّوا﴾، والحال التي يتعلَّقُ بها هذا الأمر، وهي: الصلاة، وأنَّ تعيين القبلة بأمر الله.

وقولُه: (**هناك**): بيانٌ لمعنى «ثَمَّ»، وأنه اسم إشارة للبعيد؛ فـ«ثَمَّ» و«هناك» معناهما واحدٌ، والمشار إليه هو الناحية من المشرق أو المغرب أو غيرهما التي وجه المصلي إليها وجهه.

(١) جاء هذا عن ابن عباس في رواية علي بن طلحة عنه. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٥٠)، و«أسباب النزول» (ص٣٩)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٦٥).

وقولُه: (**قبلته التي رضيها**): هذا قولُ جمهور السَّلف، ويفرحُ به أهل التأويل من نفاة الصفات؛ لاعتقادهم أنَّ الوجه في الآية كالوجه في قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وهم لا يُثبتونَ الوجهَ لله تعالى، فظنوا أنَّ تفسيرَ الوجه في الآية بالقبلة من التأويل، وليس الأمرُ كما يظنون، فالوجهُ في الآية عند مَن فسَّرهُ بالقبلة بمعنى الجهة؛ وهذا صحيحٌ في اللغة، وعلى هذا فلا تكون الآيةُ من آيات الصفات، وقال بعضُ المفسرين: هي من آيات الصفات، فتكون كقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، والراجحُ: القولُ الأوَّلُ.

وقولُه: (**يسع فضلُه كلَّ شيءٍ**): فسَّر الواسعَ من أسماء الله بسعةِ الفضل؛ وهو الجود والعطاء، واسم الله «الواسع»: معناه أوسعُ من ذلك، فيدخل فيه سعةُ الفضلِ والرحمةُ والعلمُ والقدرةُ والملكُ[1].

وقولُه: (**بتدبير خلقه**): هذا حقٌّ؛ لكن لو قال: بكلِّ شيءٍ كان أولى؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].



(١) **ينظر**: «اشتقاق الأسماء» للزجاجي (ص٧٢)، و«شأن الدعاء» للخطابي (ص٧٢)، و«المقصد الأسنى» للغزالي (ص١١٩).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: ١١٦-١١٧]:

يُخبر تعالى في هذه الآيات عن اليهود والنصارى والمشركين أنهم قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾، فاليهود قالوا: عُزيرٌ ابنُ الله، والنصارى قالوا: المسيحُ ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكةُ بناتُ الله؛ كما ذكر الله ذلك عنهم، ثم سبَّح نفسَه عن قول المفترين من اليهود والنصارى والمشركين، ثم ذكر تعالى البرهانَ العقلي على امتناع أن يكون له سبحانه ولدٌ؛ فأخبر عن مُلكه للسموات والأرض وقنوت العوالم له، وأنه المبدعُ للسماوات والأرض؛ يعني المُبتدِئ لخلقهما على غيرِ مثالٍ سَبَق، وأنه تعالى إذا أراد أمرًا فما هو إلا أن يقول له كن فيكون كما أراد، وهذه الأمور الأربعة تدلُّ على كمال غِناه سبحانه، وأنَّ كلَّ ما سواه مخلوقٌ ومُفتقرٌ إليه، فعُلم أن لو كان له ولدٌ لكان مخلوقًا، ولم يكن ولدًا إلا بالاصطفاء كما قال تعالى: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الزمر: ٤]، ونظيرُ هذه الآية قولُه تعالى في سورة يونس: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٦٨].

﴿وَقَالُوا﴾ بواو ودونها أي: اليهود والنصارى ومَن زعم أنَّ الملائكة بنات الله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهًا له عنه ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا، والمُلكيَّةُ تنافي الولادة. وعبر بـ «ما» تغليبًا لِمَا لا يعقل ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ مطيعون، كلٌّ بما يُرادُ منه، وفيه تغليبُ العاقل. ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجدهما لا على مثالٍ

سَبَقَ ﴿وَإِذَا قَضَى﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي: إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُول لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءةٍ بالنصب جوابًا للأمر.

وقولُ المؤلِّف: (**بواو ودونها**): يُشير إلى قراءتين بإثباتِ واوِ العطف وحذفِها[(١)].

وقولُه: (**أي: اليهود**...) إلى آخره: يريد أنَّ واوَ الجمع في ﴿قَالُوا﴾ راجعةٌ إلى الطوائف الثلاث.

وقولُه: (**تنزيهًا**...) إلى آخره: يريد أنَّ معنى ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهٌ لله عن الولد.

وقولُه: (**والملكية تنافي الولادة**): يُبيِّنُ وجهَ أنَّ ملكَه تعالى للسماوات والأرض دليلٌ على امتناع أن يكون لله ولدٌ.

وقولُه: (**وعبر بـ (ما)**...) إلى آخره: يريد أنَّ الله أخبر عن أهل السماوات والأرض بما التي هي في اللغة لغيرِ العاقل على وجه التغليب[(٢)].

وقولُه: (**مطيعون**): تفسيرٌ لقوله: ﴿قَانِتُونَ﴾، معناه: جميعُ أهل السماوات والأرض مطيعون لله؛ أي: مُنقادون لحكم الله ومُقِرُّون بالعبودية له طوعًا أو كرهًا كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وهذا دليلٌ على امتناع أن يكون لله ولدٌ؛ إذ من الممتنع أن يكون العبدُ ولدًا لسيِّده، ولذا فإنَّ كلَّ مَن قيل أنه ولدُ الله فهو عبدٌ لله، وشواهد هذا في القرآن كثيرةٌ؛ كما في سورة النساء ومريم والأنبياء.

---

(١) قرأ ابن عامر وحده: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ بغير واو، وقرأ الباقون بالواو. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٢٠).

(٢) **ينظر**: «الدر المصون» (٢/ ٨٣)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٦٨٥).

وقولُه: (**كلٌّ بما يُرادُ منه**): يريد أنَّ كلَّ أحدٍ من أهل السماوات والأرض قانتٌ؛ أي: مطيعٌ بما يُراد منه.

وقولُه: (**وفيه تغليبُ العاقل**): يريد أنَّ جمعَ المذكر السالم في قوله: ﴿قَانِتُونَ﴾ والأصلُ أنه يختصُّ بالعاقل، وقد وصف به أهل السماء والأرض؛ لذلك قال المؤلِّف: (**وفيه تغليبُ العاقل**). وقولُه: (**إيجاده**): يُشير إلى أنَّ قوله: ﴿أَمْرًا﴾ على تقدير حذف مُضاف؛ المعنى: إذا أراد إيجادَ أمرٍ؛ أي: شيءٍ.

وقولُه: (**فهو يكون...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ في ﴿يَكُونُ﴾ قراءتين: الرفعُ والنصبُ[1]، فعلى قراءة الرفعِ الفعل خبرُ مبتدأ محذوف؛ قدَّره المؤلِّف: (**فهو يكون**)، وعلى قراءة النصبِ فالفعلُ جوابُ الأمر في قوله: كن، والفعلُ منصوبٌ بـ«أن» بعد الفاء.



(١) **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٨)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٢٠).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة: ١١٨]:

يُخبر تعالى عن الذين لا يعلمون؛ وهم المشركون الذين لا كتاب لهم ككفار قريش؛ أنهم قالوا على وجه التعنُّتِ والعناد للرسول ﷺ قالوا: ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ فنسمع كلامَه ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ﴾ خارقةٌ تدلُّ على أنك رسولٌ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ إلى قوله: ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]، قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾، وكذلك قول بني إسرائيل لموسى: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة: ٥٥]، قال الله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾؛ أي: في عدم الإيمانِ والانقيادِ، فتشابهت أقوالُهم، ثم قال تعالى: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: أي أوضحنا وفصَّلنا الآيات المبينة للحقِّ بينها ﴿لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾، وهم الذين يستمعون لها ويتدبَّرونها فيؤمنون ويوقنون بما دلَّت عليه، وهؤلاء هم المنتفعون بآيات الله ولذا خُصُّوا بالذِّكر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: كفارُ مكة للنبي ﴿لَوْلَا﴾ هلَّا ﴿يُكَلِّمنا اللَّه﴾ أنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَة﴾ مما اقترحناه على صِدقك ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلهمْ﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مِثْل قَوْلهمْ﴾ من التعنُّتِ وطلبِ الآيات ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبهمْ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسليةٌ للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَات لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون، فاقتراح آيةٍ معها تعنُّتٌ.



وقولُ المؤلِّف: (**هلَّا**): تفسيرٌ لقولهم: ﴿لولا﴾؛ فـ«لولا» و«هلا» معناهما التحضيضُ على حصول المطلوب[1].



(١) **ينظر**: «حروف المعاني» للزجاجي (ص٣-٥)، و«الجنى الداني» (ص٦٠٥) (ص٦١٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩]:

يُخبر تعالى نبيَّه مُسلِّيًا له بأنه مُرسَلٌ بالحق؛ أي: بالصدق والعدل، بالهدى ودينِ الحقِّ؛ أي: العلم النافع والعمل الصالح، وأنَّ اللهَ أرسله بشيرًا لِمَن آمن به بثواب الله ونذيرًا لمن كفر به من عذاب الله، ويُخبر اللهُ نبيَّه أنه غيرُ مسؤول عن الكافرين أصحاب الجحيم بعد تبليغهم رسالاتِ الله، فما على الرسول إلَّا البلاغُ المبين.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاك﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَن أجاب إليه بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَن لم يُجِب إليه بالنار ﴿وَلَا تُسْأَل عَنْ أَصْحَاب الْجَحِيم﴾ النار؛ أي: الكفارُ ما لهم لم يؤمنوا إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزم ﴿تسأل﴾ نهيًا.

وقولُ المؤلِّف: (وفي قراءة...) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ في قوله: ﴿وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيم﴾ قراءتين؛ إحداهما: بضمِّ التاء بالبناء للمفعول ولا نافية، والفعلُ المضارع مرفوعٌ، والمعنى: لا يسألك اللهُ عن إيمان مَن كفر بك فليس عليك هداهم، ولكنَّ اللهَ يهدي مَن يشاء، وهذه قراءةُ الجمهور، والجملةُ على هذه القراءة خبرية، والقراءةُ الثانية بفتح التاء، وجزم الفعل المضارع، ولا ناهية فتكون؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ٣٧]، والجملةُ على هذه القراءة طلبيةٌ[١]، وضعَّفَ ابنُ جرير هذه القراءة لفظًا ومعنى[٢].



(١) قرأ نافع ويعقوب ﴿وَلاَ تَسْأَلْ﴾ [١١٩] بالجزم على النهي. وقرأ الباقون ﴿وَلاَ تُسْأَلُ﴾ بضم التاء ورفع اللام على الخبر. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٦٩)، و«المبسوط» (ص١٣٥)، و«النشر» (٢/ ٢٢١).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٨١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠]:

هذا خبرٌ من الله لنبيه على إصرار اليهود والنصارى على تكذيبهم بنبوته، وحرصهم على إضلاله وأنه لا يُرضيه منهم إلا أن يتَّبعهم على مِلَّتهم بناءً على زعمهم أنهم هم الذين على الهدى كما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وسيأتي قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥].

ثم أمر اللهُ نبيَّه أن يقول: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي أنزله في كتبه وأرسلَ به رُسلَه ﴿هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾؛ أي: الدِّين الحق، لا ما خالفه من الأديان الباطلة والشرائع المُحدثة، ثم حذَّر اللهُ نبيَّه من اتباع أهوائهم بطاعتهم فيما يدعون إليه، وأخبر تعالى خبرًا مؤكدًا أنه إن فعل ذلك بعد الذي جاءه من العلم، ومنه العلم بكفرهم وضلالهم وبطلان الدِّين الذي هم عليه كما تقدَّم في الآيات السابقة إن فعل ذلك؛ فما له من الله من وليٍّ ولا نصيرٍ يمنعه من الله إنْ أراد أن يُحلَّ به عقابَه على اتباع أهواءِ اليهود والنصارى.

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُود وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِع مِلَّتهمْ﴾ دينهم ﴿قُلْ إنَّ هُدَى اللَّه﴾ الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما عداه ضلالٌ ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿اتَّبَعْت أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها فرضًا ﴿بَعْد الَّذِي جَاءَك مِنْ الْعِلْم﴾ الوحي من الله ﴿مَا لَك مِنْ اللَّه من ولي﴾ يحفظك ﴿ولا نصير﴾ يمنعك منه.

وقولُ المؤلِّف: (**وما عداه ضلالٌ**): أي ما عدا الإسلام من الأديان ضلالٌ، وهذا المعنى مُستفادٌ من الحصر كما يدلُّ عليه تعريفُ الطرفين في قوله: ﴿هُوَ الْهُدَى﴾[(١)].

وقولُه: (**فرضًا**): يُريد أنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ذُكر على سبيل الفرضِ والتقدير؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصومٌ، فاتباعه لِمِلَّتهم ممتنعٌ لعصمته.

وقولُه: (**الوحي من الله**): يُريد عِلمَ النبوةِ الشامل لمعرفة الحقِّ من الباطل من العلوم والأعمال. وقولُه: (**يحفظك...**) إلى آخره: يُبيِّنُ بهذا الفرقَ بين الولي والنصير، فالوليُّ هو الذي يقوم بمصالح مَن وَليه، والنصيرُ هو الذي يدفعُ عنه المضار، ويمنعه ممَّن يريده بسوء، فبين الوليِّ والنصيرِ عمومٌ وخصوصٌ من وجه، لكنَّ الوليَّ أخصُّ بجلب المنافعِ وحفظِ المصالح، والنصيرَ أخصُّ بدفع المضارِّ[(٢)]؛ فالمعنى: فمتى فعلت ما نُهيتَ عنه حقَّ عليك عقابُ الله، وما لك من الله من وليٍّ يحفظك ولا نصيرٍ ينصرك ويمنعك من عذاب الله، وهذه الآيةُ نظيرُ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].



---

(١) **ينظر**: «البحر المحيط» (١/ ٥٩٠)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٦٩٤).

(٢) ذكر هذا الفرق: السعدي، والعثيمين. **ينظر**: «تفسير السعدي» -سورة الأحزاب- (٥/ ١٤٠٢)، و«تفسير سورة الفاتحة والبقرة» لابن عثيمين (٢/ ٣١). وقال ابن فورك في تفسيره (١/ ٣٨٥): «الولي الذي يدفع المكروه عن الإنسان، والنصير الذي يأمر بدفعه عنه»، وقال البيضاوي (١/ ١٠٠): «والفرق بين الولي والنصير: أن الولي قد يضعف عن النصرة، والنصير قد يكون أجنبيًا عن المنصور؛ فيكون بينهما عموم من وجه».

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: ١٢١]:

هذا خبرٌ من الله ـ تعالى ـ عن طائفةٍ من أهل الكتاب ـ وهو التوراة ـ بأنهم يقرؤونه ويتَّبعونه بالعمل بما فيه من الأحكام، وهؤلاء هم المؤمنون به حقًا، وهذا من العام الذي أُريد به الخصوصُ؛ لأنَّ الذين هذه صفتُهم بعضُ أهل الكتاب، ثم أخبر تعالى عن الذين يكفرون بالكتاب لأنهم الخاسرون، فعُلم بذلك أنَّ الذين يتلونه حقَّ تلاوته هم الرَّابحون.

﴿الذين آتَيْنَاهُمْ الْكِتَاب﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُ حَقّ تِلَاوَته﴾ يقرؤونه كما أنزل ـ والجملة حال و«حق» نصبٌ على المصدر ـ والخبر: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ نزلت في جماعةٍ قدِموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَنْ يَكْفُر بِهِ﴾ أي: بالكتاب المُؤْتَى بأن يُحرِّفه ﴿فَأُولَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

وقولُ المؤلِّف: (**يقرؤونه كما أنزل**): هذا أحدُ التفسيرين للتلاوة في هذه الآية[1]، والثاني: ﴿يَتْلُونَهُ حَقّ تِلَاوَته﴾: يتَّبعونه حقَّ اتباعه[2].

(١) نقله الطبري عن بعض أهل التفسير، وروي بنحوه عن عمر بن الخطاب وزيد بن أسلم. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٩٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢١٨)، (١/ ٢١٩).

(٢) وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وعطاء ومجاهد، وجمهور المفسرين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٨٧-٤٩٣)، و«تفسير الماوردي» (١/ ١٨٢)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٤٠٣).

وقولُه: (**والجملة حال**): هذا أحدُ الوجهين في إعرابها، وعليه فجملة: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾؛ خبرُ المبتدأ كما ذكره المؤلف، والثاني: أنَّ جملة: ﴿يَتْلُونَهُ﴾ خبرُ المبتدأ، وعليه فجملة: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾؛ مستأنفة[١].

وقولُه: (**نصبٌ على المصدر**): لأنه مُضافٌ إلى مصدر؛ وهو التلاوة حقَّ تلاوته، وهو مِن إضافةِ الصفة إلى الموصوف؛ لأن المعنى: يتلونه تلاوةً حقًّا.

وقولُه: (**أي: بالكتاب المؤتى بأن يحرِّفه**): تفسيرٌ للضمير المجرور في قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾؛ وهو التوراة على ما اختاره ابن جرير[٢].

وقولُه: (**لمصيرهم...**) إلى آخره: لا ريب أنَّ المصيرَ إلى النار أعظمُ خزيٍ وأعظمُ خَسارٍ.



(١) **ينظر**: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٠٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٧٦)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٩١-٥٩٢).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٨٦)، وهو قول عبد الرحمن بن زيد.

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٢-١٢٣]:

تقدَّم نظيرُ هاتين الآيتين «٤٧» و«٤٨»؛ أمَّا الآيةُ الأولى فتقدَّم مثلها بلفظها ومعناها، وأمَّا الآيةُ الثانيةُ فتقدَّمت بقريبٍ من لفظها ومعناها، ومن الفرق بينهما أنَّ النفسَ المنفيَّ عنها قبول الشفاعة وأخذ العدل في الآية الأولى هي النفسُ الجازية، والنفسَ المنفيَّ عنها قبول العدل ونفي نفع الشفاعة في الآيةِ الأخيرة هي النفسُ المجزي عنها، ويظهر ذلك بعود الضمائر، وما سوى ذلك قد تقدَّم عند ذكر الآيتين «٤٧» و«٤٨»، ويُلاحظ أنَّ هاتين الآيتين «١٢٢»، «١٢٣» خُتم بهما خطابُ بني إسرائيل والخبرُ عنهم، فخُتمت الآياتُ في ذلك بمثل ما بُدئت به من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيل اُذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْت عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تقدَّم مثله ﴿واتقوا﴾ خافوا ﴿يوما لا تجزي﴾ تغني ﴿نَفْس عَنْ نَفْس﴾ فيه ﴿شَيْئًا وَلَا يقبل منها عدل﴾ فداء ﴿ولا تنفعها شَفَاعَة وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله.



وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة: ١٢٤-١٢٥]:

يُذكِّرُ اللهُ نبيَّه والمؤمنين ويُخبرهم أنه ابتلى خليلَه إبراهيمَ بكلماتٍ تتضمَّنُ أوامر ونواهي، فأتمهنَّ إبراهيمُ بالعمل بها، فجزاه اللهُ بأن جعله للناس إمامًا يُتَّبَع ويُقتدى به في طاعته لله وشكره لنعمه.

وقد اختلف المفسرون في تعيين المرادِ بالكلمات التي ابتُلي بها إبراهيمُ اختلافًا كثيرًا حكاه ابنُ جرير، ومما قيل في ذلك: أنها المناسكُ، أو أنها خِصالُ الفطرة، واختار ابنُ جرير أنه لا يجوز الجزمُ بأنَّ المرادَ جميعُ ما ذُكر من الأقوال، ولا الجزمُ بتعيين بعضها، فكلٌّ ذلك مُحتملٌ، واللهُ أعلم بما أراد(١).

فسأل إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه أن يجعل من ذرِّيته أئمةً فوعده اللهُ ذلك، ولكنْ هذا الوعدُ الذي سمَّاه اللهُ عهدًا لا يَنالُ الظالمين من ذرية إبراهيم، فلا يكون من ذرِّيته إمامًا إلَّا من الصالحين المحسنين، وقد أخبر تعالى أنه صَدَقَ وعْدَه لخليله فجعل من ذرِّيته أئمةً؛ فقال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٢-٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، وقال تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

ثم يُذكِّرُ تعالى بنعمةٍ أخرى على خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى أتباعه، وهو هذا البيت الذي جعله اللهُ مَثابةً للناس يتردَّدون إليه حُجَّاجًا وعُمَّارًا، وجعله سببًا لأمنِ كلِّ ما حوله من الحرم، وذلك بسبب دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٩٨-٥٠٧).

ثم أمر سبحانه المرتادين لهذا البيت أن يتَّخذوا من مقام إبراهيم مُصلًّى؛ أي: يُصلُّوا عنده، وهو الحَجَرُ الذي كان يقوم عليه عند بنائه للبيت؛ فقال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾، ولَمَّا فرغ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طواف القدوم في حجته أتى المقامَ فصلَّى عنده وتلا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾[١].

ثم أخبر سبحانه أنه أمرَ إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت من الأقذار والأنجاس الحسِّيَّةِ والمعنويةِ ليكون مهيئًا للطائفين به والعاكفين والمصلِّين عنده؛ فقال تعالى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾، ومعنى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾: أمرناهما، وعدي الفعل بـ «إلى»؛ لأنه مُضمَّنٌ معنى: أوحينا؛ فالمعنى: أوحينا إليهما الأمر بتطهير البيت، و«أنَّ» في قوله: ﴿أَن طَهِّرَا﴾: تفسيرية، وهي التي تأتي بعد القول أو ما في معناه.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ ابْتَلَى﴾ اختبرَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وفي قراءةٍ إبراهام ﴿رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ بأوامرَ ونواهٍ كلَّفه بها؛ قيل: هي مناسكُ الحجِّ، وقيل: المضمضةُ والاستنشاقُ والسِّواكُ وقصُّ الشاربِ وفرقُ الرأسِ وقلمُ الأظفارِ ونتفُ الإبطِ وحلقُ العانةِ والختانُ والاستنجاءُ ﴿فَأَتَمَّهنَّ﴾ أدَّاهُنَّ تامَّات ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿إِنِّي جَاعِلك لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوةً في الدين ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أولادي اجعلْ أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَال عَهْدِي﴾ بالإمامة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين منهم، دلَّ على أنه ينالُ غير الظالم. ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ الكعبةَ ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ مرجعًا يثوبون إليه من كلِّ جانبٍ ﴿وَأَمْنًا﴾ مأمنًا لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره، كان الرجلُ يَلقى قاتلَ أبيه فيه فلا يُهيجه ﴿واتَّخِذُوا﴾

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أيها الناس ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحَجَرُ الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾ مكانَ صلاةٍ بأن تصلُّوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءةٍ: بفتح الخاء خبر ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جمعُ راكع وساجد: المصلِّين.

وقولُ المؤلِّف: (اذكر): هذا تقديرٌ لمتعلق الظرف، وقد تقدَّمت الآياتُ نظيرَ هذا كثيرًا، وأول ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقولُه: (اختبرَ): تفسيرٌ للابتلاء بالاختبار، وهو كثيرٌ في القرآن، وأكثر ما يَرِدُ من تصاريف الفعل الثلاثي: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ [الأنبياء:٣٥]، ﴿لَهُوَ الْبَلَاءُ﴾ [الصافات:١٠٦].

وقولُه: (قدوة في الدين): المعنى يقتدي به مَن بعده من النبيين والصالحين في التوحيد وطاعةِ الله والبراءةِ من المشركين حتى أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباع ملَّته قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وقد أخبر تعالى بتحقُّقِ هذه الإمامة في إبراهيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، فمعنى ﴿أُمَّةً﴾: أي إمامًا وقدوة[1].

وقولُه: (أولادي...) إلى آخره: معناه أنَّ إبراهيم دعا ربَّه كما جعله إمامًا أن يجعل من ذرِّيته أئمةً فيدومَ الخيرُ ويعمُّ.

وقولُه: (بالإمامة) معناه: أنَّ عهد الله بالإمامة ـ وهو جعله مَن يشاء إمامًا ـ لا يصلُ لظالمٍ من ذرية إبراهيم، وإنما يجعل الإمامةَ في الصالحين من ذريته.

---

(١) ينظر: «الوجوه والنظائر» لمقاتل بن سليمان (ص٤٨)، و«نزهة الأعين النواظر» (ص١٤٤).

وقولُه: **(الكافرين منهم)**: تفسيرٌ للظلم بالكفر، وهذا هو الأكثرُ في القرآن؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ـأي: دعوت غير اللهـ ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

وقولُه: **(دلَّ على أنه ينال غير الظالم)**: هذا من الاستدلال بمفهوم الصفةِ[(١)]، وهو الصحيحُ. وقولُه: **(الكعبة)**: فسَّرَ البيتَ بالكعبة، والبيتُ والكعبةُ والمسجدُ الحرام يختلُف معناها في المواضع التي وردت في القرآن؛ فتارةً يُراد بالبيت الكعبة نفسها؛ كقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، وتارةً يُرادُ به الكعبة وما حولها من المسجد؛ كقوله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، وتارةً يُراد بالكعبة جميع الحرم؛ كقوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وتارةً يُرادُ بالبيت الكعبة وما حولها من المسجد وجميع الحرم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]، وتارةً يُراد بالمسجد: المصلَّى حول الكعبة؛ كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا تُشَدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام...)) الحديث[(٢)]، وقيل: جميع الحرم، والأول أظهر[(٣)]، وقد يُراد بالمسجد الحرام جميع الحرم؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، وقد يُرادُ المصلَّى حول الكعبة وجميع الحرم؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩١].

---

(١) وهو دلالة النص الذي قيد فيه الحكم بصفةٍ على انتفاء الحكم عما انتفت عنه هذه الصفة، وأثبته الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وجماعة من الفقهاء والمتكلمين وأهل العربية، ونفاه أبو حنيفة وأصحابه وابن سريج والقفال والشاشي. **ينظر**: «الإحكام» للآمدي (٣/ ٧٢)، و«روضة الناظر» (٢/ ٧٩٣-٧٩٥)، و«البحر المحيط في أصول الفقه» (٥/ ١٥٥)، و«إرشاد الفحول» (٢/ ٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) **ينظر**: «فتح الباري» (٣/ ٦٤).

وقولُه: (**مرجعًا يثوبون إليه من كلِّ جانب**): مثابٌ ومثابةٌ: مصدرٌ ميميٌّ من ثاب؛ بمعنى: رجع، وسُمِّيَ البيت مثابةً؛ لأنَّ الناسَ كلَّما سافروا عنه رجعوا إليه حاجين أو معتمرين(١)؛ فالمعنى: واذكروا حين جعلنا البيتَ مثابةً للناس.

وقولُه: (**مأمنًا**): أي مكانًا آمنًا، وهو من التسمية بالمصدر.

وقولُه: (**أيها الناس**): يُبيِّنُ أنَّ الخطابَ عامٌّ للناس، ويدلُّ له قوله تعالى قبل ذلك: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾؛ أي: المؤمنين.

وقولُه: (**بفتح الخاء خبر...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ في: ﴿اتَّخذُوا﴾ قراءتين بفتح الخاء، وكسر الخاء(٢)، وبفتحها يكون الفعل ماضيًا، والجملة خبرية، وبكسر الخاءِ يكون أمرًا والجملةُ طلبية؛ لأنَّ الفعل يكون ماضيًا، وبكسر الخاء يكون أمرًا.

وقولُه: (**أي: بأن**): هذا يقتضي أن تكون ﴿أَنْ﴾ مصدرية، والأظهر أنها تفسيريةٌ فلا يحتاج إلى تقدير حرف.



(١) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٦٣)، و«المفردات» للراغب (ص١٨٠).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ بفتح الخاء، وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ بكسر الخاء على الأمر. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٢٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦]:

يُذكِّرُ تعالى نبيَّه والمؤمنين مخبرًا لهم بدعاء خليله إبراهيم للبلد الحرام بأن يجعله آمنًا ويرزق أهله المؤمنين بالله واليوم الآخر من كلِّ الثمرات، فأجاب اللهُ دعاءَه، وأخبر تعالى أنَّ رِزقَه لا يختصُّ بمَن آمن بالله واليوم الآخر من أهل الحرم؛ بل يرزق مَن كفر منهم متاعًا قليلًا ثم يصير بكفره إلى النار وبئس المصير؛ فمعنى الآية: واذكروا حين قال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا﴾ أي: هذا البلد كما في سورة إبراهيم «٣٥»، فاسم الإشارة هو المفعول الأول لـ ﴿ٱجْعَلْ﴾، و﴿بَلَدًا﴾ هو المفعول الثاني، و﴿ءَامِنًا﴾ صفة؛ أي: يأمنُ مَن يحلُّ فيه مما يحصل لمن حولَه من نهبٍ وقتلٍ؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وقوله: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أي التي تُجلَبُ إليهم من البلدان ذات العيون والبساتين؛ لأنَّ مكة ليست ذات زرع وأشجار وثمار، وخصَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بهذا الدعاء مَن آمنَ بالله واليوم الآخر؛ لأنهم الذين يستعينون بنِعَمِه ورزقه على طاعته، ولكنه تعالى أخبر أنه يمتعُ برزقه مَن كفر متاعًا قليلًا ثم يجزيه على كفره بعذاب النار، فبيَّنَ سبحانه أنَّ رِزقه في الدنيا يشمل البرَّ والفاجرَ والمؤمنَ والكافرَ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ ذا أمنٍ، وقد أجاب اللهُ دُعاءَه فجعله حَرَمًا لا يُسفكُ فيه دمُ إنسانٍ، ولا يُظلَمُ فيه أحدٌ، ولا يُصادُ صيدُه، ولا يُختلى خلاه ﴿وَارْزُقْ أَهْلَه مِنْ الثَّمَرَات﴾ وقد فعل، بنقل الطائف من الشام إليه، وكان أقفر لا زرع به ولا ماء ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاَللَّهِ

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بدل من «أهله» وخصَّهم بالدعاء لهم موافقة لقوله: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿وَ﴾ أرزقُ ﴿مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ بالتشديد والتخفيف، في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدَّةَ حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصًا ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

وقولُ المؤلِّف: (المكان): يُبيِّنُ أنَّ المشار إليه المكان، ولو قال: البلاد؛ لكان أولى؛ لأنه المذكور في سورة إبراهيم.

وقولُه: (ذا أمنٍ...) إلى آخره: معناه: فيه أَمنٌ بسبب حُرمته؛ فلا يُسفَكَ فيه دمٌ، ولا يُنفَّر صيدٌ، ولا يُعضَدُ شجرُه، ولا يُختلى خَلاه؛ كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس وأبي شريح[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

وقولُه: (وقد فعل...) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ الله أجاب دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأمَّا قولُه: (بنقل الطائف من الشام إليه): يبدو أنَّ هذه خرافة[2]، والصواب: أنَّ اللهَ أجاب دعاءَه بأن جعل الثمار تُجبَى إليه من كلِّ مكان؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

وقولُه: (بدل من أهله): أي بدلُ بعضٍ من كل، وهو اسم موصول في موضع نصب.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٧)، (١٨٣٢) ومسلم (١٣٥٣)، (١٣٥٤).

(٢) ذُكر عن هشام بن عبيد الله، عن محمد بن مسلم الطائفي قال: بلغني أن إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما دعا للحرم: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ نقل الله الطائف من فلسطين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٥٤٤)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٣٠، رقم ١٢٢٢).

وقولُه: (**وخصَّهم بالدعاء لهم...**) إلى آخره: يعني أنَّ إبراهيمَ خصَّ مَن آمن بالله واليوم الآخر بالدعاء لهم بالرزق من الثمرات.

وقولُه: (**تعالى...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ معنى الجملة: قال اللهُ تعالى: وأَرزقُ مَن كفرَ كما أَرزقُ مَن آمنَ، لكن مَن كفرَ أُمتِّعُه قليلًا في الدنيا ثم أضطره إلى النار يوم القيامة.

وقولُه: (**بالتشديد والتخفيف**): يُشير إلى أنَّ في التاء من ﴿**أمتعه**﴾ قراءتين؛ بالتشديد: ﴿**أمتّعه**﴾، والتخفيف: ﴿**أمتِعه**﴾[1].

وقولُه: (**مدَّة حياته**): تفسيرٌ للقليل، ومتاعُ الدنيا قليلٌ مهما طالت مدَّتُه؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقولُه: (**أُلجِئُه في الآخرة**): معناه: أنَّ اللهَ يُدخلُ الكافرَ النارَ بدفعٍ، بقوةٍ؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

وقولُه: (**المرجع هي**): بيانٌ لمعنى المصير، وبيانٌ للمخصوص؛ فالمصير فاعل «بئس»، والمخصوص بالذم قولُه: (**هي**).



(١) قرأ ابن عامر وحده ﴿فَأُمْتِعُهُ﴾ خفيفة من أَمْتَعْتُ، وقرأ الباقون ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾ مشددة التاء من مَتَّعْتُ. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٢٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩]:

يُذكِّر اللهُ -تعالى- نبيَّه والمؤمنين مخبرًا لهم ببناء إبراهيمَ وإسماعيلَ البيت داعيين ربَّهما؛ أن يتقبَّل منهما، وأن يجعلهما مسلمين له، ويجعل من ذرِّيتهما أمَّةً مسلمةً له، وأن يُريهما مناسكهما التي يتعبَّدان لله بها؛ وهي: مناسك الحج، وأن يتوبَ عليهما، ويبعثَ في ذرِّيتهما رسولًا منهم يتلو عليهم آياتِ الله ويُعلمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكِّيهم، وقد أجاب اللهُ دعاءهما لأنفسهما وذرِّيتهما، وأعظمُ ذلك بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصفة التي دعا بها إبراهيُم وإسماعيل، وامتنَّ اللهُ بذلك على المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فهدى اللهُ به إلى الإسلام كثيرًا من ذرية إسماعيل، فكان ذلك من إجابة الله لذلك الدعاء.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَع إبْرَاهِيم الْقَوَاعِد﴾ الأُسُسَ أو الجدرَ ﴿مِنْ الْبَيْت﴾ يبنيه - مُتعلِّقٌ بـ «يرفع» - ﴿وَإِسْمَاعِيل﴾ عطف على إبراهيم يقولان: ﴿رَبّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناءنا ﴿إنَّك أَنْتَ السَّمِيع﴾ للقول ﴿الْعَلِيم﴾ بالفعل. ﴿رَبّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ مُنقادين ﴿لَك وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَتنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعةً ﴿مُسْلِمَةً لَك﴾ ومن للتبعيض وأتى به لتقدم قوله له: ﴿لَا يَنَال عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، ﴿وَأَرِنَا﴾ عَلِّمْنا ﴿مَنَاسِكنَا﴾ شرائع

عبادتِنا أو حجِّنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّك أَنْت التَّوَّاب الرَّحِيم﴾ سألاه التوبة مع عِصمتهما تواضعًا وتعليمًا لذريتهما. ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءَه بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتك﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمهُمْ الْكِتَاب﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَة﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يُطهِّرُهم من الشِّرك ﴿إِنَّك أَنْت الْعَزِيز﴾ الغالبُ ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

وقولُ المؤلِّف: (اذكر): تقديرٌ لمتعلِّقِ الظَّرف؛ أي: «اذكر» أو «اذكروا» حين رفعَ إبراهيمُ وابنُه إسماعيلَ قواعدَ البيت الذي هو الكعبة، وعبَّر بالمضارع عن الماضي خلافَ ما مرَّ في الآيات؛ لاستحضار الحالِ الماضية[1]، ويُعبِّرُ عن ذلك النُّحاة بحكاية حالٍ ماضية.

وقولُه: (الأُسسَ أو الجُدُر): يُشيرُ بذلك إلى اختلاف المفسرين في المراد بالقواعد؛ فقال بعضهم: المراد الأُسس؛ وهي ما يلي الأرضَ مما يعتمدُ عليه البناء[2]، وقيل: الجُدُرُ جمعُ جِدار[3]، ورفع الأُسُس بإبرازها ورفع الجُدُر بتطويلها، وقد ذكر كثيرٌ من المفسرين عند هذه الآية في شأن بناءِ البيت رواياتٍ كثيرةٍ جُلُّها من الإسرائيليات إلَّا ما رواه البخاريُّ عن ابن عباس[4].

(١) **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٣٣١)، و«تفسير الرازي» (٤/ ٥٠)، و«تفسير البيضاوي» (١/ ١٠٥).

(٢) قاله ابن عباس، واختاره: الفراء، وأبو عبيدة بن المثنى، والطبري، والزجاج، وغيرهم. **ينظر**: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٧٨)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٤)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٥٤٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٠٨).

(٣) قاله الكسائي. **ينظر**: «معاني القرآن» للكسائي (ص٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٥٠)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ١٢٠).

(٤) حديث رقم (٣٣٦٤)، وفيه: أن إبراهيم قال لإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا. وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر =

وقولُه: (**يبنيه**): الجملةُ حاليةٌ؛ فالتقدير: يرفعُ القواعدَ حالَ بنائه للبيت.

وقولُه: (**مُتعلِّق بـ «يرفع»**): يريد أنَّ الجار والمجرور من البيت مُتعلِّقٌ بفعل ﴿يَرْفَعُ﴾.

وقولُه: (**عطف على إبراهيم**): يُبيِّنُ أنَّ ﴿إِسْمَاعِيلُ﴾ مرفوعٌ بالعطف على ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾، وأنه فاعلٌ، فهو يرفع القواعدَ مع أبيه.

وقولُه: (**يقولان**): يُبيِّنُ أنَّ قولَ إبراهيم وإسماعيل ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا...﴾ إلى آخره: مقولُ قولٍ محذوفٍ في موضع نصبٍ على الحال من إبراهيم وإسماعيل.

وقولُه: (**بناءنا**): تقديرٌ لمفعول ﴿تَقَبَّلْ﴾؛ المعنى: تقبَّل عملنا في بناء البيت.

وقولُه: (**للقول**)، وقولُه: (**بالفعل**): يريد أنَّ يُفرِّقَ بذلك بين مُتعلّق السمعِ ومُتعلّق العلم، فيُناسب ما تقدَّم ذِكره عن إبراهيم وإسماعيل من قولٍ وفعلٍ، ولو قال: السميع الدعاء، العليم بما في الأنفس؛ لكان أولى(١).

وقولُه: (**مُنقادين**): تفسيرٌ للإسلام بالمعنى اللغوي وهو الاستسلام والانقياد، وأمَّا معناه في الشرع: فهو الاستسلامُ لله وحدَه بعبادته وحده لا شريك له وبطاعته في أمره ونهيه.

وقولُه: (**اجعل**): تقديرٌ للفعل المحذوف المعطوف على ﴿اجعلنا مسلمين لك﴾.

وقولُه: (**أولادنا**): تفسيرٌ للذرية بالأولاد ليشمل البنين والبنات.

= فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ [البقرة: ١٢٧]، قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ [البقرة:١٢٧]».

(١) وهو كذلك عند الطبري والبغوي وابن عطية. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٥٦٤-٥٦٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٥٠)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٥٠).

وقولُه: (**جماعة**): هذا أحدُ معاني الأمَّة[١]، وهو المناسبُ هنا.

وقولُه: (**ومن للتبعيض**): يُريد «من» التي في ﴿مِنْ ذِرِّيتِنا﴾.

وقولُه: (**وأتى به...**) إلى آخره: أي أتى بـ «من» التي للتبعيض؛ يقول: أتى بالتبعيض موافقة لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقولُه: (**عَلِّمنا**): تفسيرٌ للرؤية بالعلم؛ فجَعلَ ﴿أَرِنَا﴾ من الرؤية العلمية لا البصرية، وهذا هو المناسب إذا أُريد بالمناسك الأعمال.

وقولُه: (**شرائعَ عبادتِنا أو حجِّنا**): يُشير إلى أنَّ المناسك قد يُراد بها جميع العبادات أو أعمال الحج خاصَّة، وهذا الثاني أظهر[٢].

وقولُه: (**سألاه التوبة...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ سؤال إبراهيم وإسماعيل التوبةَ ليس لذنوبٍ وقعت منهما؛ لأنهما معصومان من الذنوب، فسؤالهما التوبة تواضعٌ منهما لله، واعترافٌ منهما بالتقصير في حقِّه تعالى، وليُقتدى بهما في ذلك[٣].

وقولُه: (**أي: أهل البيت**): هذا تفسيرٌ للضمير المجرور في قوله: ﴿فيهم﴾ولو قال: (أي: في ذريتنا)؛ لأنهم المذكورون في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾، وهم: أهل البيت؛ لكان أولى؛ لأنَّ تغييرَ العبارة يُوهِم أنهم شيءٌ آخر.

وقولُه: (**من أنفسهم...**) إلى آخره: أي من جنسهم ومن نسبهم وبِلغتهم، وقد أجاب اللهُ دعاءَ خليلِه إبراهيمَ فبعث اللهُ محمَّدًا خاتم النبيين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعثه اللهُ من بني هاشم من قريش من كنانة من بني إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛

---

(١) **ينظر**: «الوجوه والنظائر» للدمغاني (ص١٠٠)، «نزهة الأعين النواظر» (ص١٤٣).

(٢) ومال إليه الطبري. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٥٧٠)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٥١).

(٣) **تنظر أوجه أخرى في**: «تفسير الطبري» (٢/ ٥٧٢)، و«تفسير الرازي» (٤/ ٥٦)، و«تفسير الخازن» (١/ ٨١-٨٢).

كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إنَّ الله اصطفى كِنانةَ من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كِنانة، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم))[١].

وقولُه: (القرآن): بيانٌ للمراد بالآيات؛ فالمعنى: يقرأُ عليهم القرآنَ ويُعلِّمهم إيَّاه ويُبيِّنُ لهم ما فيه من الأحكام بقوله، وهذا البيانُ هو السنَّةُ، وهي الحكمةُ، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾؛ أي: القرآنَ والحديثَ[٢].

وقولُه: (يُطهِّرهم من الشرك): هذا أحدُ معنيي يزكيهم، والثاني: يُربيهم بأحسن الأخلاق[٣] التي أفضلها: إخلاصُ الدِّين لله، كما يُطهِّرُهم من رذائل الأخلاق التي أقبحها الشركُ بالله.

وقولُه: (الغالب): هذا أحد معاني العزيز، فيكون بمعنى القاهر، ومن معاني العزيز: القويُّ الذي لا يُعجِزُه شيءٌ[٤].

وقولُه: (فِي صنعه) معناه: ذو حكمةٍ في خلقه للمخلوقات، وهو ذو حكمةٍ في أمره، فهو حكيمٌ في شرعِه وقَدَرِه.



---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع.

(٢) وهو قول قتادة والحسن وغيرهما. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٥٧٥-٥٧٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٣٧، رقم ١٢٦٢).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٥٧٧)، و«تفسير الماوردي» (١/ ١٩٢)، و«زاد المسير» (١/ ١١٣).

(٤) **ينظر**: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص٢٣٧)، و«شأن الدعاء» (ص٤٧)، و«نونية ابن القيم» (٤/ ٧١١، رقم الأبيات ٣٢٦٢-٣٢٦٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البقرة: ١٣٠]:

يُخبرُ تعالى أنه لا أحدَ يرغب عن مِلَّة إبراهيم؛ أي: يُعرض عنها زاهدًا فيها فيتركها مُؤثِرًا لغيرها عليها، لا أحدَ يفعل ذلك ﴿مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾؛ أي: سفهت نفسه فآثرت الأدنى على الأعلى، والشرَّ على الخير، والضارَّ على النافع.

﴿وَمَن﴾: اسمُ استفهام؛ معناه: النفي.

و﴿مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾: هي إخلاصُ الدِّين لله بعبادته وحده لا شريك له، وهي دينُ الإسلام الذي هو خيرُ الأديان، ولا يقبلُ اللهُ من أحدٍ دينًا سواه.

و﴿نَفۡسَهُۥ﴾: منصوبٌ على التمييز، وهو محول عن فاعل. ثم أخبر تعالى أنه اصطفى إبراهيمَ في الدنيا بأن جعله نبيًّا ورسولًا واتخذه خليلًا، وجعله إمامًا للناس، وأنه في الآخرة من عباد الله الصالحين.

﴿وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿يَرْغَب عَنْ مِلَّة إِبْرَاهِيم﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَه﴾ جهلَ أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتهنَهَا ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالرسالة والخُلَّةِ ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَة لَمِنْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العُلى.

وقولُ المؤلِّف: (**أي: لا**): يُبيِّنُ أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ معناه النفي؛ فالتقدير: لا يرغبُ أو لا أحدَ يرغب.

وقولُه: (**فيتركها**): لأنَّ مَن رَغِب عن شيءٍ تركه.

وقولُه: (**جهل أنها مخلوقة لله...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ ﴿سَفِهَ﴾ يجوز أن يكون متعديًا ويجوز أن يكون لازمًا، وتقدَّم أنَّ الأصل: سفهت نفسه، فـ﴿نَفۡسَهُ﴾ في الآية منصوبٌ على التمييز محول عن فاعل.

وقولُه: (**اخترناه**): لأنَّ معنى الاصطفاء الاختيار، وهو افتعالٌ من الصفو، قُلبت فيه التاءُ طاءً لتقارُب مخرجيهما.

وقولُه: (**بالرسالة والخلة**): وأيضًا الإمامة.



وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٣]:

يُخبرُ تعالى عن وقت اصطفائه لإبراهيم، وهو حين ﴿قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾؛ أي: استسلم بكمال الطاعةِ وإخلاصِ العبادةِ، فأجاب إبراهيمُ ربَّه لِمَا دعاه إليه وأمره به؛ ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وهذه هي الربوبية العامَّةُ؛ وهي تقتضي الاستسلام لله من كلِّ أحدٍ، وبسبب هذا الاستسلام من إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اصطفاهُ ربُّه وابتلاه ليرقِّيه في درج الكمال من العلم النافع والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

ثم أخبر تعالى أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وصَّى بكلمة الإسلام؛ وهي: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾؛ وهي كلمةُ التوحيد؛ لا إله إلا الله، وصَّى بها إبراهيمُ بَنِيه ووصَّى بها يعقوبُ بَنِيه قائلين: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾؛ وهو دين الإسلام، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾؛ أي: اثبتوا على الإسلام حتى يأتيكم الموت وأنتم عليه.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ...﴾ الآية: خطابٌ من الله لليهود والنصارى بصيغة الاستفهام الإنكاري الذي معناه النفي؛ فإنَّ ﴿أَمْ﴾ هي: المنقطعةُ التي تُفَسَّر بـ«بل» والاستفهام؛ أي: لم تكونوا شهداء؛ أي: حاضرين عند يعقوبَ حين حضرَه الموتُ، وحين أكَّد وصيَّته لبنيه بلزوم الدين الذي اصطفاه الله لهم؛ أكَّد ذلك بسؤال بَنِيه عمَّا يعبدون من بعده؛ ليَعلم لزومَهم لوصيَّته ويطمئنَّ قلبُه على ثباتهم واستقامتهم على التوحيد، وأجابوه بما يُثلِجُ

صدرَه ويُقِرُّ عينَه؛ ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾، وبهذا المشهد الذي كان فيه يعقوب وبنوه وما قال لهم وما قالوه له أبلغُ ردٍّ على ما يزعمه اليهودُ والنصارى من أنَّ يعقوب بل وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق على اليهودية أو النصرانية، كما يدلُّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠]، فأكذبهم اللهُ بما تضمَّنته هذه الآياتُ من قوله: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ﴾، إلى قوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾، وبقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ [آل عمران:٦٧].

وقوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾: قيل: الجملةُ معطوفةٌ على جملة ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ﴾، وقيل: إنها حالٌ من فاعل ﴿نَعۡبُدُ﴾[(١)].

اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّه أَسْلِمْ﴾ انقَدْ لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَوَصَّى﴾ وفي قراءةٍ أوصى ﴿بِهَا﴾ بالملة ﴿إِبْرَاهِيم بَنِيهِ وَيَعْقُوب﴾ بنيه قال: ﴿يَا بَنِيّ إِنَّ اللَّه اصْطَفَى لَكُمْ الدِّين﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾ نهى عن ترك الإسلام وأمرَ بالثبات عليه إلى مصادفة الموت. ولَمَّا قال اليهودُ للنبي: ألست تعلم أنَّ يعقوبَ يومَ مات أوصى بَنيه باليهودية؟ نزل: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاء﴾ حضورًا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ إِذْ بدل من «إذ» قبله ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُد إلَهك وَإِلَه آبَائِك إبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق﴾ عَدُّ إسماعيل من الآباء تغليبٌ، ولأنَّ العمَّ بمنزلة الأب ﴿إلَهًا وَاحِدًا﴾ بدل من «إلهك»

---

(١) واستحسن الطبري أنه حال، وقيل غير ذلك. ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٥٨٧)، و«الكشاف» (١/ ٣٣٣)، و«البحر المحيط» (١/ ٦٤٢-٦٤٣).

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ و«أم» بمعنى همزة الإنكار، أي: لم تحضروه وقت موتِه، فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به!

وقولُ المؤلِّف: (**اذكر**): تقديرٌ لمتعلّق الظرف ﴿إِذْ قَالَ﴾؛ فالمعنى: اذكر حين قال له ربُّه أسلم، وقيل: إنَّ الظرفَ مُتعلّق بـ﴿اصْطَفَى﴾ كما تقدَّم، وهو أظهر.

وقولُه: (**انقد لله...**) إلى آخره: بيانٌ لمعنى ﴿أَسْلِمْ﴾ و﴿أَسْلَمْتُ﴾، والإسلامُ لله هو الانقيادُ بكمال الطاعة وإخلاص العبادة.

وقولُه: (**وفي قراءة أوصى**): معنى القراءتين واحد، ومعناهما: العهدُ بالشيءِ والأمرُ به، إلَّا أَنَّ قراءة التشديد تدلُّ على التكرير؛ وهي الأكثرُ في القرآن وبها قرأ أكثر القرأة[(١)].

وقولُه: (**بالملة**): هذا بيانٌ لمرجع الضمير في قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾، وقد تقدَّم ذكرُها في قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾[(٢)]، وقيل: الضميرُ يعود على الكلمة[(٣)]، وهي قول إبراهيم: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والمعنى واحد[(٤)].

وقولُه: (**بنيه**): يريد أنَّ المعنى: ووصَّى يعقوبُ بنيه.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر: ﴿وَأَوْصَى﴾ على أفعل، وقرأ الباقون: ﴿وَوَصَّى﴾ بغير ألف على فعّل. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٧١)، و«النشر» (٢/ ٢٢٢).

(٢) قاله عكرمة، واختاره الزجاج. **ينظر**: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١١)، و«زاد المسير» (١/ ١١٥).

(٣) وهو قول الكلبي ومقاتل، واختاره الطبري والزمخشري وابن عطية والقرطبي. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٥٨٢)، و«الكشاف» (١/ ٣٢٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٥٥)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ١٣٥).

(٤) **ينظر**: «تفسير الراغب» (١/ ٣١٩).

وقولُه: (**قال**): يُبيِّنُ أنَّ جملةَ ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ مقولُ قولٍ محذوف، وهو بيانٌ لنصِّ الوصية.

وقولُه: (**دين الإسلام**): بيانٌ للدين المصطفى كما يدلُّ له قوله: ﴿إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ودينُ الإسلام هو دينُ الله الذي بعث به رُسُلَه وأنزل به كتبه.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ نظيرُ قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقولُه: (**نهى عن ترك الإسلام...**) إلى آخره: هذا تفسيرٌ لقوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؛ المعنى: اثبتوا على الإسلام مدى الحياةِ، فيأتيكم الموتُ وأنتم عليه، وتُشبه هذه الآية قولَه تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وقولُه: (**ولما قال اليهود للنبي ألست تعلم أن يعقوب...**) إلى آخره: تضمَّنَ ذِكر سبب نزول هذه الآية، وهذا مشهورٌ في سبب نزول هذه الآية[(١)]، ويُصدِّقُ معناه قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٤٠]، وقد أكذبهم اللهُ بما ذكر من وصيَّة إبراهيم ويعقوب.

وقولُه: (**حضورًا**): أي لم تكونوا حضورًا عند موتِ يعقوب فتسمعوا وصيَّته لليهودية أو النصرانية كما تزعمون، وهو لم يوصِ إلَّا بالإسلام.

وقولُه: (**بدل من إذ قبله**): يريد أنَّ ﴿إذ﴾ في قوله: ﴿إذ قال﴾ بدلٌ من ﴿إذ﴾ في قوله: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾، وعلى هذا فوقت قول يعقوب لبنيه هو وقتُ حضور الموت.

وقولُه: (**عد إسماعيل من الآباء...**) إلى آخره: الذي عدَّ إسماعيلَ من الآباء هم أبناءُ يعقوب؛ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾، ثم ذكروا إبراهيمَ

---

(١) **ينظر**: «أسباب النزول» للواحدي (ص٤١)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٩٧).

وإسماعيل وإسحاق، وهذا جارٍ على لغةِ العرب، يجعلون العمَّ بمنزلة الأب فيعدُّونه من جملة الآباء[(١)]، ومن ذلك قوله ﷺ: ((أمَا شعرت أنَّ عمَّ الرجلِ صِنو[(٢)] أبيه؟))[(٣)].

وقولُه: (**بدل من إلهك**): فيؤول المعنى: نعبدُ إلهًا واحدًا وهو إلهك وإله آبائك، وقيل: ﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ منصوبٌ على الحال من ﴿إِلَٰهَكَ﴾؛ وهي: حالٌ لازمة؛ بمعنى: أنه تعالى لم يزل ولا يزال إلهًا واحد[(٤)].

وقولُه: (**وأم بمعنى همزة الإنكار**...) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ ﴿أم﴾ المنقطعة المتضمنة للاستفهام، وهو الاستفهامُ الإنكاري الذي يدلُّ على النفي، ولهذا قال المؤلِّف: (﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾؛ **أي لم تحضروه**).



---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٥٨٧).

(٢) الصنو: المثل، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد؛ يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد، وهو مثل أبي أو مثلي. «النهاية» (٣/ ٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٩٨٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **ينظر**: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١٢)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي (١/ ١١٢)، و«الدر المصون» (٢/ ١٣١-١٣٢).

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤]:

الإشارةُ إلى أمة إبراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه، يُخبر تعالى عنهم بأنهم أمَّة قد خَلَت؛ أي: مَضَت، فقَدِموا على ما قَدَّموا من أعمالهم الصالحة، فلهم ما كسبوا من ثواب أعمالهم الصالحة مختصٌّ بهم لا يَعدوهم إلى غيرهم، فيبطل الاتِّكال في النجاة على أعمالهم بسبب الانتساب إليهم، ولكم أيها اليهود والنصارى ما كسبتم من جزاء أعمالكم مختصٌّ بكم، وكلٌّ مسؤولٌ عن عمله، لا أنتم مسؤولون عنهم ولا هم مسئولون عنكم، كما قال تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس: ٤١].

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، والإشارةُ إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما، وأُنِّثَ لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سَلَفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل؛ أي: جزاؤه، استئناف ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطابُ لليهود ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملةُ تأكيدٌ لِمَا قبلها.

وقولُ المؤلِّف: (**مبتدأ**): يُبيِّنُ أنَّ اسمَ الإشارة مبتدأٌ، وخبره ﴿أمة﴾، قال: وأُنِّث لتأنيث الخبر. قال: والمشارُ إليهم إبراهيم ويعقوب وبنوهما.

وقولُه: (**سَلَفت**): هذا تفسيرٌ لِـ﴿خَلَتْ﴾، وفي معناه: مضت.

وقولُه: (**استئناف**): يُريدُ أنَّ جملةَ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ مُستأنفة.

وقولُه: (**الخطاب لليهود**): لو قال: والنصارى؛ كان أولى، كيف وقد قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾.



وقولُه: (**كما لا يسألون عن عملكم**): معناه أنَّ الحكمَ واحدٌ، فكما أنَّ لكلٍّ عملُه، فكلٌّ لا يُسأَلُ عن عمل غيره.

وقولُه: (**والجملةُ تأكيدٌ لِمَا قبلها**): يريد قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ فإنها تأكيدٌ لقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾.



وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥]:

يُخبرُ تعالى في هذه الآية عن قولٍ باطلٍ من أقوال اليهود والنصارى، ومضمونه الدعوةُ إلى اليهودية أو النصرانية؛ لأنها الهدى بزعمهم، فمَن تهوَّدَ أو تنصَّرَ اهتدى بزعمهم، ومفهومه: أنَّ ما لم يكن يهوديًا أو نصرانيًا فليس على هدى، فنفوا بذلك الهدى عن مِلَّة إبراهيم، فلذلك دعوا إلى الدخول في اليهودية أو النصرانية. ثم أمر اللهُ سبحانه نبيَّه بإكذابهم وبيانِ أنَّ الهُدى في مِلَّة إبراهيم النبيِّ الحنيفِ المائلِ عن الشرك إلى التوحيد، البريء من الشرك والمشركين، وهذا القولُ الباطلُ هو لازم قولهم فيما سبق ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ «أو»: للتفصيل، وقائلُ الأول يهودُ المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلْ﴾ نتَّبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حالٌ من «إبراهيم»، مائلًا عن الأديان كلِّها إلى الدِّين القيِّم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (**أو للتفصيل**): يعني بعد الإجمال في قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: اليهود والنصارى؛ فيكون المعنى: وقالت اليهودُ: كونوا يهودًا تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا[1]. وقولُه: (**وقائل الأول...**) إلى آخره: إشارةٌ إلى سبب النزول.

وقولُه: (**لهم**): أي قل يا محمَّد لليهود والنصارى.

(١) تقدم في (ص ٢٤٤).



وقولُه: (نتبع): أي قل يا محمَّد: لا أتَّبع اليهودية ولا النصرانية؛ بل أتَّبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقولُه: (**مائلًا عن الأديان كلها إلى الدين القيم**): تفسيرٌ لقوله: ﴿حَنِيفاً﴾، وفيه بيانُ أنَّ الدِّينَ الحقَّ ملَّةُ إبراهيم؛ وهي دينُ الإسلام، وكلُّ دينٍ سواه باطلٌ.



وقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]:

يأمر اللهُ المؤمنين بمحمَّدٍ ﷺ أن يقولوا: آمنا بالله وبكلِّ ما أنزلَ الله من كتابٍ وبكلِّ نبيٍّ أرسله اللهُ، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أي: ربًّا وإلهًا، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾؛ وهو القرآنُ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ من الوحي بالشرائع، والأسباط هم: أولاد يعقوب.

وقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ يعني: من التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ أي: من الكتب والشرائع؛ المعنى: وقولوا: آمنَّا بما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيونَ من ربهم.

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾؛ أي: نؤمن بهم جميعًا ولا نفرِّقُ بينهم في الإيمان.

وقوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾: أي مُستسلمون مُنقادون لأمر ربِّنا، والجملةُ مُستأنفة أو حالٌ، وقد تضمَّنت هذه الآية ثلاثةً من أصول الإيمان: الإيمانُ بالله، وكتبه، ورسله.

وهذا يستلزم ملَّة إبراهيم التي أمر الله نبيه باتباعها في قوله: ﴿بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗا﴾.

وفي الآيتين إبطالٌ لدعوة اليهود والنصارى إلى ملَّتهم.

﴿قُولُوا﴾ خطابٌ للمؤمنين: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيم﴾ من الصُّحف العشر ﴿وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب وَالْأَسْبَاط﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَى﴾

من الإنجيل ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ كاليهود والنصارى ﴿ونحن له مسلمون﴾.

وقولُ المؤلِّف: (**من الصحف العشر**): يُبيِّنُ أنَّ المرادَ بما أنزل على إبراهيم هي صُحفُ إبراهيم، وقد ذُكرت في سورة النجم والأعلى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨-١٩]، ولكن لم يذكر في الآيتين عددها، والله أعلم.

وقولُه: (**أولاده**): أي أولاد إبراهيم.

وقولُه: (**فنؤمن ببعض...**): إلى آخره: بيانٌ لمعنى التفريق بين الأنبياء.



وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧]:

لَمَّا أمر اللهُ المؤمنين بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يحصل به الإيمانُ الحقُّ ويحصل به الاهتداءُ؛ أخبر أنَّ مَن آمن مثل إيمانهم مِن أيِّ أمَّةٍ فقد اهتدى، ومَن أعرض عن هذا الإيمان فقد شاقَّ اللهَ ورسولَه، وسيكفي اللهُ نبيَّه والمؤمنين شرَّهم. والمقصودون: بهذا الخبر أولًا: اليهودُ والنصارى؛ لأنَّ سياقَ الآيات فيهم.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾: أي السميعُ لأقوالكم، يسمع ما تقولون، وما يقال لكم، والعليم بما في صدوركم، ويعلم ما تُسِرُّون وما تُعلنون، وهذا من كفايته لنبيِّه والمؤمنين، فهي نظيرُ قوله تعالى لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦].

﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿بِمِثْلِ﴾ مثل زائد ﴿مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاق﴾ خلاف معكم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّه﴾ يا محمَّد شقاقَهم ﴿وَهْوَ السَّمِيع﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيم﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إيَّاهم بقتل قُريظة، ونفي النضير، وضربِ الجزية عليهم.

وقولُ المؤلِّف: (**أي: اليهود والنصارى**): لفظُ الآية عامٌّ لكنَّ اليهود والنصارى أخصُّ بهذا الحكم؛ لأنَّ سياقَ الآيات فيهم والكلام معهم.

وقولُه: (**مثل زائد**): فيكون المعنى: فإن آمنوا بما آمَنتُم به، وزيادةُ «مثل» للتأكيد. وقيل: «مثل» ليست زائدة، فيكون المعنى: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ**﴾؛

أي: لو كان له مثل فآمنوا به. وقيل: الباء زائدة للتأكيد[١]، والمعنى المرادُ لا يختلفُ على كلِّ تقديرٍ وهو: فإن آمنوا بما آمنتم به أو آمنوا إيمانًا مثل إيمانكم.

وقولُه: **(عن الإيمان به)**: أي عن الإيمان بما آمنتم به كما ذكر في الآية السابقة.

وقولُه: **(خلاف معكم)**: فَسَّر الشِّقاق بالخلاف، وليس الشِّقاقُ مجرَّدَ الخلاف؛ بل خلافٌ مع عداوةٍ وكيدٍ وحرب، والأظهرُ أنَّ الشِّقاقَ من المشقَّة[٢].

وقولُه: **(يا محمد...)** إلى آخره: بيانٌ للمخاطَب الذي تدلُّ عليه «الكاف» في «يكفيك»، وهو المفعول الأول، وأنَّ المفعولَ الثاني وهو ضميرُ الجمع على تقدير مُضاف قدَّرَه المؤلف بقوله: **(شقاقهم)**.

وقولُه: **(وقد كفاه إياهم...)** إلى آخره: بيانٌ أنَّ وعدَ الله لنبيِّه أنْ يكفيَه إيَّاهم قد تحقَّق.



(١) **ينظر**: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٦١)، و«البحر المحيط» (١/ ٦٥٢-٦٥٣)، و«الدر المصون» (٢/ ١٤٠-١٤١).

(٢) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٦٤)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٦٠٢).

وقوله تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ [البقرة: ١٣٨]:

هذه الآية متصلةٌ ـ لفظها ومعناها ـ بقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ...﴾ الآية، فهي داخلةٌ في مقول القول.

وقوله: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ...﴾ الآية: معترض. والصِّبغةُ: اسمُ هيئةٍ من الصَّبغ بالفتح، وهو تلوينُ الشيء ببعض الألوان، والصِّبغُ بالكسر: ما يصبغ به(١)، وصِبغةُ الله: دينُ الله، وقيل: فطرةُ الله(٢)، وأصلها التوحيد، وتدخل فيها خصالُ الفطرة، والقولان معناهما واحدٌ؛ فصبغةُ الله: دينُ الإسلام، ودينُ الله هو دينُ الإسلام بما فيه من الاعتقادات والأخلاق والعبادات، وسُمِّي الدينُ صِبغة؛ لأنَّ المسلم بتخلُّقه بأخلاقه وعمله بشرائعه وآدابه يكون الدِّينُ له هيئةً ظاهرةً كالشيء المصبوغ(٣)، وأُضيفت الصِّبغةُ إلى الله تشريفًا كما أُضيفَ الدِّينُ إلى الله؛ كما في قوله: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢﴾ [النصر: ٢]، وقوله: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ﴾: إقرارٌ من المؤمنين بأنه لا أحدَ أحسن من الله دينًا؛ أي: دينه الذي شرعه لعباده أحسنُ دينٍ، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء:١٢٥].

وقوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾: كقوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾؛ أي: عابدون له وحده لا نشرك به شيئًا، كما يفيدُه القصرُ المفهوم من تقديم الجار

---

(١) ينظر: «لسان العرب» (٨/ ٤٣٧).

(٢) قال ابن عباس وقتادة والحسن وجماعة: دين الله، وقال مجاهد ومقاتل: الفطرة. ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٠٤-٦٠٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٤٥، رقم ١٣١٣)، و«التفسير البسيط» (٣/ ٣٥٩-٣٦٢).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٢)، و«تفسير البيضاوي» (١/ ١٠٩)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٦٦)، و«تفسير الألوسي» (١/ ٣٩٥).

والمجرور في قوله: ﴿لَهُۥ﴾، وقد قيل سُمِّي الدِّينُ صبغةً في هذا الموضع في مقابل الصبغة عند النصارى الذي يُسمونه التعميد، وهو غمسُ الطفل في الماء المقدَّس عندهم، ـ وهو: المعمودية ـ حتى يكون نصرانيًا، وهكذا من يدخل في النصرانية يُعَمِّدونه؛ أي: يأمرونه بالاغتسال من ذلك الماء لتصحَّ نصرانيته[١]، وذكروا عن اليهود ما يشبه هذا وهو أنَّ مَن يتوبُ منهم يجب عليه الغُسل لتصحَّ توبتُه[٢]، وهذا له وجهٌ؛ لأنَّ سياق الآيات مع اليهود والنصارى، وعلى هذا فتسميةُ دِين الإسلام ﴿صِبۡغَةَ﴾ هو من باب المشاكلة[٣].

﴿صِبْغَةَ اللَّه﴾ مصدرٌ مؤكد لـ «آمنا»، ونصبه بفعلٍ مُقدَّر، أي: صبغنا الله، والمراد بها دينه الذي فطرَ الناسَ عليه، لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَن مِنْ اللَّه صِبْغَة﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (**مصدرٌ مؤكد لآمنا**): معناه: أنَّ ﴿صبغةَ الله﴾ مفعولٌ مُطلَقٌ مؤكدٌ لمعنى جملة ﴿آمنا بالله﴾ إلى آخره؛ فإنَّ مضمون الجملة الإيمانُ والإسلام، وهذا جِماعُ الدين، وصبغةُ الله: دينُ الله، فظهر بذلك أنَّ صبغةَ الله مصدرٌ مؤكد لمعنى الجملة.

---

(١) قال ابن عباس: إن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد، فأتى على سبعة أيام غمسوه في ماء لهم، يقال له: المعمودي، وصبغوه به؛ ليطهروه بذلك مكان الختان. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٠٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١٥).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٠٣).

(٣) **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٣٣٥)، و«البحر المحيط» (١/ ٦٥٦)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٧٤٢).

وقولُه: (**ونصبه بفعل مقدر...**) إلى آخره: هذا يقتضي أنَّ ﴿صِبْغَةَ﴾ مصدرٌ مؤكَّدٌ لذلك الفعل المقدر، والأظهرُ: القولُ الأولُ؛ أنه مفعولٌ مُطلَقٌ مؤكدٌ بمعنى الجملة(١).

وقولُه: (**والمراد بها**): أي المراد بالصبغة.

وقولُه: (**دينه الذي فطرَ الناسَ عليه**): هذا قولُ جمهور المفسرين.

وقولُه: (**لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب**): يُبيِّنُ بهذا سببَ تسمية الدِّين صبغة؛ يقول: سُمِّي الدِّينُ صبغةً؛ لظهور أثره على المسلم كما تقدم.

وقولُه: (**أي: لا أحد**): لأنَّ الاستفهامَ إنكاريٌّ، فهو بمعنى النفي.

وقولُه: (**تمييز**): يريد أنَّ صبغةَ منصوبٌ على التمييز بـ«أفعل» التفضيل.



(١) قيل: هو بدل، وقيل: منصوب على الإغراء، وقيل: هو مصدر، وهذا الأخير حكاه الزمخشري عن سيبويه، ورجحه الزمخشري وابن حيان، وضعّفا القولين الأولين. ينظر «الكشاف» (١/ ٣٣٥-٣٣٦)، و«البحر المحيط» (١/ ٦٥٦)، و«التحرير والتنوير» (١/ ٧٤٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة: ١٣٩]:

يأمر اللهُ نبيَّه بالإنكار على أهل الكتاب اليهود والنصارى جدالهم في الله؛ أي: في توحيده وإخلاص العبادة له، والحال أنه سبحانه ﴿رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾؛ لأنه خالقنا ومالكنا ومُدبِّر أمرنا، فليس أحدٌ منَّا أولى به من الآخَر إلا بحسب كمال الإيمان وكمال الإخلاص وتحقيق التوحيد، وكلٌّ منَّا له عمله لا يُسأَلُ عنه غيرُه، فكلٌّ بريءٌ من عمل غيرِه كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس: ٤١].

وقد رُوي في سبب نزول هذه الآية أنَّ أهلَ الكتاب قالوا للمسلمين: نحن أولى بالله منكم وديننا خير من دينكم؛ لأنَّ نبيَّنا قبل نبيِّكم وكتابَنا قبل كتابكم[1]، فأمر اللهُ نبيَّه والمؤمنين أن يُنكروا عليهم ذلك الجدال وهذه الدعوة، فليس الفضلُ بتقدُّمِ الزمان، ويدلُّ على أنَّ هذا الإرشاد من الله للنبي والمؤمنين أنه أفردَ ضميرَ الخطاب ثم جمعه؛ فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾، فكان المعنى: قل يا محمد ويا أيها المؤمنون لليهود والنصارى الذين زعموا أنهم أولى بالله منكم ودينهم خيرٌ من دينكم، ولذا قالوا: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٣٥]، قولوا لهم: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾؛ أي: تخاصموننا وهو ربنا جميعًا، وكلٌّ له عمله، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ العبادةَ، لا نشركُ به شيئًا، وأنتم به مشركون بعبادتكم العجل واتخاذِ المسيح وأمِّه إلهين من دون الله، واتخاذ الأحبارِ والرهبان أربابًا من دون الله، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٠٧)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٨٤-٣٨٥).

قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقِبلتُنا أقدمُ، ولم تكن الأنبياءُ من العرب، ولو كان محمدٌ نبيًّا لكان منا، فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ تخاصموننا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن اصطفى نبيًّا من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفي مَن يشاء ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ نجازى بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ تجازون بها، فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحقُّ الإكرامَ به ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الدِّين والعمل دونكم، فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزةُ للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

وقولُ المؤلِّف: (**قال اليهود للمسلمين**...) إلى آخره: يُشير بذلك إلى سبب النزول كما تقدَّم.

وقولُه (**لهم**): يُبيِّنُ أنَّ المعنى: قل لهم -أي: لليهود والنصارى- ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ...﴾ الآية. وقولُه: (**فله أن يصطفي مَن يشاء**): أي إنَّ هذا مُقتضى ربوبيته -تعالى-، فلا حَجْرَ عليه من أحدٍ في تدبيره.

وقولُه: (**والهمزة للإنكار**...) إلى آخره: يريد همزةَ الاستفهام في قوله: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾، والجمل الثلاث: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾، ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾، ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾.



وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: ١٤٠]:

مضمون هذه الآية هو من جملة ما أمر اللهُ به نبيَّه والمؤمنين بإنكاره على اليهود والنصارى، و﴿أَمْ﴾ هي: المنقطعةُ التي بمعنى بل وهمزة الاستفهام فأفادت الانتقال من إنكارٍ إلى إنكار، وهي عاطفةٌ لـ«تقولون» على «تحاجون»، والاستفهامُ في الجملتين للإنكار والتوبيخ، فهي والمعطوف بها داخلان في مقول ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾.

وقول اليهود والنصارى: ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾؛ محضُ افتراء سببُه كتمان الشهادة التي تلقَّوها عن الله، وأنَّ هؤلاء الأنبياء مسلمون لا يهود ولا نصارى، ثم أمر اللهُ نبيَّه أن يوبخهم وينكرَ عليهم جهلهم وتطاولهم ولا علم عندهم فقال: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾، وأنهم بهذا الافتراء والكتمان ظالمون، فلا أحدَ أظلم منهم بكتمانهم الشهادة التي عندهم من الله، وأنَّ الله ليس بغافلٍ عمَّا يفعلون، ويُحتمل أنَّ قولَه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ إلى آخر الآية؛ كلامٌ مُستأنفٌ من كلام الله ـ تعالى ـ ليس داخلًا فيما أُمر به النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقوله، ثم أمر اللهُ نبيَّه أن يُنكرَ عليهم دعواهم، وأنه لا علمَ عندهم بما قالوا، وإنما العلمُ عند الله، وقد أخبرنا أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ كانوا مسلمين كما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٣].

﴿أَمْ﴾ بل أ﴿يَقُولُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب وَالْأَسْبَاط كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ لهم: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَم أَمْ اللَّه﴾ أي: الله أعلم. وقد برأ منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيم يَهُودِيًّا وَلَا

نَصْرَانِيًّا﴾ والمذكورون معه تَبَعٌ له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ أخفى عن الناس ﴿شَهَادَةً عِنْدَه﴾ كائنةً ﴿مِنَ اللَّه﴾ أي: لا أحد أظلم منه، وهم اليهود كتموا شهادةَ اللهِ في التوراة لإبراهيم بالحنيفية ﴿وَمَا اللَّه بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديدٌ لهم.

وقولُ المؤلِّف: (بل): يُبيِّنُ بذلك أنَّ ﴿أَمْ﴾ هي المنقطعة التي تُفسر بـ«بل»، وهمزة الاستفهام فتفيد الانتقال والتوبيخ.

وقولُه: (بالياء والتاء): يُبيِّنُ أنَّ في الآية قراءتين، ﴿تَقُولُونَ﴾، و﴿يَقُولُونَ﴾[1]، وضعَّفَ ابنُ جريرٍ القراءةَ بالياء، وصوَّبَ القراءة بالتاء[2]؛ لأنَّ الجملة معطوفة على ﴿تُحَاجُّونَنَا﴾، والجملتان خطابٌ لأهل الكتاب، والقراءةُ بالياء تؤدِّي إلى أن يكون في الكلام التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة. وقولُه: (لهم): أي مخاطبًا اليهود والنصارى.

وقولُه: (أي: الله أعلم): يشيرُ بذلك إلى أنَّ الجوابَ بدهيٌّ.

وقولُه: (وقد برأ منهما إبراهيم...) إلى آخره: يُشير إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾.

وقولُه: (والمذكورون معه تبعٌ له): المذكورون معه: أبناؤه.

وقولُه: (تبعٌ له): يعني: في البراءة من اليهودية والنصرانية.

وقولُه: (كائنة): بيانٌ لِمُتعلق الظرف، وهو: عنده؛ أي: شهادة كائنة عنده.

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو، وعاصم برواية أبي بكر، ويعقوب: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بالياء. وقرأ ابن عامر، وعاصم برواية حفص، وحمزة والكسائي وخلف: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ بالتاء. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٧١)، و«النشر» (٢/ ٢٢٣).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٠٩).



وقولُه: (**وهم اليهود...**) إلى آخره: الظاهرُ أنَّ الآيةَ تعمُّ اليهودَ والنصارى[(١)].

وقولُه: (**تهديدٌ لهم**): يريد قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: الذين افتروا على إبراهيمَ وبنيه وكتموا الشهادة التي عندهم من الله.



(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦١٠-٦١٣).

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة: ١٤١]:

تقدَّم مثلُ هذه الآية لفظًا ومعنى: [١٣٤]، وتقدَّم الكلامُ عليها[1]، وهذه الآيةُ تأكيدٌ لمضمون الآية السابقة، وجاءت هذه الآيةُ بمناسبةِ ذكر إبراهيم وبنيه، واسمُ الإشارة في هذه الآية راجعٌ إليهم، كما قيل مثل ذلك في الآية السابقة، وهذه الآيةُ خاتمةٌ للحديث عن إبراهيم وبنيه والرد على اليهود والنصارى فيما قالته فيهم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يعملون﴾ تقدَّم مثله.



(١) ينظر: (ص ٢٨٤).

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾ [البقرة: ١٤٢]:

يُخبر تعالى عن السفهاء -وهم اليهود والمنافقون- أنهم سيقولون طاعنين على المسلمين في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الآتي ذِكرُه في الآيات؛ فيقول هؤلاء السفهاء عن المسلمين: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا﴾، فردَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾؛ أي: جميع الجهات ملكه، يوجِّه عبادَه إلى استقبال ما شاء منها، وما أمرهم تعالى باستقباله هو الهدى، ولهذا قال: ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعني: المنافقين؛ مُطابِقٌ لقوله فيما تقدَّم أول السورة: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، وحقيقة السَّفَه: الجهلُ والغباءُ وضعفُ العقل[1]، وكلُّ مَن طعن في شرع الله وحكمته فهو من أسفه السفهاء، والله أعلم.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ الجُهَّال ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ اليهود والمشركين: ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أيُّ شيءٍ صرفَ النبيَّ والمؤمنين ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ على استقبالها في الصلاة، وهي: بيت المقدس، والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِق وَالْمَغْرِب﴾ أي: الجهات كلها، فيأمُر بالتوجه إلى أيِّ جهةٍ شاء، لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاء﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريقٍ ﴿مُسْتَقِيم﴾ دين الإسلام، أي: ومنهم أنتم.

(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٤١٤).

وقولُ المؤلِّف: (**الجهال**): بيانٌ لأصل معنى السفهاء، والمرادُ بهم في الآية: اليهودُ والمشركون[1]، وذكرُهم بوصف السَّفه ذمٌّ لهم وتحقيرٌ وهو وصفٌ لجميعهم، و﴿مِن﴾ للتبعيض، والسفهاءُ بعض الناس.

وقولُه: (**أيّ شيء...**) إلى آخره: يُبيِّن أنَّ «ما» للاستفهام التعجبي، و﴿وَلَّاهُمْ﴾؛ أي: صرفهم. وقولُه: (**على استقبالها**): أي مُقيمين على استقبالها.

وقولُه: (**الإتيان بالسين...**) إلى آخره: يريد: السين التي في ﴿سيقول﴾؛ وهي تدلُّ على أنَّ هذا القول من السفهاء يكون في المستقبل، فالإخبارُ به إخبارٌ عن المستقبل، والمستقبلُ من الغيب، ولهذا قال المؤلف: إنَّ هذا من الإخبار بالغيب.

وقولُه: (**أي: الجهات كلها**): يُبيِّنُ أنَّ ذِكر المشرق والمغرب ليس لتقييد؛ بل عبَّر بالمشرق والمغرب عن جميع الجهات.

وقولُه: (**هدايته**): هذا تقديرٌ لمفعول ﴿يشاء﴾.

وقولُه: (**دين الإسلام**): تفسيرٌ للصراط بالإسلام، ومنه استقبالُ بيت المقدس قبل النسخ، ومنه استقبالُ المسجد الحرام بعد نسخ القبلة الأولى، وكلُّ مَن أطاع الله فهو على صراطٍ مستقيمٍ، وقد هدى اللهُ نبيَّه والمؤمنين بتحويل القبلة ﴿إلى صراط مستقيم﴾.



(١) قيل: هم اليهود، وهو قول ابن عباس ومجاهد والبراء بن عازب والحسن. وقيل: المنافقون وهو قول السدي. وقيل: هم كفار قريش كما في رواية عن ابن عباس وحكاه الزجاج عن غيره، واختار الطبري أنهم اليهود وأهل النفاق، وقال البغوي: «نزلت في اليهود ومشركي مكة». **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦١٥-٦١٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٥٨)، و«زاد المسير» (١/ ١١٨).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣]:

يمتنُّ اللهُ -تعالى- على أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن جعلهم أمَّةً وسطًا؛ يعني: خيارًا عدولًا، والحكمةُ من ذلك أن يكونوا شهداء على الناس؛ لأنَّ رسلهم قد بلَّغوهم، ويكون الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهيدًا على أمته؛ كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

ثم يُبيِّنُ تعالى حكمته من تحويل القبلة، وهي: الابتلاءُ، فيظهرُ ويتميَّزُ مَن يتبعُ الرسولَ فيستقبل القبلة الثانية كما استقبل القبلة الأولى طاعةً لله ورسوله، ومَن يُنكر تحويلَ القبلة ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، ويعلمُ اللهُ الفريقين وجودين متمايزين، فهذا مؤمنٌ متَّبعٌ للرسول، وهذا مكذِّبٌ معارضٌ لِمَا جاء به الرسولُ.

ثم أخبر تعالى عن قضية تحويلِ القبلة بأنها عظيمةٌ شاقَّةٌ إلا على مَن هداه الله لمعرفة الحقِّ واتباعه؛ لأنهم يؤمنون بأنَّ ذلك حكم من عند الله وله فيه حكمةٌ بالغةٌ، وأنَّ استقبالَ المسجد الحرام أحبُّ إلى الله وأفضلُ من بيت المقدس.

ثم ردَّ تعالى على مَن سأل عن صلواتِ مَن مات وهو يستقبل بيت المقدس؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس[1]؛ لأنهم محسنون، والله لا يضيعُ عمل المحسنين، وكلُّ ما بيَّنه

(١) أخرجه البخاري (٤٠) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ونقل القرطبي (٢/ ١٥٧) اتفاق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس. ينظر أيضًا: «أسباب النزول» (ص٤٢-٤٣)، و«العجاب» (١/ ٣٩٢-٣٩٥).

اللهُ في هذه الآية؛ هو من رأفته ورحمته تعالى بعباده، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾.

دل على هذا: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ يا أمة محمد! ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ خيارًا عدولًا ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاس﴾ يوم القيامة: أن رسلهم بلغتهم ﴿وَيَكُون الرَّسُول عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ صيّرنا ﴿الْقِبْلَة﴾ لك الآن، الجهة ﴿الَّتِي كُنْت عَلَيْهَا﴾ أولًا، وهي الكعبة وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصلِّي إليها، فلمَّا هاجر أُمِرَ باستقبال بيت المقدس تألُّفًا لليهود، فصلَّى إليه ستةَ أو سبعةَ عشر شهرًا، ثم حوَّل ﴿إِلَّا لِنَعْلَم﴾ عِلمَ ظهورٍ ﴿مَنْ يَتَّبِع الرَّسُول﴾ فيُصدِّقُه ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِب عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر، شكًّا في الدين وظنًّا أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حِيرةٍ من أمره، وقد ارتدَّ لذلك جماعةٌ ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوفٌ؛ أي: وإنها ﴿كَانَتْ﴾ أي: التولية إليها ﴿لَكَبِيرَة﴾ شاقَّةٌ على الناس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّه﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يثيبكم عليه؛ لأنَّ سببَ نزولها: السؤالُ عمَّن مات قبل التحويل ﴿إن الله بالناس﴾ المؤمنين ﴿لرؤوف رَحِيم﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، والرأفةُ: شدَّةُ الرحمة، وقدَّم الأبلغَ للفاصلة.

وقولُ المؤلِّف: (**دل على هذا**) اسم الإشارة راجع إلى قوله: (**ومنهم أنتم**) أي: ممن هداه الله إلى صراط مستقيم؛ يريد: أنه دل على هدايتهم إلى صراط مستقيم قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... الآية﴾.

وقولُه: (كما هديناكم إليه): يُبيِّنُ أنَّ اسم الإشارة في قوله: ﴿وكذلك﴾ راجعٌ إلى هداية المؤمنين إلى الصراط المستقيم؛ فالمعنى: كما هديناكم إلى الصراط جعلناكم أمةً وسطًا.

وقولُه: (صيَّرنا): فسَّرَ الجعلَ في الآية بالتصيير؛ فلهذا قال: ﴿جعلنا﴾ صيَّرنا، وصيَّرَ يقتضي مفعولين، وليس في الآية لفظٌ يصلح مفعولًا ثانيًا، والأظهرُ أنَّ المعنى: وما شرعنا[(١)] استقبالَ القبلة التي كنت عليها، ـوهي: بيت المقدسـ ثم صرفناك عنها إلى الكعبة إلَّا ليتبيَّن مَن يتَّبعك ممن لا يتَّبعك.

وقولُه: (وهي الكعبة): بيانٌ للمراد بالقبلة التي كان عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم كان بمكة، وهذا أحدُ القولين[(٢)]، والقولُ المشهور، وهو قول الجمهور، أنَّ المرادَ بالقبلة التي كان عليها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي بيتُ المقدس[(٣)]؛ إذ كان يستقبلها بعد الهجرة ستة عشر شهرًا[(٤)]، فكان عليها هذه المدةَ ثم صُرف عنها إلى استقبال الكعبة في المسجد الحرام، وهذا التحويلُ هو الذي صار فتنةً، فبيَّن به ﴿مَن يتَّبعُ الرسول ممن ينقلبُ على عقبيه﴾.

---

(١) وهو قول الرازي وابن عاشور. **ينظر**: «تفسير الرازي» (٤/ ٨٩)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٢٢).

(٢) **ينظر**: «تفسير البغوي» (١/ ١٦١)، و«الكشاف» (١/ ٣٣٩-٣٤٠)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ١٥٦)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٥).

(٣) وهو قول قتادة وعطاء والسدي وعطية، واختاره الطبري وجمهور المفسرين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٣٨-٦٣٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٦٩)، و«زاد المسير» (١/ ١٢٠).

(٤) قيل: ستة عشر شهرًا، وقيل: سبعة عشر شهرًا، وقيل غير ذلك، ورواية البخاري (٤٠) (٤٤٨٦)، ومسلم (٥٢٥) عن البراء بن عازب: «وأنه صلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا»، على الشك، وجزم مسلم في رواية أنها ستة عشر شهرًا، وقال في الفتح (١/ ٩٦): «والجمع بين الروايتين سهل، بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرًا وألغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر عدهما معًا، ومن شك تردد في ذلك». تنظر الروايات في: «تفسير الطبري» (٢/ ٦١٨-٦٢٢).

وقولُه: (**علم ظهور**): المراد: علمَ الأشياء ظاهرةً موجودةً، وهو تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه موجودةً أو معدومةً.

وقولُه: (**وقد ارتد لذلك جماعة**): يريد أنَّ تحويلَ القبلة صار سببًا لردَّةِ جماعةٍ من المنتسبين إلى الإسلام، فالغالبُ أنهم ممَّن لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم(١).

وقولُه: (**واسمها محذوف...**) إلى آخره: قلت: وخبرُها جملة ﴿كانت﴾.

وقولُه: (**التولية إليها**): هذا تقدير اسم كان، وخبرها «كبيرة».

وقولُه: (**منهم**): أي: من الناس.

وقولُه: (**في عدم إضاعة أعمالهم**): يريد أنَّ من رأفتِه ورحمتِه عدمُ إضاعة أعمال الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؛ بل يُثيبهم على صلواتهم؛ لأنهم مطيعون لله.

وقولُه: (**والرأفةُ: شدة الرحمة**): بيانٌ للفرق بين الرأفة والرحمة، وهو أنَّ الرأفةَ كمالُ الرحمة(٢). وقولُه: (**وقدم الأبلغ للفاصلة**): يريد: لتناسبِ رؤوسِ الآي ولو مع آيةٍ واحدةٍ فخُتمت هذه الآيةُ باسمه تعالى الرحيم، كما خُتمت الآيةُ قبلها بالصراط المستقيم.



---

(١) قاله ابن زيد ومقاتل، وقال ابن جريج: «بلغني أنَّ ناسًا ممن أسلم رجعوا فقالوا: مرة هاهنا، ومرة هاهنا». **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٤١) (٢/ ٦٤٦)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٧١)، و«زاد المسير» (١/ ١٢٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٤٥٧).

(٢) **ينظر**: «الفروق اللغوية» (١/ ١٩٦)، و«الكليات» (ص٤٧١).

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤﴾ [البقرة: ١٤٤].

يُخبر الله ـ تعالى ـ نبيَّه بأنه يرى تقلُّبَ وجهه في السماء ناظرًا ومُنتظرًا أن يأتيه الوحي بتوجيهه إلى الكعبة بدلًا عن استقبال بيت المقدس، ثم يَعدُ اللهُ نبيَّه أن سَيوليه قبلةً يرضاها، فوفَّى اللهُ بوعده فأمر نبيَّه والمؤمنين أن يُولُّوا وُجوهَهم شطرَ المسجد الحرام؛ فقال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾، ثم أخبر تعالى أنَّ الذين أُوتوا الكتابَ يعلمون أنَّ تحويلَ القبلة هو الحقُّ من ربهم، ثم أخبر تعالى أنه ليس غافلًا عما يعمل العباد من المؤمنين وأهل الكتاب وغيرهم، فقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤﴾.

﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَرَى تَقَلُّب﴾ تصرف ﴿وَجْهك فِي﴾ جهة ﴿السَّمَاء﴾ مُتطلِّعًا إلى الوحي ومُتشوِّقًا للأمر باستقبال الكعبة، وكان يودُّ ذلك لأنها قبلة إبراهيم، ولأنه أدعى إلى إسلام العرب ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ نُحوِّلَنَّكَ ﴿قِبْلَة تَرْضَاهَا﴾ تُحبها ﴿فَوَلِّ وَجْهك﴾ استقبل في الصلاة ﴿شَطْر﴾ نحو ﴿الْمَسْجِد الْحَرَام﴾ أي: الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ خطابٌ للأمة ﴿فَوَلُّوا وُجُوهكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْره وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَاب لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: التولي إلى الكعبة ﴿الْحَقّ﴾ الثابت ﴿مِنْ رَبّهمْ﴾ لِمَا في كتبهم في نعت النبيِّ من أنه يتحوَّلُ إليها ﴿وَمَا اللَّه بِغَافِلٍ عما تعملون﴾ بالتاء، أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء؛ أي: اليهود من إنكار أمر القبلة.

وقولُ المؤلِّف: (**تصرف**): تفسيرٌ لتَقلُّب الوجه، ولو قال تكريرُ نظرك للسماء مرَّةً بعد مرة لكان أظهر لفهم المعنى.

وقولُه: (**جهة**): يُبيِّنُ أنَّ ﴿في السماء﴾ على تقدير مضاف؛ المعنى: في جهة السماء.

وقولُه: (**متطلعًا إلى الوحي**...) إلى آخره: بيانٌ لمقصود الرسول في نظره إلى السماء، وتقلُّب وجهه.

وقولُه: (**نُحَوِّلَنَّكَ**): هذا من التفسير باللازم؛ فإنه يلزم من توليته جهة الكعبة تحويل القبلة. وقولُه: (**نحو**): أي جهة.

وقولُه: (**الكعبة**): فسَّرَ ﴿المسجد﴾ بالكعبة، والمراد: وما حولها من البناء المعَدِّ للصلاة والطواف فيه.

وقولُه: (**في الصلاة**): يُبيِّنُ أنَّ استقبال القبلة إنما يجب في الصلاة لا في كلِّ حال.

وقولُه: (**التولي إلى الكعبة**): تفسيرٌ للضمير في قوله: ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، المعنى: أنَّ أهلَ الكتاب يعلمون أنَّ تحويلَ القبلة إلى الكعبة هو الحقُّ، ولعلَّ ذلك لأنه مذكور في كتبهم كما ذكر المؤلف.

وقولُه: (**بالتاء** ...) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ في الآية قراءتين بالتاء على الخطاب للمؤمنين، وبالياء خبرًا عن أهل الكتاب، واللهُ ـ تعالى ـ ليس بغافلٍ عمَّا يعمل العبادُ مؤمنينَ أو كافرين.



وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ [البقرة: ١٤٥]:

يُخبر ـتعالى ـ نبيَّه في هذه الآية خبرًا مؤكدًا بأنه لو جاءهم بكلِّ آيةٍ ما تَبِعوا قِبلتَه؛ أي: ما استقبلوا قبلتَه، وأنه ﷺ لن يتَّبعَ قِبلتهم، وأنه لن يتَّبعَ اليهودُ قِبلةَ النصارى ولا النصارى قبلةَ اليهود، ثم يُحذِّر الله نبيَّه عن اتباع أهواء الكفار من اليهود والنصارى، وذلك في قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾؛ أي: الكافرين.

﴿وَلَئِنْ﴾ لام قَسَم ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ على صِدقك في أمر القبلة ﴿مَا تَبِعُوا﴾ أي: لا يتبعون[1] ﴿قِبْلَتَكَ﴾ عنادًا ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ قطعٌ لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي: اليهود قبلة النصارى وبالعكس ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ﴾ الوحي ﴿إنَّكَ إذًا﴾ إن اتبعتهم فرَضًا ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (**لامُ قَسَم**): يُريد اللام التي قبل «إن»، فتفيدُ تأكيدَ الخبر بالقَسَم.

وقولُه: (**على صدقك...**) إلى آخره: بيانٌ لمتعلّق الآيات؛ فالمعنى: لو أَتيتَ الذين أُوتوا الكتابَ ـاليهودـ بكلِّ آيةٍ تدلُّ على صِدقك في تحويل القبلة ما صدَّقوك ولا اتبعوا قبلتك.

(١) رجح شيخنا أن الصواب: (لا يتبعون)، خلافًا لِمَا في نسخة قباوة (يتبعون)، ووافق ترجيح شيخنا النسخ الأخرى كما في طبعة ابن كثير وغيرها.

وقولُه: (**عنادًا**): يُبيِّنُ أنَّ عدمَ اتباعهم لقبلة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عنادًا لا جهلًا؛ لأنهم يعلمون أنه الحق.

وقولُه: (**قطع لطمعه في إسلامهم...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ الآية تدلُّ على أنَّ الطاعنين في تحويل القبلة من أهل الكتاب لن يُسلموا فيستقبلوا قبلة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتدلُّ على أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرجع إلى استقبال بيت المقدس، فلا طمع في إسلامهم ولا طمع لهم في عودة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قبلتهم.

وقولُه: (**فرضًا**): يُريدُ أنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْت أَهْوَاءَهُمْ﴾: على سبيل الفرض والتقدير، لا أنَّ ذلك مُتوقَّعٌ أو ممكن بل ممتنعٌ؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصومٌ من اتباع أهواءِ الكافرين.



وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ [البقرة: ١٤٦-١٤٧]:

يُخبرُ ـ تعالى ـ عن أهل الكتاب أنهم يَعرفون الرسولَ ﷺ وصِدقَه فيما جاء به من القرآن وتحويلِ القبلة معرفةً تامَّةً كما يعرفون أبناءَهم، ولكنَّ فريقًا منهم يكتمون الحقَّ الذي يعلمونه. والضميرُ المنصوب في قوله: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ قيل: يعودُ إلى الرسول، وقيل: إلى تحويل القِبلة إلى الكعبة[1]، والقولُ الأول يتضمَّنُ الثاني، وهذه المعرفةُ مما يجدونه في كتبِهم من ذِكْرِ النبي ﷺ وصفاتِه وما يجيءُ به من الشرع، ومنه تحويلُ القبلة إلى المسجد الحرام.

ثم يؤكِّدُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ ما أمرَ به من استقبال المسجد الحرام هو الحقُّ الذي لا يجوز أن يكون فيه شكٌّ، فلهذا نهى اللهُ نبيَّه أن يكون من الـمُمْترينَ فيه في قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ أي: الشاكين[2]، وهو ﷺ معصومٌ من ذلك.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَاب يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمدًا ﴿كَمَا يعرفون أبناءَهم﴾ بِنَعْتِهِ في كتبِهم. قال ابنُ سلَّام: لقد عرفتُه حين رأيتُه كما أعرفُ ابني، ومعرفتي لمحمدٍ أشدّ[3] ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقّ﴾ نعتَهُ

(١) القول الأول قال به مجاهد وخصيف بن عبد الرحمن، ورواية عن قتادة، وظاهر قول الزجاج، واختاره البغوي، ورجحه الرازي من وجوه. والقول الثاني قاله ابن عباس وقتادة والربيع والسدي وابن زيد وابن جريج، ولم يذكر الطبري غيره في تفسيره. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٦٩-٦٧١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٨)، و«تفسير الرازي» (١/ ١١٠-١١٢).

(٢) **ينظر**: «المفردات» للراغب (ص٤٦٦).

(٣) أخرجه الثعلبي (٤/ ١٩٢-١٩٣)، من طريق صالح بن محمد، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قال عمر =

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه ﴿الْحَقّ﴾ كائنًا ﴿مِنْ رَبّك فَلَا تَكُونَن مِنْ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكّين فيه؛ أي: من هذا النوع، فهو أبلغُ من: (لَا تَمْتَرِ).



= بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعبد الله بن سلام: قد أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ على نبيه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فكيف يا عبد الله هذِه المعرفة؟ فقال عبد الله بن سلام: وذكره بنحوه. وهذا إسناد واهٍ مظلم؛ فصالح بن محمد وهو الترمذي متهم ساقط، وقال ابن حبان: «لا يحل كتب حديثه». **ينظر**: المجروحين (٩/ ٤٧٠، رقم ٤٨٧)، و«الميزان» (٢/ ٣٠٠، رقم ٣٨٢٥). ومحمد بن مروان السدي الكوفي، وهو السدّي الصغير، تركوه واتهمه بعضهم بالكذب. **ينظر**: «الكامل» لابن عدي (٧/ ٥١٢، رقم ١٧٤٢)، و«الميزان» (٤/ ٣٢، رقم ٨١٥٤). والكلبي هو محمد بن السائب، متروك الحديث. **ينظر**: «الكامل» (٧/ ٢٧٤، رقم ١٦٢٦)، و«الميزان» (٣/ ٥٥٦، رقم ١٦٢٦).

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٤٨﴾ [البقرة: ١٤٨]:

يخبر ـ تعالى ـ أن لكلِّ أمةٍ جهة؛ أي: قِبلة يتوجَّهُ إليها ويستقبلُها؛ فالمعنى: لكلٍ قبلة[١]، فتشبه هذه الآية قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨][٢].

ثم يأمر ـ تعالى ـ بالتسابق إلى الخيرات وهي الأعمال الصالحة الـمُفضية إلى الجنَّات، ثم يخبر ـ تعالى ـ عن كمال قدرته وأنه سيَجمعُ العبادَ ليوم المعاد فيأتي بهم من أيِّ مكانٍ كانوا فيه؛ فقال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٤٨﴾.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الأمم ﴿وِجْهَةٌ﴾ قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهَه في صلاته. وفي قراءة: ﴿مُوَلَّاهَا﴾[٣]. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولِها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.



(١) وهو قول ابن عباس، ومجاهد في أحد قوليه، وأبي العالية وجماعة، واختاره الطبري والبغوي والقرطبي في آخرين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٧٤-٦٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٩-٣٨٠)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ١٦٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٤٦٢).

(٢) قاله الواحدي في «التفسير البسيط» (٣/ ٤٠٥)، والجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٣١٨)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٤٦٣).

(٣) قرأ ابن عامر وحده: ﴿هُوَ مُوَلَّاهَا﴾ بفتح اللام. وقرأ الباقون ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ بكسر اللام. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٧٨)، و«النشر» (٢/ ٢٢٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة: ١٤٩-١٥٠]:

يؤكد ـتعالىـ في هاتين الآيتين أمرَه نبيَّه والمؤمنين باستقبال المسجد الحرام حيث كانوا من الأرض، ومِن أي مكانٍ خرجوا، ويؤكد ـسبحانهـ الخبرَ بأن استقبال المسجد الحرام هو الحقُّ، فقد أمر بذلك في الآيات السابقة، وأخبر بأنه الحقُّ؛ أي: حكمٌ شرعَه اللهُ وفرضَه؛ ثم أخبر عن حكمتِه فيما شرعَ من استقبال البيت الحرام، وذلك قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، ومعنى ذلك: أنهم لو لم يستقبلوا المسجد الحرام لاحتجَّ عليهم أهل الكتاب بما هو موجودٌ في كتبِهم من أنه ﷺ يستقبل قبلة إبراهيم، واحتج عليهم المشركون كذلك، وقالوا: إنه ترك قبلةَ إبراهيم الذي يزعم أنه مأمورٌ باتِّباع مِلَّتِه. وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ وهم اليهود والمنافقون الذين طعنوا في تحويل القِبلة، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾.

ثم أمر الله المؤمنين بخشيتِه ونهاهم عن خشيةِ الظالمين من الكفار والمنافقين، وبيَّنَ ـتعالىـ أنَّ من حكمتِه في تحويل القبلة: إتمامُ النعمة على المؤمنين وليكونوا مهتدين، فإنَّ التوجُّه في الصلاة جهةَ المسجد الحرام من الهدى الذي شرَعَهُ الله لنبيِّه محمد ﷺ ولأُمته؛ كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾.

وما ذكرتُه هو معنى ما ذكره الشيخُ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] وهو من أحسن ما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ...﴾ الآية، وللطاهر ابن عاشور كلامٌ حسنٌ في الربط بين الآيات المتعلِّقةِ بتحويل القبلة من أربعةٍ وأربعين إلى خمسين بعد المائة[٢].

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْت﴾ لسفرٍ ﴿فَوَلِّ وَجْهك شَطْر الْمَسْجِد الْحَرَام وَإِنَّهُ لَلْحَقّ مِنْ رَبّك وَمَا اللَّه بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء تقدَّم مثلُه، وكرَّره؛ لبيان تساوي حكمِ السفر وغيره. ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْت فَوَلِّ وَجْهك شَطْر الْمَسْجِد الحرام وحيث ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهكُمْ شَطْره﴾ كرَّره للتأكيد ﴿لِئَلَّا يَكُون لِلنَّاسِ﴾ اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلةٌ في التولّي إلى غيرِه لتنتفي مجادلتهم لكم، من قول اليهود: يجحدُ دينَنا ويتبعُ قِبلتَنا، وقول المشركين: يدَّعي ملَّة إبراهيمَ ويخالفُ قبلتَه ﴿إلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالعناد فإنهم يقولون: ما تحوَّلَ إليها إلَّا ميلًا إلى دين آبائه، والاستثناءُ متَّصلٌ، والمعنى: لا يكون لأحدٍ عليكم كلامٌ إلَّا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالَهم في التولي إليها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ بامتثال أمري ﴿وَلِأُتِمّ﴾ عطفٌ على «لِئَلَّا يَكُون» ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية إلى معالم دينِكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق.

وقولُ المؤلِّف: **(بالتاء والياء)**: إشارةٌ إلى القراءتين في قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وقراءة الجمهور بالتاء على الخطابِ للمؤمنين، وبالياء على الإخبار عن أهل الكتاب.

---

(١) **ينظر**: «تفسير السعدي» (١/ ١٠٨).
(٢) **ينظر**: «التحرير والتنوير» (٢/ ٥).

وقولُه: (**وكرَّره...**) إلى آخره: أي: كرَّرَ الأمرَ لاستقبال البيت، وما ذكره المؤلِّفُ من حكمةِ التكرار توجيهٌ حسنٌ[(١)].

وقولُه: (**اليهود أو المشركين**): الظاهرُ هو العموم؛ فالمراد: بالناس اليهود والمشركون.

وقولُه: (**مجادلة في التولي...**) إلى آخره: أي: مخاصمةٌ، وهذا معنى ما ذكره ابنُ جرير[(٢)].



(١) **ينظر**: «تفسير الراغب» (١/ ٣٤١)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ١٦٨)، و«ملاك التأويل» لابن الزبير الغرناطي (١/ ٥٤)، و«البحر المحيط» (٢/ ٣٨-٣٩).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٩٠).

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٢]:

هذه الآية متصلةٌ في المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾، ومن تمامِها تحويلُ القبلة إلى البيت الحرام، والكاف للتشبيه، فالمعنى: كما أنعَمْنا عليكم بإرسال رسولٍ منكم ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا...﴾ الآية، والخطاب للمؤمنين؛ فتضمَّنت الآيةُ الأولى الامتنانَ من الله للمؤمنين بإرسال خاتَمِ النبيين، وبما جاء به من الكتاب والحكمة، وأخبر -تعالى- أنه يتلو على المؤمنين الآياتِ ويُعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ مما كانوا لا يعلمون، فهذه الآيةُ نظير قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ...﴾ الآية من سورة آل عمران [آل عمران: ١٦٤].

ثم أمر في الآية الثانية بذكرِه وشكرِه، ونهى عن الكفر به، وذِكرُه من شكرِه، فعطفُ الشكرِ على الذِّكرِ مِن عطفِ العام على الخاصِّ، وأَخبر -تعالى- أنَّ مِن جزاء الذاكرين والشاكرين أَن يَذكرهم ويَشكرهم، وفي هذا أبلغُ ترغيبٍ في ذِكره -تعالى- وشكره.

﴿كما أَرْسَلْنَا﴾ متعلِّق بـ «أتم»، أي: إتمامًا كإتمامِها بإرسالِنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ محمدًا ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتنا﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يُطهِّركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَاب﴾ القرآنَ ﴿وَالْحِكْمَة﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل: معناه أُجَازِكُم، وفي الحديث عن الله: ((مَن ذكرني

في نفسِه ذكرتُه في نفسي، ومَن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ مِن مَلئِه))[١]
﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالمعصية.

وقولُ المؤلِّف: (**متعلِّق بـ: «أُتم»...**) إلى آخره: يُوضِّحُ بهذا المشبَّه والمشبَّه به؛ فالمشبَّه: إتمام النعمة بتحويل القبلة، والمشبَّهُ به: إتمام النعمة بإرسال رسولٍ بهذه الصفة يتلو ويُزكِّي ويُعلِّم. وقولُه: (**يُطهِّرُكم من الشرك**): تفسيرٌ للزكاة بالطهارة من الشرك، ولا ريبَ أنَّ هذا أعظم تطهيرٍ، ولكن زكاة النفسِ أعمُّ من ذلك[٢]، والـمُزكِّي حقيقةً هو الله، وإضافةُ الزكاة إلى الرسول ﷺ مِن إضافة الشيء إلى سببِه.

وقولُه: (**ما فيه مِن الأحكام**): هذا أحدُ معاني الحكمة، وقيل: الحكمة هي السُّنة، وهذا أظهرُ وأشهرُ[٣].

وقولُه: (**بالصلاةِ والتسبيح ونحوه**): بيانُ أنَّ ذِكْرَنا لله يعمُّ أنواع العبادات القولية والعملية. وقولُه: (**قيل: معناه أُجَازِكُم...**) إلى آخره: تفسيرُ ذِكْرِ الله للمؤمنين بالمجازاة؛ أي: بالثواب تأويلٌ[٤]، والصواب: تفسيرُ الآية بالحديث

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) واختاره الطبري وابن عطية وابن كثير والسعدي. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٩٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٨٣) و«تفسير ابن كثير» (١/ ٤٦٤)، و«تفسير السعدي» (١/ ١١١).

(٣) تقدم في (ص ٢٧٦) وأن تفسير الحكمة بالسنة هو قول قتادة والحسن وغيرهما.

(٤) قال شيخنا: «تأويل ذكر الله لعبده بالرحمة والثواب، أو الإنعام صرف للكلام عن ظاهره بلا حجة، وكأن الذي قال ذلك يذهب إلى أن الله تعالى لا يتكلم بكلام حقيقي يُسمِعه إذا شاء لمن شاء من عباده، وهذا موجب مذهب الأشاعرة في كلام الله سبحانه، وهو أن معنى كلام الله: معنى نفسي، ليس بحرف ولا صوت فلا يتصور سماعه منه، وهو ظاهر الفساد». التعليقات على المخالفات العقدية في «فتح الباري» (ص١٥٩، رقم ١١٣).



القدسيِّ الذي ذكرَه المؤلف، وقد دلَّت الآيةُ والحديثُ على أنَّ هذا الذِّكر مِن الله لعبدِه جزاءٌ على ذِكْرِ العبد لربِّه، فهو مِن قَبيل: «الجزاء مِن جنس العمل»[1].

وقولُه: (**نعمتي بالطاعة**...) إلى آخره: يُبيِّن أنَّ شُكرَ الله على نعمِه يكون بطاعتِه، وكُفرَ نعمِه يكون بمعصيتِه.



(١) **ينظر**: «مدارج السالكين» (٣/ ٢٢٣).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣]:

هذا أمرٌ من الله لعباده المؤمنين بأن يستعينوا بالصبر وبالصلاة على جميع ما أَهمَّهُم مِن أمر دينهم ودنياهم، والصبرُ يشمل أنواعَ الصبر الثلاثة: صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن معصية الله، وصبرٌ على أقدار الله(١).

والصلاةُ تشمل الصلواتِ المفروضة وصلاةِ التطوع؛ أي: الفرائض والنوافل، ثم يُرَغِّبُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فيما أمر به من الصبر بمعيَّتِه للصابرين؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾، وما أمرَ الله به المؤمنين في هذه الآية قد أمرَ به بني إسرائيل في أولِ السورة في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [البقرة: ٤٥]، والخطابُ في الآيات المتقدِّمة للمؤمنين من أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد صُرِّحَ بوصف الإيمان في هذه الآية، ومناسبةُ هذه الآية لِمَا قبلَها مِن وجهين:

أولًا: مِن جهة أنَّ الأمرَ باستقبال المسجد الحرام مطلوبٌ في الصلاة، بل شرطٌ لصحَّتِها.

وثانيًا: مِن جهة ما تقدَّم مِن أذى اليهود والمنافقين بالاحتجاجِ على المؤمنين، والاحتجاج عليهم في تحويل القِبلة، ولذا نهى اللهُ عن خشيتِهم وأمرَ بالصبر على أذاهم، وأمَّا مناسبةُ الآية لِمَا بعدها مِن الآيات فظاهرةٌ، والآية كالمقدِّمة للآيات بعدها إلى قوله: ﴿ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾.

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٧٤-٥٧٧)، و«عدة الصابرين» (ص٤٨) وما بعدها، و«مدارج السالكين» (٢/ ٤٥١) وما بعدها.




﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الآخرةِ ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعةِ والبلاءِ ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ خَصَّها بالذِّكرِ لِتكرُّرِها وعِظَمِها ﴿إنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون.





وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤]:

هذا نهيٌ من الله لعباده المؤمنين؛ أن يقولوا لِمَن يُقتل في سبيل الله أنهم أمواتٌ كسائر الأموات، فإنهم وإن فارقوا الحياةَ الدنيا بالقتلِ فإنهم أحياءٌ عند الله حياةً برزخيةً ليست كحياتهم في الدنيا، ولكنَّ المؤمنين لا يشعرون بهذه الحياة؛ لأنها مِن أحوال الغيب. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟﴾: معطوفٌ على قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾. و﴿أَمْوَٰتٌۢ﴾: خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ؛ أي: هم أموات.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّه﴾: هم ﴿أَمْوَات بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ أرواحُهم في حواصلِ طيورٍ خُضْرٍ، تسرحُ في الجنة حيث شاءتْ لحديثٍ بذلك، ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ما هم فيه.

وقولُ المؤلِّف: (**أرواحهم**...) إلى آخره: الحديثُ الذي أشار إليه هو في «مسلم» مُطوَّلًا في باب: بيان أنَّ أرواح الشهداء في الجنة[1].



(١) رواه مسلم (١٨٨٧) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]:

يُخبِر -تعالى- في هذه الآيات خبرًا مؤكدًا بأنه -تعالى- سيَبتلي عبادَه المؤمنين بأنواعٍ من البلاءِ في الأموال والأنفس، بشيءٍ من الخوف والجوع ونَقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات؛ ليُظهر صبرَهم، ولذا أمر الله نبيَّه أن يُبَشِّرَ الصابرين لما لهم عند الله، ووصفَهم بأنهم الذين إذا أصابتْهُم مصيبةٌ؛ قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾؛ أي: نحن ملكُه وعبيدُه وصائرونَ إليه، ثم أخبر بجزائِهم وأثنى عليهم؛ فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾: والصلاة مِن الله على عبادِه الصابرين: ذكرُه لهم وثناؤُه عليهم، والرحمةُ معنىً يقوم بالربِّ، وهو ضدُّ الغضب والعذاب، فيقتضي الرّضا عن المرحوم وصرفَ العذاب، يدلُّ لذلك قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡ﴾ [الإسراء: ٥٤]، وقوله -تعالى- في الكتاب الذي عنده فوق العرش: ((إنَّ رحمتِي تغلبُ غضبِي))[1]، والمهتدون العالِمون بالحقِّ العاملون به، ومِن هُداهم: الصبرُ لله والتسليمُ لحكمه والرضا بقضائه.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ للعدو ﴿وَالْجُوعِ﴾ القَحْط ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالهلاك ﴿وَالْأَنْفُس﴾ بالقتلِ والموتِ والأمراضِ ﴿وَالثَّمَرَات﴾ بالجوائحِ؛ أي: لِنَخْتَبِرَنَّكُمْ فننظرُ أتصبرون أم لا؟ ﴿وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء بالجنةِ. هم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ بلاءٌ ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ ملكًا وعبيدًا يفعلُ بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الآخرة فيُجازينا، في الحديث: ((مَن استرجعَ عند المصيبة آجَرَه اللَّه فيها وأَخلفَ عليه خيرًا))(١). وفِيه: أَنَّ مصباح النَّبيّ ﷺ طفِئَ، فاسترجعَ، فقالت عائشة: إِنَّمَا هذا مِصباحٌ، فقال: ((كلُّ ما ساءَ المؤمن فهو مُصيبةٌ)) رواه أبو داود في مراسيلِهِ(٢). ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ مغفرةٌ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعمةٌ ﴿وأولئك هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الصواب.

وقولُ المؤلِّف: (للعدو، القحطِ، بالقتلِ، بالجوائحِ): نبَّهَ بذلك على أهم أسباب الخوف والجوع والنقص.

وقولُه: (بالجنة): لأنها مِن أعظم ما يُبشَّرُ به المؤمن، ويدخل في البشارة: الصلواتُ والرحمةُ من الله كما في الآية.

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري في تفسيره (٢/ ٧٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٢١)، والطبراني في «الكبير» (١٣٠٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٤٠)، من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: وذكره بنحوه. وهذا إسناد ضعيف؛ وله علتان، الأولى: الانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس؛ فإنه لم يسمع منه، وروى عنه مرسلًا.

والأخرى: الضعف في ابن أبي طلحة نفسه؛ فقد تكلم فيه بعض الأئمة، قال أحمد بن حنبل: له أشياء منكرات. **ينظر**: «الميزان» (٥٨٧٠)، والتهذيب (٧/ ٣٣٩ ، رقم ٥٦٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٠٠١).

وجاء معنى الحديث في صحيح مسلم (٩١٨) عن أم سلمة مرفوعًا: ((ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها)).

(٢) «مراسيل أبي داود» (٤١٢) عن عمران القصير.



وقولُه: (**هم**): يريد أن الاسم الموصول خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ؛ تقديره: هم، والجملةُ مُستأنَفة، والأظهرُ أنَّ الاسمَ الموصولَ صفةٌ للصابرين[١].

وقولُه: (**مغفرةٌ**) (نعمةٌ): تفسيرٌ قاصرٌ.

وقولُه: (**إلى الصواب**): يُريدُ في الأقوال والأعمال.



(١) قال أبو حيان: «هو ظاهر الإعراب»، وقال السمين الحلبي: «هو الأصح». **ينظر**: «البحر المحيط» (٢/ ٥٦)، و«الدر المصون» (٢/ ١٨٦)، و«التبيان في إعراب القرآن» (١/ ١٢٩).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة: ١٥٨]:

الصفا والمروةَ جبلانِ صغيرانِ أحدُهما في الجنوب الشرقيّ من البيت عند جبلِ أبي قُبيسٍ[١]، والمروة في الشمال الشرقي عند جبل قُعَيْقِعَان[٢]، وقد أخبر ـسبحانه ـ في هذه الآية أنهما من شعائرِ الله؛ أي: من معالم دينِه، فلذا شُرِعَ الطواف بهما بالتردُّدِ بينهما بدءًا بالصفا وذهابًا إلى المروة سبعَ مراتٍ، ذهابُه مرة ورجوعُه مرة، فينتهي بالمروة، ويسعى في بطن الوادي وهو ما بين العلمَين.

وقد شرع الله الطوافَ بهما في كلِّ حجٍّ وعمرةٍ، لقوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، وكان النبي ﷺ يطوف بهما في كل حجٍّ وعمرةٍ، وقال: ((خُذُوا عَنِّي مناسِكَكُم))[٣]؛ فعُلم أنه لا يشرعُ الطواف بينهما إلا للحاجِّ والمعتمر.

وقد اختلف العلماءُ في حكم الطوافِ بينهما؛ فقيل: سُنَّة، وقيل: واجب، وقيل: ركن، والأقرب أنه واجب[٤].

---

(١) أَبو قُبَيْسٍ: بلفظ التصغير، كأنه تصغير قبس النار: وهو اسم الجبل المشرف على مكة، وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما، أبو قبيس من شرقيّها، وقعيقعان من غربيّها، قيل سمّي باسم رجل من مذحج كان يكنّى أبا قبيس، لأنه أول من بنى فيه قبّة. **ينظر**: «معجم البلدان» (١/ ٨٠).

(٢) قُعَيْقِعَانُ: بالضم ثم الفتح، بلفظ تصغير: وهو اسم جبل بمكة، قيل: إنما سمي بذلك لأن قطوراء وجرهم لما تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه. **ينظر**: «معجم البلدان» (٤/ ٣٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر، وهو بهذا اللفظ عند البيهقي في «السنن الكبرى» (٩٦٠٠).

(٤) وهو مذهب الحسن البصري، وأبي حنيفة، والثوري، ورواية عن الإمام أحمد، اختارها من أصحابه القاضي، ورجحها ابن قدامة في «المغني»، ونسب ابن تيمية هذا القول إلى جمهور الأصحاب، والمذهب عند المتأخرين أنه ركن كما في «شرح المنتهى» (٢/ ١٧٤)، =

وقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ أي: فلا حرجَ ولا إثمَ على مَنْ طاف بهما؛ أي: سعى بينهما.

وقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾: هو حجةُ مَن قال أنَّ الطوافَ في الصفا والمروة سنَّةٌ.

وقوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾: ترغيبٌ في كلِّ ما هو طاعة، وكلُّ طاعة لله خيرٌ، والله لا يُضيع أجرَ المحسنين؛ لأنه شاكرٌ عليمٌ، والظاهرُ أنَّ هذه الآيةَ مُرتبطةٌ بآيات القبلة؛ لِمَا بين الصفا والمروة والبيتِ الذي هو القِبلة من الارتباط المكانيّ والحكميّ.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلانِ بمكة ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينِه، جمعُ شَعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أي: تلبَّسَ بالحج أو العمرة، وأصلُهما القصدُ والزيارةُ ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ إثمَ ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغامُ التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأنْ يسعى بينهما سبعًا. نزلت لَمَّا كره المسلمون ذلك؛ لأنَّ أهلَ الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صَنَمانِ يمسحونهما[(١)]. وعن ابن عباس أنَّ السعي غيرُ فرض؛ لِما أفادَه رفعُ الإثم من التخيير[(٢)]؛ وقال الشافعي وغيرُه: ركنٌ[(٣)]. وبيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فريضتَه بقوله:

= و«كشاف القناع» (٦/ ٣٥٨). ينظر: «المغني» (٥/ ٢٣٨-٢٣٩)، و«شرح العمدة» لابن تيمية (٥/ ٣٥٨) وما بعدها.

(١) أخرجه البخاري (١٦٤٨)، ومسلم (١٢٧٨) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **ينظر أيضًا:** «أسباب النزول» (ص٤٤-٤٧)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٤٠٦-٤١١).

(٢) روي عن أنس وابن الزبير وعطاء وابن سيرين ومجاهد، وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي. **ينظر:** «تفسير الطبري» (٢/ ٧٢٢-٧٢٤)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ١٨٢)، و«المغني» (٥/ ٢٣٨) وما بعدها.

(٣) **ينظر:** «الأم» (٣/ ٥٤٤)، و«المجموع شرح المهذب» (٨/ ١٠٣).

((إنَّ اللهَ كتبَ عليكُمُ السعيَ)) رواه البيهقي وغيره[١]. وقال: ((أَبدأُ بما بدأَ اللهُ به)) يعني: الصفا، رواه مسلم[٢]، ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ وفي قراءةٍ بالتحتيةِ وتشديدِ الطاء مجزومًا، وفيه إدغامُ التاء فيها، ﴿خَيْرًا﴾ أي: بخيرٍ، أي: فعملَ ما لم يجبْ عليه من طوافٍ وغيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعملِهِ بالإثابة عليه ﴿عَلِيمٌ﴾ به.



وقولُ المؤلِّف: (جبلانِ بمكة): أي: جبلان معروفان بمكة.

وقولُه: (أعلام دينِه): أي: مِن أَعلام الدين الظاهرةِ التي يحبُّ اللهُ تعظيمَها، وتعظيمُ الصفا والمروة بالطواف بهما وهو السعيُ بينهما كما بيَّنَهُ الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقولُه: (أي: تلبَّسَ بالحجِّ أو العمرة): أي: مَن دخل في أحدهما بأنْ أحرمَ بحجٍّ أو عمرةٍ. وقولُه: (وأصلُهما القصد والزيارة): يريد أصل معنى الحج والعمرة في اللغة؛ فبيَّنَ أنَّ معنى الحج في اللغة: القصد[٣]، ومعنى العمرة: الزيارة[٤]، وخص بعض المحققين الحج بالقصد إلى معظم[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٥٤)، والطبراني في «الكبير» (٥٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩٤٤١) من طريق مهران بن أبي عمر، عن الثوري، عن المثنى بن الصباح، عن المغيرة بن حكيم، عن صفية بنت شيبة، عن تملك قالت: «نظرت إلى النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في غرفة لي بين الصفا والمروة وهو يقول:» وذكرته.
والحديث تفرد به مهران بن أبي عمر، وفي حديثه اضطراب كما قال البخاري. «الكامل» لابن عدي (١٩٤٢)، و«الميزان» (٨٨٢٨). وأيضًا: المثنى بن الصباح ضعيف. «الكامل» (١٩٠٢)، «الميزان» (٧٠٦١).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) ينظر: «لسان العرب» (٢/ ٢٢٦).

(٤) ينظر: «لسان العرب» (٤/ ٦٠٤).

(٥) وهو قول الخليل والمناوي. ينظر: «العين» (٣/ ٩)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» (ص١٣٦)، و«العدة في فوائد العمدة» لشيخنا (ص٣٣٢).

وقولُه: (**فيه إدغامُ التاء في الأصل في الطاء**): يُبيِّنُ أن أصل ﴿يَطَّوَّفَ﴾ «يَتطوَّفَ» فسُكنت التاء وقُلبت طاء وأُدغمت في الطاء.

وقولُه: (**بأنْ يسعى بينهما**): بيانٌ لمعنى الطواف بالصفا والمروة أنه السعي بينهما سبعًا، يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة.

وقولُه: (**نزلت**...) إلى آخره: تضمَّن الإشارةَ إلى سبب النزول، وبيان حكم السعي، وما يبدأُ به وهو الصفا، للحديث الذي ذكره، والله -تعالى- قد بدأ بالذِّكر بالصفا؛ لذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أبدأُ بما بدأَ اللهُ به)).

وقولُه: (**وفي قراءةٍ**..) إلى آخره: يُريد أنَّ «تتطوَّع» في الآية قُرئ ﴿يَطَّوَّعْ﴾ بصيغة الفعل المضارع[1]، وأصله: «يَتطوَّع» فسُكِّنت التاءُ وقُلبت طاءً، وأُدغمت في الطاء.



(١) قرأ حمزة والكسائي في الموضعين بالياء وتشديد الطاء وجزم العين، والباقون بالتاء وفتح العين. **ينظر**: «السبعة» (ص١٧٢)، و«النشر» (٢/ ٢٢٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠]:

يذمُّ -تعالى- في هذه الآية ويتوعَّدُ الذين يكتمون ما أنزل الله مِن الآيات البيِّنات وما فيها من الهدى فأخبر أنه -تعالى- يَلعنُهم، ويلعنُهم اللَّاعنون، واللَّعْنُ هو: الإبعاد عن رحمة الله(١)، واللَّعنُ مِن الله يكون قولًا وفعلًا، ومن العباد دعاءً.

وقوله: ﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾: يشمل: الملائكة والناس، وفي ذلك تعريضٌ باليهود في كِتمانهم لصفة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو هم الـمَعنيُّون بالآية، وعلى ذلك ففيها عَوْدٌ إلى ذِكر مذامِّ اليهود ومساويهم، وقد استثنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من هذا الوعيد الذين تابوا من كِتمان آياتِ الله وأصلحوا أعمالَهم وبيَّنوا ما قد كتموا، فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾، ثم أكَّد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذا الاستثناء بالوعد المؤكّد لأنه يتوبُ عليهم، فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني: يقبل توبتَهم، وأكَّد هذا الوعدَ بأنه -تعالى- ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾، فتوبتُه على التائبين هو مِن مقتضى هذين الاسمين: التواب الرحيم.

ونزلَ في اليهود ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الناس ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون، أو كل شيء: بالدعاء عليهم باللعنة. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾

(١) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٢٦).

رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

وقولُ المؤلِّف: (**ونزلَ في اليهود**): إشارةٌ إلى أنَّ هذه الآية نزلتْ في اليهود.

وقولُه: (**الناس**): يريد أنَّ الاسمَ الموصولَ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، والتقدير: إنَّ الناس الذين يكتمون.

وقولُه: (**كآيةِ الرجم**...) إلى آخره: بيانٌ لبعض ما كتمَهُ اليهود من آيات التوراة.



وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة: ١٦١-١٦٢]:

هذا وعيدٌ شديدٌ من الله تعالى للذين كفروا بالله ورسولِه وكتابِه من أهل الكتاب والمشركين وماتوا على ذلك، توعَّدهم اللهُ بأنْ حقَّت ﴿عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١﴾، فباؤوا بسخطِ الله وعذابه خالدين في لعنةِ الله مُبعدين عن رحمته، وعذابُهم شديدٌ دائمٌ فلا يُخفَّفُ عنهم، ولا ينظرون؛ أي: لا يُمهلون إذا وردوا النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ **حالٌ** ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ **أي: هم مُستحقُّون ذلك في الدنيا والآخرة. والناسُ قيل: عامٌّ، وقيل: المؤمنون.** ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ **أي: اللعنةُ، أو النار المدلولُ بها عليها** ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ **طرفةَ عين** ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ **يُمْهلون لتوبةٍ أو معذرةٍ.**

وقولُ المؤلِّف: (**حال**): يريد جملة ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾؛ فالمعنى: ماتوا في حالِ كفرِهم.

وقولُه: (**أي: هم مستحقّون ذلك...**) إلى آخره: يُبين أنَّ اللَّعنةَ حلَّتْ عليهم بسبب كفرِهم فاستحقُّوا اللعنةَ من الله والملائكة والناس أجمعين.

وقولُه: (**والناسُ قيل: عامٌّ، وقيل: المؤمنون**): أقول: الأولُ هو الصواب؛ لاقتران كلمةِ «الناس» بـ «أل» التي للاستغراق، ولتأكيده بأجمعين[1].

(١) وهو قول أبي العالية واختاره الطبري. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٧٤٢-٧٤٣)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٦).



وقولُه: (**اللعنة أو النار**): يُبيِّنُ مَرجعَ الضمير المجرور في قوله: ﴿فيها﴾، والخلودُ في اللعنة يستلزم الخلودَ في النار[١].



(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٧٤٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤٠)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٦).

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]:

يُخبِرُ ـ تعالى ـ أنَّ المعبودَ الحقَّ معبودٌ واحدٌ ولا معبود بحقٍّ سواه، وهو الله تعالى، وهذا خبرٌ متضمِّنٌ للأمر بمقتضاه، وهو الإيمانُ بمضمون هذا الخبر، وذلك باعتقادِ أنَّ الإلهَ الحقَّ واحدٌ وهو اللهُ الرحمنُ الرحيمُ، مع اعتقادِ أنَّ كلَّ معبودٍ سواه باطلٌ، فتضمَّن هذا الخبرُ: الأمرَ بالإيمان بالله، وإفرادَه بالعبادة وتركَ عبادة ما سواه، والبراءةَ منه، وذلك هو الكفرُ بالطاغوت، فدلَّت الآيةُ على معنى: لا إله إلا الله، وهي: العروةُ الوثقى التي لا تنفصمُ، فمَنِ استمسكَ بها نجا؛ فأَشبهتْ هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وأشبهتِ البسملةَ من حيث اشتمالِها على الأسماء الثلاثة: الله، الرحمن، الرحيم، وتقدَّمَ الكلامُ في هذه الأسماء في الكلام على الآيتين الأولى والثانية من سورة الفاتحة[١].

ونزل لَمَّا قالوا: صِفْ لنا ربَّك: ﴿وَإِلَهُكُمْ﴾ المستحقُّ للعبادة منكم ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظيرَ له في ذاتِه ولا في صفاتِه ﴿لا إِلَهَ إلا هُوَ﴾ هو ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (**لا نظيرَ له**): تفسيرٌ لمعنى الواحد، وهذا أحدُ معاني الواحد، وقد ذكره ابنُ جرير، وقدَّمهُ وهو معنى صحيح[٢]، وأظهرُ منه أنَّ معنى ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: أي: لا اثنان؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل:٥١].

(١) ينظر: (ص ١٩).
(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٧٤٥).



وقولُه: (هو): يُبيِّنُ أنَّ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ تقديرُه هو، وجملة ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾: تأكيدٌ لمعنى ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.



وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]:

يُنبِّهُ -تعالى- في هذه الآية عبادَه على أدلة إلهيتِه وربوبيتِه، وهي: آياتُه الكونية، وهذه الآيات قد اشتمل عليها ما ذكَرَهُ اللهُ من المخلوقات؛ خلقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ والفلكِ التي تجري في البحر، وما أنزلَ الله من السماء مِن ماءٍ، وما بثَّ في الأرض من الدوابِّ، والرياح التي يُصرِّفُها الله، والسحاب المسخَّر بين السماء والأرض، في كلِّ ذلك آياتٌ دالةٌ على وجودِ الله وربوبيتِه وإلهيتِه وكمال قدرتِه وحكمتِه ورحمتِه.

وإنما ينتفع بهذه الآيات مَن يتفكَّرُ في هذه المخلوقات، ويهتدي بها إلى ما يجبُ عليه من الإيمان به -تعالى- وتوحيدِه واتِّباع رسلِه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، وأولُوا الألباب: هم أهلُ العقول النَّيِّرة الزكية، ولذا قال في سورة البقرة: ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، فمَن لم يتفكَّرْ في هذه المخلوقات ويُسبِّحْ بحمد خالقِها ولم يتدبَّر الآيات فهو مِن الغافلين.

وطلبوا آية على ذلك، فنزل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ ولا ترسب، موقرة ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ

مَاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر به ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليبها جنوبًا وشمالًا، حارة وباردة ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسَخَّرِ﴾ المذلل بأمر الله يسير إلى حيث شاء الله ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

وقولُ المؤلِّف: (**وطلبوا...**) إلى آخره: يُبيّن بذلك سببَ نزول هذه الآية وهو أنَّ المشركين طلبوا دليلًا على أنَّ الإله واحدٌ فنزلت[(١)].

وقولُه: (**وما فيهما مِن العجائب**): يريد ما في السماء والأرض مِن الآيات العجيبة كالشمسِ والقمر والنجوم في السماء، والجبال والأنهار والبحار في الأرض.

وقولُه: (**بالذهابِ والمجيء...**) إلى آخره: فُسِّرَ اختلافُ الليل والنهار بتعاقبِهما والزيادة والنقص فيهما.

وقولُه: (**ولا ترسب**): يُبيِّنُ أنَّ السفنَ تجري على ظهرِ البحر، وهي: موقرة؛ أي: مُحمَّلة[(٢)]، ولا ترسب؛ أي: لا تغوص في الماء فتغرق بِمَنْ فيها.

وقولُه: (**من التجارات والحمل**): مِن منافع السفن: حملُ الأثقال، ونقلُ الأموال، والانتقالُ بين البلدان.

وقولُه: (**ونشر به...**) إلى آخره: أي: نشرَ بالماء النازلِ، فإذا نزلَ الغيث كثرتْ الدوابُّ وانتشرتْ.

---

(١) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٤٧-٤٨)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٤١٤).

(٢) **ينظر**: «لسان العرب» (٥/ ٢٨٩).

وقولُه: (**تقليبها...**) إلى آخره: يُبيّن أنَّ معنى تصريفُ الرياح: تغييرُ جهاتها شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا وبين ذلك، وتغييرُ أحوالها بالحرِّ والبرد وبالشدَّة واللِّين.

وقولُه: (**بلا علاقة**): يريد أنَّ السحابَ بين السماء والأرض ليس مُعلَّقًا في شيءٍ.



وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧]:

يُخبر -تعالى- في هذه الآيات عن صنفٍ من الناس ذامًّا لهم ومتوعِّدًا، وهم: المشركون الذين اتخذوا من دون الله آلهةً جعلوهم أندادًا لله؛ أي: نظراء وأشباهًا فهم يعبدونَهم ويُحبّونهم كحُبِّهم لله؛ فسوَّوهم بالله في العبادة والمحبّة، ولكن المؤمنين الموحدين على الضدِّ من ذلك، فإنهم يحبّون الله أشدّ مِن حبِّ المشركين له ولم يجعلوا لله ندًّا في المحبة؛ لذلك لا يعبدون إلا الله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

ثم أخبر -تعالى- عن حالِ الظالمين أنفسهم بالشرك بالله حين يرون العذابَ يومَ القيامة، فإنهم في ذلك اليوم يعلمون أنَّ القوة كلّها لله؛ فلا يطمعون في نصيرٍ يُنقذهم من عذاب الله، ويعلمون أنَّ عذابَ الله شديدٌ، وفي ذلك اليوم يتبرأُ المتبوعون من الذين اتَّبعوهم في الكفر والشرك، ثم يرى الجميعُ النار فيتمنَّى الأتباعُ لو رُدُّوا إلى الدنيا ليَتبرؤوا من أئمَّتِهم في الكفر والضلال؛ مجازاةً لهم على تبرُّئهم منهم.

وقوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ في موضع مفعولَيْ «يرى» في قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾: معطوفٌ على جملة: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾.

وقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ وهم الرؤساء والكبراء؛ تبرَّؤوا مِن الذين اتَّبعوهم؛ أي: جحدُوا عبادتَهم لهم وجحدوا أنهم أضلُّوهم، ورأى الجميعُ عذابَ الله فتقطَّعتْ المُوادَّة التي كانت بينَهم، ثم قال الأتباعُ: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا

كَرَّةً﴾؛ أي: عودةً إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: مِن الرؤساء المستكبرين ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾، فالأتباعُ يتمنَّون الردَّ إلى الدنيا ليتبرَّؤوا من الذين تبرَّؤوا منهم، وهذا معنى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾، وفي ذلك اليوم يريهم اللهُ أعمالَهم القبيحة التي يتحسَّرون منها ندمًا على تفريطِهم كما قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ [يونس:٥٤]، ولكن لا ينفعُ الندمُ لذلك اليوم ولا يُخلِّصُهم من عذاب الله، ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ المعنى: أنَّ الله يُرِي التابعينَ والمتبوعينَ أعمالَهم فتكون حسراتٍ عليهم فيُدخلهم بها النار دخولًا لا خروجَ بعده، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾، والظرفُ في قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدلٌ من الظرف في قوله: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَنْدَادًا﴾ أصنامًا ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيمِ والخضوعِ ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي كحُبِّهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ مِن حُبِّهم للأنداد؛ لأنهم لا يعدلون عنه بحالٍ ما، والكفار يعدلون في الشدَّة إلى الله ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ تُبصِرْ يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يُبصِرون ﴿الْعَذَابَ﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا، وإذ بمعنى إذا ﴿أَنَّ﴾ أي: لأنَّ ﴿الْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وفي قراءة: ﴿يَرَى﴾ بالتحتية. والفاعل؛ قيل: ضمير السامع، وقيل ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فهي بمعنى: يعلم، و«أَنَّ» وما بعدها سدتْ مسدَّ المفعولين، وجواب لو محذوف. والمعنى: لو علموا في الدنيا شدةَ عذابِ الله وأنَّ القدرةَ لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة؛ لَمَا اتخذوا من دونه أندادًا. ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾

أي: أنكروا إضلالهم ﴿وَ﴾ قد ﴿رَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطفٌ على تبَّرأَ ﴿بِهِمِ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابُ﴾ الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعةً إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي: المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ اليومَ، ولو: للتمنِّي، ونتبرأ جوابُه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أراهم شدةَ عذابِه وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمِ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئةَ ﴿حَسَرَاتٍ﴾ حال، نداماتٍ ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ بعد دخولها.

وقولُ المؤلِّف: (**أصنامًا**): فسَّرَ الأنداد بالأصنام، والأصنامُ من الأنداد، والأنداد؛ هم: النُّظَراء والأشباهُ فيَعمُّ كلَّ ما اتخذه المشركون إلهًا مع الله صنمًا أو غيره[1].

وقولُه: (**بالتعظيم والخضوع**): هذا من تفسير الشيءِ بأثرِه فإن التعظيمَ والخضوعَ أثرُ المحبة. وقولُه: (**كحبِّهم له**): يُبيِّن أن المشركين يُحبُّون أندادَهم كحبِّهم لله فلَزِمَ من ذلك التسوية بين الله والأنداد في المحبَّة.

وقولُه: (**مِن حبِّهم للأنداد**...) إلى آخره: يُبيِّن بذلك أن حبَّ المؤمنين لله أشدُّ من حبِّ المشركين لأندادِهم، ثم يُوضِّح هذا التفاوت في شدَّة المحبة بين حبِّ المؤمنين لله وحبِّ المشركين لأندادِهم بأن المؤمنين يدعون ربَّهم في الشدَّة والرخاء، ولا يعدلون عنه لغيره، وأما المشركون فينسون أندادَهم في الشدَّة، ويُخلصون الدعاء لله.

وقوله: (﴿وَلَوْ تَرَى...﴾...) إلى آخره: مشى على قراءة نافعٍ وابنِ عامر «بالتاء» المنقوطة من فوق على الخطاب للنبي ﷺ أو كلِّ مَن يصلح

(١) تقدم في (ص ٦٥).

له؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾؛ أي: تُبْصِرُ، وقرأ الجمهورُ بالياء الـمُثناة التحتية[١] على الخبرِ عن الظالمين، وجوابُ «لو» محذوفٌ كما هو الغالب؛ فالمعنى على قراءة الجمهور: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: يعلموا حين يرون العذاب أن جميعَ القوةِ لله فليس لغيره قوةٌ يدفع بها عن نفسِه أو غيره، ويعلموا أن اللهَ شديدُ العقاب، لرأوا أمرًا عظيمًا هائلًا وعلمُوا ضعفَهم وعَجْزَهم وعَجْزَ آلهتِهم؛ فالرؤيةُ في الفعل الأول؛ بمعنى: العلم، وفي الفعل الثاني؛ بمعنى: الإبصار؛ فالأولى: علميّة، والثانية: بصريّة، وعلى قراءة نافع وابن عامر: الرؤية بصريّة في الموضعين، كما فسَّرها المؤلِّف[٢].

وقولُه: (**باتِّخاذِ الأنداد**): تفسيرٌ للظلم بالشرك، وهو تفسيرٌ صحيحٌ يدلُّ له أول الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾.

وقولُه: (**بالبناء للفاعل والمفعول**): يُشيرُ إلى أنَّ ﴿يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ قُرِئَ بفتح ياءِ المضارع على البناء للفاعل، وبضمِّها على البناء للمفعول؛ ﴿يَرون﴾ و﴿يُرون﴾[٣].

وقولُه: (**لرأيت أمرًا عظيمًا**): هذا تقديرٌ لجواب «لو» على قراءة ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ بالتاء على الخطاب.

وقولُه: (**وإذ بمعنى: إذا**): يُبيِّن بذلك أنَّ «إذ» التي هي ظرفٌ للزمن الماضي؛ بمعنى: إذا لما تعلَّقت بأمرٍ مستقبلٍ صارت بمعنى: «إذا» التي

---

(١) قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بالياء، وقرأ نافع وابن عامر: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ بالتاء.
ينظر: السبعة (ص١٧٣-١٧٤)، و«النشر» (٢/ ٢٢٤).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ١٩-٢٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٣٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٠٢-٤٠٣)، و«البحر المحيط» (٢/ ٨٨-٨٩).

(٣) قرأ ابن عامر وحده: ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ بضم الياء، وقرأ الباقون ﴿يَرَوْنَ﴾ بفتح الياء.
ينظر: «السبعة» (ص١٧٤)، و«النشر» (٢/ ٢٢٤).

للمستقبل، وصار وضعُ «إذ» مكانَ «إذا» من نوع الخبرِ بالماضي عن المستقبل كقوله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل:١] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف:٩٩].

وقولُه: (**أي: لأنَّ**): يريد أنَّ جملة ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ تعليلٌ لجواب «لو» فالمعنى: لرأيت أمرًا عظيمًا لأنَّ القوة لله جميعًا، وذلك على قراءة: ﴿وَلَوْ تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وهي التي مشى عليها المؤلِّفُ كما تقدَّم.

وقولُه: (**القدرة والغلبة**): هذا تفسيرُ القوة في قوله: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ وهو تفسيرٌ صحيحٌ. وقولُه: (**حال**): يريد أنَّ ﴿جَمِيعًا﴾ في الآية حالٌ من الضمير المستتر في الجار والمجرور ﴿لِلَّهِ﴾ العائد على قوة.

وقولُه: (**وفي قراءة...**) إلى آخره: رجع كلامُه إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

وقولُه: (**بالتَّحتيَّة**): يعني المنقوطة مِن تحت، فيكونُ الكلامُ خبرًا عن الذين ظلموا.

وقولُه: (**والفاعل...**) إلى آخره: يريد: فاعل ﴿يَرَى﴾ وذكر فيه قولين؛ قيل: ضميرُ السَّامع فتكون الرؤية بصريَّة، وقيل: الفاعلُ الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهو الصواب، وعلى هذا فالرؤية علميَّة(١).

وجملة ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ سدَّتْ مَسَدَّ مفعولَي ﴿يَرَى﴾ في قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ كما ذكر المؤلِّف. وقولُه: (**والمعنى....**) إلى آخره: تعبيرٌ صحيحٌ مناسبٌ لِما تقدَّم من كلام المؤلِّف.

وقولُه: (**أنكروا إضلالَهم**): هذا تفسيرٌ لتبرّي الرؤساءُ المتبوعين مِن التابعين المستضعفين؛ أي قالوا: لم نُضِلَّهم بل هم الذين ضلُّوا.

---

(١) **ينظر**: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ١٣٥)، و«الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» (١/ ٤٢٥-٤٢٦)، و«إعراب القرآن وبيانه» (١/ ١٣٠).

وقولُه: (**قد**): يُبيّنُ أنَّ جملةَ ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ حال، وأنَّ التقدير؛ وقد رأوا.

وقولُه: (**عنهم**): يشيرُ إلى أنَّ الباءَ بمعنى: «عن»؛ في قوله: ﴿بِهِمِ﴾، وهذا يقتضي أنَّ ﴿تقطَّعَتْ﴾ ضُمن معنى ذهبتْ أو زالتْ، وقيل: الباء للملابسة، وهذا يقتضي تشبيهَ الأتباعِ والمتبوعين بقومٍ متمسِّكين بحبال ليَنجوا فانقطعتْ بهم فهلكوا، ذكره ابنُ عاشور ورجَّحه[١].

وقولُه: (**الوُصَل...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ الأسبابَ التي تقطَّعتْ بهم في ذلك اليوم هي الأسبابُ التي كان يتواصلون بها في الدنيا من الـمُوادَّةِ والقرابةِ وغيرها من الصِّلات التي تكون بين الناس.

وقولُه: (**ولو للتَّمنِّي**): يعني أنها ليست شرطيَّةً فلا تحتاج إلى جواب.

وقولُه: (**ونتبرأُ جوابه**): في هذا نظر؛ فقوله: (**فنتبرأ**) من جملة الـمُتمنَّى لا جواب لِـ«لو».

وقولُه: (**كما أراهُم...**) إلى آخره: يُبيِّن بما ذكر معنى: كذلك، وهو أَنَّ الكاف للتشبيه، وأنَّ اسمَ الإشارة يعودُ إلى أنَّ الله أراهُم النار؛ فالمعنى: كما أراهم الله النارَ يُريهم أعمالَهم، وتكون عليهم حسرات، والحسرةُ: شدَّةُ الندمِ والحزنِ، وأشدُّ ما تكون حسرتُهم إذا ذُبِحَ الموت، وقيل لهم: ((يا أهل النار خلودٌ ولا موت))[٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.



(١) **ينظر**: «التحرير والتنوير» (٢/ ٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩]:

هذا خطابٌ من الله لجميعِ الناس مُمتنًّا عليهم بما خلق لهم في الأرض من أنواعِ المآكلِ الطيبةِ من الحبوب والثمار والحيوان، وأَمرهم بالأكل مما خلقَهُ لهم وأباحَهُ لهم ونهاهم عن اتباعِ خطوات الشيطان، وهي: كلُّ ما يأمر به، وذلك إمَّا بمجاوزة الحلالِ إلى الحرامِ، وإمَّا بتحريم الحلال كما فعل المشركون؛ وبهذا تظهرُ مناسبةُ هذه الآية لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

وقد أخبر -تعالى- عن المشركين أنهم جمعُوا إلى الشركِ تحريمَ ما لم يُحرِّمْه اللهُ، وفصَّلَ ذلك في آياتٍ من سورة الأنعام ثم قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:١٤٨] إلى قوله: ﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١٥٠﴾ [الأنعام:١٥٠].

ثم حذَّرَ مِن اتباع خطوات الشيطانِ ببيانِ أنه عدوٌّ بيِّنُ العداوةِ للناس، وأنه لا يأمرُ إلَّا بالسوء والفحشاء والقولِ على الله بغير علمٍ، والسوءُ: كلُّ معصية، والفاحشةُ: كلُّ ما اشتدَّ قُبحُهُ(١)، والقولُ على الله بغير علمٍ هو مِن افتراء الكذبِ على الله، وهذا شاملٌ لكلِّ ما لا طريقَ إلى معرفتِهِ إلَّا الوحي من أسماء الله وصفاتِهِ وشرائع دينِهِ.

ونزل فيمَن حرَّم السوائبَ ونحوَها ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالًا﴾ حالٌ ﴿طَيِّبًا﴾ صفةٌ مؤكدةٌ أو مُستلَذًّا ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طُرُقَ

(١) ينظر: «المفردات» (ص٦٢٦).

﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بيِّنُ العداوة ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ الإثم ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ القبيح شرعًا ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرمْ، وغيره.

وقولُ المؤلِّف: (ونزلَ...) إلى آخره: إشارةٌ إلى سببِ نزول هذه الآيات[١].

وقولُه: (صفة مؤكدة أو مُستلَذًّا): فسَّرَ الطَّيِّبَ بالحلالِ أو الـمُستلذِّ، والراجحُ هو الثاني[٢]؛ لأنه يتضمَّنُ زيادةَ معنى.

وقولُه: (أي: تزيينه): هذا تفسيرٌ لخطوات الشيطان؛ فخطواتُ الشيطانِ: كلُّ ما يُزيِّنُه للإنسان من أنواع المعاصي.

وقولُه: (بيِّن العداوة): فسَّرَ المبين بالبيِّن فهو مِن «أبان»؛ بمعنى: «بانَ»؛ لا مِن «أبانَ الشيء»؛ أي: «بيَّنه»، وهذا التفسير هو المناسب للسِّياق.

وقولُه: (الإثم): فسَّرَ السوءَ بالإثم، وهذا يعمُّ الذنوب كلَّها.

وقولُه: (القبيح شرعًا): هذا تفسيرٌ للفحشاء ولا يتضحُ به الفرقُ بين السوء والفحشاء، فإنَّ كلَّ إثمٍ قبيحٌ شرعًا.

وقولُه: (من تحريم ما لم يحرم): يُبيِّنُ أنَّ تحريمَ ما لم يُحرِّمْهُ اللهُ كفعل المشركين هو مِن القول على الله بغير علمٍ.



(١) قال الكلبي عن أبي صالح: نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي. **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٤٨)، و«العجاب» (١/ ٤١٦).

(٢) وهو قول الشافعي. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٠٦)، و«تفسير الرازي» (٥/ ١٨٥)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٢٠٧)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٠٠).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة: ١٧٠-١٧١]:

يُخبرُ تعالى عن المشركين أنهم إذا دُعوا إلى اتِّباع ما أنزل اللهُ على رسوله؛ قالوا: لا نتَّبعه، بل نتَّبعُ ما ألفينا عليه آباءنا؛ أي: ما وجدنا، وهذا دأْبُ المشركين من الأُمم، يردُّون على الرُّسل ويحتجُّون باقتدائهم بآبائهم كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف: ٢٣].

قال الله تعالى رادًّا عليهم: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾، المعنى: أيتَّبعون آباءهم ولو كانوا لا يعقلون ولا يهتدون؛ فالاستفهام للإنكار والتوبيخ، وفي هذه الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة.

ثم ضرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لهؤلاء الكافرين في جهلهم وعدمِ عقلِهم مَثَلًا بالماشية التي لا تعقل مما تسمع إلا دعاءَ ونداءَ الراعي، ثم وصفهم تعالى بأنهم ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾؛ لأنهم لم ينتفعوا بهذه الحواس، فلهم آذانٌ لا يسمعون بها خيرًا، وأَعينٌ لا يُبصرون بها الآيات، وأَلسنٌ لا يتكلَّمون بها في حقٍّ، ولهذا قال تعالى: ﴿فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾، فلا يتفكَّرون ولا يتذكَّرون؛ لأنهم بإعراضِهم سدُّوا على أنفسهم أبوابَ الهداية.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر[1]؛ قال تعالى: ﴿أَ﴾ يتبعونهم

(١) السوائب جمع السَّائِبَةُ: وهي البعير يُسَيَّب بِنَذْر يكون على الرجل إن سلّمه الله من مرض، أو بلغ منزله أن يفعل ذلك. والبحائر جمع البحيرة؛ وهي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن =

﴿ولو كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ من أَمْرِ الدِّين ﴿وَلَا يَهْتَدُون﴾ إلى الحقِّ، والهمزة للإنكار. ﴿وَمَثَلُ﴾ صفةُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومَن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ يُصوِّتُ ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ أي: صوتًا ولا يُفهم معناه؛ أي: هم في سماع الموعظةِ وعدم تدبُّرها كالبهائم تسمعُ صوتَ راعيها ولا تفهمه، هم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظةَ.

وقولُ المؤلِّف: (من أَمْرِ الدِّين): يُبيِّنُ أنَّ قوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ ليس عامًّا لأَمر الدنيا والدِّين؛ لأنَّ لهم عقولًا يعقلون بها أمورَ دُنياهم، لكن لا يعقلون شيئًا من أَمْرِ الدِّين؛ لأَنهم مُعرضون مُستكبرون.



= والخامس ذكر؛ نَحَرُوه فأكلَه الرجال والنساء، وإن كان الخامس أنثى بَحروا أذنها؛ أي: شَقُّوها، وكانت حرامًا على النساء لحمها ولبنها، فإذا ماتت حلّت للنساء. ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص١٤٧)، و«غريب القرآن» للسجستاني (ص١١٩-١٢٠).

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة: ١٧٢-١٧٣]:

هذا خطابٌ من الله للمؤمنين يأمرهم فيه ممتنًا عليهم ومبيحًا لهم الأكل من طيبات ما رزقَهم، ويأمرهم بشكره تعالى على ما أَولاهم من الرزق، ويُبيِّنُ تعالى أنَّ طاعتَه وشكرَه هو مُقتضَى عبادتهم له وحده لا شريك له، والشكرُ: هو الطاعةُ والتعظيم والثناء في مقابل النعمة(١)، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾.

ثم أخبر تعالى عبادَه بما حرَّمه من المطاعم الخبيثةِ، وهي: الميتةُ والدمُ والخنزيرُ وما ذُبِحَ لغير الله، وقد ذكر اللهُ تحريمَ هذه الأربعة في سورة المائدة والأنعام والنحل، وهذه أَخبثُ المطاعم التي كان أهلُ الجاهلية يأكلونها من العرب وغيرهم.

و﴿إِنَّمَا﴾: أداةُ حصرٍ؛ فالمعنى: ما حرَّم اللهُ إلَّا الميتةَ والدمَ إلى آخر الآية، وذلك قبل تحريم الخمر وكلِّ ذي نابٍ من السِّباع وكلِّ ذي مخلبٍ من الطير وتحريم الحُمُر الأهلية، ولهذا لم يرد الحصرُ في سورة المائدة.

والميتةُ: كلُّ ما مات حَتْفَ أَنفِه مما لا يحلُّ إلَّا بالذكاة، والمرادُ بالدم: الدم المسفوح كما في سورة الأنعام، وهو الذي يسيلُ بخلاف الدم الذي خلقه اللهُ جامدًا كالكبد والطحال، والخنزيرُ: هو الحيوانُ الخبيثُ المعروف الذي هو من أشهى أَطعمة النصارى.

(١) ينظر مباحث نافعة عن تعريف الشكر، وأركانه، والفرق بينه وبين الحمد في: «مدارج السالكين» (٢/ ٥٨٦-٦١٠).

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾: هو ما ذُبِحَ للتقرُّب به لغير الله؛ من صنمٍ أو قبرٍ أو مَلِكٍ أو جنِّيٍّ، والإهلالُ: رفعُ الصوتِ باسم مَن قصد التقرُّبَ له[1].

ولَمَّا بيَّنَ تعالى هذه المحرمات رخَّصَ للمضطر بالأكل منها؛ فقال: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾، وحدُّ الضرورة أن يخافَ على نفسه الموتَ إن لم يأكل.

وقوله: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾: حالٌ مؤكدةٌ، والباغي: هو الطالبُ لِمَا حرَّم اللهُ عليه، المائلُ إليه بشهوته، والعادي: هو المتعدي المتجاوزُ في أكله، فلا يأكل إلَّا ما يدفع الضرورةَ فلا يشبع، لكن يتزوَّد احتياطًا خشيةَ أن يضطر ولا يجدَ شيئًا.

وقوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾: جوابُ الشرط في قوله: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾، وهو نصُّ الدليل على الرخصة.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾: تعليلٌ للرخصة في الأكل من هذه المحرمات عند الاضطرار؛ فالمعنى: غَفر للمضطر ورحمه بإباحة الأكل؛ لأنه تعالى غفورٌ رحيمٌ.



﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ حلالاتِ ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما أَحلَّ لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أَي: أَكلَها، إذ الكلامُ فيه وكذا ما بعدها، وهي ما لم يُذَكَّ شرعًا، وأُلحق بها بالسنَّة ما أبين من حي وخص منها السمك والجراد ﴿وَالدَّمَ﴾ أي: المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ خُصَّ اللحمُ؛ لأَنَّه مُعظَمُ المقصود، وغيرُه تَبَعٌ له ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: ذُبِحَ على اسم غيره، والإهلالُ: رفعُ الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فَمَنْ اُضْطُرَّ﴾

(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٨٤٣).

أي: ألجأته الضرورةُ إلى أكل شيءٍ ممَّا ذُكر فأَكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارجٍ على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ مُتعدٍّ عليهم بقطع الطريق ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أَكله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته، حيثُ وسَّع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي، ويُلحَقُ بهما كلُّ عاصٍ بسفره؛ كالآبقِ والمكَّاسِ، فلا يحلُّ لهم أَكلُ شيءٍ من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي.

وقولُ المؤلِّف: (حلالات): تفسيرٌ للطيِّبِ بالحلال، والصوابُ: أنَّ الطيبَ هو المستطابُ المستلذُّ[(١)]، فليس كلُّ حلالٍ طيب؛ المعنى: كلوا من طيبات ما أَحللنا لكم، كما يدلُّ عليه الامتنانُ في قوله: ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

وقولُه: (ما أُبين من حي): يُشيرُ إلى حديث: ((ما قُطِعَ من البهيمة وهي حيةٌ؛ فهو ميتٌ))[(٢)].

---

(١) تقدم في (ص ٣٤٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٠٣)، وأبو داود (٢٨٥٨)، والترمذي (١٤٨٠) وغيرهم، من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي واقد الليثي قال: «قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وهم يجبون أسنمة الإبل، ويقطعون أليات الغنم، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ:» فذكره.

قال الترمذي: «حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث زيد بن أسلم، والعمل على هذا عند أهل العلم».

قال ابن القطان الفاسي: «وإنما لم يصححه الترمذي؛ لأنه من رواية عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، وهو يُضعَّف، وإن كان البخاري قد أخرج له». «بيان الوهم والإيهام» (٣/ ٥٨٣).

قلنا: وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار أخرج له البخاري في المتابعات، وقد ضعفه غير واحد من قبل حفظه؛ قال السلمي عن الدارقطني: «خالف فيه البخاري الناس وليس بمتروك»، وضعفه أبو حاتم وابن معين وابن عدي وغيرهم، ولخص حاله الحافظ في «التقريب» (٣٩١٣) بقوله: «صدوق يخطئ». **ينظر**: «ميزان الاعتدال» (٢/ ٥٧٢)، و«تهذيب التهذيب» (٦/ ٢٠٦). =

وقولُه: (**وخص منها...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنه يُستثنى من عموم الميتة ميتةُ الجراد وميتةُ الحوت؛ لحديث: ((**أُحِلَّت لنا ميتتان**))(١).

وقولُه: (**خص اللحم...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ الخنزيرَ محرَّمٌ كلّه لحمه وشحمه وغيرهما، وإنما نصَّ على اللحم؛ لأَنَّه أهمُّ المقصود منه(٢).

وقولُه: (**أي: ذُبح على اسم غيره**): يُبيِّنُ أنَّ المراد بـ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: ما ذُكِرَ عليه اسمُ غير الله عند الذبح، أو قُصد به التقربُ لغير الله.

وقولُه: (**ألجأته الضرورة...**) إلى آخره: كشدَّةِ الجوعِ ـ وهو المخمصة كما في سورة المائدة ـ أو التهديدِ بالقتلِ من ظالمٍ إن لم يأكل.

= وقد تابعه: عبد الله بن جعفر، والد علي بن المديني: عند الحاكم (٧١٥٠)، وعبد الله بن جعفر ضعيف!

وقد اختلف فيه على زيد بن أسلم اختلافًا كثيرًا، وروي عنه موصولًا ومرسلًا. **ينظر**: «علل ابن أبي حاتم» (٤/ ٣٥٣-٣٥٤)، و«علل الدارقطني» (٦/ ٢٩٧)، و«نصب الراية» (٤/ ٣١٧)، و«التلخيص الحبير» (١/ ٥٧ رقم ١٨)، و«البدر المنير» (١/ ٤٦٠).

(١) أخرجه أحمد (٥٧٢٣) وابن ماجه (٣٢١٨)، والدارقطني (٤٧٣٢)، والبيهقي (١٩٠٢٨، ١٩٧٢٩)، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا.

وأخرجه البيهقي (١١٩٦) من طريق سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر موقوفًا.

قال الدارقطني: «والموقوف عن ابن عمر أصح»، وكذا صحح الموقوف: أبو زرعة، وأبو حاتم.

قال ابن حجر: «الرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم وغيره، هي في حكم المرفوع؛ لأن قول الصحابي: أحل لنا، وحرم علينا كذا، مثل قوله: أمرنا بكذا، ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية؛ لأنها في معنى المرفوع، والله أعلم».

ينظر: «علل الدارقطني» (٣٠٣٨)، و«التلخيص الحبير» (١/ ٥١ رقم ١٥)، و«الصحيحة» (١١١٨).

(٢) **ينظر**: «تفسير الرازي» (٥/ ١٩٢)، و«تفسير البيضاوي» (١/ ١١٩)، و«البحر المحيط» (٢/ ١١٣).

وقولُه: (**خارج على المسلمين...**) إلى آخره: هذا التفسيرُ مشهورٌ عن مجاهد(١)، وليس بظاهر، فإنَّ الباغي والعادي ذُكِرَ في سورتين من السور المكية قبل البقرة والمائدة، ولم يكن هناك باغٍ ولا عادٍ من المسلمين، ولا إمام يُخرج عليه.

وقولُه: (**وخرج الباغي والعادي...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ قولَه تعالى: ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لا يشملُ الباغي والعادي، ولا ما قِيس عليهما من أصحاب الذنوب؛ كالآبق: وهو المملوكُ الهاربُ من سيِّده، والمكَّاس: هو الذي يظلمُ الناسَ في أموالهم بفرض ضرائبَ تُؤخَذ من أصحاب الأموال.

وقولُ المؤلِّف: (**وعليه الشافعي**): يُبيِّنُ أنَّ الشافعيَّ لا يرى للمضطر العاصي في سفره الرخصةَ في الأكل، ولو أدَّى ذلك إلى موته(٢).



(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٩)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٨٣، رقم ١٥٢٢، ١٠٢٣).
(٢) **ينظر**: «الأم» (٢/ ٢٧٧)، و«المجموع» (٤/ ٣٤٥)، و(٩/ ٥٠).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٤-١٧٦]:

هذا وعيدٌ من الله للذي يكتمون ما أَنزل اللهُ من الكتاب، ويستبدلون بالكتاب ثمنًا قليلًا؛ أي: يأخذون عِوضًا عن بيان الكتاب الذي أنزله الله والعمل به من مالٍ أو رئاسةٍ أو جاهٍ، وكلُّ ذلك من مَتاع الدنيا، وهو قليلٌ؛ لأنه زائلٌ ولو كان كثيرًا.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾: هذه الجملةُ وما عُطف عليها خبرُ ﴿إِنَّ﴾؛ فتضمَّنَ هذا الوعيدُ أربعةَ أمور:

الأول: أنَّ ما يأكلونه بسبب المال والرئاسة والجاه هو نارٌ في بطونهم؛ لأنَّه سيكون نارًا يصلونها يوم القيامة.

الثاني: أنَّ الله لا يُكلِّمهم يومَ القيامة كلامًا يسرُّهم، لكنه يُكلِّمهم كلامَ توبيخ، كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢﴾ [القصص: ٦٢، ٧٤]، وقوله لأهل النار: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨][1].

الثالث: أنَّه تعالى لا يُزكِّيهم؛ أي: لا يُثني عليهم، بل يذمُّهم ويُخزيهم.

الرابع: أنَّ لهم عذابًا أليمًا، وهو عذابُ النار ـ نعوذ بالله منها ـ.

---

(١) واختاره الطبري وغيره، وعزاه الثعلبي لأهل التفسير دون أهل المعاني، وقال شيخنا في «التعليقات على المسائل العقدية في كتاب التسهيل» (ص٣٩): «فسَّر نفيَ الكلامِ بأحد وجهَيْن:
- بالغضَبِ اللازمِ مِن تركِ الكلامِ؛ وهو مِن التفسيرِ باللازم.
- أو بتركِ كلامٍ مخصوصٍ، وهو ما يُحِبُّونَهُ ويَسُرُّهم.
=

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾: أي: استبدلوا الضلالة، وهو كتمانُ العلم وإيثارُ الدنيا على الآخرة؛ استبدلوا هذا بالهدى؛ وهو: بيانُ الكتاب، وتبليغُه للناس، وإيثارُ ما عند الله من الثواب للمؤمنين والعاملين بالكتاب، والآية نزلت في أهل الكتاب، والمراد بهم: اليهود(١)، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ...﴾ الآية [البقرة: ١٥٩-١٦٠](٢).

وقوله: ﴿وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾: يعني: اشتروا العذابَ بالمغفرة؛ لأنهم اشتروا الضلالة ـ وهي سبب العذاب ـ بالهدى، وهو: سبب المغفرة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾: تعجُّبٌ من صبرهم على عذاب الله، وهو الذي لا يُعذِّبَ مثل عذابه أحدٌ، ولا يدل هذا على أنهم يصبرون، لكن إيثارهم العذاب يُشعِر بأنَّ لهم صبرًا عليه مع أنهم صبروا أو لم يصبروا سواء عليهم(٣).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: اسمُ الإشارة راجعٌ لِمَا تقدَّم من الذم والوعيد للكاتمين ما أنزل اللهُ المحرِّفين لكلام الله، يقول تعالى: ذلك بسبب أنَّ اللهَ نزَّل الكتابَ بالحقِّ؛ فكتموه وحرَّفوه ولم يتَّبعوه، والكتاب هو: القرآنُ أو التوراة أو كلَّ كتاب أنزله الله، والحق الذي في الكتاب: ما فيه من

= والثاني هو المناسِبُ؛ لظاهِرِ اللفظ، والله أعلم». **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٧)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣١٩)، و«التفسير الوسيط» للواحدي (١/ ٢٦٠)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٢٢).

(١) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٤٨-٤٩)، و«العجاب» (١/ ٤١٩).

(٢) **ينظر**: (ص ٣٣٠).

(٣) والقول بأن (ما) للتعجب هو قول مجاهد والحسن وقتادة، وهو اختيار الطبري وجمهور المفسرين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٠)، و«الكشاف» (١/ ٣٦٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤١٧)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٢٤).

الأخبار والشرائع، ومنها الخبرُ بصفة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأمر بالإيمان به واتباعه، فكتَمَه هؤلاء وآمنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ مع أنه كله حق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾؛ أي: مشاقة لله ورسوله، وهي العداوةُ والمحاربة، وفي هذه الآيات عودٌ إلى ذكر مساوئ أهل الكتاب الذين لا يُحرِّمون ما حرَّمَ اللهُ ورسولُه، ومن ذلك الخنزير، وبهذا تظهرُ مناسبةُ هذه الآيات للآيتين قبلها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّه مِنْ الْكِتَابِ﴾ المشتملِ على نعتِ محمَّدٍ، وهم اليهود ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا يأخذونه بدله من سَفَلتهم فلا يُظهرونه خوفَ فوتِه عليهم ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونهمْ إلَّا النَّار﴾ لأنها مآله ﴿وَلَا يُكَلِّمهُمْ اللَّه يَوْم الْقِيَامَة﴾ غضبًا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يُطهرهم من دَنَس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلمٌ، هو النار. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَة بِالْهُدَى﴾ أخذوها بدله في الدنيا ﴿وَالْعَذَاب بِالْمَغْفِرَةِ﴾ المُعدّةِ لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَا أَصْبَرهمْ عَلَى النَّار﴾ أي: ما أشدَّ صبرَهم، وهو تعجيبٌ للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة، وإلَّا فأيُّ صبرٍ لهم؟ ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذُكِر من أكلهم النار وما بعده ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أنَّ ﴿اللَّه نَزَّلَ الْكِتَاب بِالْحَقِّ﴾ مُتعلق بـ «نزل» فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمِه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَاب﴾ بذلك، وهم اليهود، وقيل: المشركون، في القرآن حيث قال بعضُهم: شِعرٌ، وبعضُهم: سِحرٌ، وبعضُهم: كهانةٌ ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خِلافٍ ﴿بَعِيد﴾ عن الحقِّ.

وقولُ المؤلفِ: (وهم اليهود): يُشيرُ إلى أنَّ الآية نزلت في اليهود، ولكنْ العبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فما في الآية من ذمٍّ ووعيدٍ يَعمُّ كلَّ مَن كتم شيئًا مما أنزله الله من أهل الكتاب أو من هذه الأمة.

وقولُه: (**وهم اليهود**...) إلى آخره: الصوابُ أنَّ الآيةَ عامَّةٌ في اليهود والنصارى والمشركين، يشهدُ لذلك قولُه تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ...﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ١١٣]، وكلُّ هؤلاء المختلفين مُبطلون، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

وقولُه: (**خلافٍ**): فسَّرَ الشِّقاقَ بالخلاف، وهذا ضعيفٌ، فليس كلُّ خِلافٍ شِقاق؛ فإنَّ الشِّقاقَ: خِلافٌ مُتضمِّنٌ للعداوةِ والمنابذةِ والتباعدِ بين المختلفين[1].



(١) **ينظر**: «الوجوه والنظائر» للعسكري (ص٢٦٧).

وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]:

هذه الآيةُ متصلةٌ في المعنى بالآيات المتقدمة في شأن القبلة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقوله ردًّا على الطاعنين في تحويل القبلة من اليهود وغيرهم: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: ١٤٢]، وبهذا تظهرُ مناسبةُ هذه الآية للآيات التي قبلها من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٤]، وقد سَبَقَ أنها نزلت في اليهود وأشباههم، وقد رجَّح ابنُ جرير ما رواه عن قتادة؛ أنَّ هذه الآيةَ نزلت في اليهود والنصارى؛ لأنَّ النصارى يستقبلون المشرق، واليهود يستقبلون المغرب[1]، وكلٌّ يرى أنَّ البرَّ في قبلته، فأكذبهم اللهُ بقوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾، وقد أَيَّدَ ابنُ جرير اختياره ذلك بأنَّ سِياقَ هذه الآية متصلٌ بالآيات قبلها النازلة في أهل الكتاب.

وقد بيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية حقيقةَ البر، وهو كلُّ ما يُحبُّه الله من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة، ونفى سبحانه أن يكون من البرِّ مجرَّد تولية الوجه جِهةَ المشرق أو المغرب، وإنما يكون ذلك من البر إذا أَمرَ اللهُ به؛ فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾، والبر: خبر «ليس» مقدم منصوب، واسمها: المصدر المؤول من أن، والفعل ﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾، التقدير: ليس البر توليتكم وجوهكم، ولبيانِ حقيقةِ البر قال سبحانه:

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٥-٧٦)، وأثر قتادة أخرجه أيضًا عبد الرزاق في تفسيره (رقم ١٦٠).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ...﴾ إلى آخر الآية، فتضمَّنت الآيةُ أنَّ من البر الإيمانُ بالأصول الخمسة؛ وهي: الإيمانُ بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ـأي: الكتبـ والنبيين، وهذه أُصولُ الاعتقاد.

ثم ذكر ما يَدخل في البرِّ من العبادات المالية والبدنية من فرضٍ وتطوع؛ فقال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ومن البرِّ الوفاءُ بالعهود والصبرُ على المصائب وفي الجهاد، وهذا ما تضمَّنه قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾، ثم خُتمت الآيةُ بنَعْتِ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم في الصدق والتقوى؛ فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ﴾: على حذف مُضافٍ تقديرُه: ولكنَّ البرَّ إيمانُ وعملُ مَن آمنَ بالله... إلى آخره[١]، ومع ما تقدَّمَ فقد تضمَّنت الآيةُ بيانَ مواضع الإنفاقِ المستحبِّ في قوله تعالى: ﴿ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾، مع النصِّ على أَوجب الواجبات العملية؛ وهي: الصلاة، والمالية؛ وهي: الزكاة، وذو القربى: هم القرابة من جهة الأبوين، فيدخل فيهم الأخوةُ والأخواتُ وأولادُهم، والأعمامُ والعمَّاتُ وأولادهم، والأخوالُ والخالاتُ وأولادهم، والأجدادُ والجدَّاتُ، ويدخل في ذوي القُربى الذريةُ من بنينَ وبنات. وأمَّا اليتامى: فواحدُهم يتيم؛ وهو مَن مات أبوه قبل أن يَبلُغَ، والغالبُ أن يكون فقيرًا. والمساكينُ: جمعُ مسكين، وهو مَن لا يملكُ كِفايتَه من مَطعمٍ ومَشربٍ ومَلبسٍ ومَسكنٍ.

وابنُ السبيل: هو المنقطعُ به في سفره.

---

(١) وهو اختيار الفراء والزجاج وقطرب، وتخريجُ سيبويه واختياره. **ينظر**: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٦٢)، (١/ ١٠٤)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٧٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٦-٢٤٧)، و«الكشاف» (١/ ٣٦٢)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٢٠)، و«الدر المصون» (٢/ ٢٤٥).

وقوله: ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: جمعُ سائلٍ؛ وهو الذي يسألُ الناسَ لأنه لا يجد كِفايته. ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾: أي: الإنفاقُ في الرقاب بالعِتقِ وفكِّ الأسير المسلم.

وقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: عُطفا على ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾، وكأنهما شرطٌ في قَبول إيتاء المال على حبه، والصلاةُ هي: الصلواتُ الخمسُ المكتوبة على العباد في كلِّ يومٍ وليلةٍ، وإقامتُها: أداؤها بشروطها وواجباتِها وأركانها وأوقاتها. والزكاةُ هي: زكاةُ المالِ المفروضة التي هي قرينةُ الصلاة في الكتاب والسنَّة.

وقوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾: عطفٌ على محل ﴿مَنْ﴾ وهو الرفع الواقعة خبر «لكنَّ»، وهو ثناءٌ من الله على مَن آمن بالله واليوم الآخر بأنهم يوفون بالعهود التي بينهم وبين الله؛ كالنذر، أو بينهم وبين العباد؛ ومنها عقود المعاملات. وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: نُصِب على الاختصاص.

﴿فِي ٱلْبَأْسَآءِ﴾: يعني الفقر. ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرضُ. والبأس: القتالُ[١].

ثم أثنى عليهم بكمال الصدق والتقوى؛ فقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾، وعُلِم من ذلك أنَّ جميعَ خِصال البرِّ داخلةٌ في اسم التقوى، وهي عنوانُ الصدق في الإيمان؛ فعُلم مما تقدَّم أنَّ اسمَ البر شاملٌ لجميع مسائلِ الدِّين الاعتقاديةِ والعمليةِ المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده[٢]، وعُلِمَ أيضًا أنَّ هذه الآيةَ أَجمعُ آيةٍ لأصول الدِّين وفروعِه إجمالًا في المنهيَّات وتفصيلًا في المأمورات.

---

(١) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٧٠).

(٢) ينظر: «الإيمان الكبير» لشيخ الإسلام (ص١٣٣-١٤٣)، و«الجواب الصحيح» (٣/ ١١٧-١١٨).

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ نزل ردًّا على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: ذا البر، وقُرِئَ البار ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ أي الكتب ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى﴾ مع ﴿حُبِّهِ﴾ له ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الطالبين ﴿وَفِي﴾ فكِّ ﴿الرِّقَابِ﴾ المكاتبين والأسرى ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة وما قبله في التطوع ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ اللهَ أو الناسَ ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نصب على المدح ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ شدَّة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ وقت شدَّة القتال في سبيل الله ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم أو ادعاء البر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الله.

وقولُ المؤلِّف: (**وقُرئ البار**): هذه قراءةٌ غيرُ معروفة[١].

وقولُه: (**أي: الكتب**): يُبيِّنُ أنَّ الكتاب اسمُ جنسٍ، فيشمل كلَّ كُتب الله.

وقولُه: (**مع حبه**): أي: يُنفقون المال، وهم: يحبونه، وبهذا ينال البر؛ كما قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

---

(١) لم نجد هذه القراءة لا في المتواتر ولا في الشواذ، وأول من ذكرها ـفيما نحسبـ الزمخشري؛ فقال: «وقرئ: ولكن البارّ»، «الكشاف» (١/ ٣٦٣)، ثم تتابع المفسرون؛ فأوردها البيضاوي (١/ ١٢١)، والنسفي (١/ ١٥٣)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/ ٢٤٧). ومما يؤيد أن هذه القراءة غير موجودة ما قاله المبرد: «لو كنت ممن أقرأ القرآن لقرأت: ولكن البر من آمن بالله، بفتح الباء»، نقله عنه الثعلبي في تفسيره (٤/ ٣٣٠)، والزمخشري (١/ ٣٦٣)، والرازي (٥/ ٢١٤)، فلو كانت تلك القراءة موجودة لما قال المبرد هذا الكلام، والله أعلم.

وقولُه: (**له**): الضميرُ يعودُ إلى المال لأنه المحبوب، والضمير في قوله: ﴿حُبِّهِ﴾ يعود إلى المؤتي للمال؛ أي: المنفق، وعليه فالمصدرُ مضافٌ إلى فاعله، وهو المحب.

وقولُه: (**الطالبين**): أي: الطالبين للعطاء.

وقولُه: (**فك**): أي: يُنفقون المالَ في فك الرقاب؛ أي: العتق.

وقولُه: (**المكاتبين والأسرى**): يُبيِّنُ أنه يدخل في فكِّ الرقابِ مُكاتبةُ المملوك وتخليصُ الأسير المسلم عند الكفار.

وقولُه: (**الله أو الناس**): يُبيِّنُ أنَّ العهد الذي يوفي به المؤمنون بالله واليوم الآخر شاملٌ للعهد الذي بينهم وبين الله، أو بينهم وبين الناس.

وقولُه: (**نُصِب على المدح**): إذا قُطِعَ الوصفُ عمَّا قبله فإنه يُنصَب؛ فيقال: منصوبٌ على المدح، أو منصوبٌ على الاختصاص؛ أي: إنه منصوبٌ بفعل محذوف: أمدح، أو أخص.

وقولُه: (**في إيمانهم**...) إلى آخره: الصوابُ: أنهم صدقوا في إيمانهم وفي أعمالهم، وهذا يتضمَّنُ كمالَ إخلاصهم واجتهادهم.



وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٨-١٧٩]:

هذا خطابٌ من الله لعباده المؤمنين؛ لإعلامهم بحُكمٍ كتبه اللهُ عليهم وهو القصاص في القتلى، ومعنى الآية عند جمهور العلماء من المفسرين وغيرهم: هو وجوبُ القصاص على القاتل عمدًا عدوانًا(١)، وأنَّ ذلك حقٌّ لأولياء المقتول، فمَن شاء أَخذ به ومَن شاء عفا عن القصاص إلى الدِّية أو مجانًا؛ فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: خطابٌ لكلِّ مَن وجبَ عليه القصاصُ، ولولاة الأمر في تنفيذه.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾: أي كتب اللهُ عليكم؛ أي: أوجب، و﴿ٱلۡقِصَاصُ﴾ في اللغة: مأخوذٌ من قَصِّ الأَثرِ، وهو تتبُّعه(٢)، وفي الشرع: قتلُ القاتل، وأَن يُفعَل به نظير ما فعله بالمقتول.

وقوله: ﴿فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾: جمعُ قتيلٍ، والمعنى: في شأن القتلى، وهذا الحكمُ مجمَلٌ فصَّله بقوله: ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ﴾، ومعنى الآية: أَنَّ الحرَّ القاتل يُقتَلُ بالحر، ومفهومه: أنه لا يُقتَل بالعبد، وأَنَّ العبدَ القاتلَ يُقتَلُ بالعبد، ومن باب أولى أَن يُقتَلَ بالحرِّ، وأَنَّ المرأة القاتلة تُقتَلُ بالمرأة، ومن

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٩٤) (٣/ ٩٥)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٩٣)، و«أسباب النزول» (ص٤٩)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٤٢٣).
(٢) ينظر: «لسان العرب» (٧/ ٧٦).

باب أولى أَن تُقتَلَ بالرجل، وقد دلَّت السنَّةُ على أَنَّ الرجلَ يُقتَل بالمرأة[١]، كما دلَّت السنَّةُ على أَنَّ المسلمَ لا يُقتَلُ بالكافر[٢].

ثم بيَّنَ سبحانه حُكمَ ما إذا عُفي للقاتل شيءٌ من دم أخيه المقتول، بأَنْ عفا أولياءُ الدم أو بعضُهم عن القصاص إلى الدِّية، ووجبت الدِّيةُ في مال القاتل؛ فعلى العافي اتباعُ القاتل في طلب الدِّية بالمعروف؛ أي: بلا تعنُّتٍ ولا إشقاقٍ، وعلى القاتل أَداءُ الدِّيةِ إلى العافي بإحسانٍ؛ بلا مَطلٍ ولا بَخسٍ من الواجب عليه.

و«من» في قوله: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ﴾: اسمُ شرطٍ أو اسمُ موصول مُضمَّنٌ معنى الشرط، وهو عبارةٌ عن القاتل.

وقوله: ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: جوابُ الشرط، وهو مبتدأ، وخبرُه محذوفٌ تقديره: (فعليه)؛ أي: العافي وهو ولي الدم.

و﴿عُفِيَ﴾: فعلٌ مَبنيٌّ للمفعول، ونائبُ الفاعل ﴿شَيۡءٌ﴾، والضميرُ في قوله: ﴿لَهُۥ﴾، وفي قوله: ﴿أَخِيهِ﴾ يعود إلى «مَن»، وهو القاتل، والجار والمجرور في قوله: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: صفةٌ لاتِّباع. وجملة: ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾: معطوفةٌ على: ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾.

﴿وَأَدَآءٌ﴾: مبتدأ، وخبره محذوفٌ تقديره: وعلى القاتل أداءُ ما وجب عليه بإحسان. والضمير في قوله: ﴿إِلَيۡهِ﴾: عائدٌ إلى ولي الدم؛ وبعد: فتقديرُ الكلام في معنى الجملة: القاتلُ الذي عفا له وليُّ الدم شيئًا من دم أخيه المقتول،

---

(١) لما أخرجه البخاري (٦٨٨٥)، ومسلم (١٦٧٢) عن أنس بن مالك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قتل يهوديًا بجارية قتلها على أوضاح لها»، ولما رواه النسائي (٤٨٥٣) والبيهقي (١٦/ ١٧٤، رقم ١٦٠٠٤) وغيرهما: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب في كتاب عمرو بن حزم: «أن الرجل يقتل بالمرأة».

(٢) لما أخرجه البخاري (٦٩١٥) من حديث علي: «وأن لا يقتل مسلم بكافر».

ووجبت عليه الدِّيةُ؛ فعلى العافي إذن طلبُ الدِّية بالمعروف، وعلى القاتل أداؤها إلى الولي بإحسان.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾: اسمُ الإشارة راجعٌ إلى حكم التخيير بين القصاص والعفو إلى الدية، فإنه تخفيفٌ من الله في هذه الشريعة بعد أن كان القصاص حتمًا في شريعة التوراة(١)، وهذا من رحمة اللهِ التي قامت عليها رسالةُ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وفي ذكر هذا التخفيف والرحمة امتنانٌ من الله على هذه الأُمَّةِ بهذه النعمة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾: تهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ لمَن اعتدى بعد العفو وأَخذَ الدِّيَة، و«مَن»: اسمُ شرطٍ أو اسمُ موصولٍ مُتضمِّنٌ لمعنى الشرط.

وقوله: ﴿فَلَهُۥ﴾: جوابُ الشرط، وهو وعيدٌ شديدٌ للمعتدي بعد العفو وأَخْذِ الدِّية، والمراد بالعذاب؛ قيل: تحتمُ القتل على المعتدي، وقيل: المرادُ به عذابُ الآخرة، وهو أظهرُ(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾: خبرٌ من الله عن حكمة فرضِ القصاص، وهو أنَّ للناس في القصاص حياة بسبب سلامتِهم من فُشُوِّ القتل فيهم؛ لأنَّ في القصاص رادعًا يمنع من الإقدام

---

(١) أخرج البخاري (٤٤٩٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: «كان في بني إسرائيل القصاص، ولم تكن فيهم الدية». فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ، وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى، فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾.

(٢) القول الأول الذي ذكره شيخنا روي عن قتادة، والقول الثاني هو المشهور، وهو قول مالك ونسبه ابن عاشور لجمهور المفسرين، واختاره الزمخشري والرازي، واستظهره أبو حيان. **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٣٧٢)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٢٧)، و«تفسير الرازي» (٥/ ٢٢٨)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٥٣)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ١٤٤).

على القتل، وخصَّ الخطاب بأولي الألباب ـوهي العقول الزكيةـ؛ لأنهم يُدركون ما في الشرائع من الحكم التي يعود نفعُها إلى الناس.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾: أي: لتتقوا اللهَ بفعل ما فرض عليكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ المماثلةُ ﴿فِي الْقَتْلَى﴾ وصفًا وفعلًا ﴿الْحُرُّ﴾ يُقتَلُ ﴿بِالْحُرِّ﴾ ولا يُقتَلُ بالعبد ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأنْثَى بِالأنْثَى﴾ وبيَّنت السنَّةُ أَنَّ الذَّكرَ يُقتَلُ بها، وأنه تُعتبَرُ المماثلةُ في الدِّين؛ فلا يُقتَلُ مسلمٌ ولو عبدًا بكافرٍ ولو حرًّا ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ بأَنْ ترك القصاص منه، وتنكيرُ «شيء» يُفيدُ سقوطَ القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة، وفي ذكر «أخيه» تعطُّفٌ داعٍ إلى العفو وإيذانٌ بأنَّ القتلَ لا يقطع أُخوَّةَ الإيمان. ومَن: مبتدأ، شرطية أو موصولة، والخبر: ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾ أي: فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بأَنْ يُطالبه بالدِّية بلا عُنفٍ. وترتيب «الاتّباع» على «العفو» يُفيدُ أَنَّ الواجبَ أحدُهما، وهو أحدُ قولي الشافعي، والثاني: الواجبُ القصاص والدِّيةُ بدلٌ عنه، فلو عفا ولم يُسمِّها فلا شيء، ورُجِّح ﴿وَ﴾ على القاتل ﴿أَدَاءٌ﴾ للدِّية ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: العافي؛ وهو الوارث ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بلا مطلٍ ولا بخسٍ ﴿ذَلِكَ﴾ الحكمُ المذكورُ من جواز القصاص والعفو عنه على الدِّية ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تسهيلٌ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم، حيث وسَّعَ في ذلك ولم يُحتِّمْ واحدًا منهما كما حتَّمَ على اليهود القصاص وعلى النصارى الدِّية ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ ظلمَ القاتل بأَنْ قتله ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: العفو ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلمٌ في الآخرة بالنار، أو في الدنيا بالقتل ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي بقاءٌ عظيمٌ ﴿يَا أُولِي

﴿الْأَلْبَابِ﴾ ذوي العقول؛ لأَنَّ القاتلَ إذا عَلِمَ أنه يُقتَلُ ارتدعَ؛ فأحيا نفسَه ومَن أراد قَتْلَه، فشَرَعَ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتلَ مخافةَ القَوَدِ.

وقولُ المؤلِّف: (**المماثلة**): يُريد المماثلةَ في صفة قتلِ القاتل؛ بأنْ تكون مثل ما فعلَه القاتلُ بالمقتول.

وقولُه: (**وصفًا وفعلًا**): يريد أَنَّ القصاص ـوهو المماثلةـ يُراعَى في الوصف؛ كالحرية والعبودية والذكورية والأنوثة، وفي الفعل؛ وهي صفة القتل، ونوع الآلة.

وقولُه: (**يُقتَلُ**): تقديرٌ لمتعلقٍ بالحرِّ، ومثله العبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى.

وقولُه: (**ولا يُقتَلُ بالعبد**): يُشير إلى مفهوم القيد بقوله: ﴿بِالْحُرِّ﴾.

وقولُه: (**من القاتلين**): بيانٌ للمراد بـ﴿مَنْ﴾.

وقولُه: (**دمِ**): يُبيِّنُ أَنَّ ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ على تقدير مضاف؛ أي: شيءٌ من دم أخيه.

وقولُه: (**المقتول**): يُبيِّنُ أَنَّ المراد بالأخ المضافِ إلى الضمير هو المقتولُ، والضميرُ يعود للقاتل، فأثبت أُخوَّةَ الدِّين بين القاتل والمقتول.

وقولُه: (**بأن ترك القصاص منه**): أَي بالعفو.

وقولُه: (**يفيد...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ القصاصَ يسقطُ ولو بالعفو عن شيءٍ من دم المقتول؛ كعفوِ بعضِ الورثة.

وقولُه: (**وفي ذكر أخيه...**) إلى آخره: يُشير إلى أَنَّ إثباتَ الأخوة بين القاتل والمقتول باعثٌ للأولياء إلى العفو ودالٌّ على بقاء أُخُوَّةِ الإيمان.

وقولُه: (**فعلى العافي...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ ﴿اتِّبَاعٌ﴾ مبتدأٌ، وخبرُه محذوفٌ؛ فالمعنى: الواجبُ على العافي أَن يُطالِبَ القاتلَ بالدِّية برفقٍ وتسامحٍ.

وقولُه: (**وترتيب الاتّباع على العفو...**) إلى آخره: تضمَّنَ كلامُه أمورًا:

أحدها: أَنَّ ترتيبَ الاتِّباع ـ وهو مُطالبة القاتلِ بالدِّية على العفو ـ يُفيدُ أَنَّ الواجبَ القصاص أو الدية، وأَنَّ وليَّ الدمِ مُخيَّرٌ بين القصاص أو العفو إلى الدية.

الثاني: أَنَّ للإمام الشافعي في هذا المقام قولين، هذا أحدهما، والقول الثاني: أَنَّ الواجبَ هو القصاصُ، والدِّيةُ بدلٌ عنه، وهو الراجحُ في مذهب الشافعي[١].

الأَمرُ الثالثُ: بيَّنَ المؤلفُ ما يترتَّبُ على القول الثاني؛ وهو أَنَّ الوليَّ إذا عفا ولم يذكر الدِّيةَ سقطَ القصاص، ولم تجب له الدِّيةُ، والراجح في الدليلُ هو القولُ الأوَّلُ؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَن قُتِلَ له قتيلٌ فهو بخير النظرين: إمَّا أَن يفدى، وإمَّا أن يقتل))[٢].

وقولُه: (**على القاتل**): يُبيِّنُ أَنَّ أداءَ مبتدأٌ وخبرُه محذوفٌ؛ أي: وعلى القاتل أداءُ الدِّية بإحسانٍ، والضميرُ في قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ يعود إلى الولي الذي عفا.

وقولُه: (**للدية**): يُبيِّنُ أَنَّ المرادَ بالأداء أداءُ القاتل للدية لولي الدم العافي.

وقولُه: (**بلا مطلٍ ولا بخسٍ**): يُبيِّنُ بذلك المرادَ بالإحسان في أداء الدية.

وقولُه: (**الحكم المذكور...**) إلى آخره: هو الحكمُ المذكورُ في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ...﴾، إلى قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، فأفادت الآيةُ التخييرَ بين القصاص والعفو إلى الدية.

وقولُه: (**حيث وسَّع في ذلك...**) إلى آخره: بيَّنَ بذلك وجهَ التخفيف في هذه الشريعة.

وقولُه: (**ظلم القاتل بأن قتله**): بيَّنَ أَنَّ المرادَ بالاعتداء في الآية؛ هو أَنْ يقتلَ وليُّ الدمِ القاتلَ بعد عفوه عنه، فإنه بعد العفو صار معصومًا.

---

(١) **ينظر**: «نهاية المطلب» (١٦/ ١٣٧)، و«تكملة المطيعي على المجموع» (١٨/ ٤٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٨٠)، ومسلم (١٣٥٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقولُه: (**مؤلمٌ في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل**): جعل المرادَ بالعذاب شاملًا لعذاب الآخرة وللعذاب في الدنيا بالقتل، والأظهرُ أَنَّ المرادَ به عذابُ الآخرة.

وقولُه: (**بقاءٌ عظيمٌ**): البقاءُ بسبب الانكفاف عن العدوان بقتل النفوس بسبب القصاص. وقال المؤلِّف: (**عظيم**)؛ لتنكير حياة، ومن دلالات التنكيرِ التعظيمُ.

وقولُه: (**لأَنَّ القاتلَ...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ في شريعة القصاص حياة لمن يُريدُ القتلَ ومَن يُرادَ قتلُه.

وقولُه: (**القتل**): هذا تقديرٌ لمفعول ﴿تَتَّقُونَ﴾، ومعناه: الكف عن القتل مخافةَ القتل، والأولى أَنَّ معنى ﴿تَتَّقُونَ﴾: أي تتقون الله[1]، ومَن اتقى اللهَ كفَّ عن حُرماته.



(١) واختاره: الزمخشري والرازي وابن كثير وابن عاشور. **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٣٧٦)، و«تفسير الرازي» (٥/ ٢٣٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٤٩٢)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ١٤٥).

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ [البقرة: ١٨٠-١٨٢].

هذا خبرٌ من الله بأنه كتب؛ أي: فرض على مَن حضرَه الموتُ؛ كالذي وجبَ عليه القصاصُ، وبهذا تظهرُ مناسبةُ الآيةِ لِمَا قبلها.

وقوله: ﴿كُتِبَ﴾: على تقدير واو العطف؛ أي: وكُتب.

﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾: أي: مالًا، أن يوصي لوالديه وأَقربائه بالمعروف؛ أي: بالقَدْر المعروف الذي لا إفراطَ فيه ولا تفريط.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾: أي: واجبًا على المتقين الذين يرجون لقاءَ الله ويخافونه، فحقًا: مصدرٌ مؤكَّدٌ لمضمون الجملة السابقة؛ فالمعنى: أَحقَّ اللهُ ذلك الحكم حقًا.

وقد دلَّت الآيةُ على وجوب الوصية للوالدين والأقربين، وذهب جمهورُ العلماء إلى أنها منسوخة بآية المواريث مع قوله ﷺ: ((إنَّ اللَّهَ قد أَعطى كلَّ ذي حقٍّ حَقَّه، فلا وصيَّةَ لوارثٍ))[١]، وذهب جماعةٌ من أهل العلم إلى أَنَّ الآيةَ محكمةٌ؛ أي: ليست منسوخةً، قالوا: إنَّ آيات المواريث والحديث مخصِّصةٌ لهذه الآية؛ فتجبُ الوصيةُ للوالدين والأقربين غير الوارثين، ومن

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، وابن ماجه (٢٧١٣) من طريق إسماعيل بن عياش، عن شرحبيل بن مسلم، قال: سمعت أبا أمامة: فذكره. قال الترمذي: «هذا حديث حسن». ورجاله ثقات؛ على لينٍ في شرحبيل ـ وهو الخولاني الشامي ـ، فهو صدوق فيه لين كما في «التقريب» (٢٧٧١)، وله شواهد تربو على العشرة. **ينظر**: «التلخيص الحبير» (٤/ ٢٠٦٥ رقم ١٧٧٠)، و«الإرواء» (رقم ١٦٥٥).

وقوله: ((لا وصية لوارث))، متواتر كما جنح إليه الشافعي وغيره. **ينظر**: «الأم» للشافعي (٤/ ١١٤)، والرسالة (ص١٣٩)، ونظم المتناثر (١٨٩).

المقرر في الأصول: أنه إذا أَمكن الجمعُ فلا يُصار إلى النسخ، وهذا أقرب، والله أعلم(١).

وقوله: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾: أي: بدَّل كلامَ الموصي بالزيادة أو النقص أو التحريف، ﴿بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ من الموصي؛ فإثم ذلك التبديل على المُبدِّل.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٨١﴾: إخبارٌ من الله بإحاطة سمعِه بأقوال العباد، وإحاطةِ علمِه بأحوالهم ونياتهم، وفي ذلك تهديدٌ لمن يُبدِّلُ كلامَ الموصي، ومَن يُضارُّ في وصيته ويتعدَّى؛ بإعلامه أنَّ اللهَ سامعٌ لأقواله وعالمٌ بحاله فيجبُ الحذرُ من نقمته.

وقوله: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا...﴾ الآية: هذا خبرٌ من الله بأنَّ مَن حضر عند الموصي، وخاف أَن يميلَ في وصيته عن الحق؛ كأن يوصي لوارثٍ، أو يوصي بأكثر من الثلث، أو خاف أن يرتكب الموصي إثمًا؛ أي: معصية؛ كأَنْ يوصي لمَن يستعين بالوصية على معصية، فمَن عَلم من الموصي شيئًا من ذلك فصرفه عنه وأَصلح بينه وبين ورثته؛ فلا إثم عليه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾: وعدٌ من الله بالمغفرة لمن تاب أو كانت معصيتُه خطأً، كما يدلُّ اسمُه الرَّحيم على أَنَّ هذه الأَحكام من آثار رحمته بعباده.

﴿كُتِبَ﴾ فُرض ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أَسبابُه ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالًا ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مرفوعٌ بكُتب، ومُتعلقُ «إذا» إن كانت ظرفية، ودالٌّ على جوابها إن كانت شرطيةً، وجواب «إن» محذوفٌ؛ أي: فليوصِ

(١) قال الضحاك وطاوس والحسن: هي محكمة غير منسوخة، واختار هذا القول الطبري، ينظر ذكر الخلاف في: «نواسخ القرآن» لابن الجوزي (ص٥١-٥٧)، و«تفسير الطبري» (٣/ ١٢٤) وما بعدها، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٩٩-٣٠٠)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٣١-٤٣٢)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٢٦٢-٢٦٣).

﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل؛ بألَّا يزيد على الثلث، ولا يُفضِّلَ الغنيَّ ﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمون الجملة قبله ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اللهَ، وهذا منسوخٌ بآية الميراث وبحديث: ((لا وصيَّةَ لوارثٍ)) رواه الترمذي ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أي: الإيصاءَ، مِن شاهدٍ ووصيٍّ ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ عَلِمَه ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ أي: الإيصاءُ المبدَّلُ ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ فيه إقامةُ الظاهر مُقامَ المضمَر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعل الوصي، فمُجازٍ عليه ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ﴾ مخففًا ومثقلًا ﴿جَنَفًا﴾ ميلًا عن الحقِّ خطأً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأنْ تعمَّدَ ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلًا ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الموصي والموصَى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (أي: أسبابه): يُبيِّنُ أنَّ المرادَ بحضور الموت: حضورُ أسبابِه؛ لأنه لا يُعرَفُ إلا بوجود أسبابه وأماراته.

وقولُه: (مالًا): فسَّرَ الخيرَ بالمال؛ لأَنَّ الخيرَ من أسماء المال[1]، وقيل المراد به هنا: المالُ الكثير[2].

وقولُه: (مرفوعٌ بكُتب...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ الوصيةَ نائبُ فاعلِ «كُتب»؛ لأنَّ الفعلَ مبنيٌّ للمفعول.

(١) ينظر: «نزهة الأعين النواظر» (ص٢٨٦).

(٢) روي ذلك عن علي وعائشة وابن عباس وغيرهم مع اختلاف في حد الكثير. ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ١٣٤-١٣٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٩٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٣٠).

وقولُه: (**بالعدل**): هذا تفسيرُ المعروف، ثم بيَّن أَنَّ العدلَ ما وافق الشرعَ، وضدَّه ما خالفه. وقولُه: (**وهذا منسوخٌ...**) إلى آخره: تقدَّم في التفسير ذِكرُ الخلاف في نسخ الآية.

وقولُه: (**عَلِمَه**): يُبيِّنُ أَنَّ المرادَ بالسماع: العلمُ؛ سواء حصلَ بالسماع أو بطريقٍ أخرى.

وقولُه: (**الإيصاءُ المبَدَّلُ**): هذا يقتضي أَنَّ الضمائرَ الثلاثةَ كلها تعودُ إلى الإيصاء، والأظهرُ أَنَّ الضميرَ الثالث في قوله: ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ يعود على التبديل المفهوم من قوله: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾[1].

وقولُه: (**فيه إقامة الظاهر مقام المضمر**): يُريد بالظاهر: الاسمَ الموصول ﴿الذين﴾، فإنَّ التركيب يقتضي: فإنما إثمه عليهم.

وقولُه: (**لقول الموصي، وبفعل الوصي**): الصواب: عدمُ التقييد، فاللهُ سميعٌ لقول الموصي والوصي والمبدل وغيرهم، عليمٌ بأحوالهم وأفعالهم.

وقولُه: (**مخففًا ومثقلًا**): يريد: الصاد من «موصي»؛ لأَنَّ فيها قراءتين؛ التخفيفُ من أوصى، والتشديدُ من وصَّى[2].

وقولُه: (**ميلًا عن الحق خطأً**): إمَّا بالزيادة على الثلث، أو بالوصية لوارث، بدليل مقابلته بالإثم.

---

(١) واختاره الطبري وابن عطية والقرطبي والرازي. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ١٣٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٣٢-٤٣٣)، و«تفسير الرازي» (٥/ ٢٣٥-٢٣٦)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٢٦٨)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٦٦).

(٢) قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بفتح الواو وتشديد الصاد: ﴿مُوَصٍّ﴾، وقرأ الباقون بالتخفيف مع إسكان الواو: ﴿مُوْصٍ﴾. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٧٦)، و«النشر» (٢/ ٢٢٦).

وقولُه: (**بأن تعمد...**) إلى آخره: هذا يؤكِّدُ أَنَّ الجنفَ: هو المخالفةُ لحكمِ الشرع خطأً، والإثمُ: هو المخالفة عمدًا(١).

وقولُه: (**بين الموصي والموصى له...**) إلى آخره: وكذا بين الموصي وورثته، وذلك بصرف الموصي عمَّا يُخالِفُ أَحكامَ الوصية في الشريعة، وإقناع الورثة والموصَى له بقبول الوصيةِ الجارية على وِفق الشريعةِ، أو ترغيبهم في إجازة ما تتوقَّفُ صحَّتُه على إجازتهم.

وقولُه: (**في ذلك**): أي: الإصلاح؛ لأَنَّ المصلحَ بينهم محسنٌ وما على المحسنين من سبيلٍ.



(١) وهو قول ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وجماعة. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ١٤٩-١٥٢)، و«الكشاف» (١/ ٣٧٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٣٣)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٤٩٥).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤]:

يُخبر تعالى عبادَه المؤمنين بأنه كتبَ عليهم الصيامَ كما كتبه على الذين من قبلهم من أَتباع الأنبياء؛ كموسى وعيسى. والصيامُ في اللغة: الإمساك[١]، وفي الشرع: إمساكٌ عن أشياءَ مخصوصةٍ مبيَّنةٍ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس[٢].

و﴿كُتِبَ﴾ معناه: فُرِض كما تقدَّم. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾: بيانٌ للحكمة من فرض الصيام؛ أي: لتتقوا اللهَ بفعل ما فَرض عليكم من الصيام وغيره، ولأنَّ الصومَ مما يُعين على التقوى. وقوله: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾: ظرفٌ، فالمعنى: كُتب عليكم الصيامُ في أيامٍ معدوداتٍ، ووصْفُ الأيام بمعدوداتٍ يدلُّ على القِلَّة، وهو من وجوه التيسير في هذه الفريضة، وسيأتي تعيينُ هذه الأيام في قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ﴾: معناه: مَن كان مريضًا وقتَ الصيام، أو كان مسافرًا فأفطرا لأنه يُباح لهما ذلك؛ فعلى مَن أَفطر عِدَّةٌ ﴿مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ أي: فعليه عدَّةُ الأيام التي أفطر فيها من أَيامٍ أُخر، ومعناه: وجوبُ قضاءِ الأيام التي أَفطر فيها المريضُ أو المسافرُ.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾: أَي: وعلى الذين يُطيقون الصيامَ فِديةٌ؛ أي: بدلٌ عن الصيام طعامُ مسكينٍ عن كلِّ يومٍ.

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٨٢).
(٢) ينظر: «تحرير التنبيه» للنووي (ص١٢٣)، و«المطلع على ألفاظ المقنع» للبعلي (ص١٨٢).

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: بإطعام أكثر من مسكينٍ فهو خيرٌ له.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أَي: من الفدية، ومعنى هذا: أنَّ الذي يُطيقُ الصيامَ يُخيَّرُ بين الصيامِ والفديةِ، والصومُ خيرٌ له، وهذا حكمٌ منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، فصار الصومُ حتمًا، ونُسِخَ التخييرُ، ولكن بقي حكمُ الفدية للشيخ والشيخة يَشقُّ عليهما الصيامُ؛ فيُباحُ لهما الفطرُ، ويُطعمان عن كلِّ يومٍ مسكينًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي، فإنه يكسرُ الشهوةَ التي هي مبدؤها ﴿أَيَّامًا﴾ نُصبَ بالصيام، أو بصوموا مقدَّرًا ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ أي: قلائل، أو مؤقتات بعددٍ معلوم وهي رمضان كما سيأتي، وقلَّله تسهيلًا على المكلَّفين ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ﴾ حين شهودِه ﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي مسافرًا سفرَ القصر وأجهدَه الصومُ في الحالين فأفطرَ ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عددُ ما أَفطر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدلَه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ لِكِبَرٍ أو مرضٍ لا يُرجَى بُرؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: قَدْرَ ما يأكلُه في يومه، وهو مُدٌّ من غالب قوتِ البلد، لكلِّ يوم، وفي قراءةٍ بإضافةِ «فِديةٍ»؛ وهي للبيان، وقيل: «لا» غير مُقدَّرة، وكانوا مُخيَّرين في صدر الإسلام بين الصوم والفِدية ثم نُسخ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، قال ابن عباس: إلَّا الحاملُ والمرضعُ إذا أفطرتا خوفًا على الولد؛ فإنها باقيةٌ بلا نسخٍ في حقِّهما[1] ﴿فمن تطوع خيرًا﴾ بالزيادة

(١) أخرجه أبو داود (٢٣١٧)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (رقم ١١٠)، والطبري في التفسير (٣/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٣٠٧)، والدارقطني في السنن (٢٣٨٥)، وابن الجارود في «المنتقى» (٣٨١)، وصححه: الدارقطني، وابن الجارود، والألباني. **ينظر**: «الإرواء» (٤/ ١٩، رقم ٩١٢).

على القدر المذكورِ في الفِدية ﴿فَهُوَ﴾ أَي: التطوعُ ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الإِفطار والفديةِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خيرٌ لكم، فافعلوه.

وقولُ المؤلِّف: (نصب بالصيام...) إلى آخره: يُفيد أَنَّ أيامًا: ظرفٌ منصوبٌ، والعاملُ فيه إمَّا الصيامُ في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾؛ فالتقدير: كُتبَ عليكم الصيامُ في أَيامٍ معدوداتٍ، أَو العاملُ فيه الأَمرُ المفهومُ من ﴿كُتب﴾، وتقديره: صوموا في أيامٍ معدوداتٍ.

وقولُه: (قلائل...) إلى آخره: هذا التفسيرُ مأخوذٌ من لفظِ ﴿معدودات﴾، فإنه يُشعرِ بقلةِ الأيام التي فُرض فيها الصيامُ، وفيه إشارةٌ إلى التيسير في هذه الفريضة.

وقولُه: (حين شهوده): أي: وقتَ وجوبِه.

وقولُه: (أي: مسافرًا سفر القصر): احترازٌ من السفر الذي لا يُباحُ فيه القصرُ؛ كسفرِ المعصية عند الجمهور[(١)].

وقولُه: (وأجهده الصوم...) إلى آخره: هذا تقييدٌ يُخالفُ ظاهرَ القرآن؛ وهو إباحةُ الفطر للمريض والمسافر مُطلقًا.

وقولُه: (فعليه عدد ما أفطر): يُبيِّنُ أَنَّ «عدة» مبتدأٌ، وخبرُه محذوفٌ؛ قدَّره بقوله: (فعليه).

وقولُه: (يصومها بدلَه): المعنى: فعليه صيامُ عدَّةِ الأيامِ التي أَفطرها من أَيامٍ أُخر قضاءً عن تلك الأيام.

---

(١) ينظر: «المجموع شرح المهذب» (٤/ ٢٢٣) (٦/ ٢٦٤)، و«المغني» (٣/ ١١٥)، (٤/ ٣٤٥).

وقولُه: (لا): هذا أَحدُ الأقوالِ في الآية، وأَنَّ قوله تعالى: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ على تقدير: لا يُطيقونه، وهذا القولُ ضعيفٌ[1]؛ لأنه صرفٌ للآية عن ظاهرها؛ فظاهرها تخييرُ الذين يُطيقون الصيام بين الفدية والصيام؛ لقوله: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾، وكان هذا في أول الأمر ثم نسخ؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، فتعيَّنَ الصيامُ ونُسخَ التخييرُ[2].

وقولُه: (لِكِبَرٍ...) إلى آخره: هذا مبنيٌّ على أَنَّ الآية في حكم ما لا يُطيقُ الصيام كما تقدَّم. وقولُه: (هي): يريد أَنَّ الطعامَ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ تقديره «هي»؛ أي: الفديةُ طعامُ مسكينٍ عن كلِّ يومٍ، والأظهرُ أَنَّ ﴿طَعَامُ﴾ عطفُ بيانٍ لـ«فِدية»[3].

وقولُه: (أي: قدر ما يأكله في يومه...): إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ القدرَ الواجبَ من الإطعام كفايةُ المسكين يومه من غالب قوت البلد.

وقولُه: (وفي قراءة...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنه قُرِئَ بإضافة ﴿فدية﴾ إلى طعام[4]، والإضافةُ بيانية، فهي على تقدير «من»؛ فالمعنى: فديةٌ من طعام.

---

(١) قال الماوردي في تفسيره (١/ ٢٣٨): «وهي قراءة شاذة رويت عن ابن عباس ومجاهد». وضعَّف غير واحد من أهل العلم أن «لا» محذوفة قبل ﴿يطيقونه﴾، وأن التقدير: «لا يطيقونه». **ينظر**: «البحر المحيط» (٢/ ١٨٩)، و«الدر المصون» (٢/ ٢٧٣-٢٧٤)، و«التنبيه على مشكلات الهداية» لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٩٣٤).

(٢) وهذا قول معاذ وابن عمر وسلمة بن الأكوع وعكرمة والشعبي والزهري وعلقمة والضحاك، واختاره الطبري والزجاج، وهو قول أكثر المفسرين. **ينظر**: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (١/ ٤٢-٤٥)، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي (ص٦١-٦٥). وقارن مع: «تفسير الطبري» (٣/ ١٦١-١٦٦)، (٣/ ١٧٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٥٣)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٣٩-٤٤٠)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٩٥)، و«الكتاب الفريد» (١/ ٤٥١).

(٤) وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٧٦)، و«النشر» (٢/ ٢٢٦).

وقولُه: (**وقيل: «لا» غير مقدرة**): يُشيرُ إلى القول الصحيح في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾، وهو أَنَّ الآيةَ على ظاهرها، وهو بيانُ حكمِ الذين يُطيقون الصيام؛ أي: يستطيعونه، وحُكمهم: التخييرُ بين الفِطر مع الفدية، وبين الصيام، وهو حكمٌ منسوخٌ كما ذكر المؤلف في آخر كلامه، والأَثرُ الذي ذكره عن ابن عباس يدلُّ على نسخ التخيير إلَّا في حقِّ الحاملِ والمرضعِ.

وقولُه: (**بالزيادة...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ التطوعَ المذكورَ في الآية يكون بالزيادة على طعام مسكين.

وقولُه: (**أي: التطوع**): يُبيِّنُ مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَه﴾؛ فالمعنى: فالتطوعُ بالزيادة على إطعام مسكينٍ واحدٍ خيرٌ؛ أي: أَكثرُ أجرًا.

وقولُه: (**مبتدأ**): يُبيِّنُ أَنَّ المصدرَ المؤوَّلَ من «أن والفعل» مبتدأٌ، وخيرٌ خبرُه، والتقدير: وصومُكم خيرٌ لكم. وهذا ترغيبٌ في الصيام، وترجيحٌ له على الإفطار مع الفدية.

وقولُه: (**أنه خيرٌ لكم فافعلوه**): يُبيِّنُ بهذا مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾، وجوابُ الشرط ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾، وأَنَّ جوابَ الشرط محذوفٌ، وتقديره: فافعلوا.



وقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥]:

يُبيِّنُ تعالى في هذه الآية وقتَ الصيام الذي فرضه على عباده، وهو شهرُ رمضان، و﴿شَهۡرُ﴾ قُرِئ بالرفع والنصب[(١)]:

فعلى الرفع: يحتمل أنه خبرُ مبتدأ محذوف تقديره: هن؛ أي: الأيام المعدودات شهرُ رمضان، أو بدل من الصيام في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، على حذف مضافٍ أُقيمَ المضافُ إليه مقامه؛ أي: كُتبَ عليكم صيامُ شهر رمضان.

وعلى النصب: مفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ؛ أي: صوموا شهرَ رمضان، وإضافةُ شهر إلى رمضان من إضافة الشيء إلى اسمه؛ كيوم الخميس. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾: صفةٌ لشهر، ومعنى: إنزال القرآن فيه: ابتداءُ نزوله في ليلة القدر، وهي: ليلة من ليالي رمضان؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

وقوله: ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾: أي: هاديًا للناس، فهو مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل نصب على الحال، أو مفعول لأجله؛ بمعنى: لهداية الناس.

---

(١) عزيت للحسن، ومجاهد، وشهر بن حوشب، وهارون الأعور عن أبي عمرو، وأبي عمارة عن حفص عن عاصم. **ينظر**: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص١٩)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٩٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٤٢)، و«البحر المحيط» (٢/ ١٩٣)، وهذه القراءة دون نسبة لأحد في كثير من المصادر.

وقوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٖ﴾: معطوف على هدى؛ منصوب على الحال، وهو صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ؛ أي: وآياتٍ بيناتٍ؛ أي: واضحاتٍ، ومُبيِّناتٍ للحقِّ والباطل وسبيل الرشد وسبيل الغي، وفي ذلك الهدى العاصم من الضلال، والفرقان العاصم من اللبس والالتباس.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾: هذا أمرٌ من الله لمن كان عند دخول الشهر صحيحًا مقيمًا أن يصومَ الشهر، وقد ذهب جمعٌ من السلف من الصحابة وغيرهم إلى أنه يجب على مَن هذه حاله أَنْ يصومَ الشهرَ كلَّه، ولو سافر فلا يُباح الفطرُ في السفر إلَّا لمن دخل عليه الشهرُ وهو مسافرٌ[1]، وذهب جمهورُ العلماء أنه يُباح الفطرُ للمسافر ولو قد صام أوَّل الشهرِ في الحضر[2]؛ لِمَا ثبت في السنَّةِ الصحيحة من أنه ﷺ سافر هو وأصحابه عامَ الفتح في رمضان، وكانوا صيامًا حتى بلغوا الكديد[3] فأفطر ﷺ وأمر الناس بالفطر[4]، وعلى هذا فقوله: ﴿فَلۡيَصُمۡهُ﴾ أي: فليَصُم ما كان حاضرًا فيه من الشهر من أوَّله أو آخره.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ معناه: أَنَّ مَن كان مريضًا أو مسافرًا فأفطَر؛ فعليه صيامُ عِدَّةِ الأيام التي أفطرها من أيامٍ أُخَر قضاءً، وجاء ذكر هذه الرخصة للمريض والمسافر بعد الأمر بصيام الشهر مَن كان حاضرًا صحيحًا مُقيمًا، كما ذُكِرت الرخصةُ بالفطر للمريض والمسافر

(١) روي عن عائشة، وابن عمر، وابن عباس، وسويد بن غفلة، وسعيد بن جبير، في آخرين من السلف. **ينظر**: «مصنف عبد الرزاق» (٤/ ٢٦٩، رقم ٧٧٥٩، ٧٧٦١)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (رقم ٩٢٤٦-٩٢٤٩)، و«تفسير الطبري» (٣/ ١٩٢-١٩٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٣١١-٣١٢، رقم ١٦٥٦).

(٢) **ينظر**: «المجموع شرح المهذب» (٦/ ٢٦٨)، و«المغني» (٤/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٣) الكَديد: مكان ما بين عسفان وقديد على اثنين وأربعين ميلاً من مكة. **ينظر**: «معجم البلدان» (٤/ ٤٤٢)، و«مراصد الاطلاع» للقطيعي (٣/ ١١٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٥٣)، ومسلم (١١١٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

بعد الإخبار بفرض الصوم في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ...﴾، إلى قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، ولعلَّ ذِكرَ الرُّخصةِ مرةً ثانيةً حتى لا يُظن نسخها بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾: خبرٌ من الله ـ تعالى ـ عن حكمته في شرعه، ورحمته بعباده، فمبنى شريعته على اليُسر، وهو السهلُ المستطاعُ الذي لا مشقَّةَ فيه، ومن ذلك ما شرعه في أَمر الصيام، ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾: وهو ضدُّ اليُسر، ونصَّ على نفيه توكيدًا، وهذه الإرادةُ هي الإرادةُ الشرعيةُ المتضمنة للمحبة؛ فالمعنى: يُحبُّ الله لكم اليُسرَ ولا يُحبُّ لكم العُسرَ، فالجملتان تعليلٌ لِمَا سبقَ من الأحكام المشتملة على التيسير.

وقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾: الواو عاطفةٌ على مُقدَّرٍ يُفهَم من قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾؛ فالمعنى: يسَّرَ اللهُ عليكم لتصوموا ما كتب عليكم من صيام شهر رمضان.

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾: إن كان فطر لعذر، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: ولتعظِّموا اللهَ بالتكبير ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾؛ أي: لهدايته إياكم بما شرع لكم من صيام شهر رمضان وتوفيقكم لصيامه، واللام في الجملتين للتعليل، وقال بعضُهم: إنها اللام المشبهةُ للام التعليل التي تتعلق بالفعلين «أراد، وأمر»، ويُنصَبُ الفعلُ بعدها بأَن مضمرة أو ظاهرة، وعلى هذا فالعطفُ على جملة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾؛ فيكون المعنى: ويُريد لتكملوا العدَّةَ[2].

---

(١) ينظر: «تفسير البيضاوي» (١/ ١٢٥)، و«تفسير أبي السعود» (١/ ٢٠٠)، و«روح المعاني» للألوسي (١/ ٤٥٨).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٢٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٥٤)، و«التبيان في إعراب القرآن» (١/ ١٥٣)، و«الكتاب الفريد» (١/ ٤٥٦-٤٥٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥﴾: لعل: للتعليل؛ أي: لتشكروا اللهَ على ما أَنعم به من النِّعم العظيمةِ والشرائعِ القويمةِ، والشكرُ يكون بالقلب اعترافًا وتعظيمًا وحبًا وانقيادًا، وباللسان إقرارًا وثناءً، وبالجوارح فِعلًا للمأمورات وتركًا للمنهيات ومسارعة في الخيرات.

وقد تضمَّنتْ هذه الجملُ ثلاثَ حِكَمٍ فيما كتبه اللهُ على عباده من صيام شهر رمضان مع التيسير والتخفيف، والحِكَم هي: إكمالُ عدَّةِ ما فَرض اللهُ من الصيام، وتكبيرُه تعالى عند التمام بالقلب واللسان على هدايته وتوفيقه، والثالثةُ من الحكم: شكرُ المؤمنين لربهم على ما شَرعَ ويَسَّرَ من الأحكام، وكلُّ هذه الحِكمِ مُرادَةٌ لله وواجبةٌ على العباد، ومن هذه الآية أَخذ العلماءُ مشروعيةَ التكبير ليلةَ عيد الفطر وصبحَه[1].

تلك الأيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال هاديًا من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ آياتٍ واضحاتٍ ﴿مِنَ الْهُدَى﴾ مما يهدي إلى الحقِّ من الأحكام ﴿وَ﴾ من ﴿الْفُرْقَانِ﴾ مما يفرقُ بين الحقِّ والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حَضَرَ ﴿مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدَّم مثله، وكُرِّرَ لِئلَّا يُتوهَّمُ نسخُه بتعميم مَن شهد.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطرَ في المرض والسفر، ولكون ذلك في معنى العلة أيضًا للأمر بالصوم عُطِفَ عليه ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الْعِدَّةَ﴾ أَي: عدةَ صومِ رمضان

---

(١) جاء عن ابن عباس وزيد بن أسلم وسفيان، وهو قول جمهور المفسرين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٢١-٢٢٢)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٣٠٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٠٥).

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالمِ دِينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلك.

وقولُ المؤلِّف: (**تلك الأيام**): يُبيِّنُ بهذا أَنَّ ﴿شَهْرُ﴾ خبرٌ لمبتدأ تقديره: تلك الأَيام المعدودات هي شهرُ رمضان.

وقولُه: (**من اللوح المحفوظ**...) إلى آخره: يُشيرُ بهذا إلى ما جاء عن ابن عباس أَنَّ القرآنَ أُنزلَ جملةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا؛ رواه ابن جرير وغيره(١).

وقولُه: (**منه**): أي: من شهر رمضان؛ لأَنَّ ليلةَ القدر من رمضان.

وقولُه: (**حال**...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ ﴿هُدًى﴾ في قوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ مصدر بمعنى: اسم الفاعل، وهو منصوبٌ على الحال من القرآن.

وقولُه: (**آياتٍ واضحاتٍ**): يريد أَنَّ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ تقديره: آياتٍ بيناتٍ؛ أي: واضحاتٍ.

وقولُه: (**مما يهدي**...) إلى آخره: يريد أَنَّ الآيات البينات من الهدى؛ أي: الهادي، فالآياتُ البيناتُ مما يهدي إلى الحق.

وقولُه: (**من**): يريد أَنَّ البينات من الهدى ومن الفرقان.

وقولُه: (**مما يفرقُ بين الحقِّ والباطل**): معناه: أَنَّ الآيات البينات يكون بها الهدى إلى الحقِّ، ويكون بها الفرقانُ بين الحقِّ والباطلِ.

وقولُه: (**حضر**): تفسيرٌ لشهد الشهر؛ والمعنى: حضرَ أيامَ الشهر، وهو: مقيمٌ.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٣/ ١٨٨-١٨٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١٠، رقم ١٦٥٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦/ ٤٦٩ رقم ٣٢١٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٧٩٣٧)، والطبراني في «الكبير» (١٢٣٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٨١).

وقولُه: (**تقدَّم مثله**): يريد أَنَّ الرخصةَ في الفطر للمريض والمسافر قد تقدَّمَ ذِكرها.

وقولُه: (**وكرر...**) إلى آخره: يُبيِّنُ السببَ في إعادة ذكر الرخصة في الفطر للمريض والمسافر، وهو أنه قد يُتوهَّم أَنَّ قولَه: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ عامٌّ يشملُ المريضَ والمسافرَ، فيلزم من ذلك نسخ الرخصة التي تقدَّم ذِكرُها.

وقولُه: (**ولذا أَباح لكم الفطر...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ إرادته تعالى بعباده اليسرَ دون العُسر هو عِلَّةُ الرخصةِ للمريض والمسافر في الفطر.

وقولُه: (**ولكون ذلك...**) إلى آخره: يريد قولَه تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، هو في معنى العلة للأمر بالصوم في قوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، فتضمَّن كلامُ المؤلف أَنَّ قولَه تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ هو عِلةُ إباحةِ الفطر في المرض والسفر، وهو أيضًا في معنى العلة للأمر بالصوم في عدَّةِ أيامٍ أُخر.

وقولُه: (**عطف عليه**): يريد أَنَّه لما كان قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ في معنى العلة للأمر بصوم القضاء؛ عطف عليه قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ وما بعده.

وقولُه: (**بالتخفيف والتشديد**): يُشير إلى أَنَّ فيها قراءتين: تخفيفُ الميم وتشديدُها، من «أَكمل، وكمَّل»[1].



(١) قرأ يعقوب وعاصم في رواية أبي بكر بتشديد الميم: ﴿وَلِتُكَمِّلُوا الْعِدَّةَ﴾، وقرأ الباقون بالتخفيف. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٧٦-١٧٧)، و«النشر» (٢/ ٢٢٦).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]:

يأمرُ اللهُ نبيَّه إذا سأله أحدٌ من العباد عن ربه، بعيدٌ هو أو قريبٌ ممن دعاه؛ أَن يُخبرَه بأنه قريبٌ، وأنه يُجيبُ دعاه ويُعطيه سُؤْله، ثم أَمرَ العبادَ أَن يستجيبوا له سبحانه فيما دعاهم إليه من أنواع العبادات؛ من الصلاة والصيام والجهاد والصدقات، وأَن يؤمنوا به ربًّا وإلهًا وموصوفًا بكلِّ كمالٍ؛ ليرْشُدوا في أَمرهم كلِّه.

وسأل جماعةٌ النبيَّ «أقريبٌ ربُّنا فنناجيه أم بعيدٌ فنناديه؟» فنزل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ منهم بعلمي، فأَخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يُديموا على الإيمان ﴿بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون.

وقولُ المؤلِّف: (**وسأل جماعة النبي...**) إلى آخره: يُشيرُ بذلك إلى سبب نزول الآية[(١)].

وقولُه: (**منهم بعلمي**): يُريد أَنَّ معنى قربِه ـتعالىـ من العباد: قربُه بعلمه، وهذا يقتضي أَنَّ القربَ في الآية قربٌ عامٌّ من جميع العباد؛ لأَنَّ علمَه ـتعالىـ لا يختصُّ بالداعين والعابدين، والأشاعرةُ ونحوهم لا يُثبتون إلَّا القربَ العامَّ، فعندهم أنه ـتعالىـ لا يَقربُ من شيءٍ، ولا يقربُ منه شيءٌ، بناءً على أنه ـتعالىـ في كلِّ مكانٍ، وأَمَّا أهلُ السنَّةِ فلهم في القُرب قولان:

---

(١) **ينظر**: «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٤٣٣-٤٣٤)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٢٢-٢٢٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٣١٤، رقم ١٦٦٧)، والحديث رواه الصلب بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: «جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» فذكره. وزاد الدارقطني بين الصلب وأبيه رجل من الأنصار. وإسناده ضعيف، الصلب أو الصلت بن حكيم مجهول، وقد اختلف في إسناده. **ينظر**: «لسان الميزان» (٨٧١)، و«المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٣/ ١٤٣٥).

منهم مَن يقول: القرب نوعان: عامٌّ وخاصٌّ، كالمعية[(١)].

ومنهم مَن يقول: لم يَرِدْ إلَّا خاصًّا، وهو قربُه من الداعين والعابدين، وهو المذكور في هذه الآية، وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وهذا القول أظهر[(٢)]، وأما قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، فالمراد: قربُه تعالى بملائكته كما جاء عن السَّلف في تفسير الآيتين[(٣)].

وقولُه: (**فأخبِرهم بذلك**): هذا تقديرٌ لجواب الشرط في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾.

وقولُه: (**بالطاعة**): يُبيِّنُ أَنَّ الاستجابةَ لله تكون بطاعته في أمره ونهيه.

وقولُه: (**يُديموا على الإيمان**): لأَنَّ الكلامَ في العباد المؤمنين، فيناسبُ أَن يكون المعنى: فليَدوموا على الإيمان.

وقولُه: (**يهتدون**): فسَّرَ الرشدَ بالاهتداء، والرشدُ يجمع العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ، وهذه حقيقةُ الاهتداء.



---

(١) نسبه شيخ الإسلام لطائفة من أهل السنة. **ينظر**: «شرح حديث النزول» (ص٣٦٥)، واختاره الشيخ عبد الرحمن السعدي. **ينظر**: «الحق الواضح المبين» (ص٧٠)، و«أصول وكليات من أصول التفسير» طبعت مع التفسير (١/ ٢٩).

(٢) واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. **ينظر**: «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٣٠-٣١)، و«شرح حديث النزول» (ص٣٥٤-٣٥٦)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٣٦)، (٥/ ٢٤٠) (٦/ ٢٢-٢٣)، و«مختصر الصواعق» (٣/ ١٢٥١)، و«التعليق على القواعد المثلى» لشيخنا (ص١٥٩).

(٣) نسبه ابن الجوزي لابن عباس من رواية أبي صالح، ونسبه شيخ الإسلام إلى جمع من السلف، ورجحه ابن القيم في بعض كتبه، وأورد هذا القول غير واحد من أهل العلم. **ينظر**: «تفسير البغوي» (٨/ ٢٥)، و«المحرر الوجيز» (٨/ ٢١٣)، و«زاد المسير» (٤/ ١٥٩) (٤/ ٢٣٠)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٥٤٨)، (٧/ ٣٩٨)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٣١٥) (٦/ ٢٥-٤٠)، و«شرح حديث النزول» (ص٣٥٥)، (ص٣٦٧)، و«الروح» (ص١٨٨-١٩٠)، و«مختصر الصواعق» (٣/ ١٢٤٩) وما بعدها.

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧]:

يُخبر تعالى عن حُكْمٍ يتعلَّقُ بصيام رمضان، وهو حِلُّ إتيان النساء في ليالي صيام رمضان، فقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾؛ أي: أَحلَّ اللهُ لكم، كما قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾؛ أي: كَتبَ اللهُ عليكم الصيام.

و﴿ٱلرَّفَثُ﴾ هو: الجماع[1]، وضُمِّنَ معنى: (الإفضاء) فعدي بـ«إلى»[2]، والإفضاء: تلاقي الأبدان دون حائل[3]، وذلك يكون من الرجل والمرأة كما قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١]، وقال في هذه الآية: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، فمع الإفضاء يكون كلٌّ من الرجل والمرأة كاللباس للآخر.

ثم بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سببَ هذا الإحلال، وهو ما يعلمه اللهُ منهم من خيانةِ أنفسهم بفعل ما حرَّمَ اللهُ عليهم من إتيان نسائهم، وكان الحكمُ في أول فَرضِ الصيام أَنَّ مَن نام في الليل وجب عليه الصيامُ حتى يُفطر من الغد، فوقع من عددٍ من المسلمين مخالفةٌ، وترتَّبَ على ذلك حَرجٌ ومشقَّةٌ؛ فنَسَخَ الله ذلك بهذه الآية؛ فأحلَّ اللهُ لعباده ما كان حرامًا، وتاب على مَن وقع منه فعلٌ لِمَا يحرمُ عليه، فوفَّقه للتوبة وعفا عنه[4].

(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٣٥٩-٣٦٠).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٣٩-١٤٠)، و«الكشاف» (١/ ٣٨٨)، و«البحر المحيط» (٢/ ٢١٢).

(٣) ينظر: «لسان العرب» (١٥/ ١٥٧).

(٤) ينظر: «أسباب النزول» (ص٤٩-٥٢)، و«العجاب» (١/ ٤٣٦-٤٤٧).

ثم أكَّد سُبْحَانَهُوَتَعَالَى الإحلالَ بالإذن الصريح بمباشرة النساء وبالأكل وبالشرب إلى طلوع الفجر؛ فقال سبحانه: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، قيل: من الولد أو من ليلة القدر، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: يتميز عندكم بياضُ النهار من سوادِ الليل؛ فعُلم بذلك وجوبُ الإمساكِ عند ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾؛ فعُلم بذلك وقت الصيام ابتداءً وانتهاءً.

وقوله: ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾: نهيٌ من الله لمن كان معتكفًا في المسجد أن يُباشرَ امرأته؛ أي: يُجامعها، ولو كان ذلك في البيت، فعُلم تحريمُ ذلك على المعتكف.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: الإشارةُ إلى ما تقدَّمَ ذِكرُه من المنهيَّات من مُفسدات الصوم والاعتكاف، فالحدودُ في هذه الآية هي المحرمات، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، وأَصلُ الحدِّ: المنع[١]، فسُمِّيت المحرماتُ حدودًا لأنها ممنوعة، وتُطلقُ الحدود على ما لا يجوز تعدِّيه من المباحات والواجبات والمستحبات؛ كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ أي: مثل البيان المتقدِّم يُبيِّنُ آياته للناس؛ أي: يوضِّحها ويُفصِّلها. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾: أي: ليتقوا اللهَ بترك ما حرَّم عليهم، و«لعلَّ»: للتعليل.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفضاء ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ بالجماع، نزل نسخًا لِمَا كان في صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأَكلِ والشربِ بعد العشاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كنايةٌ عن تعانقهما

(١) ينظر: «لسان العرب» (٣/ ١٤٠).

أو احتياج كلٍّ منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تخونون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلةَ الصيام، وقعَ ذلك لعمرَ وغيره، واعتذروا إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبِلَ توبتكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ﴾ إذ أَحلَّ لكم ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهنَّ ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أَباحَه من الجماع، أو قدَّرَه من الولد ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الليلَ كلَّه ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ يظهرَ ﴿لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي: الصادقِ، بيانٌ للخيط الأبيضِ، وبيانُ الأسود محذوفٌ؛ أي: من الليل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي: إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ أي: نساءكم ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مُقيمون بنيَّةِ الاعتكافِ ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ مُتعلقٌ بـ «عاكفون»، نهيٌ لمن كان يخرج وهو معتكفٌ فيُجامعُ امرأتَه ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكامُ المذكورةُ ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ حدَّها لعباده ليَقِفوا عندها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من «لا تعتدوها» المعبر به في آيةٍ أُخرى ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بيَّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمَه.



وقولُ المؤلِّف: (**بمعنى الإفضاء...**) إلى آخره: فسَّرَ الرفثَ بالإفضاء، والرفثُ والإفضاءُ كلٌّ منهما كنايةٌ عن الجماع، لكن فسَّرَه بالإفضاء لتعديته بـ«إلى»، ثم ذكر حقيقةَ المرادِ في آخر الجملة.

وقولُه: (**نزل نسخًا...**) إلى آخره: يُشيرُ بهذا إلى سبب نزول الآية، وفيه نسخُ السنَّةِ بالقرآن؛ لأنَّ الحكمَ الأول إنما ثبت بالسنَّة.

وقولُه: (**كناية...**) إلى آخره: يُبيِّنُ وجهَ إطلاق اسم اللباس على المرأة والرجل، وذلك من جهتين: من جهة التصاقِهما، ومن جهة حاجةِ كلٍّ منهما للآخر، وكلٌّ من المعنيين موجودٌ في اللباس.

وقولُه: (**تخونون**): فسَّرَ ﴿تَخْتَانُونَ﴾ بتخونون، وليس هذا بالتفسير المطابقِ، فـ«تختانون» فيه معنى الخداع والاحتيالِ على فعلِ ما نُهي عنه[١].

وقولُه: (**قَبِلَ توبتكم**): التوبةُ من اللَه: توفيقٌ من الله لعبده للتوبة ثم قَبولها منه، والمؤلف فسَّرَها بالقبول؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾.

وقولُه: (**أي: أباحه...**) إلى آخره: ذَكر في قوله: ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قولين:

ما أَباح اللهُ لكم من الجماع.

والثاني: ما قدَّره لكم من الولد[٢].

والقولُ الأولُ ضعيفٌ؛ لأنه قد تقدَّمَ الأمرُ به في قوله: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾.

وقولُه: (**الليل كله**): يدلُّ له أَنَّ اللهَ جعل للإذن بالأكل والشرب والجماع غاية؛ وهي: تبينُ طلوع الفجر، وذلك في قوله: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾. وقولُه: (**يظهر**): يعني: يتميَّزَ الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود، وقد فسَّر النبيُّ ﷺ الخيطين بأنهما بياضُ النهار وسوادُ الليل[٣]، وإنما يتحقَّقُ ذلك بطلوع الفجر.

وقولُه: (**أي: الصادق**): يعني: الفجر الثاني؛ وهو الذي يَحرمُ فيه الطعامُ، وتَحلُّ فيه صلاةُ الفجر كما جاء عن النبي ﷺ قوله: ((الفَجرُ فَجْران:

---

(١) **ينظر**: «تفسير الراغب» (١/ ٣٩٩).

(٢) وهذا قول جمهور المفسرين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٤٤-٢٤٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٥١-٤٥٢)، و«زاد المسير» (١/ ١٤٨-١٤٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥١٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٩١٦)، (١٩١٧)، ومسلم (١٠٩١) من حديث عدي بن حاتم، وسهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَجرٌ يَحِلُّ فيه الطَّعامُ وتَحرمُ فيه الصَّلاةُ ـوهو الفجر الأول ـ، وفَجرٌ تَحِلُّ فيه الصَّلاةُ ويَحرمُ فيه الطَّعامُ»[(١)]، وهو الفجر الثاني، وهو: الصادق. وقولُه: (**أبلغ من «لا تعتدوها»**...) إلى آخره: هذا يقتضي عدمَ التفريق بين الحدود في الآيتين، والصوابُ: أنَّ الحدودَ المنهيَّ عن قُربانها هي المحرمات، والمنهيَّ عن تعدِّيها هي المأموراتُ[(٢)]؛ فالحلالُ لا يجوز تعدِّيه، والحرامُ لا يجوز قُربانه.

وقولُه: (**محارمه**): أي: محارمَ الله؛ وهي كلُّ ما حرَّمَ اللهُ؛ وهي المعاصي، واتقاءُ المعاصي هو اجتنابُها.



---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٣٥٦) (١٩٢٧)، وعنه الحاكم (٦٨٧)، والدارقطني (٢١٨٥)، والبيهقي (١٧٨٩)، من طريق أبي أحمد الزبيري، عن سفيان الثوري، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكره بنحوه.

والحديث أعله النقاد بالوقف؛ فلم يرفعه غير الزبيري، وخالفه أصحاب الثوري فرووه موقوفًا، وكذلك وقفه أصحاب ابن جريج. قال ابن خزيمة: «لم يرفعه في الدنيا غير أبي أحمد الزبيري»، وقال الدارقطني: «لم يرفعه غير أبي أحمد الزبيري عن الثوري، ووقفه الفريابي وغيره عن الثوري، ووقفه أصحاب ابن جريج عنه أيضًا»، وقال البيهقي: «الموقوف أصح».

وللمرفوع شواهد يحتمل تقوية الحديث به. **ينظر**: «البدر المنير» (٣/ ١٩٥-١٩٩)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٤٩١، رقم ٢٨٦).

(٢) **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٣٩١)، و«تفسير الرازي» (٥/ ٢٧٧)، و«القواعد الحسان» (ص٧٤-٧٥)، و«مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٠٩)، (٢٨/ ٣٤٨)، و«مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٨]:

هذا نهيٌ من الله لعباده المؤمنين أَن يأكلوا أموالَهم بينهم بالباطل، وذلك بأخذ مالِ الغير بغير حقٍّ، بل بطريقٍ من الطرق المحرمة؛ من غصبٍ أو سرقةٍ أو غشٍّ أو عقدٍ محرَّمٍ؛ كعقود الربا والبيوع المحرمة، ومن أقبح ذلك التوصُّل إلى أكل مالِ الغير بطريق رشوةِ الحاكم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨﴾ أي: تعلمون أَنَّ ما حكم به ليس مستحقًا لكم، فهو حرامٌ عليكم وإن حكم به الحاكم خطأ أو عمدًا؛ كما قال ﷺ: ((إنكم تختصمون إليَّ، ولعلَّ بعضَكم أَن يكون أَلحنَ بحجَّته من بعضٍ، فأقضي له على نحو ما أَسمع، فمَن قَضيتُ له من حقِّ أَخيه شيئًا، فلا يأخذه، فإنما أقطعُ له قُطعةً من النار))[(١)].

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي: [لا][(٢)] يأكل بعضُكم مالَ بعضٍ ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرامِ شرعًا؛ كالسرقة والغَصْب ﴿وَ﴾ لا ﴿تُدْلُوا﴾ تُلقوا ﴿بها﴾ أي: بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفةً ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ ملتبسين ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مُبطلون.

وقوله المؤلف: (أي: لا يأكل بعضُكم مالَ بعضٍ): يُبيِّنُ أَنَّ المراد النهيُ عن أَكل مال الغير، بدليل قوله: ﴿بَيْنَكُمْ﴾، وإضافةُ الأموال إلى المخاطبين لا

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) زيادة من طبعة دار السلام، ورجح شيخنا إثباتها، وقال: «هي الصواب».

باعتبار المِلك بل باعتبار أنها تتعلق بها مصالحُ الأمة، فلا يجوز التصرُّفُ فيها بما يفسدها.

وقولُه: (**لا**): يُبيِّنُ أَنَّ الواو عاطفةٌ على ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾، فيكون المعنى: ولا تدلوا بها، فيصير النهي عن كلٍّ واحدٍ منهما، وبدون تقدير: «لا» يصير النهي عن الجمع بينهما؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ [البقرة:٤٢].

وقولُه: (**تُلقوا**): يُبيِّنُ أَنَّ ﴿تدلوا﴾ مُضمَّنٌ معنى «تلقوا»، بدليل تعدية الفعل بـ «إلى».

وقولُه: (**بحكومتها**): أي: بالمحاكمة فيها لدى الحكام للتسلُّطِ عليها بذلك.

وقولُه: (**أو بالأموال رشوة**): وهذا أشهرُ في تفسير الآية[1].

وقولُه: (**بالتحاكم**): أي: لتأكلوا مقدارًا من مال من تدعون عليه كذبًا.

وقولُه: (**ملتبسين**): أي: مخالطين للإثم، فالجارُ والمجرور حال.

وقولُه: (**أنكم مُبطلون**): المعنى: وأنتم تعلمون أَنَّ دعواكم باطلةٌ.



(١) **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٣٩٢-٣٩٣)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٥٨)، و«البحر المحيط» (٢/ ٢٢٥)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ١٩٠-١٩١).

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة: ١٨٩]:

جاء في سبب نزول هذه الآيةِ أَنَّ بعضَ الناسِ سأل عن حِكمة أَنَّ الهلال يبدو صغيرًا ثم يكبرُ شيئًا فشيئًا، أو سألوا عن سبب ذلك(١)، والأولُ أظهرُ بدليل الجواب(٢)، فأمر اللهُ نبيَّه أن يُبيِّنَ لهم المنفعةَ المترتبة على ذلك، وهي: معرفةُ المواقيت، وذلك بمعرفة الأشهر التي عِدَّتها اثنا عشر شهرًا، وهي: عدَّةُ السنة.

وقوله: ﴿وَٱلْحَجِّ﴾: أي: وميقاتُ الحج، فعطفه على المواقيت من عطف الخاص على العام(٣)، أمَّا قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فهو إبطالٌ لِمَا كان يفعله الأوسُ والخزرجُ إذا رجعوا من الحج، لا يدخلون بيوتهم من الأبواب بل من ظهورها، فنهاهم اللهُ عن ذلك، وأَمرَهم بإتيان البيوتِ من أبوابها(٤)، وما كانوا يفعلونه لا معنى له، ولا أَصلَ له في شرعٍ ولا عقلٍ.

ثم أَمرهم تعالى بتقواه، وذلك بفعل ما أَمرَهم به واجتناب ما نهاهم عنه.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾: أي: لتفلحوا، والفلاحُ هو الفوزُ والظَفَرُ بالمطلوب المحبوب، والنجاةُ من المرهوب، وذلك لا يكون إلَّا بدخول الجنة والنجاة من النار، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

---

(١) ينظر: «أسباب النزول» (ص٥٣-٥٤)، و«العجاب» (١/ ٤٥٣-٤٥٥).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٨٠-٢٨٣)، و«البحر المحيط» (٢/ ٢٣٥)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ١٩٤).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٢/ ٢٣٦)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ١٩٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٠٣)، ومسلم (٣٠٢٦) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الأهِلَّةِ﴾ جمعُ هلالٍ، لِمَ تبدو دقيقةً ثم تزيدُ حتى تمتلئَ نورًا ثم تعودُ كما بَدَت، ولا تكون على حالةٍ واحدةٍ كالشمس ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمعُ مِيقاتٍ ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقاتَ زرعِهم ومتاجرهم، وعِدَدَ نِسائِهم، وصيامهم وإفطارهم ﴿وَالْحَجِّ﴾ عطفٌ على الناس؛ أي: يعلم بها وقته، فلو استمرَّت على حالةٍ لم يعرف ذلك ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام، بأَنْ تنقبوا فيها نقبًا تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب، وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برًّا ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: ذا البر ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ اللهَ بترك مخالفته ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ في الإحرام كغيره ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

وقولُ المؤلِّف: (**يا محمد**): تفسيرٌ للضمير المنصوب؛ لأنه المخاطَبُ بهذا الخبر، ولو قال المؤلف: «أيها النبي»، بدل «يا محمد» كان أولى؛ لأن الله لم يخاطبه باسمه بل بصفةِ النبوة والرسالة.

وقولُه: (**جمعُ هلال...**) إلى آخره: كأَسنَّة جمع سنان، والهلالُ: اسمُ القمر أول الشهر، وبيَّن بقوله: (**لِمَ تبدو...**) إلى آخره: أي: الأهلة صفة سؤالهم.

وقولُه: (**لهم**): أي: للذين سألوا عن الأهلة.

وقولُه: (**يعلمون بها...**) إلى آخره: يُبيِّنُ الأمورَ المؤقتة الدينية والدنيوية التي يحتاج الناس فيها إلى ما يعرفون به مواقيتهم، وقد جعل اللهُ لذلك الأهلة.

وقولُه: (**عطف على الناس**): فيكون في المعنى من عطف الخاص على العام؛ أي: ومواقيت للحج.

وقولُه: (**فلو استمرت...**) إلى آخره: بيانٌ لوجه دلالةِ الأهلة على المواقيت، وهو تغيُّرُ أحوالها، فلو كانت على حالةٍ واحدةٍ لم يُعرف بها الوقت؛ كالشمس لا تعرف بها الشهور.

وقولُه: (**في الإحرام...**) إلى آخره: بيانٌ لصفة إتيانهم البيوت من ظهورها، وذلك إذا كانوا محرمين، ويزعمون أَنَّ ذلك من البِرِّ فأبطل اللهُ ذلك، ونهاهم.

وقولُه: (**ذا البر**): قدَّر مضافًا ليُطابق اسمُ «لكنَّ» خبرَها، والأَولى تقديرُ مضافٍ قبل «مَن»، فيكون التقدير: «ولكن البر حقًّا تقوى مَن اتقى»، أو «فعل من اتقى»[1].

وقولُه: (**في الإحرام كغيره**): يُبيِّنُ أَنَّ الأمر بإتيان البيوت من أبوابها مُتعلق بالحال التي ابتدؤوا فيها إِتيان البيوت من ظهورها، فصار الأمرُ بإتيان البيوت من أبوابها مؤكدٌ للنهي عن إتيان البيوت من ظهورها.



(١) تقدم في (ص ٣٥٩) في آية: ﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ
ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ
١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ
فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ
فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ وَأَنفِقُواْ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٠-
١٩٥]:

يأمر تعالى رسولَه والمؤمنين بقتال مَن يُقاتلهم من الكافرين، واختُلفَ في المراد بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾؛ فقيل: هم المحاربون من الكفار الذين لا عهد لهم، وقيل: هم مَن كان من أهل القتال، فخرج عنهم النساءُ والصبيانُ ومَن في حكمهم كالشيخ الفاني(١).

وقوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: تنبيهٌ على الإخلاص، بأن يكون القصدُ من القتال إعلاءَ كلمةِ الله، وهذا الأمرُ بالقتال بعد الإذن للمهاجرين بقتال الذين أَخرجوهم من ديارهم وأموالهم بعد أن كانوا مأمورين بكفِّ أيديهم، فأُذِنَ لهم بالقتال، ثم أُمروا بقتال مَن قاتلهم، وهو معنى هذه الآية، ثم نُسِخ ذلك بالأمر بقتال المشركين حتى يسلموا وأهل الكتاب حتى يعطوا الجزية؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وقال في

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٨٩-٢٩٢)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٦٢-٤٦٣)، و«أضواء البيان» (١/ ١٤٥).

أهل الكتاب: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة:٢٩][١].

وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾: نهيٌ عن الاعتداء بجميع أنواعه، فيشمل قتالَ المعاهدين، وقَتْلَ ما لا يحلُّ قتلُه كالنساء والصبيان، ومما يُعَدُّ اعتداءً: التمثيلُ بأبدان القتلى من الكفار لنهي الرسول ﷺ عن ذلك[٢]، والاعتداءُ في القرآن يأتي على وجهين:

أحدهما: مجاوزةُ حدودِ الله إلى ما حرم، ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٢٢٩﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٨٧﴾ [المائدة: ٨٧].

الثاني: الاعتداءُ على الناس بظلمهم بقتلٍ أو غصبٍ ونحو ذلك، ومنه قوله تعالى -في آية القصاص-: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٨﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤][٣]، وسُمِّيَ الجزاء على الاعتداءُ اعتداءً مشاكلة لفظية[٤]؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. وقوله في هذه الآية: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠﴾ تحتمل الوجهين.

---

(١) هذا مبني على ما تقدم من الخلاف في المراد بالموصول ﴿الذين يقاتلونكم﴾، ينظر ما تقدم، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص١٠٧)، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي (ص٦٥)، و«قلائد المرجان» (ص٦٤).

(٢) أحاديث النهي عن المثلة جاءت عن جمع من الصحابة كعبد الله بن يزيد الأنصاري، وبريدة في البخاري (٢٤٧٤)، ومسلم (١٧٣١)، وورد النهي أيضًا في حديث أنس بن مالك، وعمران بن حصين، وسمرة بن جندب، ويعلى بن مرة. **ينظر**: «إرواء الغليل» (٢٢٣٠).

(٣) **ينظر**: «الوجوه والنظائر» لمقاتل (ص٦٦)، و«التصاريف» ليحيى بن سلام (ص١٨٧).

(٤) **ينظر**: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٦٥)، و«الكشاف» (١/ ٣٩٧)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٢٠٩)، و(٢/ ٢١١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾: أَمر بقتل المشركين المحاربين حيث وجدوا.

وقوله: ﴿حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ أي: حيث وجدتموهم[1].

وقوله: ﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ﴾: أمر بإخراجهم من الأرض التي أخرجوا المؤمنين منها، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾: الفتنةُ في هذه الآية ونحوها: الشرك[2]، وما في حُكمه من أنواع الكفر، وما ينشأُ عن ذلك من الصدِّ عن سبيل الله، فإنه أَشدُّ وأَعظمُ عند الله من القتل والقتال في الشهر الحرام أو في البلد الحرام كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ...﴾ الآية [البقرة:٢١٧].

وقوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِ﴾: نهيٌ عن قتال المشركين عند المسجد الحرام، وهو الحَرَمُ كلُّه، والمسجدُ الحرامُ: هو المصلَّى الذي حولَ الكعبة، والذي عنده جميع الحرم.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِ﴾: تقييدٌ للنهي عن قتالهم، فعُلِمَ أَنَّ النهي عن بدئهم بالقتال، فإن كفُّوا وجبَ الكفُّ عنهم، وإن بدؤوا بالقتال جاز قتالُهم وقَتْلُهم ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ﴾ ـ أي: عند المسجد الحرام ـ ﴿فَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾، وهذه الآية أعني: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ مخصِّصةٌ لقوله: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾، وقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة:٥]، والصحيحُ: أَنَّ هذه الآية مُحكمةٌ، فلا يحلُّ في الحرم إلا قتالُ مَن قاتلَ فيه[3]، ويؤيد أَنَّ الآيةَ مُحكمةٌ قولُه

---

(١) «المفردات» (ص١٧٣).
(٢) «نزهة الأعين النواظر» (ص٤٧٨).
(٣) وهو قول مجاهد، وذهب إليه جمهور المفسرين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٩٦)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ١٥١-١٥٣)، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي (ص٦٧)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٣٥١-٣٥٣)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٢٥). وفي نسخ هذه الآية خلاف قوي؛ حتى قال عنها النحاس: «من أصعب ما في الناسخ والمنسوخ»، «الناسخ والمنسوخ» (ص١٠٩).

ﷺ: ((إنَّ هذا البلدَ حرَّمَه اللهُ يومَ خلق السماوات والأرض، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة))[١]. وقال ﷺ: ((فإن أحدٌ ترخّص بقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا له: إنّ الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنّما أذن لي فيها ساعةً من نهارٍ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلّغ الشّاهد الغائب))[٢]، رواهما البخاري ومسلم.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١﴾ أي: مثل هذا الجزاء بالقتل والقتال جزاءُ كلِّ كافرٍ يُقاتل المسلمين. وقوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢﴾ أي: فإن انتهوا عن كفرهم بالله وعن قتالكم؛ فإنَّ اللهَ يغفر لهم ما سلف ويرحمهم لأنه غفورٌ رحيمٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: أَمرٌ بقتال الكفار مطلقًا. ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ أي: شركٌ أو صدٌّ عن سبيل الله، و﴿حَتَّىٰ﴾: حرف تعليل؛ أي: لِئلَّا تكون فتنة، أو حرف غاية؛ أي: إلى ألَّا تكون فتنة[٣]، و﴿تَكُونَ﴾ تامة، ومعناها: توجد، و﴿فِتۡنَةٞ﴾: فاعل.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾: عن كفرهم وقتالهم، ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾: نفي؛ معناه: النهي؛ أي: فلا تعتدوا أيها المؤمنون إلا على الظالمين بالكفر أو الاعتداء عليكم. وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾: ذهب جمهورُ المفسرين إلى أَنَّ المرادَ بالشهر الحرام: ذو القعدة، فهو أَحدُ الأشهر الحرم، وأَنَّ المعنى: الشهرُ الحرامُ الذي دخل المسلمون فيه مكةَ، وأَقاموا فيها ثلاثةَ أيام، وذلك في عُمرة القضية في السنة السابعة، هو بدل عن الشهر الحرام

(١) أخرجه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه البخاري (١٨٣٢)، ومسلم (١٣٥٤) عن أبي شُريح العدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) ينظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ١٥٨)، و«البحر المحيط» (٢/ ٢٤٦)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٢٠٧).

الذي صدَّ فيه المشركون النبيَّ ﷺ عامَ الحديبية في السنة السادسة، وذلك من نوع القصاص[1]، ولهذا قال: ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾، وذلك شاملٌ لجميع الحُرُمات؛ حرمةِ الزمانِ والمكانِ والإحرام، وحرمةِ المؤمنِ، وحرمةِ العهدِ، فمَن انتهك حُرمةً اقتُصَّ منه على الوجه المأذون فيه شرعًا.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: مَن اعتدى عليكم بقتالٍ أو قتلٍ أو أيِّ نوع من أنواع العدوان؛ فاعتدوا عليه قصاصًا وجزاءً بمثل اعتدائه عليكم، وسمَّى جزاءَ الاعتداء اعتداءً مُشاكلةً لفظيةً؛ كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وفي هذا بيانٌ لصفة القصاص في قوله: ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾.

ثم أَمر سبحانه عبادَه أن يتقوه، وذلك بفعل ما أَمرهم به وتركِ ما نهاهم عنه، فذلك يَقيهم عذابَ اللهِ وبأسَه، ورغَّبهم في التقوى فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾، وأكَّد معيَّته تعالى للمتقين بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾، وهذه الآيةُ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨].

وقولُه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: تأكيدٌ لكل ما تقدَّم من الأوامر والنواهي.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أَمر بإنفاق الأموال في سبيل الله؛ أي: لوجه الله، وفي كلِّ طريقٍ يحبُّ اللهُ الإنفاقَ فيه، ومن أعظم ذلك الجهادُ في سبيل الله بقتال أعداء الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾: نهيٌ للمؤمنين عن أَن يُعرِّضوا أنفسهم للهلكة، وهي: التهلكة، وليس من ذلك الانغماسُ في العدو، بل من الإلقاء باليد إلى التهلكة: القعودُ عن الجهاد، وقد كان سببُ نزول هذه الآية أَنَّ

---

(١) وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس ومجاهد والسدي والضحاك وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٠٤-٣٠٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٦٥-٤٦٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٢٧).

الأنصارَ لَمَّا ظهرَ الإسلامُ وعزَّ هموا أَن يقعدوا عن الجهاد ويُقبلوا على إصلاح حروثهم وبساتينهم، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو داود والترمذي[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾: أَمر بإحسان العمل والإحسان إلى العباد بأنواع الإحسان. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾: ترغيبٌ في الإحسان، وهو تعالى محسنٌ ويُحبُّ الإحسانَ والمحسنين.

ولَمَّا صُدَّ ﷺ عن البيت عامَ الحديبية، وصالحَ الكفارَ على أَن يعود العامَ القابل، ويُخلوا له مكةَ ثلاثة أيامٍ، وتجهَّزَ لعمرة القضاء، وخافوا أَلَا تفي قريش ويُقاتلوهم، وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام؛ نزل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لإعلاءِ دينه ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ من الكفار ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عليهم؛ بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين ما حدَّ لهم، وهذا منسوخٌ بآية براءة، أو بقوله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: من مكة، وقد فعل بهم ذلك عام الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشركُ منهم ﴿أَشَدُّ﴾ أعظمُ ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظمتموه ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: في الحرم ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه. وفي قراءةٍ بلا ألف في الأفعال الثلاثة[٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ القتلُ والإخراجُ ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ❁ فَإِنِ انْتَهَوْا﴾

(١) أخرجه أبو داود (٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٧٢)، والحاكم (٢٤٣٤) من طريق حيوة بن شُرَيْح وابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران، عن أبي أيوب الأنصاري، فذكرهُ بسياق أطول وفيه قصة.
وهذا إسناد رجاله رجال مسلم؛ غير أسلم أبي عمران يزيد التُّجِيبي، وهو ثقة كما في «التقريب» (٤٠٤)، ووهم الحاكم، فصححه على شرط الشيخين.

(٢) قرأ حمزة والكسائي: ﴿ولاَ تَقْتُلُوهم﴾، ﴿حتَّى يَقْتُلُوكُم﴾، ﴿فإِن قتَلُوكم فاقْتُلُوهم﴾ بغير ألف من القتل، والباقون بالألف من القتال. ينظر: «السبعة في القراءات» (ص١٧٩-١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٢٢٦-٢٢٧).

عن الكفر وأَسلموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شركٌ ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ العبادةُ ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، ولا يُعبد سواه ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الشرك، فلا تعتدوا عليهم، دلَّ على هذا ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ومَن انتهى فليس بظالم؛ فلا عدوان عليه ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ المحرم مقابل ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله، رد لاستعظام المسلمين ذلك ﴿وَالْحُرُمَاتُ﴾ جمعُ حُرمة: ما يجب احترامه ﴿قِصَاصٌ﴾ أي: يقتصُّ بمثلها إذا انتهكت ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ سمَّى مقابلته اعتداءً لشبهها بالمقابل به في الصورة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته، الجهاد وغيره ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: أنفسكم، والباء زائدة ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الهلاكِ، بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه؛ لأنه يقوِّي العدوَّ عليكم ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بالنفقةِ وغيرها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: يُثيبهم.

وقولُ المؤلِّف: (**لإعلاء دينه**): يُبيِّنُ أَنَّ الجهادَ الذي في سبيل الله ما كان لإعلاء دينِ الله كما يدلُّ له قولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَن قاتلَ لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله))، متفق عليه[1].

وقولُه: (**بالابتداء بالقتال**): يُبيِّنُ أَنَّ المرادَ بالاعتداء المنهي عنه هو: ابتداءُ الكفار بالقتال، وهو مبنيٌّ على أَنَّ المراد بالذين يقاتلونكم؛ هم المحاربون لا الكافرون.

(١) البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقولُه: (**المتجاوزين...**) إلى آخره: هذا أَحدُ معنيي الاعتداء، ومنه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة:٢٢٩].

وقولُه: (**وهذا منسوخٌ بآية براءة...**) إلى آخره: يُريد: أَنَّ النهيَ عن ابتداء الكفار بالقتال منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وهذا هو الصحيحُ.

وقولُه: (**وقد فعل بهم ذلك...**) إلى آخره: في هذا نظرٌ، فإنَّ المعروفَ أَنَّ النبيَّ ﷺ لم يُجْلِ أحدًا، بل أَمَّنهم وعفى عنهم وخرج مَن خرج معه إلى حنين[1].

وقولُه: (**الشرك منهم**)، وقولُه: (﴿**القتل**﴾ **لهم...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ شركَ المشركين في مكة أكبرُ من قتل المسلمين لهم في الحرم، وفي ذلك تسليةٌ للمسلمين.

وقولُه: (**أي: في الحرم**): يُبيِّنُ بهذا أَنَّ المراد بالذي عند المسجد الحرام: هو جميعُ الحرمِ؛ لأنَّ المسجدَ الحرام هو المصلى حولَ الكعبة، فالمنهي عنه هو القتالُ أو القتلُ في الحرم، فالقتلُ أو القتالُ في المسجد نفسِه أَشدُّ تحريمًا.

وقولُه: (**توجد**): يُبيِّنُ أَن تكون تامة.

وقولُه: (**العبادة...**) إلى آخره: تفسيرٌ للدِّين، وإذا كانت العبادةُ لله وحده لم يوجد الشرك؛ فمضمونُ الجملةِ الثانيةِ لازمٌ لمضمون الجملةِ الأولى؛ لأَنَّ نفيَ وجود الشرك يستلزمُ وجودَ التوحيد، فعلى هذا تكون الجملةُ الثانيةُ مؤكدةً للجملة الأولى.

وقولُه: (**عن الشرك...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنهم إذا انتهوا عن الشرك ثبتت لهم حرمةُ الإسلام، فلا يجوز الاعتداءُ عليهم بقتلٍ ولا قتالٍ أو غيرهما؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؛ فإنه نفيٌ بمعنى النهي.

---

(١) وكانوا يسمون الطلقاء. **ينظر**: صحيح البخاري (٤٣٣٣)، ومسلم (١٠٥٩)، (١٨٠٩).

وقولُه: (**المحرم مقابل...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ معنى حرام: محرم، والشهرُ الحرامُ أَحدُ الأشهر الحُرمِ، والمراد: إمَّا جنسُ الأشهر الحُرم الأربعةِ، وإمَّا واحدٌ معيَّنٌ منها؛ كذو القعدة الذي جرت فيه مقاصة المشركين بدخول مكة في السنة السابعة في مقابل صدِّهم المسلمين في السنة السادسة؛ فالمعنى: مَن قاتلكم في الشهر الحرام؛ فقاتلوه فيه أو في شهرٍ مثله، وهذا من القصاص في حرمة الزمان؛ كالقصاص في حرمة المكان المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ الآية.

وقولُه: (**رد لاستعظام المسلمين ذلك**): يريد أَنَّ إباحةَ القتالِ في الشهر الحرام وفي الحرم قصاصًا دفعٌ لتحرُّجِ المسلمين من ذلك.

وقولُه: (**سمَّى مقابلته...**) إلى آخره: يريد: قوله: ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾، وهو في الحقيقة ليس اعتداء؛ بل مجازاةً وقصاصًا؛ يقول المؤلف: سماه اعتداء؛ لأنه يُشبه اعتداء المشركين في الصورة؛ لأَنَّ كلًا منهما قتلٌ وقتالٌ، وقال بعضهم: إنه من قبيل المشاكلةِ اللفظيةِ[١]، وقال بعضهم: إنه مجازٌ مرسَلٌ علاقته السببية؛ لأنه من التعبير بالسبب عن المسبب[٢].

وقولُه: (**في الانتصار...**) إلى آخره: خصَّ الأمرَ بالتقوى بما ذكر وإن كان عامًّا؛ ليناسب ما قبله.

وقولُه: (**بالعون والنصر**): هذا يُبيِّنُ أَنَّ المعيةَ هي المعيةُ الخاصة.

وقولُه: (**طاعته...**) إلى آخره: هذا بيانٌ للمراد بسبيل الله، وأَنَّ كلَّ طاعةٍ هي من سبيل الله، وقد غلبَ على هذا الوصف ـأعني: في سبيل اللهـ أَنَّ المرادَ به الجهادُ بقتال الكفار، وكلُّ جهادٍ أو نفقةٍ في طاعة الله فهو في سبيل الله.

---

(١) تقدم (ص ٥٠).

(٢) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (٧٦)، و«المفردات» (ص١٧٣).

وقولُه: (**أنفسكم**): بيانٌ لمفعول ﴿تَلْقُوا﴾؛ لأَنَّ التهلكةَ مصدرٌ سماعي بمعنى: الهلاك، والهلاكُ إنما يتعلَّق بالنفس، فصح أَنَّ المعنى: ولا تلقوا أَنفسَكم إلى التهلكة، ومن أَحسن ما عُبِّر به عن قوله: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: أي: باختياركم، وعليه فالباءُ ليست زائدة[1].

وقولُه: (**بالإمساك عن النفقة...**) إلى آخره: بيانٌ للسبب الذي يكون به الهلاك، وهو المنهيُّ عنه.

وقولُه: (**بالنفقةِ وغيرها**) تفسير الإحسان بالنفقة هو المناسب لسياق الآية فلما نهى عن الإمساك؛ بقوله: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أمر بالإنفاق بقوله: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ فكان الأمر بالإنفاق تأكيدًا للنهي عن الإمساك.

وقولُه: (**أي: يثيبهم**) فسر محبة الله بالإثابة، وهذا تأويل وصرف للكلام عن ظاهره وهذه طريقة من ينفي عن الله حقيقة المحبة، ويفسرها بالثواب أو إرادة الثواب، وهذه طريقة المؤلف ـعفا الله عنهـ كما سيأتي في نظائر هذه الآية.



(١) **ينظر**: «التحرير والتنوير» (٢/ ٢١٣-٢١٤). وأوجه أخرى في: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٢٥-٣٢٦)، و«الكشاف» (١/ ٣٩٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٦٨)، و«البحر المحيط» (٢/ ٢٥١-٢٥٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٩٦﴾ [البقرة: ١٩٦]:

يأمر اللهُ نبيَّه والمؤمنين بإتمام الحج والعمرة له تعالى، وفي المراد بالإتمام وجوهٌ من التفسير: فقيل: المرادُ: المضيُّ فيهما إلى تمامهما بعدمِ القطعِ لهما لأن الأمر بالإتمام إنما يتوجه لمن شرعَ فيهما، وقيل: إتمامُهما: فِعلُ جميعِ مناسكهما، وقيل: المرادُ: الإخلاصُ فيهما لله تعالى، وقيل: إتمامُهما: أداؤهما؛ ولهذا قيل: إنَّ هذه الآيةَ هي الدليلُ على وجوب الحجِّ والعمرة، ولهذا قال مَن قال: إنَّ الحجَّ فُرِضَ في السنة السادسة من الهجرة[(١)]، وأَقربُ هذه الوجوه في المراد «بالإتمام»: الأول والثاني[(٢)]، والصواب: أَنَّ الحجَّ إنما فُرِضَ في السَّنة التاسعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وهذه الآية إنما نزلت في السنة التاسعة[(٣)].

والحجُّ في اللغة: القصد إلى مُعَظَّمٍ، وفي الشرع: القصدُ إلى البيت الحرام والمشاعرِ العظامِ بقصد القُربةِ لله. والعمرةُ في اللغة: الزيارة، وفي الشرع: زيارةُ البيت للطواف به والسعي بين الصفا والمروة.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٢٧-٣٤٢)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٧٠-٤٧١)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) وتفسير الإتمام بالمضي هو قول ابن عباس في رواية علي ابن أبي طلحة عنه، واختاره الطبري والبغوي، واستظهره ابن كثير، وقال أبو حيان: إن القولين قريبان. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٢٨) (٣/ ٣٣١-٣٣٢)، و(٣/ ٣٤١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢١٨) و«البحر المحيط» (٢/ ٢٥٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٧٣٥).

(٣) **ينظر**: «زاد المعاد» (٢/ ١١٠).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أي: صُددتم عن المسجد الحرام[١].
وقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ أي: مَن أُحصرَ فعليه ما استيسر من الهدي، وهو: شاةٌ أو سُبْعُ بَدنةٍ أو سُبعُ بقرةٍ، يذبحه في المكان الذي أُحصرَ فيه ويتحلَّل، وهذا يؤيد الوجهَ الأولَ في المراد بإتمام الحج والعمرة. وقوله: ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾: نهيٌ من الله عن حلق المحرِمِ رأْسَه.
وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾: هذا غايةٌ للنهي عن حلق المحرِمِ رأْسَه، ومحلُّ الهدي في العمرة وقت الفراغ منها، ومحلُّه المكاني: الحرمُ كله، والهديُ في الحج محلُّه الزماني يوم النحر، ومحلُّه المكاني منى.
وقوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾: هذه الآيةُ تضمَّنت الرخصةَ للمحرم بحلق رأسه إذا كان مريضًا أو به أذى من رأسه كالقمل، فمَن ترخَّصَ وحلقَ فعليه فدية، وهي أَحدُ ثلاثة أشياء: صيامُ ثلاثةِ أيامٍ، أو إطعامُ ستةِ مساكين لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ، أو نُسك وهو شاةٌ أو سُبْعُ بقرةٍ أو سُبْعُ بدنة، وقد أُجملت خصالُ الفطرة الثلاثة في القرآن، وفصَّلتها السنَّةُ كما في حديث كعب بن عجرة[٢].
وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾. قوله: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ أي: لم تخافوا أَن يصدَّكم عدو عن البيت، وحينئذٍ فمَن تمتَّع بالعمرة إلى الحج؛ أي: أَنشأَ عمرةً في أشهر الحج ليتمتع بها إلى أَن يأتي وقتُ الإحرام بالحج، فمَن فعل ذلك وحلَّ من العمرة ثم أحرم بالحج مِن عامِه؛ فذلك هو المتمتعُ، وعليه ما استيسرَ من الهدي؛ وهو شاةٌ أو سُبْعُ بَدنةٍ أو سُبْعُ بقرةٍ كما تقدَّم، فمَن لم

---
(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٢٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (١٨١٤)، ومسلم (١٢٠١).

يجد فعليه صيامُ ثلاثةِ أيام في الحج، اختُلفَ في وقتها، وأظهرُ الأقوال أنه بعد الإحرام بالعمرة[١]، وسبعةٍ إذا رجعَ إلى أهله.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾: تأكيدٌ لوجوب ما ذكر من صيام الثلاثة والسبعة، وأنها لا تجزئ عن الهدي إلا كاملة، فمَن ترك منها يومًا لغير عذرٍ كان كمَن لم يصمْ منها شيئًا.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: اسمُ الإشارة قيل: راجعٌ إلى التمتع وما يتعلَّقُ به من الأحكام؛ فالمعنى: أَنَّ التمتُّعَ مشروعٌ لمن ليس من حاضري المسجد الحرام، وليس مشروعًا لحاضري المسجد الحرام، وقيل: اسمُ الإشارةِ راجعٌ إلى وجوب الهدي في قوله: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، وعلى هذا فلا يجب الهديُ إلا على مَن تمتَّعَ من غير حاضري المسجد الحرام، وعليه فمَن تمتَّعَ منهم فلا هدي عليه، والصوابُ الأولُ، فإنَّ اسمَ الإشارة ليس كالضمير يعود إلى أقرب مذكور؛ بل يعودُ إلى كلِّ ما تقدَّم في الجملة[٢].

واختُلف في المراد بـ﴿حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: فقال بعضهم: هم أهلُ الحرَمِ خاصة، وقيل: هم أهلُ الحرَمِ ومَن بينهم وبينه دون مسافةِ القصر، والصحيح: الأول؛ وهو أنهم سكانُ الحرَمِ؛ لأنه ظاهرُ القرآن[٣].

---

(١) وهو قول أبي حنيفة واختاره السعدي. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٤٣٠)، (٣/ ٤٣١)، و«أحكام القرآن» للجصاص (١/ ٣٦٦)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٧٨)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٣٩٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٣٨)، و«تفسير السعدي» (١/ ١٤٦).

(٢) وهو قول ابن عباس الربيع والسدي، واختاره الطبري، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٤٣٧)، (٣/ ٤٣٩)، و«أحكام القرآن» للجصاص (١/ ٣٤٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٨٠)، و«زاد المسير» (١/ ١٦٣)، و«البحر المحيط» (٢/ ٢٧٠)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٣) وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٤٣٨-٤٣٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٨٠)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٤٠٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٤٠).

وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: وصيةٌ من الله لعباده بالتقوى، وهي: فعلُ المأمورات وتركُ المنهيات، وأولى ما يدخل فيها ما تقدَّم من الأوامر والنواهي. وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٩٦﴾: أَمر بالعلم بأنه تعالى شديدُ العقاب، وفي ضمنه تعليمٌ للعباد بما يوجب الخوفَ منه تعالى والمبادرةَ إلى طاعته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أَدُّوهما بحقوقهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ مُنعتم عن إتمامهما بعدو ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسَّر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليكم وهو شاةٌ ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أي لا تتحلَّلوا ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ المذكورُ ﴿مَحِلَّهُ﴾ حيث يحلُّ ذبحُه، وهو مكانُ الإحصار عند الشافعي، فيذبح فيه بنيَّةِ التحلُّل، ويُفرق على مساكينه ويحلق، وبه يحصلُ التحلُّلُ ﴿فَمَنْ كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ كقملٍ وصُداعٍ، فحَلَق في الإحرام ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ لثلاثةِ أيامٍ ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة آصع من غالب قوتِ البلد على ستة مساكين ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ أي: ذبح شاة، و«أو» للتخيير.

وأُلحق به مَن حَلَقَ لغير عذرٍ؛ لأنه أولى بالكفارة، وكذا مَن استمتع بغير الحَلْق؛ كالطِيب واللبس والدُّهن لعذر أو غيره ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ العدوَّ، بأَنْ ذهب أو لم يكن ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ استمتع ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أي: بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ أي: الإحرام به، بأن يكون أَحرم بها في أشهره ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسَّرَ ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليه، وهو شاةٌ يذبحها بعد الإحرام به، والأفضلُ يوم النحر ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهديَ لفَقْدِه أو فَقْدِ ثمنه ﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعليه صيامُ ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي: في حال الإحرام به، فيجب حينئذٍ أَنْ يُحرم قبل السابع من ذي الحجةِ، والأفضلُ قبلَ السادس؛ لكراهة صوم يوم عرفة، ولا يجوز صومها أيامَ التشريق على أصحِّ قولي الشافعي ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى وطنكم، مكة أو غيرها، وقيل: إذا

فرغتم من أعمال الحج، وفيه التفاتٌ عن الغيبة ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ جملةُ تأكيدٍ لِمَا قبلها ﴿ذَلِكَ﴾ الحكمُ المذكورُ من وجوب الهدي أو الصيام على مَن تمتَّع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي، فإن كان فلا دمَ عليه ولا صيامَ وإن تمتع. وفي ذكر الأهل إشعارٌ باشتراطِ الاستيطان، فلو أَقام قبل أشهرِ الحج، ولم يستوطن وتمتع؛ فعليه ذلك، وهو أَحدُ وجهين عندنا، والثاني: لا، والأهلُ كنايةٌ عن النفس، وأُلحقَ بالمتمتِّع فيما ذُكِرَ بالسنَّة القارنُ؛ وهو مَن يُحرم بالعمرة والحج معًا، أو يُدخِل الحجَّ عليها قبل الطواف ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفَه.

وقولُ المؤلِّف: (أَدُّوهما بحقوقهما): أي: افعلوهما بجميع مناسكهما، وهذا يقتضي أَنَّ المؤلفَ يذهب إلى أَنَّ الآيةَ دليلٌ على وجوب الحج والعمرة، وهو يقتضي أَنَّ الحجَّ فُرِضَ في السنة السادسة، والصوابُ خلافه.

وقولُه: (عن إتمامهما...) إلى آخره: فسَّرَ الإحصارَ بالمنع من إتمامهما، وخصَّ الإحصارَ بحصر العدو، وهذا هو الذي وقع في السنة السادسة حين منع المشركون الرسولَ وأصحابَه من دخول مكة، وسمَّاه اللهُ صدًّا عن المسجد الحرام، واتفق العلماءُ على أَنَّ حَصْرَ العدو إحصارٌ يجب به الهدي، ويُباحُ به التحلل من الإحرام، وذهب كثيرٌ من العلماء إلى أَنَّ الإحصارَ لا يختصُّ بحصر العدو، بل يعمُّ كلَّ مانعٍ من إتمام النُّسك من مرضٍ وغيره[1].

(١) وهو قول ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة عنه، وابن مسعود، ومجاهد، والحسن وجماعة، وهو مذهب أبي حنيفة، واختاره الطبري. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٤٢-٣٤٥)، (٣/ ٣٤٧-٣٤٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٧١-٤٧٣)، و«زاد المسير» (١/ ١٥٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٣٣).

وقولُه: (**عليكم**): هذا تقديرٌ لخبر المبتدأ، وهو الموصول في قوله: ﴿مَا اسْتَيْسَرَ﴾، والتقدير: فإنْ أُحصرتم فعليكم ما استيسرَ من الهدي؛ أي: تيسر.

وقولُه: (**وهو شاة**): مثالٌ لِمَا استيسر، وبمنزلة الشاةِ سُبْعُ البَدنة أو البقرة[١].

وقولُه: (**أي: لا تتحلّلوا**): فسَّرَ النهيَ عن الحلق بالنهي عن التحلل من الإحرام؛ لأنَّ الحلقَ مما يكون به التحلُّل، كما يدلُّ له قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمعتمر: ((وليُقصِّر وليتحلل))[٢]؛ أي: بعد الطواف والسعي، أو أنه لا يُباحُ إلا بعد التحلل، كما يدلُّ له قولُه تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فلا أحل حتى أنحر))[٣].

وقولُه: (**حيث يحل ذبحه...**) إلى آخره: فسَّرَ الهديَ بهدي الإحصار، والمحل بالمحل المكاني، وعليه فمحلُّ هدي الإحصارِ مكانُ الإحصار كما قال الشافعي[٤]، فينحرُ المحصرُ هديه ثم يحلقُ رأسه، وبذا يحلُّ من إحرامه، وأمَّا مَن أَحرمَ وساق الهدي معه، فإن كان معتمرًا؛ فإنه ينحرُ هديه بعد فراغه من العمرة ويحلق رأسه، وأمَّا إن كان متمتعًا أو قارنًا؛ فإنه لا يحلُّ حتى ينحر هديه يومَ النحر بمنى.

وقولُه: (**كقمل وصداع فحلق في الإحرام**): هذا تمثيلٌ للمرض والأذى في الرأس.

وقولُه: (**عليه**): هذا تقديرٌ لخبر المبتدأ؛ وهو «فدية».

---

(١) لما أخرجه مسلم (١٣١٨) عن جابر بن عبد الله، قال: «نحرنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة».

(٢) أخرجه البخاري (١٦٩١)، ومسلم (١٢٢٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٦٦)، ومسلم (١٢٢٩) من حديث حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) ينظر: «الأم» (٣/ ٣٩٩-٤٠١).

وقولُه: (**لثلاثة أيام**) وقولُه: (**بثلاثة آصع...**) إلى آخره: هذا مضمونُ ما دلَّت عليه السنَّةُ في قصة كعب بن عجرة، وهو بيانٌ لِمَا أُجمل في الآية.

وقولُه: (**و«أو» للتخيير**): يفيدُ أَنَّ مَن وجبت عليه الفديةُ يُجزئه واحدٌ من الثلاثة؛ كخصال كفارة اليمين.

وقولُه: (**وألحق به...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ مَن حَلَقَ لغير عذرٍ تجب عليه الفديةُ؛ كمن حلق لعذر.

وقولُه: (**في حال الإحرام به**): يريد: أَنَّ صيامَ الأَيام الثلاثةِ يكون بعد إحرام المتمتعِ بالحجِّ، فيُحرم بالحج في اليوم السادس أو السابع من ذي الحجة، وقيل: يجوز صيامُها بعد الإحرام بالعمرة أو بعد التحلل منها؛ وهذا أصح.

وقولُه: (**ولا يجوز صومها...**) إلى آخره: أي: صوم الأيام الثلاثة، والصحيحُ أنه يجوز صوم أيام التشريق كما في حديث ابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالا: «لم يُرخَّصْ في أيام التشريق أَنْ يُصَمنَ إِلَّا لمن لم يجد الهدي»[(١)].

وقولُه: (**وقيل: إذا فرغتم من أعمال الحج**): الصوابُ: القولُ الأولُ، فوقتُ صيام الأَيام السبعة إذا رجع الحاج إلى أهله[(٢)].

وقولُه: (**وفيه التفاتٌ عن الغيبة**): يريد أَنَّ قوله: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ فيه التفاتٌ عن الغيبة إلى الخطاب؛ لأَنَّ كلَّ ما قبله من قبيل الكلام عن غائب.

وقولُه: (**جملةُ تأكيدٍ لِمَا قبلها**): لأَنَّ عشرةَ جمعُ ثلاثة وسبعة، فعلى هذا القول لم تُفد الجملةُ معنى جديدًا؛ لأَنَّ ذكرها لمحضِ التأكيد، ومن أحسن ما قيل في وجه ذكر هذه الجملة: دفعُ توهُّم التخيير بين الثلاثة والسبعة؛ لأَنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٩٧).

(٢) وهو قول ابن عمر، وروي عن سعيد بن جبير وأبي العالية ومجاهد وعطاء وجماعة. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٤٣٣)، (٣/ ٤٣٥-٤٣٦)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٧٨-٤٧٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٣٩).

الواو قد تكون في بعض المواضع بمعنى «أو»، وقد استظهرتُ وجهًا لذكر هذه الجملة ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، وهو الدلالة على أنه لا يجزئ صوم بعضها، فلا بد إذًا من صيام عشرة أيام كاملة[١].

وقولُه: (**الحكمُ المذكورُ...**) إلى آخره: جعل اسمَ الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ راجعًا إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ...﴾ وما بعده، وقيل: اسمُ الإشارة راجع إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ﴾، وهو أظهر، وعليه: فالمتعةُ مخصوصةٌ بمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، ولا متعةَ لمن كان من سكان الحرم، وقد اختلف العلماءُ في المراد بحاضري المسجد الحرام، وأقربها أنه مَن كان نازلًا في الحرم.

وقولُه: (**فإن كان فلا دم عليه ولا صيام، وإن تمتع**): هذا مبنيٌّ على ما سبق؛ أَنَّ اسمَ الإشارة راجعٌ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، وعلى ما نقله المؤلفُ عن الشافعي من أَنَّ حاضرَ المسجد الحرام مَن كان دون مرحلتين من الحرم[٢]، فإنه يصحُّ منه التمتع ولا دم ولا صيام عليه، والمرحلة؛ يريد بها الفقهاء المسافة التي تقطع في يوم وليلة ولهذا عبر بعضهم بمن كان دون ليلتين من الحرم.

وقولُه: (**وفي ذكر «الأهل» إشعار باشتراط الاستيطان...**) إلى آخره: هذا استنباطٌ صحيحٌ، ولكن فيما فُرِّع عليه نظرٌ.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٤٣٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٦٨-٢٦٩)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٤٠٢-٤٠٣)، و«البحر المحيط» (٢/ ٢٦٨-٢٧٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٣٩).

(٢) **ينظر**: «مختصر المزني» (٨/ ١٦١)، و«أحكام القرآن» جمع البيهقي (١/ ١١٥)، و«تفسير الشافعي» جمع الفران (١/ ٣١٤-٣١٥).

وقولُه: (**والثاني: لا**): يريد: الوجهَ الثاني في مذهب الشافعي؛ مَن تمتَّعَ وهو دون مرحلتين من الحرم فلا دم عليه ولا صيام، وإن أقام بمكة قبل الحج[١].

وقولُه: (**والأهل كناية عن النفس**): هذا غريبٌ ولا يظهر له وجه.

وقولُه: (**وأُلحق بالمتمتع...**) إلى آخره: معناه أَنَّ القارنَ بين الحج والعمرة ملحقٌ بالمتمتع في وجوب ما استيسر من الهدي، ووجوبِ صيامِ ثلاثةِ أيامٍ وسبعة لمن لم يجد.



(١) ينظر الخلاف في شروط إيجاب دم التمتع عند الشافعية في: «المجموع شرح المهذب» (٧/ ١٧١) وما بعدها.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧]:

يُخبر تعالى في هذه الآية بأنَّ وقتَ الإحرام بالحج وأعمال الحج أَشهرٌ معلومة من أشهر السَّنة، وقد ذهب جمهورُ العلماء إلى أَنَّ أشهرَ الحجِّ: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة كما صح ذلك عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا وغيره[(١)]، وهذا وقتُ الإحرام بالحج، فلا ينعقدُ بعده بالإجماع، ولا يصح الإحرام قبل أشهره، وقيل: أَشهرُ الحجِّ: شوال وذو القعدة وذو الحجة كله[(٢)]، كما يدل لذلك لفظ الجمع، وقد بيَّنت السنَّةُ تفصيلَ ذلك ببيان أيام المناسك، وهي ستةُ أيامٍ أولها يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة، وآخرُها آخرُ أيامِ التشريق وهو الثالث عشر من ذي الحجة، ومَن قال أَشهر الحج: شوال وذو القعدة

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (٢/ ١٤١) باب قول الله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ إلى قوله: ﴿في الحج﴾.
ووصله الطبري في تفسيره (٣/ ٤٤٦)، والدارقطني في «السنن» (٢٤٥٦) عن ورقاء، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر مثله، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٤٢).
وأخرجه الطبري (٣/ ٤٤٦)، والحاكم (٣٠٩٢) ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨٧٨٢)، عن نمير، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر مثله. وقال الحاكم: «إسناده على شرطهما ولم يخرجاه».
وقال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٤٢٠): «والإسنادان صحيحان».

(٢) القول الأول: جاء عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير في جماعة من السلف، وبه قال أبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، والشافعي، ومالك في رواية ابن حبيب، ورجحه الطبري والزجاج.
والقول الثاني: مروي عن ابن عمر أيضًا، وجابر بن عبد الله في جماعة من السلف، ومالك بن أنس في رواية ابن المنذر. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٤٤٣-٤٥١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٦٩)، و«زاد المسير» (١/ ١٦٣)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٤٠٥)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٤١-٥٤٢).

وذو الحجة؛ قال: لا يجوز تأخيرُ شيءٍ من أعمال الحج عن شهر ذي الحجة، ومُتعلّقُ هذا الخلاف طوافُ الإفاضة[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾ أي: أَوجبَ على نفسه الحجَّ بالشروع فيه؛ فإنه يجبُ بمجرد الإحرام به وإن كان تطوعًا، ويجبُ إتمامه؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦]، والإحرام به يبدأُ وقتُه من أول ليلة من شوال، ولا يصحُّ قبل ذلك على الصحيح، وهو مذهب الشافعي[(٢)]، وآخرُ وقتِه: آخرُ ليلةِ النحر إذا بقي مقدار ما يمكن فيه إدراكُ الوقوف بعرفة قبل طلوعِ الفجر، وهو إجماعٌ كما تقدَّم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾: النفيُ في هذه الجمل بمعنى النهي؛ أي: فلا يرفثْ ولا يَفسُقْ ولا يُجادلْ، والرفثُ: الجماعُ ودواعيه والكلامُ فيه بحضرة النساء، والفسوقُ: جميعُ المعاصي، ومنه محظورات الإحرام، والجدالُ في الحج: هو الجدالُ حالَ الإحرام في أي أمرٍ يختلف فيه، ومنه الجدالُ في أحكام الحج ومناسكه، فعُلم بذلك أَنَّ مَن بِرِّ الحج تركُ هذه المنهيات، فالحجُّ المبرورُ: ما جمع بين فعلِ المأمورات وتركِ المنهيات.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾: ترغيبٌ في فعل الخير من أنواع الطاعات القولية والعملية البدنية والمالية، وذكر العلمِ في قوله: ﴿يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾ يتضمَّنُ الوعدَ بالثواب.

وقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾: أَمرٌ بأَخذ الزاد؛ وهو النفقةُ في سفر الحج، ولَمَّا أَمرَ تعالى بأخذ الزاد في سفر الدنيا نبَّه على ما هو أهمُّ منه وأعظم، نبَّه على زاد سفرِ الآخرة وهو التقوى؛ فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾؛

---

(١) **ينظر**: «تفسير ابن جزي» (١/ ١١٥)، و«تفسير الفاتحة والبقرة» للعثيمين (٢/ ٤١٦).

(٢) وعزاه الماوردي لعمر، وابن مسعود، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، في جماعة من السلف. **ينظر**: «الأم» (٣/ ٣٨٧)، و«الحاوي الكبير» (٤/ ٢٨-٢٩)، و«المجموع شرح المهذب» (٧/ ١٣١).

وهي: فِعلُ المأموراتِ وتَركُ المنهيات، فذلك هو الذي يقي العبدَ من سخط الله وعذابه، ثم أكد ذلك تعالى بقوله: ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ١٩٧﴾، فأمر بخير زادٍ، وخصَّ بالخطاب أولي الألباب؛ وهم أهلُ العقول النيرة الزكية التي تُميِّزُ بين الحقِّ والباطلِ، والنافع والضار، وتؤثرُ الهدى والرُّشدَ على الضلالة والغي.

﴿الْحَجُّ﴾ وقته ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ شوالُ وذو القعدة وعشرُ ليالٍ من ذي الحجة، وقيل: كلُّه ﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فَلَا رَفَثٌ﴾ جماعَ فيه ﴿وَلَا فُسُوقٌ﴾ معاصٍ ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خصامَ ﴿فِي الْحَجِّ﴾ وفي قراءة: بفتح الأولين[(١)]، والمراد في الثلاثة: النهي ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقةٍ ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ فيُجازيكم به، ونزل في أهل اليمن، وكانوا يحجُّونَ بلا زادٍ، فيكونون كَلًّا على الناس ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ ما يُبلِّغكُم لسفركم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ما يتقى به سؤال الناس وغيره ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ذوي العقول.

وقولُ المؤلِّف: (**وقته**): يريد أَنَّ ﴿أَشْهُرٌ﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ، والتقدير: الحجُّ وقتُه أَشهرٌ، وبعضُهم يُقدِّر مضافًا محذوفًا هو مبتدأ، وخبرُه: أَشهر، وعلى هذا فالتقدير: وقتُ الحجِّ أشهرٌ[(٢)].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ﴾ بالضم فيهما والتنوين ـ كما هي في قراءة المؤلف ـ، وقرأ الباقون: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ بالنصب بغير تنوين، ولم يختلفوا في نصب اللام في جدال من قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِ﴾ في نفس الآية. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٢١٢).

(٢) وذكروا أوجهًا أخرى. **ينظر**: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٩)، و«التبيان في إعراب القرآن» (١/ ١٦٠-١٦١)، و«الكشاف» (١/ ٤٠٥)، و«البحر المحيط» (٢/ ٢٧٢)، و«الدر المصون» (٢/ ٣٢٢).

وقولُه: (**شوال...**) إلى آخره: بيانٌ للمراد بالأشهر، وأَشار إلى القولين في ذلك كما تقدَّم.

وقولُه: (**على نفسه**): يُبيِّنُ أَنَّ معنى ﴿فَرَضَ﴾: أَوجبَ على نفسه الحج بالإحرام به كما ذكر المؤلف بعد، وهكذا حُكم العمرةِ تجب بالشروع فيها.

وقولُه: (**ونزل في أهل اليمن...**) إلى آخره: يُشيرُ إلى سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾[1]. وقولُه: (**ما يُبلِّغكُم لسفركم**): أي: خذوا من النفقة ما يكفيكم في سفر الحجِّ مع التوكل على الله.

وقولُه: (**ما يُتَّقى به سؤال الناس...**) إلى آخره: جعل هذا تفسيرًا للتقوى، وفي هذا التفسيرِ نظرٌ، والأصلُ أَنَّ التقوى تقوى الله بفعل ما أَمرَ به واجتناب ما نهى عنه، ولهذا أَكَّدَ الثناءَ على التقوى للأمر بها في قوله: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.



(١) أخرجه البخاري (١٥٢٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩]:

يُبيِّنُ تعالى في هذه الآيات أنه ليس على الحاج جُناحٌ -أي: إثمٌ- في طلب فضل الله؛ أي: رِزقه بالتجارة في سفر الحج وفي مكة والمشاعر، وقد نزلت هذه الآيةُ لمَّا تحرَّج بعضُ المسلمين من الاتجار في الحج[1]، وإذا كان الحجُّ هو المقصودُ الأولُ في السفر لم يقدحِ الاتجارُ في النية، ولم ينقص به الثواب؛ لأنه -أي: الاتجار- حينئذٍ مقصودٌ بالتَّبع، أمَّا إذا كان المقصودُ في السفر هو التجارة في موسم الحج، والحجُّ تابعٌ؛ فالاتجارُ لا يقدح في صحة الحج، ولكنه لا يبلغ منزلةَ من أنشأ السفرَ للحج، وأخلص النيةَ لذلك[2].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾: أي: إذا دفعتم مُنصرفين من عرفة إلى مزدلفة بعد غروب الشمس؛ فاذكروا اللهَ عند المشعر الحرام، وهو جبلٌ صغيرٌ معروفٌ بالمزدلفة، وقف عنده النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3]، ويُطلَقُ هذا الاسمُ على كل مزدلفة، فيقال لها: المشعرُ، وجَمْعٌ، ومزدلفة[4]، ويقال لتلك الليلة: ليلة عرفة؛ لأنها وقتُ الوقوف بعرفة، وليلة جَمْعٍ لنزول الحاجِّ فيها تلك الليلة. والوقوف بعرفة هو ركنُ الحج الأعظم، والوقوف بمزدلفة أحدُ مناسك الحج الواجبة؛ لقوله

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٠)، (٤٥١٩) عن ابن عباس، وينظر: «أسباب النزول» (ص٦٢-٦٣)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٤٩٩-٥٠٤).

(٢) ينظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨١-٨٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ١٦٣)، (٥/ ١٢٠-١٢١)، و(٥/ ١٣٣-١٣٤).

تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾، ويدخل في الذكر صلاةُ المغرب والعشاء فيها وصلاة الفجر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾: تأكيدٌ للأمر بالذكر عند المشعر الحرام؛ أي: اذكروا الله شكرًا على نعمته بهدايته إياكم لدين الإسلام وشرائعه، ومناسك الحج التي هي من ملة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾: أي: وإنكم كنتم قبل هدى الله إياكم من الضالين عن طريق الحق.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾: قيل: المراد «الإفاضة» من عرفة، وهو قول جمهور المفسرين، وحكى ابن جرير الإجماع عليه، وقيل: المراد «الإفاضة من مزدلفة» صبح يوم النحر، وهذا هو ظاهر القرآن لولا أنه خلاف قول الجمهور من المفسرين(١).

والمراد بالناس: جمهور الناس؛ وهم من عدا قريش، فقد كان جمهورُ الناس يقفون بعرفة، وقريشٌ تقف باليوم التاسع بالمزدلفة، ويقولون: نحن أهلُ الحرم لا نخرج منه، وهذا من بدعهم في الحج، فإنهم خالفوا سنَّةَ إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فقد كان يقف بعرفة، ولذا قال بعض المفسرين: المراد بالناس إبراهيمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ(٢)، وعلى هذا يكون من العام الذي أُريد به الخصوص؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧].

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٢٥-٥٣٢)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٨٩-٤٩٠)، و«البحر المحيط» (٢/ ٣٠٠-٣٠٢)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٥٥-٥٥٦)، و«أضواء البيان» (١/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) وهو قول الضحاك، ومال إليه ابن جرير الطبري، فبعد أن حكى أقوالاً للسلف أن الناس هم قريش والإفاضة من عرفات؛ قال: «ولولا إجماع من وصفت إجماعه على أن ذلك تأويله لقلت: أولى التأويلين بتأويل الآية ما قاله الضحاك». «تفسير الطبري» (٣/ ٥٣٠-٥٣١)، وهذا مبني على ما سبق. ينظر المصادر السابقة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾: أَمرٌ من الله لحجاج بيتِه بعد الإفاضتين من عرفة ومزدلفة بالاستغفار؛ وهو: طلب المغفرة من الله لذنوبهم، ورغبهم في ذلك بإخبارهم أنه تعالى غفورٌ؛ أي: كثيرُ المغفرةِ لذنوب عباده، والندبُ للاستغفار في هذا الموضع من قَبيل ختمِ العمل بالاستغفار؛ كالاستغفار بعد التهجد، وفي أَدبار الصلوات المكتوبة. ﴿رَّحِيمٞ ١٩٩﴾: أي: ذو رحمةٍ واسعةٍ، فأمر تعالى في هذه الآية بذكره وبالاستغفار، وكثيرًا ما يقرن تعالى بين الأمرين؛ كقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾ [النصر: ٣]، وقوله: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥﴾ [غافر: ٥٥].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿فَضْلًا﴾ رزقًا ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتجارة في الحج، نزل ردًّا لكراهتهم ذلك ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ دفعتم ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بعد المبيتِ بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو جبلٌ في آخر المزدلفة يقال له: قزح، وفي الحديث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقفَ به يذكر اللهَ ويدعو حتى أَسفر جدًا رواه مسلم[1] ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ لمعالم دينه ومناسكِ حجِّه، والكاف للتعليل ﴿وَإِنْ﴾ مخففةٌ ﴿كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل هداه ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ يا قريش ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي: من عرفة؛ بأن تقفوا بها معهم، وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفُّعًا عن الوقوف معهم، و«ثم» للترتيب في الذكر ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقولُ المؤلِّف: (**في**): يُبيِّنُ أَنَّ المصدرَ المؤول ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ منصوبٌ بنزع الخافض.

وقولُه: (**نزل ردًّا...**) إلى آخره: إشارةٌ إلى سبب النزولِ.

وقولُه: (**بعد المبيت بمزدلفة...**) إلى آخره: أي: وبعد صلاة الفجر يُسَنُّ الدعاءُ والذكرُ عند المشعر، أو أيِّ مكانٍ من المزدلفة؛ لفعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقولُه: «**وجمع كلها موقف**»[1].

وقولُه: (**وفي الحديث...**) إلى آخره: هذا طرفٌ من حديث جابر في صفة حجته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

وقولُه: (**لمعالم دينه...**) إلى آخره: بيانٌ لمتعلّقِ الهداية؛ فمعنى ﴿هَدَاكُمْ﴾: «عرَّفكم».

وقولُه: (**معالم دينه**): يعني: شعائرَ الإسلام، ومناسك الحج: أعمال الحج.

وقولُه: (**الكاف للتعليل**): يعني: أنها بمعنى: اللام؛ فالمعنى: اذكروه من أجل هدايته إياكم، وذكره تعالى من أجل إنعامه هو ذكرٌ وشكرٌ؛ لأَنَّ الثناء على المنعم هو من الشكر بالقول.

وقولُه: (**قبل هداه**): بيانٌ لمرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل هدايته إياكم. وقولُه: (**يا قريش**): تخصيصٌ للخطاب بقريش؛ لأنهم الذين لا يقفون بعرفة كما يقف سائر الناس، والآيةُ عامَّةٌ لقريش وغيرهم، والأمرُ بالإفاضة من عرفة أمرٌ بالوقوف بها.

وقولُه: (**و«ثم»**): يريد ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).



وقولُه: (للترتيب في الذكر): أي: لا في الحكم لأَنَّ الأمر بالإفاضة من عرفة جاء بعد الأمر بالذكر عند المشعر الحرام(١).

وقولُه: (للمؤمنين): تقييدٌ لا داعي إليه، فاللهُ غفورٌ للمؤمنين وللكافرين إذا تابوا إليه.



(١) وهذا هو توجيه الجمهور الذين فسروا قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ بالإفاضة من عرفة؛ وهو أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، ثم أفيضوا من حيث أفاض النَّاس، فإذا أفضتم من عرفات، فاذكروا الله عند المشعر الحرام. «تفسير الطبري» (٣/ ٥٣٠)، و«الهداية» لمكي (١/ ٦٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٣٠)، و«الدر المصون» (٢/ ٣٣٤-٣٣٥).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢]:

يأمرُ اللهُ -تعالى- عبادَه إذا فرغوا من أداء مناسك حجِّهم أَن يذكروه بالثناء عليه؛ بذكرِ أسمائه الحسنى وصفاتِه العُلَى، وذِكر نِعمه التي لا تُحصَى، ذِكرًا مثلَ ذِكرِ آبائهم أو أشد، وكان أهلُ الجاهلية إذا فرغوا من حجِّهم أَقبلوا يتفاخرون بعضهم على بعض ويُعدِّدون مفاخرَ آبائهم.

ثم يذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الناسَ صنفان؛ صنفٌ لا يريد إلَّا حظَّ الدنيا والثوابَ العاجل، فهو لا يسألُ ربَّه إلَّا ذلك، وهؤلاء ليس لهم في الآخرة نصيبٌ؛ فقال تعالى في هذا الصنف: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ أي: نصيب، وأَمَّا الصنفُ الآخرُ: فهم الذين يطلبون الخيرَ والسعادةَ في الدنيا والآخرة، ويسألون ربهم ذلك، وقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾، فتضمَّن هذا الدعاءُ سؤالَ الله ثوابَ الدنيا والآخرة، والوقايةَ من عذاب النار، وحسنةُ الدنيا: يدخل فيها كلُّ عملٍ صالحٍ، وكلُّ ما يُعينُ على ذلك من مالٍ وزوجةٍ وولدٍ، وحسنةُ الآخرةِ: هي الجنةُ[1]، فكان هذا الدعاءُ من الجوامع؛ ولهذا كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثر من الدعاء به، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ كما ثبت في الصحيحين عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2].

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٤٤-٥٤٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٢-٤٩٣)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾ اسمُ الإشارة: راجعٌ إلى الصنف الثاني من الناس، وهم السعداءُ الراغبون والطالبون لخير الدنيا والآخرة، وأُشيرَ إليهم بإشارة البعيد لعلوِّ منزلتهم وارتفاع قدرهم[١]، يُخبرُ تعالى أَنَّ لهم نصيبًا من الثواب في الآخرة بسبب كسبهم؛ أَي: عملهم، وهذا مُقابلٌ لقوله في الصِّنفِ الأَوَّلِ الذين لا يريدون إلَّا الدنيا: ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠﴾. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾: يعني: أَنَّه يُحاسبُ عبادَه حسابًا سريعًا، وقد أَحصى على العباد أعمالهم، فيصير كلُّ فريقٍ من الناس إلى الدار التي هو من أهلها، الجنة أو النار؛ ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ [الشورى: ٧].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ﴾ أَدَّيتم ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾ عباداتِ حجِّكم، بأَن رَميتم جمرةَ العقبةِ وطُفتم واستقررتم بمنى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبيرِ والثناءِ ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغِ حجِّكم بالمفاخرة ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ مِن ذكركم إيَّاهم، ونصب «أشد» على الحال من «ذكرًا» المنصوب بـ «اذكروا»، إذ لو تأخَّر عنه لكان صفةً له ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا﴾ نصيبنا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فيؤتاه فيها ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ نصيب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نعمةً ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي: الجنةُ ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بعدم دخولها، وهذا بيانٌ لِمَا كان عليه المشركون ولحالِ المؤمنين، والقصدُ به: الحثُّ على طلب خيري الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ ثوابٌ ﴿مِـ﴾ـن أَجل ﴿ما كَسَبُوا﴾ عملوا من الحجِّ والدعاءِ ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يُحاسِبُ الخلقَ كلَّهم في قدر نصفِ نهارٍ من أيام الدنيا؛ لحديث بذلك.

---

(١) ينظر: «تفسير القاسمي» (٢/ ٩٧).

وقولُ المؤلِّف: (**بأن رَميتم جمرةَ العقبة...**) إلى آخره: هذا يقتضي أَنَّ المرادَ بقضاء المناسكِ: قضاءُ مُعظمها لا كلها، فإنه يبقى بعد رمي جمرةِ العقبة والطواف رميُ الجمار في الأيام الثلاثة والوداع.

وقولُه: (**ونصب «أشد» على الحال**): في هذا الإعراب نظرٌ، والصواب: أَنَّه نائبٌ عن المفعول المطلق[(١)].

وقولُه: (**من أَجل**): يُفيدُ أَنَّ مِن للتعليل.

وقولُه: (**في قدر نصفِ نهارٍ من أيام الدنيا لحديث بذلك**): يُشيرُ إلى ما رواه الحاكم وصححه عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٦٨][(٢)].



---

(١) **ينظر**: «البحر المحيط» (٢/ ٣٠٧-٣٠٩)، و«الدر المصون» (٢/ ٣٣٨)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٢٤٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٣٥١٦)، وابن المبارك في «الزهد» (١٣١٣)، وابن أبي حاتم (١٥٠٧٩) من طرق، عن سفيان الثوري، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٦٨]».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وليس كذلك، فالمنهال بن عمرو ليس من رجال مسلم، وميسرة ليس من رجال الشيخين، وإنما خرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وهما صدوقان. **ينظر**: «التهذيب» (١٠/ ٣١٩، رقم ٥٥٥)، و(١٠/ ٣٨٦، رقم ٦٩١)، وأبو عبيدة بن عبد الله لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود، كما قال غير واحد من النقاد، **ينظر**: «المراسيل» لابن أبي حاتم (رقم ٤٧٦).

وأخرجه الطبري (١٩/ ٥٥٦) من طريق أسباط، عن السدي، في قوله: ﴿إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨] قال: في قراءة عبد الله: «ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم» وكان عبد الله يقول: «والذي نفسي بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار»، ثم قال: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان:٢٤]. والسدي وهو الكبير، وأسباط بن نصر، صدوقان كثيرا الخطأ.

وروي بنحوه عن جماعة من السلف: عن إبراهيم النخعي عند ابن المبارك في «الزهد» (١٣١٤)، والطبري في التفسير (١٧/ ٤٨٤)، وعن ابن جريج عند الطبري أيضًا، وعن سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم (١٥٠٨١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٠٣﴾ [البقرة: ٢٠٣]:

يأمر اللهُ الحجاجَ وغيرهم بذكره ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْدُودَٰتٖ﴾؛ وهي: أيام منى؛ الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، ويُقال لها: أيامُ التشريق، ومن ذكره تعالى التكبيرُ المطلق والمقيد، وعند رمي الجمار، وعند ذبح القرابين من هدي وأضحية.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾: أي: تعجَّل بالرجوع إلى أهله في يومين من الأيام الثلاثة، وذلك يكون في اليوم الثاني من أيام منى، وهو الثاني عشر من ذي الحجة، وُيسمَّى يوم النفر الأول.

وقوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: أي: فلا إثم عليه ولا حرج في تعجُّلِه.

وقوله: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾: أي: في الرجوع إلى أهله إلى اليوم الثالث من أيام منى، وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، ويقال له: يومُ النفر الثاني.

وقوله: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: أي: لا حرج عليه في تأخُّرِه، وعلى هذا فالحاجُّ مخيَّرٌ في النفر بين التعجل والتأخُّر، وضعَّفَ ابنُ جرير هذا القول، واختار أَنَّ معنى قوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في الجملتين؛ أي: قد غفر اللهُ له ذنوبه إذا اتقى الله في حجِّهِ فلم يفعل ما نهي عنه من الرفث والفسوق، واستشهد لذلك بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه))[1]، وتأوَّل بهذا المعنى الذي اختاره؛ قولَه تعالى: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ أي: هذا الوعد بنفي الإثم عن المتعجل والمتأخر لمن اتقى اللهَ في حجِّه، فكلُّ حاجٍّ اتقى اللهَ يغفر اللهُ ذنوبه فيرجع كما ولدته أمه، فعُلم بذلك أنَّه لا فرق

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ للبخاري.

بين مَن تعجَّل ومَن تأخَّر من حيث مغفرة الذنوب، وهذا يتضمَّنُ التخييرَ بين التعجُّل والتأخُّر[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: وصيَّةٌ من الله بالتقوى بعد بيان أنها سبب لمغفرة الذنوب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾: أمر بالعلم وإعلام بما تضمَّنه قوله تعالى: ﴿أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾؛ أي: تجمعون يوم القيامة للحساب والجزاء، وذكر الحشر بعد الأمر بالتقوى؛ لأنه من أعظم البواعث عليها استعدادًا له.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أي: أيامِ التشريقِ الثلاثة ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجلَ بالنفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جِماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جِمارَه ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك؛ أي: هم مُخيَّرون في ذلك، ونفي الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ الله في حَجِّه؛ لأنه الحاجُّ على الحقيقة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة، فيُجازيكم بأعمالكم.

وقولُ المؤلِّف: (**بالنفر من منى**): هذا باعتبار الغالب، وإلا فقد يكون الحاجُّ قد بات خارج منى فيتعجَّل بالخروج من منزله.

وقولُه: (**أي: في ثاني أيام...**) إلى آخره: يُنبِّه على أَنَّ النفرَ لا يكون إلَّا بعد رمي الجمار الثلاث.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٦٥-٥٧٠).

وقولُه: (**بالتعجيل**): هذا مبنيٌّ على أَنَّ المرادَ: التخييرُ ونفيُ الحرج، وقد ضعَّفَ ابنُ جرير هذا القولَ، وبيَّنَ الصوابَ في ذلك، وهو أَنَّ المرادَ الإخبارُ بمغفرة الذنوب للحاجِّ تعجَّلَ أو تأخَّرَ إذا اتقى الله.

وقولُه: (**حتى بات ليلة الثالث**...) إلى آخره: هذا بيانٌ لصفة التأخر.

وقولُه: (**هم مُخيَّرون**): هذا مبنيٌّ على أَنَّ المقصود بنفي الإثم في الجملتين التخيير، وهذا قولٌ مرجوحٌ كما تقدَّم.

وقولُه: (**ونفي الإثم** ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ **اللهَ في حجِّه**...) إلى آخره: فيه التفاتةٌ للقول الآخر الذي رجَّحه ابنُ جرير[1].



(١) وهو قول عبد الله بن مسعود وابن عمر وجماعة، وروي عن علي بن أبي طالب بإسناد منقطع. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٦٠-٥٦٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٦١، رقم ١٨٩٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٩٥)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٧]:

يُخبر تعالى في هذه الآيات عن صنفين من الناس؛ أحدهما: يُخالفُ ظاهرُه باطنَه، وفعلُه قولَه، فقولُه يُعجبُ سامعَه لحُسن بيانِه ولِمَا يُظهره من دعوى الإيمان، حتى يُشهدَ اللهَ على ما في قلبه قائلًا: إنَّ اللهَ شاهدٌ على ما في قلبي من الإيمان، أو: يعلمُ اللهُ أني صادقٌ، وهو كاذبٌ في قوله، وهذا عينُ النفاق، وهو دَيدنه في حياته، يُعجبُ سامعَه كلامُه، ولكنه شديدُ اللددِ في المخاصمة، بكثرة الجدال والعناد، وعدم الانقياد مع الكذب والفجور والدعاوى الباطلة، وهو معنى قوله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾، وهذا الصنفُ هو المنافقُ المذكورُ في أوَّلِ السورة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾ [البقرة: ٨]، وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾[البقرة: ١٤].

ولَمَّا ذكر اللهُ سوءَ أَقوالِه ذكَرَ سُوءَ أفعالِه؛ فقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا﴾؛ أي: إذا ذهب وغاب عن الناس سعى في الأرض بالفساد؛ أي: بالمعاصي فيتسبَّبُ بذلك في إهلاك الأموال من الحروث والحيوانات، وتقبيحًا له ولفعله قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾، إذًا: فلا يحبُّ المفسدين، وما أخبر تعالى أنه لا يُحبُّه فهو يُبغضه، ثم أَخبر تعالى عن تكبُّرِ هذا المفسد عن الحق؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ﴾ يعني: إذا أمر بطاعة الله وترك المعاصي أَنِف من ذلك، وحمله كِبرُه وعزَّتُه على ارتكاب الإثم معاندةً للحق، وهذا معنى: ﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ﴾، ثم توعَّده اللهُ بجهنم وأنها تكفيه نَكالًا، وله منها مهادٌ وبئس المهاد.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾: هذا هو الصنفُ الثاني من الناس، وهو الذي يَشري نفسَه؛ أي: يبيعها في سبيل مرضاة الله؛ أي: يجود بنفسه ليرضي اللهَ، فرِضا الله هو أعلى مَطالبه، ولو أَدَّى ذلك إلى تلف نفسه كما يفعل المجاهدُ في سبيل الله، وهذا أَدلُّ دليلٍ على صِدق إيمانِه واستقامته في أقواله وأفعاله، وبهذا يظهرُ التقابلُ بين هذين الصنفين من الناس، فالأول هو المنافق، والثاني هو المؤمن الصادق.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾: أي: عظيم الرحمة بعبادة المؤمنين، ومن رأفته ألَّا يُكلفهم ما لا يطيقون.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يُعجبك في الآخرة؛ لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافقٌ لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديدُ الخصومةِ لك ولأتباعك؛ لعداوته لك، وهو الأخنس بن شريق، كان منافقًا حلوَ الكلام للنبي، يحلفُ أنه مؤمنٌ به ومُحبٌّ له، فيُدني مجلسَه، فأكذبه اللهُ في ذلك، ومرَّ بزرعٍ وحُمُر لبعض المسلمين فأحرقَه وعقرها ليلًا كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ انصرف عنك ﴿سَعَى﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أي: لا يرضى به ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ حملته الأنفةُ والحميةُ على العمل ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الذي أُمر باتقائه ﴿فَحَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراشُ هي ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ يبيعُ ﴿نَفْسَهُ﴾ أَي: يبذلها في طاعة الله ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلبَ ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ رضاه. وهو صهيبٌ، لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم مالَه ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لِمَا فيه رضاه.

وقولُ المؤلِّف: (**ولا يعجبك في الآخرة...**) إلى آخره: هذا يقتضي أَنَّ الجارَ والمجرور ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مُتعلِّقٌ بقول، وذلك لحذقه في أمر الدنيا دون الآخرة.

وقولُه: (**أنه موافقٌ لقوله**): يريد: أَنَّ هذا المنافقَ الذي ظاهره يُخالفُ باطنَه يُبالغ في الكذب، يدَّعي أَنَّ اللَه يشهد أَنَّ باطنَه موافقٌ لظاهره.

وقولُه: (**شديدُ الخصومةِ لك**): هذا تفسيرٌ لقوله: ﴿أَلَدُّ الخِصَامِ﴾، وشدَّةُ الخصومة تكون بالكذب وكثرةِ الجدال وعدمِ الانقياد للحجة والمراوغة في الكلام.

وقولُه: (**وهو الأخنس...**) إلى آخره: فيه إشارةٌ إلى سبب النزول[١]، وتفسيرٌ لقوله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا...﴾ الآية.

وقولُه: (**مشى**): هذا تفسيرٌ قاصرٌ، والسعيُ: يُطلَقُ على معاني، والمناسبُ هنا: السعيُ بمعنى: العمل المقصود؛ للتوصل به إلى أَمرٍ من الأمور[٢]، ومقصودُ هذا الساعي هو الإفسادُ في الأرض.

وقولُه: (**من جملة الفساد**): يُبيِّنُ أَنَّ عطفَ «يهلك» على «يفسد» من عطف الخاص على العام.

وقولُه: (**أي: لا يرضى به**): فسَّرَ المحبةَ بالرضا، والمحبةُ والرضا متغايران لكن متلازمان إثباتًا ونفيًا، والأشاعرةُ لا يُثبتون المحبةَ ولا الرضا، ولذا يُفسرونهما بالإرادة[٣].

---

(١) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٦٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٥١٩-٥٢٤).

(٢) السعي في كلام العرب: العمل، يقال: فلان يسعى على أهله، يعني به يعمل فيما يعود عليهم نفعه. **ينظر**: «لسان العرب» (١٤/ ٣٨٥)، وبنحوه قال مجاهد. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٨١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٦٦، رقم ١٩٢٦).

(٣) **ينظر**: «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٥٢١)، و«شرح الأصبهانية» (ص٣٩)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لشيخنا (ص١٩٨-١٩٩)، (ص٣٥٣).

وقولُه: (**حملته...**) إلى آخره: هذا معنى: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾.

وقولُه: (**على العمل**): أي: على العمل بالإثم.

وقولُه: (**الذي أُمِرَ باتقائه**): يريد: أَنَّ معنى: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ اتَّقِ معاصيَ الله باجتنابها، والإثم: اسمٌ لكلِّ معصية[1].

وقولُه: (**هي**): بيانٌ للمخصوص بالذم؛ فالمعنى: بئس المهاد جهنم.

وقولُه: (**رضاه**): يُفيدُ أَنَّ مرضاة مصدرٌ ميمي؛ بمعنى: الرضا؛ فالمعنى: يطلبُ ببيعه نفسه رضا الله.

وقولُه: (**وهو صهيبٌ...**) إلى آخره: بيانٌ لسبب نزول الآية، وأَنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿ومِنَ النَّاسِ﴾ صهيب الرومي[2].

وقولُه: (**حيث أرشدهم لما فيه رضاه**): يريد: أَنَّ ذلك من رأفته بعباده، ولذا خُتمت الآيةُ بهذا الاسمِ الشريفِ.



(١) **ينظر**: «لسان العرب» (١٢/ ٥).

(٢) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٦٥-٦٦)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٥٢٤-٥٢٧).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨-٢١٢]:

في هذه الآيات أَمرٌ من الله لعباده المؤمنين أَن يدخلوا في السِّلم كافَّة؛ أي: في الإسلام، في كلِّ شرائعه، بالإيمان بها والعمل بها، ثم عقبه بالنهي عن اتباع خطوات الشيطان؛ وهي: طرائِقُه وكل ما يأمر به من الفحشاء والمنكر، وبيَّنَ لهم سبحانه شدَّةَ عداوته للمؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾﴾، أي: بيِّن العداوة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾: فيه تهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ لمن زلَّ عن الصراط باتباعِ خطوات الشيطان، بعد مجيءِ الآياتِ البيِّناتِ المبيِّنةِ للهدى من الضلال والحق من الباطل، فقامت بذلك الحُجَّةُ ووضحَ السبيل.

وفي قوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾: تهديدٌ ووعيدٌ، وهذا التهديدُ مُستفادٌ من ذكر اسمه العزيز الحكيم، فإنَّ العزيزَ هو القويُّ الغالبُ، والحكيم هو ذو الحكمة؛ وهي: وضعُ الأشياء في مواضعها، فبعزَّته ينتقم ممن عصاه، وبحكمته يضع الثوابَ والعقابَ مواضعه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ...﴾ الآية: انتقالٌ من خطاب المؤمنين إلى تهديد المكذِّبين، والاستفهامُ إنكاريٌّ معناه: النفي، و﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعنى: ينتظرون، فمعنى الآية: ما ينتظر هؤلاء

المكذِّبون من الكفار والمنافقين إلَّا أَن يجيئهم اللهُ يوم القيامة في ظُللٍ من الغمام؛ أي: مع ظُللٍ، والظُّلَلُ: جمعُ ظُلَّةٍ، وهي: ما يستظلُّ به، ولذا قُرئ: ﴿فِي ظِلَالٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[1]. والغَمامُ: هو السَّحابُ الرقيقُ[2]، يأتيهم اللهُ للفصل والجزاء، وتجيءُ الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، فهنالك يحكمُ اللهُ بين العباد، ويصيرُ كلٌّ من المؤمنين والكفار إلى الجزاء الذي حكم اللهُ به من ثواب وعقاب، وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فرغ من أمر العباد والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، وفي مظالمهم، وصار كلُّ فريقٍ إلى الدار التي أُعدَّت له، وإلى الله ترجع الأُمور كلها، وهو يفعل ما يشاء، وكلُّ شيءٍ ينتهي إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢]، ثم أمر اللهُ نبيَّه أَن يسأل بني إسرائيل ـوهم اليهود الذين كانوا حول المدينةـ سؤالَ توبيخٍ، كم آتاهم الله من الآيات البينات على أيدي رسله؟! وتلك نعمةٌ عُظمى عليهم، وواجبٌ عليهم الإيمانُ بها واتباعُ رُسلِ الله، فمَن فعل ذلك نجا، ومَن بدَّل نعمة الله كفرًا استحقَّ العقابَ، كما فعل اليهودُ بتكذيبهم محمدًا ﷺ مع علمهم بصدقه، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾.

ثم أخبر تعالى بإعجاب الكفارِ بالحياة الدنيا واغترارهم بزينتها، وزينها الشيطان في أعينهم حتى آثروها على الآخرة، ومن شدَّةِ غرورهم وفَرْطِ جَهلهم يسخرون من المؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ولمَّا كانت سُخريَّتهم من المؤمنين تدلُّ على احتقارهم بسبب أنهم فوقهم في حظوظ الدنيا؛ أخبر تعالى أَنَّ حالهم تنعكس يوم القيامة حين

(١) هذه قراءة قتادة، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع، وأبان بن ثعلب عن عَاصِم بْن مِقْسَم، وهي قراءة شاذة. **ينظر**: «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات» لابن جني (١/ ١٢٢)، و«الكامل في القراءات» لأبي القاسم الهذلي (ص٥٠٢).

(٢) تقدم في (ص ١٣٢).

يصير المؤمنون في عِلِّيين والكفارُ أسفلَ سافلين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾: وعدٌ للمؤمنين بالرزق الكثير، وهو الثوابُ العظيمُ والأجرُ الكريم.

وقوله: ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾: أي: بغير تقديرٍ، فعُلم أنه كثيرٌ كثير.

ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه لمَّا عظَّموا السبتَ وكرهوا الإبل بعد الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ بفتح السِّين وكسرِها: الإسلام ﴿كَافَّةً﴾ حالٌ من السلم؛ أي: في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طُرُقَ ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه بالتفريق ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بَيِّنُ العداوةِ ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ مِلتمْ عن الدخول في جميعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحججُ الظاهرةُ على أنه حقٌّ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعجزه شيءٌ عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أَمرُه؛ كقوله: «أو يأتي أَمرُ ربك» أي: عذابُه ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمعُ ظُلَّةٍ ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ السَّحابِ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ تمَّ أَمرُ هلاكهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل في الآخرة فيجازي ﴿سَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ تبكيتًا ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ «كم»: استفهاميةٌ مُعلِّقة «سل» عن المفعول الثاني، وهي ثاني مفعولي «آتينا» ومميزها ﴿مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ ظاهرةٍ؛ كَفَلْقِ البحرِ وإنزالِ المنِّ والسلوى، فبدَّلوها كفرًا ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات، لأنها سبب الهداية ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ كفرًا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لفقرهم؛ كعمار وبلال وصُهيب؛ أي: يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال ﴿وَالَّذِينَ

﴿اتَّقَوْا﴾ الشركَ، وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقًا واسعًا في الآخرة أو الدنيا، بأن يملك المسخورِ منهم أموالَ الساخرين ورِقابَهم.

وقولُ المؤلِّف: (ونزل في عبد الله بن سلام...) إلى آخره: يُشيرُ بذلك إلى سبب نزول الآية(١). وقولُه: (بفتح السِّينِ وكسرِها: الإسلام): يُشيرُ بهذا إلى القراءتين(٢)، وتفسيرُ ﴿السِّلْم﴾ بالإسلام هو قولُ جمهورِ المفسرين من السلف(٣).

وقولُه: (حال من «السِّلم»...) إلى آخره: بيانٌ لإعراب ﴿كافة﴾ ومعناها؛ أمَّا الإعراب: فهي حالٌ منصوبةٌ من السِّلم، ومعناها: جميع؛ أي: ادخلوا في جميع شرائعه إيمانًا وعملًا.

وقولُه: (أي: تزيينه بالتفريق): معناه: أَنَّ طرائقَ الشيطان هي ما يُزينه ويُحسنه من كلِّ ما يأمرُ به، ومن ذلك التفريقُ بين الأَحكام بالإيمان والعمل ببعضِها دون بعضٍ، ومثَّل لهذا بما ذُكر عن بعض مَن دخل في الإسلام من أهل الكتاب؛ لأنهم حرَّموا لحمَ الإبل وألبانها تمسُّكًا بالتوراة، وكذا تمسَّكوا بتعظيم السبت، فأُمروا بالدخول في الإسلام كله.

وقولُه: (لا يُعجزه شيءٌ...) إلى آخره: بيانٌ لِمَا يتضمنه اسمه تعالى العزيز من القوة مع مناسبة ذكره في هذا السياق.

وقولُه: (في صنعه): لو قال: وفي شرعه؛ لكان أولى، فإنه تعالى حكيمٌ في شرعه وقدره وفي خلقه وأمره.

(١) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٦٧)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٥٢٩-٥٣٢).

(٢) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير والكسائي: ﴿ادخُلُوا فِي السَّلْمِ﴾ بفتح السين، وقرأ الباقون بالكسر. **ينظر**: «السبع في القراءات» (ص١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٢٢٧).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٩٥-٥٩٦) (٣/ ٥٩٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٧٩)، و«زاد المسير» (١/ ١٧٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦٥).

وقولُه: **(ما)**: بيانُ أَنَّ الاستفهام معناه: النفي.

وقولُه: **(أي: أمره...)** إلى آخره: يريد أَنَّ الذي يأتي أمرُ الله؛ وهو عقابه، وهذا تأويلٌ وصرفٌ للكلام عن ظاهره، ومقصوده: أَنَّ الله لا يأتي، وهذا راجعٌ إلى أَنَّ اللهَ لا تقوم به الأفعالُ الاختيارية، وهو مذهب الأشاعرة، وهو مذهبٌ باطلٌ؛ لأنه خلافُ ما دلَّتْ عليه نصوصُ الكتاب والسنَّة من أنه تعالى فعَّالٌ لِمَا يريد، ومذهبُ السَّلفِ إثباتُ الأفعالِ الاختيارية؛ كالاستواء والنزول والمجيء[(١)]، فالصوابُ: إجراءُ الآيةِ على ظاهرها؛ وهو أَنَّ اللهَ نفسه يأتي[(٢)]، ونظيرُ هذه الآية؛ قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال فيها المؤلِّفُ[(٣)] نظيرَ قولِه في هذه الآية[(٤)].

وقولُه: **(تم أَمرُ هلاكهم؟)**: لو قال: تمَّ أَمرُ إدخالهم النار لكان أَولى؛ لأَنَّ سِياقَ الآيات في يوم القيامة.

وقولُه: **(بالبناء للمفعول والفاعل...)** إلى آخره: يشير إلى القراءتين في: ﴿تُرْجَعُ﴾ الأولى بضم التاء وفتح الجيم، والثانية بفتح التاء وكسر الجيم[(٥)]، و﴿الأُمُورُ﴾ على القراءة الأولى: نائب فاعل، وعلى الثانية: هي الفاعل.

---

(١) ينظر تأصيل مسألة الأفعال الاختيارية في: «جامع الرسائل والمسائل» (٢/ ٣-٧٠)، و«مجموع الفتاوى» (٦/ ٦٨) وما بعدها، (٦/ ١٤٤) وما بعدها، و(١٢/ ٣٦٧) وما بعدها، و«درء التعارض» (٢/ ١٨-٢٠)، (٩/ ٢٦٨)، و«شرح الطحاوية» لشيخنا (ص٥٦-٥٧)، و«موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (٣/ ١١٩٩).

(٢) وقد أبطل ابن القيم من حرف صفة المجيء وفسرها بمجيء أمره؛ من عشرة أوجه. **ينظر**: «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/ ٨٥٦-٨٦٠).

(٣) والمراد به المؤلِّف الآخر جلال الدين المحلي.

(٤) **ينظر**: «تفسير الجلالين» (ص٥٩٣/ قباوة).

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ بضم التاء، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ بفتح التاء. **ينظر**: «السبع في القراءات» (ص١٨١)، و«النشر» (٢/ ٢٠٨-٢٠٩).

وقولُه: (تبكيتًا): بيانٌ لمقصود الأَمر بسؤال بني إسرائيل، وهو التوبيخُ والتقريعُ، وهو معنى قول المؤلِّف: (تبكيتًا)[١].

وقولُه: («كم» استفهامية): يريد: أنها ليست خبرية الدالة على الكثرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَم مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [الأعراف: ٤]، فالمعنى: سل بني إسرائيل قائلًا لهم: كم آتيناهم من آيةٍ.

وقولُه: (معلِّقةٌ «سَلْ»): يوضِّحُ مقصوده أَنَّ ﴿سَلْ﴾ أَمرٌ مِن سَأَلَ، وسأَلَ ينصبُ مفعولين، فإذا جاء بعد المفعول الأول جملةٌ استفهاميةٌ صار الفعلُ مُعلَّقًا عن المفعول الثاني. ثم يقول المؤلِّف: وهي المفعولُ الثاني لـ«آتينا»؛ لأَنَّ «آتى» ينصب مفعولين، والمفعولُ الأولُ: الضميرُ المنصوبُ ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾، والمفعولُ الثاني: «كم»، وتميزها قوله: ﴿مِنْ آيَةٍ﴾.

وقولُه: (كفرًا): هذا تقديرُ المفعول الثاني لـ﴿يُبَدِّلْ﴾، ويشهدُ لهذا التقدير قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وقولُه: (له): الضميرُ يعود إلى ﴿مَنْ﴾، وهو المُبدِّل نعمة الله.

وقولُه: (من أهل مكة): لا وجهَ لتخصيصِ الحكمِ بأهل مكة، كيف والسورةُ مدنية! بل الآيةُ عامَّةٌ في الكفار.



(١) ينظر: «لسان العرب» (٢/ ١١).

وقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]:

لَمَّا ذكر اللهُ في الآية السابقة فريقي المؤمنين والكفار ـ وهما من الناس ـ؛ أَخبر في هذه الآية أَنَّ الناس كانوا أمةً واحدةً لا اختلاف بينهم، ثم اختلفوا، كانوا على التوحيد عشرة قرون من آدم إلى نوح عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[١]، فلما حدثَ الشركُ في قوم نوحٍ، فأرسل الله إليهم نوحًا، فصاروا فريقين مؤمنين وكفارًا، فأهلك الكفارَ بالغرق، وقد قُرِئَ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فاختلفوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾[٢].

ثم أخبر تعالى أنه بعث النبيين ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾؛ يُبشِّرون مَن آمن بهم واتَّبعهم بما أَعدَّ اللهُ لهم من الكرامة، ومُنذرين مَن كفر بهم وعصاهم عقوبةَ الله وأخذه، وأَنزل على الرسل كتبًا مُشتملةً على الحق في الأخبار والأحكام، أرسل سبحانه تعالى الرسلَ وأَنزلَ الكتبَ لِيَحكُم بين الناسِ فيما اختلفوا فيه، فيتبين المحقُّ من المبطلِ، ثم أخبر تعالى أَنَّ المختلفين لم يختلفوا إلا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ وقامت عليهم الحجة، وكان اختلافُهم من بغي بعضهم على بعض، وكانت هذه حالُ أَهل الكتاب قبل رسالة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبرسالته هدى اللهُ الذين آمنوا به لِمَا اختلفَ فيه من قبلهم من الحق.

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٦٢١)، والحاكم (٤٠٠٩) من طريق محمد بن بشار، قال: «ثنا أبو داود، قال: ثنا همام، عن قتادة عن، عكرمة، عن ابن عباس»، به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، وأبو داود هو الطيالسي، وهمام هو همام بن يحيى البصري.

(٢) وهي قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب. **ينظر**: «شواذ القراءات» للكرماني (ص٨٩)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٢١)، و(٣/ ٦٢٤)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٧٦، رقم ١٩٨٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥١٣).

﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾: وهو دين الإسلام الذي هو الدِّينُ عند الله، ولا يُقبَلَ من أَحدٍ دينٌ سِواه، وهذا الدينُ هو الذي أَرسل الله به رُسلَه من أَوَّلهم إلى آخرهم، فدين الرسل كلِّهم هو الإسلامُ، وأعظمُ كتابٍ وأعظمُ شريعةٍ: ما أنزله الله على خاتم النبيين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انحصر الحقُّ فيما جاء به، فليس على الإسلام بعد بعثته ولا على الصراط المستقيم حتى تقومَ الساعة إلَّا مَن آمن به واتَّبعه، فهم المعنيون بقوله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الإيمان، فاختلفوا بأَنْ آمنَ بعضٌ وكفرَ بعضٌ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَن آمن بالجنة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ مَن كفر بالنار ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿بِالْحَقِّ﴾ مُتعلِّقٌ بـ«أنزل» ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من الدِّين ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أَي: الدِّين ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: الكتاب، فآمن بعضٌ وكفرَ بعضٌ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحججُ الظاهرةُ على التوحيد، و«من» متعلقة بـ«اختلف»، وهي وما بعدها مُقدَّم على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ﴾ للبيان ﴿الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريقِ الحق.

وقولُ المؤلِّف: (**مُتعلِّقٌ بـ«أنزل»**): يُبيِّنُ أَنَّ الجارَ والمجرور في قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ مُتعلِّقٌ بفعل أنزل الكتاب، والباءُ للملابسة، والجارُ والمجرورُ في موضع نصبٍ على الحال؛ فالمعنى: أَنزل الكتاب مشتملًا على الحق.

وقولُه: (**به**): الضميرُ راجعٌ إلى الكتاب؛ فالمعنى: ليحكُم اللهُ بالكتاب بين الناس.

وقولُه: (**و «مِنْ» متعلقة بـ «اختلف»**...) إلى آخره: يُريد قولَه تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ﴾، ويرى المؤلِّفُ أَنَّ جملةَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ من جهة المعنى مؤخرةٌ من تقديم، فمحلُّها قبل الاستثناء، وعليه؛ فالتقدير: وما اختلف فيه من بعد ما جاءتهم البينات إلا الذين أوتوه؛ أي: الكتاب.

وقولُه: (**للبيان**): يريد أَنَّ ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ بيانية.

وقولُه: (**هدايته**): مفعول ﴿يَشَاءُ﴾، وفاعلُ ﴿يَشَاءُ﴾ ضميرٌ يعود إلى الله؛ فالتقدير: مَن يشاء اللهُ هدايته.



وقوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤]:

في هذه الآية انتقالٌ من الكلام في الاختلاف الذي بين الناس والحكم الشرعي بينهم إلى الحكم الجزائي في الآخرة، والحكم الكوني في الدنيا، ولهذا افتتحت بـ«أم» المؤولة بـ«بل» وهمزة الاستفهام، فتضمَّنت إضرابًا انتقاليًّا واستفهامًا إنكاريًا؛ فالمعنى: أَحسبتم أَنْ تدخلوا الجنةَ؟ وهذا الاستفهامُ معناه: النهيُ عن هذا الحسبان؛ أي: لا تحسبوا أنكم تدخلون الجنة، وأنتم إلى الآن لم تُبتلوا كما ابتُلي مَن قبلكم بالبأساء وهي الفقر، والضراء وهي المرضُ، والزلزلة في القلوب حتى يبلغَ بهم الأمرُ إلى استبطاء النصر، ﴿يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، ويجيء الرد ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾.

والمرادُ بالجنة: الدرجاتُ العلى في الجنة، وهي جناتُ عدنٍ المعدَّةُ لأولياءِ الله المتقين، فهذه الجنةُ لا يدخلها إلَّا مَن ابتُلي فاتقى اللهَ وصبر، وإنما خصصنا هذه الجنة بأولئك؛ لأَنَّ كثيرًا من عوام المؤمنين يدخلون الجنة ولم يبتلوا، بل لبعضهم ذنوبٌ مُحِّصوا منها، والخطابُ في الآية لأَصحاب رسولِ الله ﷺ وقد ذُكر أنها نزلت في وقعة الأحزاب، ويشهد له قولُه تعالى في سورة الأحزاب: ﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١﴾ [الأحزاب:١١].

ونزل في جهدٍ أصاب المسلمين ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ﴾ شبهُ ما أَتى ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من المحنِ فتصبروا كما صبروا؟ ﴿مَسَّتْهُمُ﴾ جملةٌ مُستأنفةٌ مُبيِّنةٌ ما قبلها ﴿الْبَأْسَاءُ﴾ شدةُ الفقر ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾ المرضُ ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أُزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع، أي: قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ

آمَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاءً للنصر لتناهي الشدَّةِ عليهم ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ الذي وعدناه؟ فأُجيبوا من قِبَلِ الله: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه.

وقولُ المؤلِّف: (**ونزل في جهدٍ**...) إلى آخره: يُشير إلى سبب النزول، وذلك يوم الأَحزاب[1]، والجَهْدُ ـ بالفتح ـ: المشقَّةُ.

وقولُه: (**بل أ**): يُبيِّنُ أَنَّ «أم» هي المنقطعةُ التي تُفسر ببل وهمزة الاستفهام.

وقولُه: (**لم**): تفسيرٌ «للما»، وهذا على قول مَن يجعل «ما» زائدة.

وقولُه: (**شبهُ ما أَتى**): فسَّرَ المَثَل بشبه؛ فالمعنى: ولم يأتكم شبهُ ما أَتى من قبلكم، وبعضُهم يُفسِّرُ المَثَل بالصفة[2].

وقولُه: (**من المؤمنين**...) إلى آخره: بيانٌ للمراد من الموصول في قوله: ﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾.

وقولُه: (**مُبيِّنةٌ ما قبلها**): يريد قولَه تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

وقولُه: (**أي: قال**): فسَّرَ المضارعَ بفعل ماضي، وهو معنى قولهم: حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

وقولُه: (**يأتي**): بيان أَن الاستفهامَ عن زمن مجيءِ النصر.

وقولُه: (**فأُجيبوا من قِبَلِ اللهِ**): يُبيِّنُ أَنَّ قولَه تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ جوابٌ من الله لقولِ الرسولِ والمؤمنين: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾.



(١) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٦٧)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٥٣٢-٥٣٣).

(٢) فسر المثل بالشبه: الطبري والبغوي وابن عطية وأبو حيان، وفسره بالصفة: النضر بن شميل والزجاج والسمعاني. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٣٧-٦٣٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٥)، و«تفسير السمعاني» (١/ ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥١٦)، و«البحر المحيط» (٢/ ٣٧٣).

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥]:

واضحٌ من لفظ الآية وفاتحتها أنها نزلت جوابًا لسؤالٍ سأَلَه بعضُ المسلمين النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونصُّ سؤالهم: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾؟ وهو مجملٌ يحتمل أنهم سألوا عن نوع ما يُنفقون، أو قدر ما يُنفقون، أو على مَن يُنفقون، فجاء الجواب متضمِّنًا بيانَ أَصنافِ مَن هو الأولى بالإنفاق عليه، وهم خمسة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وجمهورُ المفسرين على أنَّ المرادَ بالنفقة في هذه الآية نفقةُ التطوع(١)، فهي صدقةٌ وصِلةٌ في الأول والثاني ـ الوالدين والأقربين ـ، وصدقةٌ في الثلاثة الباقية ـ اليتامى والمساكين وابن السبيل ـ، ثم رغَّبَ تعالى في فعل الخير من أيِّ نوعٍ كان من أنواع الطاعات المالية والبدنية، فقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾، وذكر العلم يتضمَّنُ الوعدَ بالثواب العاجل والآجل؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَا﴾ أي الذي ﴿يُنْفِقُونَـ﴾ـه؟ والسائلُ عمرو بن الجموح، وكان شيخًا ذا مالٍ، فسأل النبيَّ عمَّا يُنفِقُ وعلى مَن يُنفق ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان لـ«ما» شامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذي هو أحد شقي السؤال وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٤١-٦٤٢)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٢٧٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤٥).

﴿السَّبِيلِ﴾ أي: هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاق وغيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجازٍ عليه.

وقولُ المؤلِّف: (**السائلُ عمرو بن الجموح...**) إلى آخره: بيانٌ لسبب نزولِ الآية[1].

وقولُه: (**لهم**): أي: للسائلين.

وقولُه: (**شاملٌ للقليل والكثير**): بيانٌ لعموم قوله تعالى: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾.

وقولُه: (**وفيه بيانُ المنفق...**) إلى آخره: يُبينُ أَنَّ الآيةَ تضمَّنت الجوابَ عن سؤال عمرو بن الجموح بشقَّيه؛ ماذا يُنفِقُ؟ وعلى مَن يُنفِقُ؟

وقولُه: (**أي: هم أولى به**): يُبيِّنُ أَنَّ المصارفَ المذكورةَ هم أَولى بالإنفاق من غيرهم، وليس مقصورًا عليهم.

وقولُه: (**فمُجازٍ عليه**): يُبيِّنُ أَنَّ في ذكر العلم تنبيهًا على الجزاء.



(١) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٦٧-٦٨)، و«العجاب» (١/ ٥٣٣-٥٣٥).

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦]:

يُخبر تعالى في هذه الآية عبادَه المؤمنين بأنه كَتبَ عليهم القتالَ؛ أي: فَرَضَ عليهم قتالَ الكفار، وهذا هو الجهادُ في سبيل الله، وذكر تعالى أَنَّه كَتبَ القتال مع أنه مكروهٌ لهم بمقتضى الطبع؛ لأَنَّه يُؤدِّي إلى الموت، والحياةُ محبوبةٌ بالطبع، ثم سلَّاهم تعالى بأَنَّ ما يكرهونه مما شرع اللهُ فيه خيرٌ لهم، وما يُحبُّونه من ترك الجهاد حرصًا على الحياة فيه شرٌّ لهم، ثم ردَّ ذلك كلَّه إلى كمال علمِه وقصورِ علم العباد؛ فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾، وهذه الآيةُ والآيتان بعدها فيها رجوعٌ إلى أَمر القتال.

﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ للكفار ﴿وَهْوَ كُرْهٌ﴾ مكروه ﴿لَكُمْ﴾ طبعًا لمشقته ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهْوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهْوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها. فلعل لكم في القتال وإن كرهتموه خيرًا؛ لأن فيه إما الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر، وفي تركه وإن أحببتموه شرًّا؛ لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به.

وقولُ المؤلِّف: (**طبعًا لمشقته**): يبين أن هذه الكراهة في قوله: ﴿وَهْوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ راجعةٌ إلى أمر طبيعي، وهو كراهة القتل وغيره مما يحصل في الجهاد بل الجهاد والشهادة في سبيل الله من أحب ما يتمناه المسلم.

وقولُه: (**لميلِ النفسِ إلى الشهوات...**) إلى آخر الكلام: بيانٌ لِمَا في حبِّ الشهوات من الشرِّ العاجلِ والآجلِ، وما في المكروهات المأمورِ بها من الخير العاجل والآجل، وهو كلامٌ حسنٌّ موضِّحٌ لجملتي: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا﴾ ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا﴾.

وقولُه: (**ما هو خيرٌ لكم**): يُبيِّنُ بذلك وجهَ ختمِ الآية؛ بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ فإذا كان المعنى: «واللهُ يعلم ما هو خير لكم»؛ فما أَمَركم به من قتالِ الكفَّارِ هو الخيرُ لكم.



وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧]:

يذكر تعالى أَنَّ المسلمين سألوا النبيَّ ﷺ عن القتال في الشهر الحرام، وذلك بسبب ما جرى من القتال والقتل في شهر رجبٍ من سَرِيَّةِ عبدِ الله بن جحش الذين بعثهم النبيُّ ﷺ عَينًا على المشركين من أهل مكة، ولم يأمرهم النبيُّ ﷺ بقتالٍ، فصادفوا قافلةً بتجارةٍ لقريش فقتلوا أَحدَهم، وهو: عمرو بن الحضرمي، وأَسروا اثنين منهم، وغَنِموا ما معهم، فرجعوا بما معهم إلى المدينة، ففادى المشركون الأَسيرين، ثم إنَّ المشركين عَيَّروا المسلمين بالقتال في رجب، وهو من الأَشهر الحُرم، فشقَّ ذلك على أصحاب رسولِ الله ﷺ، وقصةُ السَّريةِ مبسوطةٌ في السيرة[(١)]، وذكرها ابنُ جرير في تفسيره[(٢)]، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ ردًّا على المشركين وتسليةً لنبيِّه والمؤمنين، فأَكَّدَ اللهُ تعالى تحريمَ القتال في الشهر الحرام؛ فقال لنبيِّه: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، ولكن عند المستنكرين للقتال الذي حصل، الذي اتخذوا منه مَطعنًا على المسلمين من قبائح الأقوال والأفعال ما كل واحدٍ منها أكبرُ من القتل والقتال، وهي خمسةُ أمور: صدٌّ عن سبيل الله، وهو: دينه، وكفرٌ به، وصدٌّ عن المسجد الحرام، وإخراجُ أَهله منه، وكلُّ هذه أَكبرُ عند الله من القتال في الشهر الحرام. والفتنةُ ـ وهي الشركُ أو فتنةُ المؤمنين عن دينهم ـ أَكبرُ من

(١) ينظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٠١-٦٠٤)، و«السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» لمهدي رزق الله (ص٣٣٣-٣٣٥).
(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٥٠).

القتل، فينطبقُ على هؤلاء الطاعنين قولُ القائل: (يرى القذاةَ في عينِ صاحبه، ولا يرى الجذع في عينه)[(١)].

ثم أخبر تعالى أَنَّ الكفارَ لا يزالون يُقاتلون المسلمين ليَرجعوا عن دينهم، وأَنهم لا يتركون القتالَ حتى يتركَ المسلمون دينَهم، فذلك الذي يُرضيهم كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾: يدلُّ على أنهم لا يدَّخرون شيئًا من قدرتهم في سبيل غايتهم، وأَنهم لن يبلغوا كلَّ ما يردونه في المسلمين من صدِّهم عن دينهم، ثم أخبرَ تعالى بحكم مَن ارتدَّ عن دينه؛ فقال تعالى: ﴿وَمَنْ

---

(١) هذا مثل من أمثال العرب السائرة المتداولة، وروي عنهم بألفاظ مختلفة. **ينظر**: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ١٥٥، رقم ٣٠٩٥)، و«المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٢٣٦). وروي مرفوعًا وموقوفًا:
أخرجه مرفوعًا: ابن المبارك في «الزهد» ـزوائده ـ (٢١٢)، وابن حبان في صحيحه (٥٧٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦١٠) من طرق، عن محمد بن حمير قال: «حدثنا جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:» وذكر نحوه.
قال أبو نعيم: «غريب من حديث يزيد، تفرد به محمد بن حمير، عن جعفر».
وخالف محمَّدَ بن حمير: مسكينُ بن بكير، فرواه عن جعفر، به موقوفًا: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٢) عن محمد بن عبيد بن ميمون قال: «حدثنا مسكين بن بكير الحذاء الحراني»، وذكره.
وكلاهما -محمد بن حمير، ومسكين بن بكير- ليسا من الحُفَّاظ المتقنين، وهما صدوقان لا بأس بهما فيما لم يخالفا أو ينفردا، ومسكين أحسن حالًا من ابن حمير، وكلاهما انتقى لهما البخاري في صحيحه. **ينظر**: «التقريب» (٥٨٣٧)، (٦٦١٥). وصحح الألباني الروايتين ـالمرفوعة والموقوفةـ في «الصحيحة» (٣٣).
وقد روي من كلام الحسن: أخرجه الحسين المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٢١١) وأحمد في «الزهد» (١٦٤٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/ ٥٥٨ رقم ٣٨٠٢٥)، بإسناد صحيح.

يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وقيَّد حبوطَ أعمالِهم والخلودَ في النار بالموت على الكفر، فعُلم من ذلك أَنَّ مَن تاب من رِدَّته قبل الموت سَلِمَ له ما عَمِلَه قبل الردَّةِ، وكان من الناجين من الخلود في النار.

وأَرسل النبيُّ ﷺ أَوَّل سراياه وعليها عبدُ الله بن جحشٍ، فقاتلوا المشركين وقتلوا ابنَ الحضرمي آخر يومٍ من جمادى الآخرة، والتبس عليهم برجب، فعيَّرهم الكفارُ باستحلاله فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ المحرَّم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدلُ اشتمال ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيمٌ وزرًا، مبتدأٌ وخبرٌ ﴿وَصَدٌّ﴾ مبتدأٌ: منعٌ للناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينِه ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ بالله ﴿وَصدٌّ عن الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وهم النبيُّ والمؤمنون، وخبرُ المبتدأ ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظمُ وزرًا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشركُ منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أَيُّها المؤمنون ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بَطَلَتْ ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحةُ ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتدادَ بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يُفيدُ أَنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطلْ عملُه، فيُثاب عليه ولا يعيده؛ كالحجِّ مثلًا، وعليه الشافعي[١] ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (وأَرسل النبيُّ ﷺ أَوَّل سراياه...) إلى آخره: يُبيِّنُ بذلك سببَ نزول هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾.

---

(١) ينظر: «نهاية المطلب» (٤/ ١٤٣)، و«المجموع شرح المهذب» (٣/ ٦-٧)، و(٧/ ١٤).

وقولُه: (**بدل اشتمال**): يريدُ: أَنَّ قتالَ بدلٌ من الشهر؛ فالتقدير: يسألونك عن الشهر الحرام عن قِتال فيه.

وقولُه: (**منعٌ للناس**): يُبيِّنُ أَنَّ الصدَّ من الفعل المتعدي «صده، يصده»؛ فالمعنى: أَي وصدُّهم الناس عن سبيل الله؛ أي: عن دينه. وقولُه: (﴿وَ﴾ **صدٌّ عن**): يُبيِّنُ أَنَّ المسجدَ معطوفٌ على سبيل؛ فالمعنى: وصدٌّ عن المسجد الحرام. وقولُه: (**وخبر المبتدأ**): يريد بالمبتدأ: ﴿وَصَدٌّ﴾ وما عطف عليه، فخبرُ ذلك المبتدأ قوله: ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

وقولُه: (**أعظم وزرًا**): أي: أعظم إثمًا.

وقولُه: (**من القتال فيه**): يعني: هذه المذكورات ـ الصد وما بعده ـ أَعظمُ إثمًا من القتال في الشهر الحرام.

وقولُه: (**فلا اعتداد بها...**) إلى آخره: يريد: أَنَّ أَعمالَ المرتد الصالحة باطلةٌ في الدنيا والآخرة، فلا تصحُّ، ولا يقبلُها اللهُ منه، ولا يُثابُ عليها إِلَّا أَنْ يتوب من رِدَّته توبةً نصوحًا قبل الموت.

وأَهمُّ ما دلَّتْ عليه الآيتان من الأحكام مسألتان:

الأولى: حكمُ الجهادِ في سبيل الله، وقد دلَّت الآيةُ الأولى على فرضه، وذلك في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾، وقتال الكفار يكون على وجهين[1]:

أحدهما: ما يكون ابتداء من المسلمين، وهو ما يسميه بعضهم بجهاد الطلب، وقد دلت على ذلك آيات من القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]، وقوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

(١) **ينظر**: «حاشية ابن عابدين» (٤/ ١٢٢-١٢٣)، و«الشرح الصغير بحاشية الصاوي» (١/ ٢٦٧-٢٧٤)، و«المغني» (١٣/ ٦-٨)، و«الإنجاد في أبواب الجهاد» لابن المناصف القرطبي (ص٧-٥٠)، و«الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لابن تيمية» (ص٤٤٦-٤٤٧)، و«الفروسية» (١/ ١٢٣-١٢٤).

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، ويخرج عن ذلك كلُّ مَن له عهدُ أمانٍ أو صُلح أو ذمةٍ، والغايةُ من هذا القتالِ هي أن تكون كلمةُ الله هي العليا، وذلك إمَّا بالدخول في الإسلام، أو الخضوعِ لسلطان المسلمين بأداء الجزية.

الوجه الثاني: من قتال الكفارِ ما يكون دفعًا لعدوانهم، فإذا غزا العدوُّ بلادًا من بلدان المسلمين صار القتالُ فرضَ عينٍ على أَهلِ تلك البلد، ثم مَن يَليهم؛ الأَدنى فالأَدنى.

وأَمَّا جهادُ الابتداءِ؛ فإنه فرضُ كفايةٍ، فيجب على الإمام أَن يُرتِّبَ جيوشًا ويزوِّدهم بأنواع القوة؛ إرهابًا للكافرين وحمايةً لبلادِ المسلمين من عدوانهم، وعلى الإمام أَن يُرتِّبَ حملاتِ الجهاد في سبيل الله لغزو الكفار الحربيين، وبهذا يُعزُّ الإسلامُ والمسلمون، وبتعطيله والتهاونِ فيه يجترئُ الكفارُ على المسلمين، ويصير المسلمون ذليلين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، واللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين وأذِلَّ أعداء الدين من الكفار والمنافقين.

المسألة الثانية: حكمُ القتالِ في الشهر الحرام، وقد دلَّ قولُه تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: إثمٌ عظيمٌ، وذنبٌ كبيرٌ، إذن: فالقتال في الأَشهر الحُرم حرامٌ، وإن كان قتالًا للكفار، وقد ذهب جمهورُ أهلِ العلم إلى أَنَّ تحريمَ القتالِ في الأشهر الحُرم منسوخٌ بعموم أدلة الأَمرِ بالقتال، كما في الآيات السابقة، وهي مُطلقةٌ في الزمان، فتشملُ الأَشهرَ الحُرم، وأَيَّدوا ذلك بأَنَّ النبيَّ ﷺ غزا أَهلَ الطائفِ في ذي القعدة، وأَنَّ المسلمين في غزواتهم لم يكونوا يتوقفون إذا دخل عليهم شهرٌ حرام، وذهب جماعةٌ من العلماء إلى

أَنَّ القتالَ في الأشهر الحرم غيرُ منسوخٍ[١]؛ لَأَنَّه لا دليلَ على النسخ، وأَدلَّة الأَمرِ بالقتال عامَّةٌ مخصوصةٌ بأَدَّلة تحريم القتال في الأشهر الحرم، وأجابوا عن قتال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهلَ الطائفِ؛ بأَنَّه لم يبدأ قتالَهم في ذي القعدة بل في شوال[٢]، واستدام حصارهم في شهر ذي القعدة حتى رأى المصلحةَ في الرجوع عنهم، وكذلك غزواتُ الصحابةِ؛ لا يُعلَم أنهم ابتدؤوا القتالَ في الشهر الحرام، فالواقعُ منهم هو استدامةُ القتالِ لا ابتداؤه.



---

(١) وإلى النسخ ذهب: ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وقتادة، والزهري، وجماعة من السلف، وهو قول جمهور المفسرين، وذهب عطاء ابن أبي رباح إلى أن الآية محكمة فلا يحل القتال لأحد في الأشهر الحرم. **ينظر**: «الناسخ والمنسوخ» للقاسم بن سلام (ص٢٠٥-٢٠٧)، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي (١/ ٧٣-٧٦)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٦٦٢-٦٦٥)، و«التفسير البسيط» (٤/ ١٤٢-١٤٣)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٢٢).

(٢) **ينظر**: «جوامع السيرة» لابن حزم (ص٢٤٢)، و«السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» (ص٥٩٣) وما بعدها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨]:

يُخبرُ تعالى بأَنَّ الذين آمنوا بالله ورسله، وهذا يصدقُ على المهاجرين والأنصار، ثم خصَّ المهاجرين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بقتال الكافرين أعداءِ الله، فعلى هذا يكون عطفُ الموصول من عطف الخاصِّ على العام، وبهذا تظهرُ مناسبةُ هذه الآية للآية قبلها النازلة في شأن سريةِ عبد الله بن جحش، وقد ذكر أَنهم كلَّهم من المهاجرين فلذلك خُصُّوا بوصف الهجرة والجهاد، وعلى هذا فسببُ نزول الآيتين واحدٌ[1]، وقيل: إِنَّ عطفَ الموصول في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من عطف الصفات؛ كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ١-٣][2].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾: اسمُ الإشارةِ راجعٌ إلى مَن تقدَّم ذِكرُهم، وهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يُخبرُ تعالى أنهم هم الذين ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ على الحقيقة؛ لأنهم الذين قاموا بأَسبابها؛ من الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله.

ثم أخبر تعالى أنه غفورٌ رحيمٌ، وهو يتضمَّنُ وعْدَ أولئك الرَّاجين لرحمةِ الله بالمغفرة والرحمة؛ فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾، والآيةُ وإن كانت نازلةً على سببٍ؛ فمعناها وحكمُها عامٌّ؛ لأَنَّ العبرةَ بعموم اللفظِ لا بخصوص السببِ.

ولَمَّا ظنَّ السرية أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصلُ لهم أَجرٌ نزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فارقوا أوطانهم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ

(١) تقدم في (ص ٤٥١).

(٢) **ينظر**: «البحر المحيط» (٢/ ٣٩٥)، و«تفسير الفاتحة والبقرة» للعثيمين (٣/ ٦٢).

﴿اللَّهِ﴾ لإعلاءِ دينِه ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ ثوابَه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

وقولُ المؤلِّف: (**ولَمَّا ظنَّ السرية...**) إلى آخره: يُبيِّنُ بذلك سببَ نزول الآية.

وقولُه: (**فارقوا أَوطانَهم**): بيان لمعنى: ﴿هَاجَرُوا﴾، وأصلُ الهجرِ: الترك، والمرادُ: تركوا أَوطانهم فرارًا بدينهم وبراءةً من المشركين وتركًا لمساكنتهم، وهذه الهجرةُ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ يُقيمُ بين أَظْهُرِ المشركين، وهو لا يستطيع إظهارَ دينه.

وقولُه: (**لإعلاءِ دينِه**): هذا مأخوذٌ من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَن قاتلَ لتكون كلمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيل الله))[1].

وقولُه: (**ثوابَه**): فسَّرَ رحمةَ اللهِ بالثواب، وهو رحمةٌ مخلوقةٌ، ويحتمل أَنَّ رحمةَ اللهِ هي الصفةُ؛ فيكون المعنى: يرجون أَن يرحمهم اللهِ، والأمران متلازمان، فمَن أَثابه اللهُ فقد رحمه، ومَن رحمه أثابه.

وقولُه: (**للمؤمنين**): هذا القيدُ صحيحٌ، ومفهومُه أنه ليس غفورًا للكافرين، وهذا في حقِّ مَن لم يَتُبْ، أَمَّا مَن تاب فاللهُ يغفر له وإن كان كافرًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ...﴾ الآية [طه: ٨٢]، أَمَّا مَن مات على الكفر فاللهُ لا يغفرُ له؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد: ٣٤].



(١) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٩-٢٢٠]:

يذكر تعالى في هاتين الآيتين أَنَّ المسلمين سألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثَ مسائل: الأولى: سألوا عن الخمر والميسر؛ عن حكمهما؟ فأَمرَ اللهُ نبيَّه أَن يُجيبهم: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، وليس في هذا الجواب تصريحٌ بالتحريم، بل فيه التنفيرُ عنهما لرجحان مفسدتهما، ففيهما إثمٌ كبيرٌ من العداوة والبغضاء، وذهابِ العقل، والصدِّ عن ذكر الله وعن الصلاة، ومع ذلك فيهما منافعُ للناس من اكتساب الأموال والنشوة والسرور، وعلى هذا: فتحريمُ الخمرِ والميسرِ مُستفادٌ من آية المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]، وهذا هو المشهور وقول الجمهور، وادَّعى بعضُهم أَنَّ التحريمَ مُستفادٌ من آية البقرة؛ لقوله تعالى: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[1].

والمرادُ بالخمر: كلُّ مُسكرٍ يُغطِّي العقلَ من مأكولٍ أو مشروبٍ، من أَيِّ شيءٍ كان، من عصيرِ العنب أو غيره. والميسر: مَفْعِل من اليُسر، والمرادُ به: القمارُ، والقمارُ: كلُّ مُغالبةٍ على عِوضٍ، بأيِّ طريقةٍ كان، ومنها النردُ والشطرنجُ. والقمارُ مصدرٌ؛ يقال: قامره يُقامره قِمارًا، ويقال: قامره فقمره؛ أي: غلبه في

(١) والأول هو قول جمهور المفسرين، والثاني نُسب للحسن وعطاء وإلى قوم من أهل النظر: **ينظر**: «الناسخ والمنسوخ» للقاسم بن سلام (ص٢٤٨-٢٥١)، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي (ص٧٦)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٦٧٩-٦٨٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٢)، و«التفسير البسيط» (٤/ ١٥٢)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٣٤).

اللعبة، ويدخل في حكم القمارِ كلُّ ما فيه مخاطرةٌ من البيوع؛ كبيع المجهول والمعجوز عن تسليمه، ومن ذلك جميعُ بيوع الغرر؛ كبيع الحصاةِ والملامسة والمنابذة وحبل الحبلة.

الثانية: سألوا: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾؟ فأُجيبوا ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾؛ أي: أَنفقوا العفوَ، وهو ما فضلَ عن الحاجة عند جمهور المفسرين من السَّلف[1]، وإن اختلفت عباراتُهم، وقال بعضهم: المرادُ بالآية الزكاة، وقال بعضُهم: إنها منسوخةٌ بفرض الزكاة، والقولان ضعيفان، والصواب: أَنَّ الآيةَ في صدقة التطوع وأنها مُحكمةٌ[2]، وقُرِئ ﴿العفوُ﴾ بالرفع، وبالنصب وهي قراءة أَكثر القراء[3].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾: أي: مثل هذا البيان يُبيِّنُ لكم الآيات.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾: أي: لتتفكَّروا وتنظروا في حال الدنيا والآخرة، فالدنيا فانيةٌ وطيباتها مُنَغَّصةٌ، وهي دارُ ابتلاءٍ وعمل، والآخرةُ باقيةٌ، وهي دارُ الجزاء، والجنة فيها للمتقين هم فيها خالدون ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد: ٣٥]، وقد أوضح اللهُ لنا حقيقةَ الدارين، ودعانا إلى التفكُّر فيهما، وحذَّرنا من إيثار الدنيا على الآخرة.

---

(١) جاء ذلك عن ابن عباس في رواية مقسم، وقتادة وعطاء والسدي وابن زيد والحسن، واختاره الطبري. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٨٦-٦٨٧)، و(٣/ ٦٩٠-٦٩٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٩٣)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٣٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٧٩-٥٨٠).

(٢) **ينظر**: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص١٨٨-١٩٣)، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي (ص٧٦-٧٧).

(٣) قرأ أبو عمرو وحده: ﴿قُلِ الْعَفْوُ﴾ بالرفع. وقرأ الباقون: ﴿قُلِ العَفْوَ﴾ بالنصب. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٧٢)، و«النشر» (٢/ ٢٢٧).

المسألة الثالثة: سألوا عن اليتامى، عن حُكم مخالطتهم في الطعام والشراب، أو خلط أموالهم بأموالهم في النفقة أو التجارة، خشيةَ أن يؤدي ذلك إلى أكل شيءٍ من أموالهم؟ فأُجيبوا بقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾، فتضمَّن الجوابُ أنَّ إصلاحَ أموالهم بأنواع الإصلاح خيرٌ لهم ولأوليائهم، وأنَّ مُخالطتهم في الطعام والشراب أو غير ذلك لا حرج على الأولياء فيها، فهم إخوانهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾؛ أي: يعلمُ المفسدَ؛ وهو الذي يريدُ بالمخالطةِ الاحتيالَ على أكل مالِ اليتيم، ويعلمُ المصلحَ؛ الذي لا يريد بمخالطة اليتيم إلَّا مصلحته.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡ﴾؛ أي: لشقَّ عليكم بتحريم مخالطتهم.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠﴾: أي: ذو عِزَّةٍ وحكمةٍ، فيحكمُ ولا رادَّ له ولا مُعقِّب، وكلُّ ما يحكمُ به جارٍ على وِفقِ الحكمةِ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ القمارِ، ما حُكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ عظيمٌ، وفي قراءةٍ بالمثلثة؛ لِمَا يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقولِ الفُحشِ ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ باللذة والفرح في الخمر، وإصابة المالِ بلا كدٍّ في الميسر ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ أي: ما ينشأُ عنهما من المفاسد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظمُ ﴿مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ ولَمَّا نزلت شربها قومٌ وامتنع آخرون، إلى أنَّ حرَّمتها آيةُ «المائدة».

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: ما قدره؟ ﴿قُلِ﴾ أنفقوا ﴿الْعَفْوَ﴾ أي: الفاضل عن الحاجة، ولا تُنفقوا ما تحتاجون إليه وتُضيعوا أنفسكم،

وقراءة الرفع بتقدير: هو ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيَّنَ لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿فِي﴾ أَمْرِ ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾ وما يَلقونه من الحرج في شأنهم، فإن واكلوهم يأثموا، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعامًا وحدهم فحرجٌ ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ في أَموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ أَي: تخلطوا نفقتَهم بنفقتكم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أَي: فهم إخوانكم في الدِّين، ومن شأَن الأَخِ أن يُخالط أَخاه؛ أَي: فلكم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بها، فيُجازي كلًّا منهما ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لضيَّقَ عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالبٌ على أَمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

وقولُ المؤلِّف: (**ما حُكمهما؟**): بيان لمتعلق السؤال ومقصوده؛ أي: أهما حلال أم حرام؟ فأجيبوا بما ينفر عنهما، ولا يوجب القطع بتحريمهما، وقد بين حكمهما بيانًا شافيًا في سورة المائدة، وقد دل على تحريمهما الكتاب والسنة والإجماع.

وقولُه: (**لهم**): أي: للسائلين مخبرًا بأن فيهما إثمًا كبيرًا ومنافع للناس.

وقولُه: (**أي: في تعاطيهما**): بيان لموضع الإثم أو متعلق الإثم، وهو شرب الخمر وعمل الميسر.

وقولُه: (**وفي قراءةٍ بالمثلثة**): المراد بالمثلثة الثاء؛ يريد: أنه قُرِئ في الآية ﴿كَثِيرٌ﴾ بدل ﴿كَبِيرٌ﴾[1].

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿إِثْمٌ كَثِيرٌ﴾ بالثاء. وقرأ الباقون: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ بالباء. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٧٢)، و«النشر» (٢/ ٢٢٧).

وقولُه: (**لِمَا يحصل** ...) إلى آخره: بيان لنوع الإثم الذي يحصل بسبب الخمر والميسر.

وقولُه: (**باللذة** ...) إلى آخره: بيان لأنواع المنافع التي تحصل لأصحاب الخمر والميسر.

وقولُه: (**أَي: ما ينشأُ** ...) إلى آخره: معناه: أن أضرارهما أكثر من منافعهما.

وقولُه: (**ما قدره؟**): بيان للمسؤول عنه، وهو مقدار ما يُستحبُّ التصدق به.

وقولُه: (**أَنفقوا**): تقدير للفعل الناصب لـ﴿الْعَفْوَ﴾.

وقولُه: (**أَي: الفاضل** ...) إلى آخره: تفسير للعفو المأمور بإنفاقه، وهو: ما زاد على نفقة الإنسان على نفسه وأهله[1]، ومفهومه: ترك إنفاق ما يحتاجه الإنسان للنفقة على نفسه وأهله؛ لأن ذلك تضييع للنفس والأهل، وفي الحديث: ((كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يقوت))[2].

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٨٦-٦٨٧)، (٣/ ٦٩٠)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٣٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٧٩-٥٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦٤٩٥) وأبو داود (١٦٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٣٢)، والحاكم (١٥١٥) «عن سفيان الثوري، حدثنا أبو إسحاق، عن وهب بن جابر الخيواني، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:» وذكره. وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير وهب بن جابر الخيواني، قال ابن المديني: «مجهول».
وقال الذهبي: «لا يكاد يُعرَف، تفرد عنه أبو إسحاق». «الميزان» (٩٤٢٣).
وله شاهد عند الطبراني في «الكبير» (١٣٤١٤) من طريق إسماعيل بن عياش، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا به. ورجاله ثقات كلهم، وابن عياش الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده مخلط في غيرهم، كما في «التقريب» (٤٧٣)، فكان يخشى من سوء حفظه كروايته هنا عن المدنيين؛ لكنه صالح للاستشهاد به، وحسنه بشاهده الألباني في «الإرواء» (٨٩٤).
وأخرجه بنحوه مسلم (٩٩٦) من عبد الله بن عمرو مرفوعًا ولفظه: ((كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته)).

وقولُه: (**وقراءة الرفع بتقدير: هو**): يبين أن ﴿الْعَفْوُ﴾ على قراءة الرفع[١] خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو العفو؛ المعنى: المأمور بإنفاقه هو العفو.

وقولُه: (**كما بيَّنَ لكم ما ذكر**): يبين مرجع اسم الإشارة؛ وهو ما سبق من البيان في الآيات قبل هذه الآية.

وقولُه: (**أَمْرِ**) أي: في شأن الدنيا والأخرة.

وقولُه: (**فتأخذون** ...) إلى آخره: بيانٌ للمقصود من التفكر في الدنيا والآخرة.

وقولُه: (**وما يَلقونه من الحرج ... إلى آخره**): بيان لسبب السؤال، وسبب نزول الآية[٢].

وقولُه: (**في أَموالهم** ...) إلى آخره: بيانٌ لما يكون به الإصلاح، فالإصلاح في أموالهم بتنميتها، والإصلاح في معاشرتهم؛ بمخالطتهم وترك اعتزالهم ومجانبتهم، وهذا معنى قول المؤلِّف: (**ومداخلتكم**) أي: مخالطتكم لهم.

وقولُه: (**من ترك ذلك**): المعنى: الإصلاح في أموالهم ومعاشرتهم خير لكم ولهم من ترك ذلك؛ أي: ترك الإصلاح.

وقولُه: (**أَي: تخلطوا نفقتَهم بنفقتكم**): بيانٌ لبعض معنى مخالطتهم، وهو مخالطتهم في أموالهم، ومنه خلط نفقتهم بنفقتكم.

وقولُه: (**أَي: فهم إخوانكم** ...) إلى آخره: بيانٌ لإعراب الجملة ومقصودها، فـ«إخوان» خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فهم إخوانكم، والجملة جواب الشرط، ومقصودها الإذن بالمخالطة؛ لأنها مقتضى الأُخوَّة.

---

(١) قرأ أبو عمرو وحده: ﴿قُلِ الْعَفْوُ﴾ رفعًا وقرأ الباقون: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ نصبا. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٨٢)، و«النشر» (٢/ ٢٢٧).

(٢) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٧١-٧٢)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٥٤٧-٥٥٠).



وقولُه: (**لأموالهم** ...) إلى آخره: بيانٌ لمتعلق الإفساد والإصلاح، وهو أموال اليتامى، وذِكْرُ العلم بالمفسد والمصلح تنبيهٌ على الجزاء؛ فهو وعد ووعيد.

وقولُه: (**لضيَّقَ عليكم** ...) إلى آخره: تضمن معنى العنت، وهو المشقة والضيق[١]، وأن الله لو شاء لأعنتهم؛ أي: شق عليهم بتحريم المخالطة.

وقولُه: (**غالبٌ على أَمره** ...) إلى آخره: بيانٌ لمعنى الاسمين الشريفين، فمن معنى العزيز: الغالب، ومن معنى الحكيم: حكمة الله في صنعه، ولو قال في شرعه كان أولى؛ لأن الآية في سياق الأحكام الشرعية.



---

(١) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٨٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة: ٢٢١]:

النكاحُ في اللغة هو: الضمُّ والجمعُ[١]، ويُطلَقُ على العَقدِ والوطءِ؛ فقيل: إنه حقيقةٌ فيهما، فهو من المشترك اللفظي، وقيل: حقيقةٌ في الوطء مجازٌ في العَقد، وقيل: بالعكس، وهو قول الأكثر، والأولى أن يقال: إنه حقيقة فيهما، ولكن استعماله في العقد أكثر[٢].

وفي هذه الآيةِ ينهى اللهُ عبادَه المؤمنين عن نكاح المشركات اللاتي يَعبُدنَ مع الله غيرَه من الأَصنام والأَوثان، ينهى عن نِكاحهنَّ إلى أَن يُؤمِنَّ بالله ورسولِه، ويُخلصنَ العبادةَ لله، وينهى عن إنكاح المشركينَ عُبَّادِ الأَوثان، وهو تزويجهم المؤمنات، ويُبيِّنُ تعالى أَنَّ الأَمَةَ المؤمنةَ خيرٌ من الحُرَّةِ المشركةِ ولو كانت ذاتَ حَسَبٍ ونَسَبٍ وجمالٍ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، والأَمَةُ يُرادُ بها: المملوكة، وغلطَ مَن قال: المرادُ بها المرأةُ مُطلقًا حرَّةً كانت أو مملوكةً، وهذا لا يُعرف في اللغة العربية إلَّا إذا أُضيفت الأَمَةُ إلى الله؛ فيقال: «يا أمة الله» لأَيِّ امرأةٍ[٣]، وكذا «العبد» المرادُ به هنا: المملوك، والعبدُ المؤمن خيرٌ من الحرِّ المُشرك، ولو كان ذا مالٍ وجاهٍ وحَسَبٍ ونَسَبٍ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

(١) ينظر: «المصباح المنير» (٢/ ٦٢٤).
(٢) ينظر: «لسان العرب» (٢/ ٦٦٢)، و«تحرير ألفاظ التنبيه» (ص٢٥٠)، و«المطلع على ألفاظ المقنع» (ص٣٨٦).
(٣) ينظر: «لسان العرب» (١٤/ ٤٤).

ثم يُبيِّنُ تعالى حكمةَ النهي عن نكاح المشركات وإنكاحِ المشركين، وذلك أَنَّ المشركين والمشركات يدعون إلى النار؛ أَي: إلى سبب دخولِ النارِ، وهو الشركُ بالله، والله تعالى يدعو إلى سبب دخولِ الجنةِ، وحصولِ المغفرةِ، وهو عبادتُه تعالى وحدَه لا شريك له، وطاعتُه وطاعةُ رُسله، والمؤمنون والمؤمنات يدعون إلى ما يدعو اللهُ إليه، وإذا كان المرادُ بالمشركين في الآية عبَّادَ الأَوثان؛ فالآيةُ على عمومها في المشركين والمشركات ولا تخصيصَ فيها، وإذا كان المرادُ بالمشركين كلَّ مَن عبدَ مع الله غيرَه من أهل الكتاب وغيرِهم، فهي مخصوصةٌ بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]؛ أَي: حِلٌّ لكم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾: أَي: يوضِّحُ آياتِه المتلوَّةِ؛ وهي آياتُ القرآن، ويُبيِّنُ آياته الكونية المشهودة؛ أَي: يُظهرُ دِلالاتها ليتذكَّرَ الناسُ ربوبيَّتَه تعالى وإلهيَّتَه، فيعرفوه ويعبدوه، ويتذكروا ما هم قادمون عليه من موقفِ القيامةِ، وما هم صائرون إليه من الجنة أَو النار فيُعدُّوا لذلك اليوم عدَّتَه.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ تتزوَّجوا أَيُّها المسلمون ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ أَي: الكافراتِ ﴿حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ حُرَّةٍ؛ لأَنَّ سببَ نزولها العيبُ على مَن تزوَّجَ أَمَةً وترغيبه في نكاح حُرَّةٍ مُشركةٍ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوصٌ بغير الكتابيات بآية «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» [المائدة: ٥]، ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ تُزوِّجوا ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ أَي: الكفارَ،

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٧١١-٧١٦)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٣٨-٥٤٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٨٢-٥٨٤).

المؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لِمالِه وجمالِه ﴿أُولَئِكَ﴾ أَي: أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدُعائهم إلى العمل الموجِب لها، فلا تليقُ مناكحتهم ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾ على لسان رُسلِه ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أَي: العملِ الموجبِ لهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته، فتجب إجابتُه بتزويج أَوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتَّعظون.

وقولُ المؤلِّف: (**أَي: الكافراتِ**): يقتضي أَنَّ الآيةَ عامَّةٌ في الكفار من أهل الكتاب وغيرهم. وقولُه: (**حُرَّةٍ**): بدليل مقابلتها بالأَمَة.

وقولُه: (**لأَنَّ سبب نزولها...**) إلى آخره: يُشير إلى قصةٍ حصلت لعبد الله بن رواحة، كانت له أَمَةٌ فأَعتقها فتزوَّجها، فعاب عليه بعضُ الناس ورغَّبَه في الزواج من حُرَّةٍ ولو مشركةٍ، فنزلت هذه الآيةُ: ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾، كذا قيل، والله أعلم[1].

وقولُه: (**وهذا مخصوصٌ بغير الكتابيات...**) إلى آخره: هذا يقتضي أَنَّ المؤلِّفَ يرى أَنَّ الآيةَ عامَّةٌ في المشركين من أَهل الأوثان وأَهلِ الكتاب، ويُخَصُّ من عمومها المحصناتُ من أهل الكتاب كما في سورة المائدة.

وقولُه: (**بإرادته**): أَي: الإرادةِ الشرعية.



(١) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٧٣)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٥٥١).

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]:

يذكرُ تعالى في هذه الآية أَنَّ بعضَ المسلمين سأل النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حكم إتيان النساء في حال الحيض، منهم أبو الدحداح وأُسيدُ بن الحضير وعَبَّادُ بن بشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)]، فأُجيبوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾؛ أَي: دمُ الحيضِ أذى؛ لأَنَّه نجسٌ قذرٌ، ثم رتَّبَ تعالى على ذلك الأَمر باعتزال النساء بتركِ وَطئهنَّ في المحيض وهو زمنُ الحيضِ، وقيل: مكانُ الحيض، وهو الفرجُ، فعُلِمَ بذلك تحريمُ وطءِ الحائضِ في الفرج، وهذا مُجمَعٌ عليه[(٢)]، ثم اختُلف فيما يَحِلُّ الاستمتاعُ به من سائر بدنها؛ فقيل: لا يحرمُ منها إلا الوطءُ في الفرج خلا الدُّبرَ، فإنه لا يَحِلُّ بحالٍ من الأحوال، وقيل: لا يَحِلُّ إلَّا ما فوق السرَّة ودون الركبة[(٣)]، والصوابُ الذي دلَّت عليه السنَّةُ: أَنه لا يحرمُ إلاَّ الوطءُ في الفرج؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((اصنعوا كلَّ شيءٍ إلَّا النكاح))، لما قيل له: إنَّ اليهودَ إذا حاضت المرأةُ فيهم لم يؤاكلوها ولم يُساكنوها في البيوت. رواه مسلم[(٤)]، ولكن ينبغي اجتناب ما بين السرَّةِ والرُّكبةِ، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر المرأةَ من نسائه فتتَّزِرُ فيباشرها، وهي: حائض كما ثبت في الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت: «كان رسول الله يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض»[(٥)]، فعُلم

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٠). وينظر أيضًا: «أسباب النزول» (ص٧٤)، و«العجاب» (١/ ٥٥٣).
(٢) **ينظر**: «مراتب الإجماع» (ص٤٥-٤٦)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان الفاسي (١/ ١٠٣) .
(٣) **ينظر الخلاف في**: «حاشية ابن عابدين» (١/ ٢٩٢-٢٩٣)، و«مواهب الجليل» (١/ ٥٧٠)، و«المجموع شرح المهذب» (٢/ ٣٩٢-٣٩٤)، و«المغني» (١/ ٤١٤-٤١٦).
(٤) صحيح مسلم (٣٠٢)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) أخرجه البخاري (٣٠٠).

مما تقدَّم أَنَّ اعتزالَ النساء الذي أَمر اللهُ به وأَكَّده بالنهي عن قربانهنَّ حتى يطهرنَ: هو تركُ وَطئها في الفرج حتى تطهرَ بانقطاع الدم ثم تغتسل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، وفي هذا الحرف قراءتان؛ فقرأ بعضُهم: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ بصيغة الفعل المضارع من الثلاثي، وهو بسكون الطاء وضم الهاء، وقرأ بعضُهم بتشديد الطاء والهاء[١]، ورجَّح هذه القراءة ابنُ جرير[٢]، ومعناها: «يغتسلن»، ومعلومٌ أَنَّ الاغتسالَ لا يكون إلَّا بعد انقطاع الدم، ومما يُرجِّحُ هذه القراءةَ ـ أعني: قراءةَ التشديد ـ أَنه فُرِّعَ عليها الجملةُ الشرطية، وهي: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، فعلَّق إباحةَ إتيانهنَّ على ما إذا تطهَّرنَ؛ أي: اغتسلن، والاغتسالُ: هو التطهُّرُ من الحدث الأَكبر كما قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ﴾ [النساء: ٤٣]. وقوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾: هذا أَمرُ إِباحةٍ بعد النهي؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ ذكر فيه ابنُ جرير عدة أقوال، منها: فأتوهنَّ من حيثُ أَمركم اللهُ باعتزالهنَّ فيه، وهو الفرجُ، ورواه عن جمعٍ من السَّلف[٣]، ورجَّح أَنَّ المعنى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَي: الطُّهر؛ فالمعنى: فأتوهنَّ طاهرات لا حيَّض[٤].

---

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿حَتَّى يَطَّهَّرْنَ﴾ مشددة الطاء؛ والهاء مفتوحة، وقرأ الباقون ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ خفيفة والهاء مضمومة. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٨٢)، و«النشر» (٢/ ٢٢٧).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٣٢).

(٣) رواه عن ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم من السلف. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٣٥-٧٣٨).

(٤) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٤٠-٧٤٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾: ثناءٌ ووعدٌ للتائبين إلى الله من الذنوب، والمتطهِّرينَ المتنزِّهين عن الأَقذار والأنجاس.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي: الحيضِ، أو مكانِه، ماذا يفعل بالنساء فيه؟ ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ قذرٌ أو محلُّه ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ اتركوا وطأهنَّ ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ أَي: وقتِه، أو مكانِه ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ بسكون الطاءِ وتشديدِها والهاء، وفيه إدغامُ التاء في الأصل في الطاء؛ أَي: يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ للجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بتجنُّبه في الحيض، وهو القُبُل، ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ يُثيبُ ويُكرمُ ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من الأَقذار.

وقولُ المؤلِّف: (**أَي: الحيضِ**...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ المحيضَ يحتمل أن يكون مصدرًا ميميًّا فيكون بمعنى: الحيض، ويُحتملُ أَن يكون اسمَ مكانٍ؛ أَي: مكانَ الحيض وهو الفرج، والمقصودُ: السؤالُ عن حكم معاملةِ النساءِ حالَ الحيضِ؛ ما يحلُّ للرجل منهنَّ وما يحرم.

وقولُه: (**قذرٌ أو محلُّه**): هذا مَبنيٌّ على القولين في المراد بالمحيض.

وقولُه: (**اتركوا وطْأهنّ**): فسَّرَ الاعتزالَ بترك جماع الحائض.

وقولُه: (**وقتِه أَو مكانِه**): يُبيِّنُ أَنَّ المحيضَ في قوله: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ يُحتمَلُ أَنه اسمُ زمان؛ وهو وقتُ الحيضِ، أَو اسمُ مكانٍ؛ وهو الفرج.

وقولُه: (**بالجماع**): يُبيِّنُ أَنَّ قولَه: (لا تقربوا) من القُربان؛ وهو مباشرةُ الفعل، لا من القربِ بمعنى: الدنو من الشيء.

وقولُه: (**بسكون الطاء وتشديدها**...) إلى آخره: يُشيرُ إلى القراءتين، إحداهُما بسكون الطاء وضمِّ الهاء، من طهر الثلاثي، والأُخرَى بتشديد الطاءِ

والهاءِ، والأَصلُ «يَتْطَهرن» فسُكِّنت التاءُ وقُلبت طاءً وأُدغمت الطاءُ في الطاء، ومعنى: يطهرن؛ يغتسلن.

وقولُه: (**للجماع**): تفسيرٌ للإتيان في قوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾.

وقولُه: (**بتجنُّبه في الحيض**...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ الأمر المشار إليه في قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ هو الأَمرُ باعتزالهنَّ في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾.

وقولُه: (**يُثيبُ ويُكرِمُ**): هذا تأويلٌ بل تحريفٌ؛ لأنَّه تفسيرٌ للمحبَّةِ بلازمِها، فإنَّ من لازمِ محبَّةِ اللهِ للعبدِ الإثابةُ والإكرامُ، وهذا التأويلُ يتضمَّنُ نفيَ حقيقةِ المحبَّةِ عن الله؛ فهو تأويلٌ مبنيٌّ على التعطيلِ، وهذا سبيلُ المعتزلةِ ومن تبعَهم كالأشاعرةِ[1]، وأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يُثبتون لله حقيقةَ المحبَّةِ ويجرونَ النصوصَ على ظاهرِها مؤمنينَ بها مثبتين لما تدلُّ عليه من صفاتٍ للهِ من غيرِ تعطيلٍ ولا تحريفٍ ولا تمثيل ولا تكييفٍ، وهذا معنى قولُ من قالَ من السلفِ في آياتِ الصفاتِ وأحاديثِها: «أمرّوها كما جاءَت بلا كيفٍ»[2].



(١) **ينظر**: «شرح الأصبهانية» (ص٣٩)، و«مجموع الفتاوى» (٦/ ٢٢٥-٢٢٦) (١٠/ ٦٩٧)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٣٨٣-٣٨٤)، و«بدائع الفوائد» (٣/ ٨٤٦)، و«التعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري» (ص١٠٦، رقم ٦٨)، (ص١١٦، رقم ٧٦)، (ص١٤٣، رقم ١٠١).

(٢) روي بألفاظ متقاربة عن مكحول والزهري، وحكاه الوليد بن مسلم عن مالك والثوري والليث والأوزاعي. **ينظر**: «التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة (رقم ٣٢٨٣ و٤٦٨٨)، و«السنة» للخلال (١/ ٢٥٩، رقم ٣١٣)، و«الشريعة» (٣/ ١١٤٦، رقم ٧٢٠)، و«الصفات» للدارقطني (رقم ٦٧)، و«الإبانة» لابن بطة (رقم ١٨٣)، و«أصول أهل السنة» (٣/ ٤٧٨، رقم ٧٣٥)، و«جامع بيان العلم» (٢/ ٩٤٣-٩٤٤، رقم ١٨٠١)، و«التمهيد» (٧/ ١٤٩)، و«ذم التأويل» لابن قدامة (رقم ٢١، ٢٤)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٣٧٧، رقم ٩٥٥).

وقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾ [البقرة: ٢٢٣]:

يُخبر تعالى عبادَه المؤمنين أَنَّ نساءَهم ـوهن زوجاتهمـ مزدرعٌ لهم وموضع حرثٍ لهم، بوضع النُّطف في أَرحامهنَّ، فينشأُ عن ذلك الولدُ؛ كوضع الحبِّ في المزدرع من الأرض، وينشأُ عن ذلك الزرعُ والشجرُ والحبُّ والثمرُ.

وقوله: ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ﴾: أي: جامعوا نساءكم من أَيِّ وجهٍ شئتم، من قُبلها ومن دُبرها في موضع الحرثِ وهو القُبُل، لكن دلَّ الكتابُ والسنَّةُ على تحريم أَمرين: إتيان النساءِ في أَدبارهنَّ، وفي مكان الحيضِ.

وقد ثبت في سبب نزولِ هذه الآية كما في الصحيحين: أَنَّ اليهودَ كانوا يقولون للمسلمين: إذا أتى الرجلُ امرأته من دُبرها في قُبلها كان الولدُ أَحولَ، فأنزل اللهُ هذه الآية ردًّا عليهم[(١)]، فعُلم مما تقدَّمَ الفرقُ بين إِتيان المرأة من دُبرها في قُبلها، وإتيانها في دبرها، فالأَوَّلُ: حلالٌ بالاتفاق؛ لقوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾. والثاني: حرامٌ لِمَا استفاضَ من الأَحاديث والآثار الدالةِ على تحريم ذلك[(٢)]، وأَمَّا ما رُوي من الآثار المخالفة لذلك؛ فهي بين أَمرين: إِمَّا أنها لم تصحَّ، أو تكون محمولة على المعنى المجمع على إباحته، وهو إتيان المرأة من دُبرها في قُبلها، كما حقَّقَ ذلك العلامةُ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) النهي عن وطء النساء في أدبارهن رواه غير واحد من الصحابة؛ كخزيمة بن ثابت، وأبي هريرة، وابن عباس، وعلي بن طلق، وعبد الله بن عمرو، وأنس، وأُبي بن كعب، وابن مسعود، وعقبة بن عامر، وعمر، وجابر بن عبد الله، وغيرهم، وإن كان في بعضها مقال لكن مجموعها يعطي قوة للخبر؛ خاصة مع ثبوت ما ورد عن الصحابة في تحريم هذا الفعل. **ينظر**: «شرح معاني الآثار» للطحاوي (٣/ ٤٣-٤٦)، و«نظم المتناثر» (ص١٤٩، رقم ١٥٩).

(٣) «أضواء البيان» (١/ ١٦٩-١٧٣)، و«العذب النمير» (٣/ ٥٥٥-٥٥٧). وانظر: «زاد المعاد» (٤/ ٢٥٧-٢٦٤).

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أَي: قدِّموا لأَنفسكم من الأَعمال الصالحة ما تجدونه عند الله موفورَ الأَجر مشكورًا، ولا يشغلنكم عن ذلك التمتع بلذَّات الدنيا، وبذا تظهرُ مناسبةُ قولِه تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ لِمَا قبله.

وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: اتقوا سخطَه وعذابَه باجتناب محارمه.

وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾: أَي: يومَ القيامة، فمُجازيكم بأعمالكم حَسنِها وسَيِّئِها، وفي هذا تأكيدٌ لقوله: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾: أَمرٌ من الله لنبيِّه أَن يُبشِّرَ المؤمنين لِمَا أَعدَّ اللهُ لهم من الأَجرِ الكبير والفوزِ العظيمِ.

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أَي: محلُّ زرعكم الولدَ ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أَي: محلَّه؛ وهو القُبُل ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ من قيامٍ وقعودٍ واضطجاعٍ وإِقبالٍ وإِدبارٍ؟ نزل ردًّا لقول اليهود: مَن أَتى امرأته في قُبلها من جهة دُبرها جاء الولدُ أَحول ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ العملَ الصالحَ؛ كالتسمية عند الجماع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أَمره ونهيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ بالبعث، فيُجازيكم بأَعمالكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتقوه بالجنة.

وقولُ المؤلِّف: (**أَي: محلَّ زرعكم الولدَ**): في هذا تشبيه المرأةِ أَو رحمِ المرأةِ بالأرض التي يُوضعُ فيها البذرُ، وتشبيهُ النطفةِ بالبذر والولدِ بالزرع كما جاء في الحديث: ((لا يحلُّ لمن يؤمنُ بالله واليوم الآخر أَن يسقيَ ماءَه زرعَ غيره))[1]، المعنى: لا يحلُّ للمؤمن أَن يطأَ الحاملَ من غيره.

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٩٧) وأبو داود (٢١٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٤٨٢) من طرق، عن محمد بن إسحاق، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق التجيبي، عن حنش الصنعاني، عن رويفع بن ثابت الأنصاري، به. =

وقولُه: (أَي: محله...) إلى آخره: يقتضي أَنَّ إطلاقَ الحرثِ على المرأة مجازٌ مرسلٌ علاقته الحالية، ومحلُّ الحرثِ من المرأة هو القُبُلُ.

وقولُه: (كيف): تفسيرٌ لقوله: ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾، وهذا إذنٌ بإتيان المرأة في أَيِّ حالٍ تكون عليها المرأةُ، وفي أَيِّ مكانٍ، وفي أَيِّ زمانٍ يشاؤه الرجلُ، إلَّا ما خصَّه الدليلُ؛ كإتيانها في الحيض أو في الدبر، فهذان حرامٌ كما تقدَّم.

وقولُه: (من قيامٍ وقعودٍ...) إلى آخره: تفصيلٌ لأَحوالِ المرأَةِ المأذون بإتيانها فيها.

وقولُه: (نزل ردًّا...) إلى آخره: إشارةٌ إلى سبب النزول.

وقولُه: (العملَ الصالحَ...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ الآيةَ شاملةٌ للقولين في المأمور بتقديمه؛ الأول: قدِّموا الخيرَ وهو العملُ الصالح، والثاني: ذكرُ الله قبل الجماعِ بالتسمية والدعاء، كما جاء في الحديث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لو

= وهذا إسناد لا بأس به، رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي مرزوق مولى تجيب ـوهو ربيعة بن سليم أو ابن أبي سليمـ فهو مجهول، وقال عنه الحافظ في «التقريب» (١٩٠٥) «مقبول»، وقال في موضع آخر: «ثقة»، وسماه حبيب بن شديد. «التقريب» (٨٣٥٢).

وأخرجه الترمذي (١١٣١) من طريق يحيى بن أيوب، عن أبي مرزوق التجيبي، به. وقال الترمذي «هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن رويفع بن ثابت».

وقد توبع أبو مرزوق؛ تابعه الحارث بن يزيد: أخرجه أحمد (١٦٩٩٢) من طريق يحيى بن إسحاق، عن ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن حنش الصنعاني، به.

والحارث بن يزيد ـوهو الحضرمي المصريـ ثقة، «التقريب» (١٠٥٧)، لكن ابن لهيعة ضعيف وخلط بعد احتراق كتبه، «التقريب» (٣٥٦٣)، ويحيى بن إسحاق ـوهو السيلحينيـ من قدماء أصحابه كما ذكر الحافظ في «التهذيب» في ترجمة حفص بن هاشم بن عتبة (٢/ ٤٢٠، رقم ٧٢٩).

فالحديث نرجو أنه حسن بطريقيه، وقد صححه ابن حبان (٤٨٥٠)، وحسنه الترمذي (١١٣١)، والبزار (٢٣١٤)، والألباني في «الإرواء» (٢١٣٧)، و«صحيح أبي داود» (١٨٧٤).

أَنَّ أَحدكم إذا أَراد أن يأتي أَهلَه قال: باسم الله، اللهمَّ جنِّبنا الشيطانَ وجنِّب الشيطانَ ما رزقتنا...)) الحديث[1].



(١) أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤-٢٢٥]:

ينهى اللهُ -تعالى- عبادَه المؤمنين عن الحلف به سبحانه على ترك البر أو التقوى، أو ترك الإصلاح بين الناس، فقوله: ﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾؛ أي: أَلَّا تبرُّوا ولا تتَّقوا ولا تُصلحوا.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾؛ أي: لا تجعلوا اللهَ مُعَرَّضًا للحلف به على أَلَّا تبرُّوا ولا تتَّقوا ولا تُصلحوا، وقيل: لا تجعلوا أَيمانكم بالله عُرضةً؛ أي: مانعًا لكم عن البر والتقوى والإصلاح[(١)]، ونظيرُ هذه الآية في النهي عن الحلف على ترك البر والصلة قولُه تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]، نزلت في أبي بكر لَمَّا حلف أَلَّا ينفقَ على مِسْطح؛ لخوضه في شأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)]، وبناءً على ما سبق من حلف ألا يفعل برًّا أو معروفًا، فالمشروعُ في حقِّه أن يفعلَ ما حلف على تركه ويُكفِّرَ عن يمنيه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((والله لا أَحلفُ على يمينٍ فأَرى غيرها خيرًا منها إلَّا أتيتُ الذي هو خيرٌ، وكفَّرتُ عن يميني))[(٣)].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾: أَي: سميعٌ لأَقوالكم عليمٌ بما في قلوبكم، وسيجزيكم على أَقوالكم وأَعمالكم.

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٥-١٢)، و«الكشاف» (١/ ٤٣٦-٤٣٧)، و«زاد المسير» (١/ ١٩٤)، و«البحر المحيط» (٢/ ٤٣٩).

(٢) كما في حادثة الإفك التي أخرجها البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه بنحوه البخاري (٦٦٢٣)، ومسلم (١٦٤٩)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: أي: لا يُؤَثِّمكم ولا يُعاقبكم، فلا تجبُ عليكم الكفارةُ بالحنث فيه. وقوله: ﴿بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: المراد باللغو: ما لا يترتَّبُ عليه شيءٌ من الأَحكام، ولغو اليمين؛ قيل: المرادُ به ما يجري على اللسان من غير عقد القلب؛ كقول الرجل: «لا والله، وبلى والله»، وقيل لغو اليمين: هو حلفُ الإنسان على ما يظنُّ صِدقَه فيه[1].

وقوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أَي: ولكنَّ الإثمَ وجوبُ الكفارة بالحِنث في الأَيمان التي انعقد عليها القلبُ، فصارت من عمل القلب وكسبه قصدًا ونيَّةً وعزمًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾: أَي: كثيرُ المغفرةِ لذنوب عبادِه، حليمٌ لا يُعاجِلُ بالعقوبة.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أَي: الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾ علَّةً مانعةً ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أَي: لِمَا حلفتم عليه -سُمِّيَ باليمين لملابستِه له- أَن تفعلوه لـ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ فتُكرَه اليمينُ على ذلك، ويُسَنُّ فيه الحنثُ ويُكفَّرُ بخلافها على فعل البرِّ ونحوِه فهي طاعة. المعنى: لا تمتنعوا من فعل ما ذُكر من البرِّ ونحوِه إذا حلفتم عليه؛ بل ائتوه وكفِّروا؛ لأَنَّ سببَ نزولها الامتناعُ من ذلك ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأَقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأَحوالكم. ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائنِ ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما يَسبقُ إليه اللسانُ من غير قصدِ الحلفِ؛ نحو: لا والله وبلى والله؛ فلا إِثم فيه ولا كفَّارة ﴿وَلَكِنْ

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ١٤-٢٦)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٥٠)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٩٩-١٠٠).

﴿يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أَي: قَصَدتْه من الأَيمان إذا حَنثتم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِمَا كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخيرِ العقوبةِ عن مُستحِّقها.

وقولُ المؤلِّف: (أَي: الحلف به): تأوّل الكلام على حذف مُضاف؛ فمعنى: لا تجعلوا الله: لا تجعلوا الحلفَ بالله.

وقولُه: (علَّةً مانعةً): تفسير للعرضة؛ أي: لا تجعلوا القَسَمَ بالله على ترك البرِّ والتقوى والإصلاح سببًا مانعًا من فعل البرِّ والتقوى والإصلاح.

وقولُه: (لِمَا حلفتم عليه...) إلى آخره: هذا تفسيرٌ لقوله تعالى: ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾، فاليمينُ تُطلَقُ على لفظ القَسَم؛ كقولك: «والله»، وتُطلَقُ على المقسَم عليه؛ كقولك: «لا أَحج»، ففي الآيةِ النهيُ عن أَن يكون القَسَمُ: «والله» مانعًا من فعل الحجِّ المُقسَمِ على تركه، وهذا على تفسيرِ العُرضةِ بالعلَّةِ المانعةِ، وهذا ما مشى عليه المؤلِّف، ولهذا قال في تفسير: ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾: «أَن لا تبرُّوا».

وقولُه: («أَن» لا): هذا تفسيرٌ لليمين التي نهي عن جعلها مانعًا من فعل البر والتقوى والإصلاح. وقولُه: (فتُكرَه اليمينُ على ذلك): يريد: أَنَّ الحلفَ على ترك العمل المشروع مكروهٌ، هذا إذا كان مُستحبًّا، ولهذا قال: (ويُسَنُّ فيه الحنثُ)، أَمَّا إذا كان واجبًا؛ فالحلفُ على تركه حرامٌ؛ كمَن حلفَ على ترك فريضةٍ من الفرائض، فيجب الحنثُ وتجبُ الكفَّارةُ.

وقولُه: (بخلافها على فعل البرِّ): يريد: أَنَّ الحلفَ على فعل البر؛ كقوله: والله لأَحُجنَّ، لا على وجه النذر؛ لا يكره.

وقولُه: (المعنى: لا تمتنعوا...) إلى آخره: يُبيِّنُ بذلك المعنى المقصود من النهي في الآية، ويشيرُ إلى سبب نزول الآية، وهو أَنَّ بعضَ الناس يمتنع من فعل الطاعة؛ لأَنَّه حلفَ على تركها، فنُهوا عن الامتناع من فعل الخير من أجل اليمين، وأُمروا بالحنث والكفارة.

وقولُه: (**الكائنِ**): هذا تقديرُ مُتعلق الجار والمجرور في أيمانكم، فالمعنى: اللغو الواقع في أَيمانكم. وقولُه: (**وهو ما يَسبقُ...**) إلى آخره: هذا تفسيرُ اللغو في الأَيمان.

وقولُه: (**أَي: قَصَدتْه...**) إلى آخره: هذا تفسيرٌ لكسب القلوب، فقصدُ القلب للقول والفعل هو كسبُه وعملُه، وهو معنى قولِه تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].



وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧]:

هذا بيانٌ من الله لحكم من «آلى» من امرأته؛ أَي: حلف على أَلَّا يطأها أَكثرَ من أَربعة أَشهرٍ؛ كسنةٍ، و«آلى»، و«ائتلى»: حلف، فيؤلون: أَي: يحلفون، ويقال: لمن وقع منه ذلك مُؤْلٍ، وليمينه: الإيلاءُ. ومعنى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: يُباحُ لهم الانتظارُ مُمتنعين عن وطءِ نسائهم مدةَ أَربعة أَشهرٍ، فالتربُّص بمعنى: الانتظار، ومفهومُ التقييد بأَربعةِ أَشهرٍ أنه ليس لهم الامتناعُ من الوطءِ فوق الأَشهر الأَربعة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو﴾: أَي: رجعوا إلى ما حلفوا على تركه؛ فكان منهم الوطءُ عند تمام المدةِ أَو قبلها، وجوابُ الشرط: قولُه تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾: أَي: غفورٌ للمؤولين خطأَهم رحيمٌ بهم بما شرعَ لهم من التربُّص وكفَّارةِ اليمين.

وقوله: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾: أَي: فإن لم يفيئوا فقد وجبَ عليهم الطلاقُ، فإن طلَّقوا وإِلَّا أَجبرهم الحاكمُ على الطلاق، فإن فعلوا وإِلَّا طلَّقَ عليهم، وجوابُ الشرط قولُه تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾: أَي: سميعٌ لأقوال المؤلين، عليمٌ بنيَّاتهم.

فعُلم مما تقدَّمَ أَنَّ المؤلي الذي يؤمرُ بالفيئة ويُجبرُ على الطلاق إذا امتنع هو الذي آلى أَكثر من أربعة أَشهر على وجه المضارَّةِ للمرأة، أَمَّا إذا كان برضا المرأةِ رعايةً لأَيِّ مصلحةٍ؛ فليس له حُكمُ المُؤلي؛ لأَنَّ الحقَّ لها، أَمَّا مَن آلى أَربعةَ أَشهرٍ فأقل؛ فلا يدخل في حكم الآيةِ، لكن يحرم قصدُ الإضرارِ بكلِّ حالٍ، فإن أَتمَّ المدةَ التي عيَّنها فلا شيءَ عليه، وإن فاءَ في المدة فعليه كفَّارةُ اليمين، وكذا إذا فاءَ في مدَّةِ التربُّص أَو بعدها، فإنَّ عليه الكفارةُ، وإن طلَّقَ فلا كفَّارةَ عليه.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أَي: يحلفون أَلَّا يُجامعوهنَّ ﴿تَرَبُّصُ﴾ انتظارُ ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطءِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أَتوه من ضرر المرأةِ بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أَي: عليه، بأَنْ لم يفيئوا؛ فليُوقعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بعزمهم، المعنى: ليس لهم بعد تربُّصِ ما ذُكر إلَّا الفيئةُ أو الطلاقُ.

وقولُ المؤلِّف: (ما أَتوه من ضرر المرأةِ بالحلف): معناه: أَنَّ اللهَ يغفر للمؤلي إذا فاءَ ما ترتَّب على الإيلاء من ضرر المرأةِ، وهذا مشروطٌ بالتوبة واستحلال المرأة، وأَمَّا ما ترتَّب على الفيئة من الحنث في اليمين فإنه يُغفر بالكفارة.

وقولُه: (عليه): يُبيِّنُ: أَنَّ عزمَ يتعدَّى بـ«على»، فـ﴿عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾؛ بمعنى: عزموا على الطلاق، فحُذفَ حرفُ الجرِّ واتَّصل الفعلُ بالمجرور فنُصبَ به، وهذا ما يعرف بالحذف والإيصال، فجعل العزمَ على الطلاق مُقابلًا للفيء، فدلَّ ذلك على وجوبه، فإن طلَّقَ وإلَّا طلَّق عليه الحاكمُ، فالمعنى: إن لم يفيءْ عند تمام المدةِ فقد عزم على الطلاق، ولهذا قال بعضُ أهل العلم: «إذا تمَّت المدَّةُ ولم يفيءْ بانت منه ولو لم يُطلِّق»[(١)]، والصواب: أَنه إذا تمت المدةُ فإنه يُوقَفُ فيُؤمرُ بالفيئة أَو الطلاق، فإِن أَبى الأَمرين طلَّقَ الحاكمُ[(٢)]، وفي حكم هذه الآية اختلافاتٌ وتفريعاتٌ كثيرةٌ.

---

(١) وهو قول الحنفية. **ينظر**: «حاشية ابن عابدين» (٣/ ٤٢٤).

(٢) وهو قول الجمهور مع اختلاف في إلزام الحاكم الطلاق إن أبى المؤلي. **ينظر**: «مواهب الجليل» (٤/ ٤٩٦-٤٩٧)، وتكملة «المجموع شرح المهذب» (١٩/ ٤٤) وما بعدها، و«المغني» (١١/ ٤٦)، و«المحلى» (٩/ ١٨٤-١٨٥).



وقولُه: (**المعنى: ليس لهم...**) إلى آخره: يريد: أَنَّ معنى الآيتين: أَنَّ المؤلي بعد تربُّصِ أَربعةِ أَشهر لا بدَّ له من أَحد الأَمرين؛ إِمَّا أَن يفيءَ أو يُطلِّقَ.



وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨]:

يُبيِّنُ تعالى حكمَ المطلقات طلقةً أو طلقتين؛ لقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فحُكمُ هؤلاء المطلقات التربُّصُ مدَّةَ ثلاثةِ قروء؛ أَي: الانتظارُ والامتناعُ عن النكاح في هذه المدَّة، والقروءُ: جمعُ قَرءٍ بالفتح، قيل: وبالضم، والمرادُ: بالقروء؛ قيل: الأَطهار، وقيل: الحِيَضُ(١)، كما يُبيِّنُ تعالى أنه لا يحلُّ لهنَّ في هذه المدة كتمانُ ما خلق الله في أَرحامهنَّ مِن حملٍ أَو حيضٍ وأَنَّ ذلك الكتمان لا يكون ممن تؤمن بالله واليوم الآخر؛ لِمَا يترتَّب على كتمان الحيض أَو الحمل من المفاسد المتعلقةِ بحقِّ الأَزواج؛ كتطويل العدةِ أَو تقصيرها وغير ذلك مما بيَّنه العلماءُ، ثم بيَّنَ تعالى أَنَّ أَزواجهنَّ ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ في مدَّة التربُّصِ إلى ما كُنَّ عليه قبل الطلاقِ، وهذا ما يُسمَّى بالرجعة، وشرطُ ذلك أَن يُريدوا بهذا الردِّ الإصلاحَ لا الإِضرار، وهذا معنى قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗا﴾.

ثم بيَّنَ تعالى أَنَّ للنساء على أزواجهنَّ مثل الذي لهم عليهنَّ من أَداء كلٍّ منهم ما عليه من الحقوق الواجبةِ شرعًا والجاريةِ عرفًا، وقد فضَّل اللهُ الرجالَ على النساء درجةً فقال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ﴾ وهي ما بينه تعالى بقوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: ٣٤]، فدخل في ذلك كلُّ ما فُضِّل به الرجالُ وخُصُّوا به من

(١) ينظر: «لسان العرب» (١/ ١٣٠)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٨٦-٨٧).

الأَحكام مما ذكره المفسرون في تفسير الدرجة، ومن ذلك: قواميةُ الرجال على نسائهم وإمرتُهم عليهنَّ ووجوبُ طاعتهنَّ لهم بالمعروف.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾: أَي: قويٌّ غالبٌ، وفي ذلك تهديدٌ لمن يُخالف أمر اللهِ أَو يرتكبُ ما نهى عنه من الرجال والنساء، وهو تعالى حكيمٌ؛ أَي: ذو حكمةٍ، ومن ذلك: حكمتُه فيما شرع لعباده من أَحكام المطلَّقات وغير ذلك.

وبعد: فأَهمُّ مسأَلةٍ تتعلقُ بهذه الآية: مسأَلَةُ المرادِ بالقرء، فقد اختلف في ذلك العلماءُ من الصحابة والتابعين والأَئمة المتبوعين، فذهب كثيرون إلى أَنَّ القروءَ الأَطهارُ، وذهب آخرون كثيرون إلى أَنَّ القروءَ الحِيَضُ، فعلى القولِ الأَوَّل تنقضي عدَّةُ المطلقة الرجعية بشروعها في الحيضة الثالثة بعد الطلاق، وعلى القول الآخر ـ وهو أَنَّ الأَقراءَ الحِيَضُ ـ تنتهي عدَّتُها بطُهرها من الحيضة الثالثةِ، ولكلٍّ من الفريقين وجوهٌ من الاستدلال من الكتاب والسنَّة، وقد استوفى ذكرَها الإمامُ ابنُ القيم في زاد المعاد، وذكر أَنَّ من القائلين إنَّ الأَقراءَ الحِيَضُ: الخلفاءَ الأَربعةَ الراشدين؛ أبا بكرٍ وعمرَ وعثمان وعليًّا، واختار رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا القولَ ورجَّحه، والله أَعلم[1].

وقد دلَّت الآيةُ على أَنَّ كلَّ مُطلقةٍ عدَّتُها ثلاثةُ قروءٍ، وقد خرج من هذا العموم عددٌ من المطلَّقات:

الأولى: غيرُ المدخول بها، فإنه لا عدَّةَ عليها؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

الثانية: المطلقةُ الحاملُ؛ فإنَّ عدَّتَها تنقضي بوضع الحمل؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

---

(١) ينظر: «زاد المعاد» (٥/ ٦٠٠) وما بعدها.

الثالثة والرابعة: الآيسةُ من المحيض والتي لم تحضْ؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ﴾، إلى قوله: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ﴾ [الطلاق: ٤].

الخامسة: المطلقةُ البائنُ بينونةً كبرى؛ وهي التي طلَّقها زوجُها آخرَ ثلاث تطليقات، وقد ذهب جمهورُ العلماءِ إلى دخولها في الآية، وقالوا: إنها تتربصُ ثلاثةَ قروءٍ لعموم الآية، وذهب بعضُ العلماءِ إلى أَنها غيرُ داخلةٍ في المطلقات اللاتي يتربصنَ ثلاثةَ قروءٍ؛ لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾، والمطلقةُ ثلاثًا ليس بعلها أَحق بردِّها؛ لأنها لا تحلُّ له حتى تنكحَ زوجًا غيره، وعليه فيختصُّ قولُه تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ﴾ بالرجعيات[1].

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أَي: ينتظرنَ ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ تمضي من حين الطلاقِ، جمعُ قَرءٍ بفتح القاف؛ وهو الطُّهرُ أَو الحيضُ، قولان. وهذا في المدخول بهنَّ، أَمَّا غيرهنَّ فلا عدَّةَ عليهن، بقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ وفي غير الآيسة والصغيرة فعدتهنَّ ثلاثةُ أَشهرٍ، والحوامل فعدتهنَّ أَنْ يضعنَ حملهنَّ كما في سورة الطلاقِ، والإماءُ فعدتهنَّ قَرآنِ بالسنَّةِ.

---

(١) والقول الأول هو قول الجمهور، بل قال ابن القيم: «بل الذي لا يَعرفُ الناسُ سواه»، والقول الثاني ـ أي: أن عدتها حيضة واحدة ـ هو اختيار أبي الحُسين بن اللَّبَّان، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في مواضع من كتبهما، وفي مواضع علَّقا القول به على ألا يكون الإجماع على خلافه. ينظر: «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٣٤٢)، و«الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية» (ص٤٢٣)، و«اختيارات شيخ الإسلام» للبرهان ابن القيم (ص١٢٤)، و«زاد المعاد» (٥/ ٦٧٣-٦٧٤)، و«إعلام الموقعين» (٣/ ٣٠٠-٣٠١)، و«أحكام أهل الذمة» (٢/ ٧٤٧).

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد أَو الحيض ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أَزواجُهنَّ ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ أَي: بمُراجعتهنَّ ولو أَبين ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أَي: زمن التربُّصِ ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بينهما، لا إِضرار المرأة، وهو تحريضٌ على قصده لا شرطٌ لجواز الرجعةِ، وهذا في الطلاق الرجعي، وأَحق لا تفضيل فيه، إذ لا حقَّ لغيرهم في نكاحهنَّ في العدَّةِ ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعًا، من حُسن العشرةِ وتركِ الضِّرار ونحو ذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضيلةٌ في الحقِّ من وجوب طاعتهنَّ لهم؛ لِمَا ساقوه من المهر والإنفاق. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبَّره لخلقِه.

وقولُ المؤلِّف: (ينتظرنَ): يريد: أَنَّ ﴿يتربَّصنَ﴾ لفظُه خبرٌ، ومعناه: أَمرٌ؛ فمعنى ﴿يتربَّصنَ﴾: ليتربَّصنَ. وقولُه: (عن النكاح): يُبيِّنُ أَنَّ المقصودَ من التربُّص منعُ أَنفسهنَّ عن النكاح.

وقولُه: (تمضي من حين الطلاق): يُبيِّنُ أَنَّ مدَّةَ التربُّصِ من حين الطلاق إلى أَن تمضيَ ثلاثةُ قُروء.

وقولُه: (وهو الطُّهرُ أَو الحيضُ...) إلى آخره: تضمَّن كلامُه ذِكرَ الاختلاف في المراد بالقَرء، وأَنَّ حُكمَ هذه الآية مختصٌّ بذوات الأَقراء، وأَنه خرجَ من عمومها الآيسةُ من المحيض، والتي لم تحضْ، والحاملُ؛ فقد بيَّنَ حُكمَهنَّ في سورة الطلاق. كما خرج من عموم الآية غيرُ المدخول بها؛ فإنَّه لا عدَّةَ عليها كما في آية الأحزاب ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾.

وقولُه: (من الولد أَو الحيض): تفسيرٌ لِـ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ وحرَّمَ عليهنَّ كتمانه.

وقولُه: (**بمراجعتهن...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ الرجعةَ حقٌّ للزوج، وأنه لا يُعتبرُ فيها رضا المطلقة. وقولُه: (**زمنَ التربُّصِ**): بيانٌ لمرجع اسم الإشارة.

وقولُه: (**بينهما...**) إلى آخره: تضمَّن كلامُه أَنَّ قولَه تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ ترغيبٌ في حُسن القصدِ في الرجعة، وذلك بقصد الإصلاحِ لا الإضرار بالمرأة، ويُبيِّنُ المؤلِّفُ أَنَّ قصدَ الإصلاحِ ليس شرطًا في صحَّة الرجعةِ، فتصحُّ الرجعةُ ولو لم يردِ الإصلاحُ، هذا قولُ الجمهور؛ لأَنَّ حُسنَ النيةِ أَمرٌ باطنٌ لا يُطلَعُ عليه في الغالب، فيشقُّ اعتبارُه في الرجعة[1]، ولكن يجب التذكيرُ به، والتحذيرُ من خلافه، كما بيَّن المؤلِّفُ أَنَّ «أحق» أَفعل تفضيل على غير بابه؛ فالمعنى: بُعولتهنَّ مُستحقُّون لردِّهنَّ في زمن التربص.

وقولُه: (**على الأزواج...**) إلى آخره: فيه بيان المحذوفِ من الشطر الأَول من الجملة؛ وهو قوله: (**على الأَزواج**)، وبيان المحذوفِ من الشطر الثاني من الجملة؛ وهو قوله: (**ولهم**)، ويُسمَّى هذا احتباكًا[2] مع بيان مُتعلق هذا الوجوب والاستحقاق، وهو قوله: (**من الحقوق من حسن العشرة وترك الضِّرار ونحو ذلك**)، وهذا هو المعروفُ شرعًا وعُرفًا.

وقولُه: (**فضيلة...**) إلى آخره: تفسيرٌ للدرجة التي فُضِّل بها الرجال، وهي: وجوبُ طاعتهم عليهنَّ بسبب ما أَنفقوا من أَموالهم من الصَّداق وغيرِه.

---

(١) **ينظر**: «أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ٦٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٥٩)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ٢٥٦)، و«فتح القدير» (١/ ٢٧١-٢٧٢)، و«أضواء البيان» (١/ ١٨٥).

(٢) الاحتباك: هو أن يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، ومن الثاني ما ثبت نظيره في الأول، ومبنى هذه التسمية من الحبك وهو الشد والإحكام، وسماه الزركشي «الحذف التقابلي»، ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾، والتقدير: «تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء»، فحذف من الأول: تدخل غير بيضاء، ومن الثاني: وأخرجها. **ينظر**: «البرهان» للزركشي (٣/ ١٢٩)، و«الإتقان» للسيوطي (٥/ ١٦٢٢-١٦٢٤).

وقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾ [البقرة: ٢٢٩-٢٣٠]:

يُبيِّنُ تعالى في هاتين الآيتين ما يملكه الرجلُ من الطلاق، وهو ثلاثُ تطليقاتٍ تَبينُ المرأةُ بعدها، وفي ذلك إبطالٌ لِمَا كان عليه أَهلُ الجاهليةِ من طلاق المرأة ومراجعتها بلا حدٍّ ينتهي إليه، وكلما طلَّقها وأَوشكتْ أَن تنقضي عدَّتُها راجعها ثم طلَّقها ثم تركها، ويفعل ذلك إضرارًا بها، فقصرهم تعالى على ثلاث، فلا تحلُّ بعد الثالثة لمُطلِّقها حتى تنكحَ زوجًا غيرَه، ويطؤها ثم يُطلِّقُها وهذا من أَعظم موانع الإقدام على الطلاق، وفي هذا البيان من الله أَنه يُخيَّر بعد الطلقةِ الأُولى وبعد الثانية بين إِمساكها ـ وهو: ردُّها؛ أَي: المراجعة، ما دامت في العدَّة بنيَّة الإصلاح ـ أو تسريحها مع الإحسان إليها بتركها حتى تنقضي عدَّتُها، فتَبينُ منه بينونةً صغرى، فتكون أَملك لنفسها، فلا يملك مُطلِّقُها رجعتها إلَّا برضاها وبعقدٍ جديدٍ، فإن طلَّقها الثالثةَ بانت منه بينونةً كبرى؛ فلا تحلُّ له حتى تنكحَ زوجًا غيرَه زواجًا حقيقيًا لا بنيَّةِ التحليل، ويطؤها كما دلَّت على ذلك السنَّةُ الصحيحةُ في قصة امرأة رِفَاعة(١)، فإن نكحت على هذا الوجه ثم طلَّقها الزوجُ الثاني؛ حلَّت لزوجها الأَول بشرط أَن تظنَّ المرأةُ وزوجُها الأَولُ أَنهما سيقيمان أَحكام الله فيما بينهما، وهي: حدودُ الله التي حدَّها لكلٍّ من الزوجين، وقد بيَّن اللهُ سبحانه ذلك كله في قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ

(١) سيأتي تخريجه في موضعه (ص ٤٩٣).

مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾.

وبمناسبة ذِكر الطلاقِ وأَنَّ الرجلَ قد يَعضِلُ المرأةَ التي يريد طلاقها؛ بيَّنَ سبحانه أَنَّه لا يحلُّ للزوج أَن يفعلَ ذلك ليأخذ شيئًا مما آتاها كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ [النساء: ١٩]، ثم استثنى سبحانه من ذلك ما إذا خاف الزوجان أو أَهلهما أَو ولاةُ الأَمر أَلَا تستقيمَ حياتهما الزوجيةُ بأَن لا يُقيما حدودَ الله فيما بينهما، فلا جُناح عليهما حينئذٍ فيما افتدت به المرأةُ من مالها من مهرٍ وغيرِه ليُسرِّحها الزوجُ.



﴿الطَّلَاقُ﴾ أَي: التطليقُ الذي يُراجع بعده ﴿مَرَّتَانِ﴾ أَي: اثنتان ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ أَي: فعليكم إِمساكهنَّ بعده بأَن تُراجعوهنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضِرارٍ ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ أَي: إِرسالُ لهنَّ ﴿بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أَيُّها الأَزواجُ ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْئًا﴾ إذا طلقتموهنَّ ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أَي: الزوجان ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أَي: لا يأتيا بما حدَّه لهما من الحقوق، وفي قراءة «يُخافا» بالبناء للمفعول. فـ«أَلَّا يُقيما»: بدلُ اشتمال من الضمير فيه، وقُرِئ بالفوقية في الفعلين ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها من المال ليُطلِّقها، أَي: لا حرج على الزوج في أَخذه ولا الزوجة في بذله. ﴿تِلْكَ﴾ الأَحكامُ المذكورةُ ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوجُ بعد الثنتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ أَي: بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾ تتزوجَ ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويطأها كما في الحديث رواه الشيخان ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوجُ الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أَي: الزوجةُ

والزوجُ الأَوَّلُ ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العِدَّةِ ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبَّرون.

وقولُ المؤلِّف: (**التطليقُ الذي يُراجع بعده**): عبَّر عن الطلاق بالتطليق؛ لبيان أَنَّ الطلاقَ اسمُ مصدر بمعنى التطليق، ثم يُبيِّنُ أَنَّ المرادَ بالطلاق هو الطلقةُ الأُولى والطلقةُ الثانية؛ لأَنَّه الطلاقُ الذي تجوز بعده الرَّجعةُ ما دامت المطلقةُ في العدَّة.

وقولُه: (**اثنتان**): أَي: طلقتان، وعبَّرَ عن الطلقة بالمرَّة؛ للدلالة على استقلال كلٍّ منهما، لئلَّا تكون بلفظٍ واحدٍ فتكون الطلقةُ الثانيةُ بعد الأُولى لفظًا وزمنًا.

وقولُه: (**فعليكم إمساكهنَّ...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ «إِمساكٌ» مبتدأٌ وخبرُه محذوفٌ تقديرُه: فعليكم إِمساكهنَّ، وذلك لمراجعتهن.

وقولُه: (**أَي: إِرسالُ لهنَّ**): يريد: أَنَّ المرادَ بالتسريح تركهنَّ حتى تنقضيَ عِدتهنَّ فَيَبِنَّ منهم، وعبَّرَ عن ذلك بالإِرسال، وهذا هو الصوابُ في المراد بالتسريح في هذا الموضع، خلافًا لمن قال أَنَّ المرادَ بالتسريح أَن يُطلِّقَها طلقةً ثالثةً[1].

---

(١) وهو قول السدي والضحاك، واختاره الجصاص والواحدي وألكيا الهراسي والقاضي أبو يعلى والرازي وابن كثير، وردوا القول الأول من أوجه أوصلها الرازي لأربعة، وضعفوا الحديث الوارد في تفسير الآية؛ لإرساله. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ١٣١-١٣٤)، و«أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ٨٧-٨٨)، و«التفسير البسيط» (٤/ ٢٢٣)، و«أحكام القرآن» لألكيا الهراسي (١/ ١٧٣)، و«تفسير الرازي» (٦/ ٤٤٣-٤٤٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦١١).

وقولُه: (**أَيها الأَزواج**): يُبيِّنُ أَنَّ الخطابَ في قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ للأزواج.

وقولُه: (**من المهور**): بيانٌ للمراد بالموصول في قوله: ﴿مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾.

وقولُه: (**إذا طلقتموهنَّ**): يُبيِّنُ أَنَّ تحريمَ الأَخذ من مهور النساء في هذه الآية في حال تطليقهنَّ؛ لأَنَّه مظنةٌ للأَخذ. وقولُه: (**أَي: لا يأتيا بما حدَّه لهما من الحقوق**): تفسيرٌ لقوله: ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾، وقد تضمَّن كلامُه بيانَ المرادِ بحدود الله؛ بأنها الحقوقُ التي فرضها اللهُ وحدَّها على كلٍّ من الزوجين للآخَر، وأَنَّ إقامتَها إيتاؤها وأَداؤها.

وقولُه: (**وفي قراءة...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ فعل «يخاف» قُرِئَ بضمِّ الياء[1]، فالفعلُ مبنيٌّ للمفعول، ونائبُ الفاعل هو الألفُ؛ لَأَنَّه ضميرُ الاثنين، وعلى قراءة الجمهور: الأَلفُ فاعلٌ؛ لأَنَّ الفعل مبنيٌّ للمعلوم.

وقولُه: (**وقُرِئ بالفوقية في الفعلين**): يُريد: أَنَّ فعلي: «يخافا، ويقيما» قُرِئا بالفوقية، وهي: التاء، فتكون القراءة ﴿إِلَّا أَنْ تَخَافَا أَلَّا تُقِيمَا﴾، وهي مفتوحةٌ في الأَول ومضمومةٌ في الثاني[2].

وقولُه: (**نفسها**): تقدير لمفعول ﴿افْتَدَتْ﴾، فالمعنى: لا جُناح على الزوج فيما أَخذ ولا على المرأة فيما أَعطتْ؛ كما قاله المؤلِّفُ في العبارة التالية.

وقولُه: (**بعد الثنتين**): أَي: طلَّقها طلقةً ثالثة.

وقولُه: (**تتزوج**): تفسيرٌ لـ﴿تَنْكِحَ﴾، وهو تفسيرٌ للنكاح بالعقد، وهو تفسيرٌ صحيحٌ، وأَمَّا اشتراطُ الوطءِ فلا تدلُّ عليه الآيةُ، لكن عُلم بالسنَّة كما ذكره المؤلِّفُ في قوله: (**ويطأها...**) إلى آخره.

---

(١) قرأ أبو جعفر وحمزة ويعقوب: ﴿يُخَافَا﴾ بضم الياء، وقرأ الباقون ﴿يَخَافَا﴾ بفتح الياء. **ينظر**: «السبعة» (ص١٨٢)، و«النشر» (٢/ ٢٢٧).

(٢) لم نجدها في كتب القراءات المتواترة ولا الشاذة؛ وهي قراءة شاذة ذكرها البيضاوي (١/ ١٤٢)، وأبو السعود (١/ ٢٢٦)، والألوسي (١/ ٥٤٣).

وقولُه: (**كما في الحديث**): يُشير إلى قصة امرأة رفاعة التي طلَّقها ثلاثًا، فنكحتْ بعده ابنَ الزَّبير، فأرادتْ أَن ترجعَ إلى رفاعة، فقال لها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**حتى تذوقي عُسيلتَه ويذوقَ عُسيلتك**))(١).

وقولُه: (**إلى النكاح بعد انقضاء العِدَّةِ**): أَي: يتراجعا إلى النكاح بعقدٍ جديدٍ بعد انقضاءِ العِدَّةِ من الزوج الثاني.

وقولُه: (**المذكورات**): يعني: الأَحكام المتقدِّمة.

وقولُه: (**يتدبَّرون**): فسَّرَ العلمَ بالتدبُّر؛ لأَنَّ التدبُّرَ طريقُ العلمِ بما دلَّت عليه الآياتُ من الحِكَمَ والأَحكام.

وبعد: فقد اشتملت الآيتان على ضمائر جمعِ المخاطبين، والمراد بهم: الأزواج؛ إلَّا قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا﴾ فالخطابُ للحكَّام، وهو نوعُ التفات، وكلُّ ما في الآيتين من ضمير التثنية فالمرادُ به الزوجان، وكلُّ ما اتصل منها في فعلٍ فهو في موضعِ رفعِ فاعل؛ إلَّا في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ بضمِّ الياء على البناء للمفعول، فأَلفُ الاثنين في موضع رفعِ نائب فاعل، والمصدرُ المؤول ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ على هذه القراءة بدلُ اشتمالٍ من نائب الفاعل، وقد ذكرَه المؤلِّفُ، وعلى القراءة المشهورةِ المصدرُ المؤولُ في موضع نصبِ مفعول به.



---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٣١]:

يأمر اللهُ في هذه الآية الأزواجَ إذا طلَّقوا زوجاتهم طلاقًا رجعيًا ـ وهو: الطلقة الأولى والثانية ـ، المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ ـ يأمرهم تعالى إذا طلَّقوا نساءهم ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: قاربن نهايةَ العدةِ؛ أَن يُمسكوهنَّ بمراجعتهن إن شاؤوا، أَو يُسرحوهنَّ بتركهن حتى تنقضي عدتهنَّ، ولا بدَّ أَن يكون الإمساكُ أَو التسريح بالمعروف؛ أي: على الوجه الذي لا ضرر فيه ولا مخالفة شرعية.

ثم نهى تعالى عن إِمساكهنَّ لأَجلِ المضارة لهنَّ، فإنَّ ذلك اعتداء لحدود اللهِ، وبيَّن تعالى أَنَّ مَن فعل ذلك فقد ظلم نفسَه بمعصية الله. ثم نهى تعالى عن اتخاذ آياتِ اللهِ هزوًا، وهي: أحكامه التي بينها؛ باتخاذها وسيلة إلى ما حرم.

ثم أَمر بذكر نِعمه التي أَنعم بها على عباده، وأَعظمُ ذلك ما أَنزله ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: السنَّة، ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾: أَي: يعظكم بما أَنزل من الأَوامر والنواهي والوعد والوعيد ترغيبًا وترهيبًا. ثم أَمر بتقوى اللهِ، وتلك هي الوصيةُ الشاملةُ لكلِّ ما تقدَّم.

ثم أَخبر تعالى أَنَّه ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾؛ ترغيبًا لمن امتثلَ أَوامر اللهِ، وترهيبًا لمن خالفَ ذلك، فالمعنى: إِنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وسيجزيكم بأَعمالِكم.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربنَ انقضاءَ عِدَّتهنَّ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأَنْ تُراجعوهنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرارٍ ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهنَّ حتى تنقضي عِدَّتهنَّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة

﴿ضِرَارًا﴾ مفعولٌ لأَجله ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ عليهنَّ بالإلجاء إلى الافتداء أَو التطليق وتطويل الحبس ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ مَهزوءًا بها بمخالفتها ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ ما فيه من الأَحكام ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ بأَن تشكروها بالعمل به ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيءٌ.

وقولُ المؤلِّف: (قاربنَ انقضاءَ عِدَّتهنَّ): فسَّرَ بلوغَ الأَجلِ بالمقاربة، وهو قولُ الجمهور[1]؛ لَأنه بعد انقضاء العدَّةِ لا تخيير؛ لَأنَّ التخييرَ بين الإمساك والتسريح، في وقت تَربُّصِ المطلَّقات، وهي: العِدَّةُ.

وقولُه: (بأَن تُراجعوهنَّ) إلى قوله: (اتركوهنَّ حتى تنقضي عِدَّتهنَّ): فيه تفسيرُ الإمساكِ بالمراجعة في العِدَّةِ، والتسريح بترك المراجعة حتى تنقضي العِدَّةُ، والمعروفُ يتضمَّنُ تركَ الضِّرار وفعلَ الإحسانِ، وهو مطلوبٌ في حال الإمساك والتسريح.

وقولُه: (مفعولٌ لأَجله): فالمعنى: لا تُراجعوهنَّ لأَجل مُضارتهنَّ، بل لقصد الإصلاح؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقولُه: (عليهنَّ بالإلجاء...) إلى آخره: فيه بيانُ أَنَّ قصدَ الإضرار في الإمساك اعتداءٌ على المطلقات وظلمٌ لهنَّ.

وقولُه: (بتعريضها إلى عذاب الله): بيانٌ لوجه أَنَّ ظلمَ الإنسان لغيره فيه ظلمٌ لنفسه بتعريضها لعذاب الله.

وقولُه: (مهزوءًا بها): بيانُ أَنَّ هُزوًا مصدرٌ؛ بمعنى: اسم المفعول.



(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ١٧٨-١٨٣)، و«التفسير البسيط» (٤/ ٢٣٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٦٨)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٢٩).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة: ٢٣٢]:

ينهى اللهُ أولياءَ النساءِ إذا طلقهنَّ أزواجُهنَّ طلاقًا رجعيًا فانقضت العدَّةُ فَرَغِبَ أَزواجهنَّ في نكاحهنَّ نكاحًا جديدًا ورضيت المرأةُ بنكاح زوجها؛ ينهى تعالى الأَولياءَ عن عَضلِهنَّ؛ أَي: منعهنَّ من نكاح أَزواجهنَّ بعد الطلاق والبينونة إذا تراضى الأزواجُ والزوجاتُ على النكاح على الوجه المشروع، فالخطابُ في أَوَّل الآية للأزواج، وفي قوله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ للأولياء، وفي قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ للجميع، وقيل: الخطابُ من أَوَّل الآية لجميع المؤمنين، وتختصُّ كلُّ طائفةٍ منهم من هذا الخطاب بما يُناسبهم، فالطلاقُ من الأَزواج؛ فهم المخاطبون في قوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ﴾، والعضلُ يكون من أَولياء النساء؛ فهم المخاطبون بقوله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾(١).

وقد ذكر كثيرٌ من المفسرين أَنَّ هذه الآيةَ نزلت في مَعقلِ بنِ يسار وأُخته، حين منعها من مراجعة زوجها الذي طلَّقها فبانت منه، ثم رَغِبَ في نكاحها ورغبت أُختُ مَعقلٍ بنكاح زوجها، فلمَّا نزلت الآيةُ ترك مَعقل أُختَه؛ فنكحت زوجَها نكاحًا جديدًا(٢).

---

(١) **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٤٥٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٦٩)، و«البحر المحيط» (٢/ ٤٩٢-٤٩٣)، وهناك قول ثالث: وهو أن الخطاب كله للأزواج حتى العضل، ذكره البغوي (١/ ٢٧٦)، والرازي (٦/ ٤٥٤).

(٢) أصل الحديث أخرجه البخاري (٤٥٢٩) (٥١٣٠) (٥١٣١)، وله روايات تنظر: في «أسباب النزول» (ص٨٠-٨٢)، و«العجاب» (١/ ٥٩٠-٥٩٣). وغالب المفسرين ذكروا هذا القول دون غيره، وصححه ابن كثير، وقد صرح بأن سبب النزول كان في معقل بن يسار: الحسن البصري، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ١٨٧-١٩١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٠-٣١١)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٣١-٦٣٢).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾: الإشارةُ إلى ما تقدَّمَ بيانُه من الأَحكام موعظةٌ من الله لأَهل القلوب الحيَّةِ.

وقوله: ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: يدلُّ على أَنَّ المؤمنين بالله واليوم الآخر هم المنتفعون بالموعظة.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: أَي: العملُ بهذه الأَحكام أزكى لنفوسكم وأَصلحُ لأَعمالكم وأَطهرُ لكم مما يدنِّسُ نفوسَكم ويُفسدُ أَعمالكم.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾: أَي: يعلمُ ما فيه الخير لكم فيهديكم إليه، وما فيه شرٌّ عليكم فينهاكم عنه، وأَنتم لا تعلمون شيئًا من ذلك، إلَّا ما علَّمكم ربُّكم، فافعلوا ما أَمركم به، واجتنبوا ما نهاكم عنه.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عِدَّتهنَّ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطابٌ للأَولياء؛ أَي: تمنعوهنَّ من ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ المطلِّقين لهنَّ؛ لأَنَّ سببَ نزولها أَنَّ أُختَ مَعقِلِ بن يسار طلَّقها زوجُها، فأَراد أَن يُراجعها فمنعها مَعقل، كما رواه الحاكم[1] ﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾ أَي: الأَزواجُ والنساءُ ﴿بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعًا ﴿ذَلِكَ﴾ النهيُ عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأَنَّه المنتفعُ به ﴿ذَلِكُمْ﴾ أَي: تركُ العَضلِ ﴿أَزْكَى﴾ خيرٌ ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم ولهنَّ؛ لِمَا يُخشى على الزوجين من الرِّيبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلحةُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فاتَّبِعوا أَمرَه.

(١) «المستدرك» (٢٧١٩)، (٣١٠٧)، وأصل الحديث في البخاري (٤٥٢٩)، (٥١٣٠)، (٥١٣١)، كما تقدم.

وقولُ المؤلِّف: (انقضت عِدَّتهنَّ): تفسيرٌ لبلوغ المطلقات أَجلهنَّ، ففرق بين بلوغ الأَجل في هذه الآية وفي الآية التي قبلها، فبلوغُ الأَجل في الآية الأُولى مُقاربةُ انقضاءِ العِدَّةِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١]، والمرادُ بالإمساك: الرجعةُ، وهذا لا يكون إلَّا قبل انقضاءِ العدَّةِ. وبلوغُ الأَجلِ في الآية الثانية؛ المراد به: انقضاءُ العِدَّةِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ﴾، وعضلُ النساءِ أَن ينكحنَ أَزواجهنَّ لا يكون إلَّا بعد انقضاءِ العِدَّة[1].

وقولُه: (شرعًا): أَي: التراضي على وجهٍ مأذونٍ فيه شرعًا.

وقولُه: (النهيُ عن العضل): خصَّ اسم الإشارة بالنهي عن العضل؛ لأَنه أَقربُ الأَحكامِ المذكورة، والظاهرُ أَنَّ اسمَ الإشارة راجعٌ لكلِّ ما تقدَّم من الأَحكام.

وقولُه: (لأَنَّه المنتفعُ به): بيانٌ لعلَّةِ تخصيصِ الوعظ بمَن ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

وقولُه: (تركُ العَضلِ): خصَّ اسم الإشارة بترك العضلِ، والظاهرُ أَنَّه راجعٌ إلى العمل بكلِّ ما تقدَّم من الأَوامر والنواهي.

وقولُه: (لِمَا يُخشى على الزوجين...) إلى آخره: بيانٌ لسبب الترغيب في العمل بالأَحكام، وهو قولُه تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾.

وقولُه: (فاتبعوا أَمرَه): أَي: إذا كان اللهُ ﴿يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ فالواجبُ اتباعُ ما يأَمرُ اللهُ به، وتركُ اتباعِ الهوى.



---

(١) ينظر: «تفسير الشافعي» جمع أحمد الفران (١/ ٣٧٨)، و«التفسير البسيط» (٤/ ٢٣٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٧٠)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ١٥٩).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾ [البقرة: ٢٣٣]:

يأمرُ تعالى الوالداتِ المطلَّقات بإرضاع أَولادهنَّ حولين كاملين، فإنَّ قوله: ﴿يُرۡضِعۡنَ﴾ خبرٌ بمعنى الأمر؛ كقوله: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ﴾، وليس المرادُ وجوبَ الإرضاع على الأَمِّ؛ بل المرادُ بيانُ مدَّةِ الإِرضاع، وأنها عامان[(١)]، والعام يُقال له حولٌ.

وقوله: ﴿كَامِلَيۡنِ﴾: يدلُّ على اعتبار إِتمام الحولين، وجاء هذا الوصفُ لأَنَّ العربَ قد تُعبِّرُ بالحولين عن حولٍ وبعضِ الآخر، وباليومين عن يومٍ وبعضِ الآخر؛ كقوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾[(٢)].

وقوله: ﴿لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾: أَي: هذا الحكمُ ـوهو: الإِرضاعُ إلى تمام الحولينـ راجعٌ إلى إِرادة الأَبوين ذلك إذا اتفقَ الوالدان على إتمام الرضاعة، فإنَّ المدَّةَ المعتبرةَ لرضاع الطفل حولان، ولذا دلَّتِ السنَّةُ على أَنَّ الرضاعَ المحرِّمَ ما كان في الحولين، دون الرضاع بعدهما[(٣)]، فعُلم أَنَّه لا يجوز

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ١٩٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١١-٣١٢)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٧١).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٠٠-٢٠١)، و«الكشاف» (١/ ٤٥٥)، و«البحر المحيط» (٢/ ٤٩٧)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٤٣١).

(٣) لما أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ٣٩٩)، والدارقطني (٤٣٦٤)، والبيهقي (١٥٧٦٥) من طريق الهيثم بن جميل، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: ((لا رضاع إلا ما كان في الحولين)).
قال ابن عدي: «وهذا يعرف بالهيثم بن جميل، عن ابن عيينة مسندًا، وغير الهيثم يوقفه على ابن عباس»، وبنحوه قال الدارقطني. والهيثم هذا قال عنه ابن عدي: «ليس بالحافظ ويغلط =

الفطامُ قبل تمام الحولين إلَّا باتفاق الأَبوين عن تراضٍ وتشاورٍ؛ لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ أَي: فطامًا، ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

ثم بيَّن تعالى ما يجب للوالدات المرضعات على الآباء من النفقة؛ وهي: الرزقُ والكسوةُ، وذلك قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أَي: على المولود له ـوهو الأبُـ ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾؛ أَي: رزقُ الأُمهات المرضعات، وهذه النفقةُ أُجرةُ إِرضاعهنَّ، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦]؛ أَي: المعروف شرعًا وعُرفًا، وهذا مما يدلُّ على أَنَّ المرادَ بالوالدات في الآية: المطلقاتُ[(١)]، فإِنَّ التي في عصمةِ الزوج تجب نفقتُها وإن لم يكن لها طفلٌ تُرضعه، وبيَّنَ سبحانه أَنَّ ما يجب على الأَب من النفقة للأَم أَجرةً هو بحسب الوسع؛ فقال

= الكثير على الثقات»، وقد خولف؛ فرواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٣٩٠٣)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٩٨٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٩٣٠) من طريق سفيان، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس موقوفًا، والموقوف أصح.

وله طرق أخرى موقوفة؛ فقد أخرجه بنحوه مالك في «الموطأ» (٢٢٣٦) عن ثور بن زيد، عن ابن عباس موقوفًا.

وأخرجه ابن أبي شيبة (١٧٩٢٧-١٧٩٢٨)، (١٧٩٢٩) موقوفًا على ابن مسعود، وعلي بن أبي طالب.

وأخرجه الدارقطني (٤٣٦٥) موقوفًا على عمر.

وصحح وقفه: البيهقي (١٥٧٦٤)، وابن عبد الهادي في «التنقيح» (٤/ ٤٥٣-٤٥٤).

قال الترمذي (١١٥٢): «والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرهم: أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين، وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئًا».

(١) قاله مجاهد والزهري في جماعة آخرين من السلف، وهو ما جزم به الطبري في فاتحة كلامه على هذه الآية، واختاره: البغوي، وابن عطية، والطاهر بن عاشور. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ١٩٩)، (٤/ ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٧)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٧١)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٤٢٩).

تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أَي: طاقتَها، وهو ما يدخل تحت القدرة وتتَّسعُ له؛ كما قال في سورة الطلاق: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: ٧].

ثم نهى تعالى أَنَّ تُضارَّ والدةٌ بولدها؛ كامتناعها عن إِرضاعه أَو حضانته مُضارَّةً لوالده، أَو يُضارَّ المولود له ـ وهو الأَب ـ بولده؛ كمنعِ والدتِه من إِرضاعه مُضارَّةً لها، أَو انتزاعِه منها.

و﴿تُضَآرَّ﴾: فعلٌ مُضعَّفٌ، يحتمل أَن يكون مسندًا للفاعل أو نائب فاعل، وعند فكِّ الإدغام؛ إذا كُسرت العينُ فالفعلُ مُسند للفاعل؛ فالتقدير: لا تضارِر والدةٌ بولدها، وإن فُتحت العينُ كان مُسندًا لنائب الفاعل، والتقدير: لا تضارَر.

وقوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾: أَي: ولا يُضارَّ مولودٌ له بولده، ونهيُ الوالدةِ والمولودِ له عن المضارَّة يدلُّ أَيضًا على أَنَّ المرادَ بالوالدات: المطلَّقات؛ لأَنَّ المضارَّةَ أَكثرُ ما تنشأُ مع الفُرقة، فلِذا جاء النصُّ بالنهي عنها، وثَمَّ دليلٌ ثالثٌ؛ وهو أَنَّ هذه الآيةَ جاءت في سياق أَحكامِ المطلقاتِ، كما جاء قولُه تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ﴾ أَي: المطلقات، ﴿فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ...﴾ الآية [الطلاق: ٦]، ذكر هذه الوجوهَ الطاهرُ ابنُ عاشور(١)، وهو ما جزم به الإمامُ ابنُ جرير في فاتحة كلامه على هذه الآية؛ إذ قال: «يعني تعالى ذكره بذلك: والنساء اللواتي بِنَّ من أَزواجهنَّ ولهنَّ أَولادٌ قد ولدنهم من أَزواجهنَّ قبل بينونتهنَّ منهم بطلاقٍ، أَو ولدنهم منهم بعد فراقهم إِيَّاهنَّ...» إلى آخره، كما اختار رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ قوله تعالى: ﴿يُرْضِعْنَ﴾ ليس أَمرًا يدلُّ على وجوب إِرضاعهم؛ بل لبيان أَنَّ الوالداتِ أَحقُّ بِإِرضاع الأَولاد من غيرهنَّ،

(١) ينظر: «التحرير والتنوير» (٢/ ٤٢٩-٤٣٠).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآية: «يعني بذلك: أنهنَّ أحقُّ برضاعهم من غيرهنَّ، وليس ذلك بإيجابٍ من الله تعالى ذِكره عليهنَّ رضاعهم...» إلى آخر كلامه»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وجملة ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ و﴿لَا تُضَآرَّ﴾ معترضتان، وقد كَثُرت أقوالُ المفسِّرين في المراد بـ﴿ٱلْوَارِثِ﴾ في هذه الآية، وقد استوفاها ابنُ جريرٍ ورواها بأسانيده[٢]، ولخَّصها ابنُ الجوزي فقال: «قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ فيه أربعةُ أقوال: أحدُها: أنَّه وارثُ المولود»، وذكر مَن قال به، ثم قال: «واختلف أربابُ هذا القول، فقال بعضُهم: هو وارثُ المولودِ من عصبته، كائنًا مَن كان»، وذكر مَن قال به من السَّلف، ثم قال: «وقال بعضُهم: هو وارثُ المولود على الإطلاق من الرجال والنساء.، قال: «وقال آخرون: هو مَن كان ذا رحمٍ محرمٍ من ورثة المولود». ثم ذَكَر القولَ الثاني، وهو أنَّ المرادَ بالوارث هاهنا: وارثُ الوالد، قال: والثالث: أنَّ المرادَ بالوارث: الباقي من والدي الولد بعد وفاةِ الآخر، قال: «والرابع: أنَّه أُريدَ بالوارث: الصبيُّ نفسُه، فالنفقةُ عليه، فإن لم يملك شيئًا، فعلى عَصَبته»[٣].

قلت: والراجحُ من هذه الأقوالِ القولان الأوَّلان؛ أحدهما: العَصَبةُ من ورثةِ المولود، والثاني: أنَّ المرادَ: ورثةُ المولود مُطلقًا من الرجال والنساء؛ لعموم الوارث في الآية، وأمَّا تخصيصُ العَصَبةِ فلأنَّهم هم الذين يعقلون عنه[٤]، وهذه الآيةُ أصلٌ في وجوب نفقةِ القريب على قريبه[٥].

---

(١) **ينظر**: «جامع البيان» للطبري (٤/ ١٩٩).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٢١-٢٢٧).

(٣) «زاد المسير» (١/ ٢٠٧-٢٠٨).

(٤) يعقلون: من العقل وهي الدية، وعقل عنه: أدى جنايته، وذلك إذا لزمته دية فأعطاها عنه. **ينظر**: «لسان العرب» (١١/ ٤٦٠).

(٥) **ينظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٣٥)، و«تفسير السعدي» (١/ ١٧٥)، وهو قولٌ للأحناف والحنابلة. للاستزادة **ينظر**: «البحر الرائق» لابن نجيم (٤/ ٢٢٨)، و«كشاف القناع» (١٣/ ١٥٣) وما بعدها، و«المغني» (١١/ ٣٧٤) وما بعدها.

وقوله تعالى: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: فيه ثلاثةُ أَقوال:
أَحدُها: أَنَّ على الوارثِ مثل ما على الأَب من أُجرة الإرضاع.
الثاني: أَنَّ على الوارث مثل ما على المولود له من تحريم الضرار.
الثالث: أَنَّه شاملٌ للأمرين.
والذي يدلُّ عليه سياقُ الآية: القولُ الأَوَّلُ[1].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: المعنى: إِن أَراد ـأَي: الأب والأم ـ فِصالَ الطفلِ ـأَي: فِطامَه ـ عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فيما فيه مصلحةُ الطفل؛ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أَي: لا حرجَ ولا إِثمَ عليهما في فِطام الطفلِ قبل تَمام الحولين، فدلَّ أَوَّلُ الآيةِ وآخرُها أَنَّ مَردَّ إِتمام الرضاعة بإرضاع الطفلِ مدَّةَ حولين كاملين، أَو فِطامه قبل ذلك راجعٌ إلى تراضي الأَبوين واتفاقهما.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: الخطابُ للآباء؛ أَي: وإِن أَردتم أَن تطلبوا مراضعَ لأَولادكم إن تعذَّرَ أَن تُرضعه الأُمُّ لمرضٍ أَو امتناع من الإرضاع أَو طلبِها أَكثر من أُجرةِ المثلِ؛ فلا جُناحَ عليكم في ذلك إذا سلَّمتم للمرضع أَجرَها الذي آتيتم عند عقد الإجارةِ، ومعنى ﴿ءَاتَيْتُم﴾: أَعطيتُم والتزمتُم به عند عقد الإجارة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أَي: الأُمَّهاتُ المطلَّقاتُ ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أَي: دون مطلٍ ولا نقصٍ، ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦﴾ [الطلاق: ٦]؛ أَي: مُرضِعٌ غير أَمِّ الطفل.

---

(١) وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وجماعة، واختاره ابن قتيبة، ونسبه ابن كثير للجمهور. **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٨٩)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٢٢٧-٢٣٥)، و«زاد المسير» (١/ ٢٠٨)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٣٥).

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: خافوا اللهَ وراقبوه في رعاية هذه الأَحكام وأَداءِ حقوقِ الله وحقوقِ العباد.

وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾: تأكيدٌ للأَمر بالتقوى، فإِنَّ عِلْمَ العبادِ بعلم الله بأعمالهم: من أَعظم البواعث على تقوى الله. وقوله: ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾: أَي: عليمٌ.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ أَي: لِيُرضعنَ ﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفةٌ مؤكدةٌ، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ ولا زيادةَ عليه ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أَي: الأَب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إِطعامُ الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإِرضاع إذا كُنَّ مُطلَّقات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ بسببه؛ بأَنْ تُكرَه على إِرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يُضارَّ ﴿مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ أَي: بسببه؛ بأَنْ يُكلَّفَ فوقَ طاقتِه. وإضافةُ الولد إلى كلٍّ منهما في الموضعين للاستعطاف ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أَي: وارثِ الأَب؛ وهو الصبيُّ، أَي: على وليِّه في ماله ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ الذي على الأَب للوالدة من الرزق والكسوة. ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أَي: الوالدان ﴿فِصَالًا﴾ فِطامًا له قبل الحولين، صادرًا ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ اتفاقٍ ﴿مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما؛ لتظهرَ مصلحةُ الصبيِّ فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطابٌ للآباء ﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مراضعَ غير الوالدات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إِليهنَّ ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ أَي: أَردتم إيتاءَه لهنَّ من الأُجرة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالجميل، كطِيب النَّفس ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيءٌ منه.

وقولُ المؤلِّف: (**أَي: لِيُرضعنَ**): يُريد: أَنَّ جملةَ ﴿يُرضعنَ﴾ خبرٌ بمعنى الأَمر.

وقولُه: (**ولا زيادةَ عليه**): يُبيِّنُ أَنَّ الحولين هي غاية مُدَّةِ الإرضاع، ولا يُزادُ عليها إِلَّا لضرورة الطفل.

وقولُه: (**على الإِرضاع**): يُبيِّنُ أَنَّ ما ذُكر من الرزق والكسوة أُجرةٌ على الإرضاع، وهذا إنما يُناسبُ في المطلقات.

وقولُه: (**بقدر طاقته**): لقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

وقولُه: (**بأَن تُكرَه على إِرضاعه إذا امتنعتْ**): يقتضي أَنَّ الوالدةَ هي المضارَرة -بفتح الراء الأُولى- فهي في الجملة نائبُ فاعلٍ.

وقولُه: (**للاستعطاف**): أَي: لاستجلاب عطفِ الوالدين على الولد.

وقولُه: (**أَي: وارثِ الأَب؛ وهو الصبيُّ**): هذا أَحدُ الأَقوالِ في المراد بالوارث، وقولُ الجمهور: أَنَّ المرادَ به: وارثُ الصبيِّ من قراباته.

وقولُه: (**أَي: على وَليّه في ماله**): يعني: ولي الصبيِّ في ماله؛ أَي: مال الصبي إذا كان له مالٌ. وقولُه: (**الذي على الأَب للوالدة من الرزق والكسوة**): أَي: على الوارث مثلُ ما على الأَب من الرزق والكسوة.

وقولُه: (**صادرًا**): تقدير مُتعلّق الجار والمجرور ﴿عن تراضٍ﴾.

وقولُه: (**اتفاقٍ**): يعني: عن اتفاقٍ على فِطام الطفلِ بعد التَّشاور.

وقولُه: (**لتظهرَ مصلحةُ الصبيِّ فيه**): بيانٌ لمقصود التشاور، وهو مصلحةُ الصبيِّ.

وقولُه: (**في ذلك**): أَي: في الفصال.

وقولُه: (**إِليهنَّ**): أَي: إلى المراضع المستأجرات؛ يعني: أَدَّيتم إِليهنَّ الأُجرة.

وقولُه: (**أَي: أَردتم إِيتاءَه لهنَّ من الأُجرة**): فسَّر ﴿آتَيْتُمْ﴾ بـ«أَردتم»، وأَمَّا الإِيتاءُ بالفعل؛ فهو ما دلَّ عليه قولُه: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾.

وقولُه: (**كطيب النَّفس**): يُريد: أَنَّ تسليمَ الحقِّ بطيب نفسٍ من المعروف الذي أَمر اللهُ به. وقولُه: (**شيءٌ منه**): أَي: مِن عملكم.



وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤﴾ [البقرة: ٢٣٤]:

يأمرُ تعالى أَزواجَ الذين يتوفون بالتربُّص -أَي: الانتظار- بترك النكاح أَربعةَ أَشهرٍ وعشرًا من وفاة الزوجِ، وهذا حكمٌ عامٌّ في المتوفَّى عنهَّن، سواء كانت مدخولًا بها أو غيرَ مدخولٍ بها، أَو ذاتَ أَقراءٍ أَو صغيرةً أَو آيسةً، فهذه عِدَّةُ كلِّ مُتوفىً عنها، إِلَّا الحاملُ: فعدَّتُها بوضع الحمل على الصحيح؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، فهذه الآيةُ من سورة الطلاقِ مُخصِّصةٌ لآية البقرة، وذهب جمعٌ من العلماء من الصحابة ومن بعدهم أَنَّ الحاملَ المتوفَّى عنها تَعتدُّ بأَبعد الأَجلين(١)، وعلى هذا القول فإِنْ وضعتْ قبل تمامِ أَربعةِ أَشهرٍ وعشرٍ؛ لم تنقضِ عِدَّتُها، ووجب عليها التربُّصُ حتى تُتمَّ أَربعةَ أَشهر وعشرًا من وفاة زوجِها، وإِن تمَّ لها أَربعةُ أَشهرٍ وعشرًا قبل أَن تَضعَ؛ لم تنقضِ عِدَّتُها حتَّى تضعَ حملَها، وهذا بإِجماع الأُمة(٢).

ويُبيِّنُ سبحانَه أَنَّ المتوفَّى عنهنَّ إذا بلغنَ أَجلهنَّ بمضي أَربعةِ أَشهرٍ وعشرٍ؛ أَنه لا جُناحَ على أَولياء المتوفَّى عنها فيما تفعله بنفسها من فعلٍ وتركٍ مما تجبُ عليها مراعاتُه في مُدَّةِ العدَّةِ من الأَحكام، وشرطُ ذلك أَنْ يكون بالمعروف؛ وهو الموافق للشرع والعادةِ المرضية، وقد دلَّ الكتابُ والسنَّةُ على أَنَّه يَحرمُ على المعتدة من وفاة زوجها النكاحُ، ودلَّتِ السنَّةُ الصحيحة على

(١) القول الأول هو قول الجمهور من السلف والخلف وحكي فيه الإجماع، أما القول الثاني فحكي عن علي -من وجه منقطع- وابن عباس وروي عنه أنه رجع عن ذلك، وقال به من العلماء سحنون من المالكية. **ينظر**: «التمهيد» (٢٠/ ٣٣-٣٤)، و«إكمال المعلم» (٥/ ٦٤)، و«مواهب الجليل» (٤/ ٥٤٣)، وتكملة المطيعي للمجموع (١٩/ ٣٩٧)، (١٩/ ٤٣١-٤٣٢)، و«المغني» (١١/ ٢٢٧) وما بعدها.

(٢) **ينظر**: «الإجماع» لابن المنذر (ص٤٤٢)، و«مراتب الإجماع» (ص١٣٤).

وجوب الإِحدادِ عليها مدَّةَ العدَّةِ، وهو اجتنابُ الزينةِ بأَنواعها والطيب، وذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أَنْ تُحدَّ على ميتٍ فوقَ ثلاثِ ليالٍ، إِلَّا على زوجٍ أَربعةَ أَشهرٍ وعشرًا))(١).

ومن أَحكام عدَّةِ الوفاة: أَن تبقى المعتدَّةُ في المسكن الذي أَتاها خبرُ وفاةِ زوجها، وهي تسكنُ فيه حتى تنقضيَ عِدَّتُها(٢)، وقد أَبطل اللهُ ورسولُه بهذه الأَحكام عادةَ أَهل الجاهلية في شأن المتوفَّى عنها، وهي: الإِحدادُ مدَّةَ سنةٍ والإقامةُ في حفش؛ وهو مكانٌ ضيِّقٌ(٣)، مع ترك التنظُّفِ من الأَوساخ والأقذار، حتى تمضي عليها سنةٌ، كما جاء في الصحيحين عن زينب بنت أَبي سلمة، عن أم سلمة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٤).

ثم أَخبر تعالى في ختام هذه الآية أَنَّه خبيرٌ بأَعمال العباد، فعليهم أَن يتَّقوه ويُطيعوه، فإِنَّه مُجازيهم على أَعمالهم.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أَي: ليتربصنَ ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، وأَمَّا الحواملُ فعِدتهنَّ أَن يضعنَ حملهنَّ بآية «الطلاق»، والأَمَةُ على النصف من ذلك بالسنَّةِ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضتْ مدَّةُ تربُّصِهنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّها الأَولياءُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٠)، (١٢٨٢)، ومسلم (١٤٨٦)، (١٤٩١) عن أم حبيبة وزينب بنت جحش رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: «المغني» (١١/ ٢٩٠).

(٣) الحفش: البيت الصغير الذليل القريب السُمك، سمي به لضيقه. «النهاية» (١/ ٤٠٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٣٦-٥٣٣٧)، ومسلم (١٤٨٨-١٤٨٩)، وفيه: ((إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول)). ينظر بعض فوائده ـمع حديثين آخرين في البابـ: في «العدة في فوائد أحاديث العمدة» لشيخنا (ص٤٩٢-٤٩٥).

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزيُّنِ والتعرُّضِ للخُطَّاب ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعًا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالمٌ بباطنه كظاهرِه.

وقولُ المؤلِّف: (أَي: ليتربصنَ): يريد أَنَّ لفظَ الجملةِ لفظُ الخبر ومعناها الأَمر.

وقولُه: (بعدهم): تقديرٌ لرابط جملةِ خبر المبتدأ؛ فالمبتدأُ هو الموصولُ أَوَّل الجملة، والخبرُ: جملةُ ﴿يتربَّصنَ﴾.

وقولُه: (عن النكاح): تقديرٌ لمعمول ﴿يتربَّصنَ﴾؛ المعنى: يتربَّصنَ عن النكاح؛ أَي: ينتظرنَ حتى تنقضي عِدَّتهنَّ.

وقولُه: (من الليالي): يُبيِّنُ أَنَّ المعدودَ بـ«عشرٍ» مؤنَّث، وهي الليالي؛ لأَنَّ العددَ مُذكَّرٌ، والعربُ تُعبِّرُ بالليالي عن الأَيام، وبالأَيام عن الليالي، والأَوَّلُ أَكثر[١].

وقولُه: (وهذا في غير الحوامل): يُريد أَنَّ المدَّةَ المذكورةَ هي عدَّةُ المتوفَّى عنهنَّ غير الحوامل. وقولُه: (وأَمَّا الحوامل...) إلى آخره: بيانٌ لِمَا تنقضي به عِدَّةُ الحوامل، وهو وَضْعُ الحملِ، والدليلُ عليه قولُه تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، فهي مخصصةٌ لآية البقرة.

وقولُه: (والأَمَةُ...) إلى آخره: بيانٌ لعدَّةِ الزوجةِ التي هي أَمَةُ المتوفَّى عنها، وأَنها مخصوصةٌ من عموم الآية، فإِنَّ عِدَّتَها شهران وخمسةُ أَيَّام، فهي على النصف من عدَّةِ الحرائر[٢]، والأَصلُ في ذلك ما جاء من الآثار، من أَنَّ

(١) ينظر: «شرح الكتاب» (٤/ ٢٩٩)، و«شرح التسهيل» (٢/ ٤١٠).
(٢) ينظر: «المغني» (١١/ ٢٢٤).

الرقيقَ في أَحكام النكاحِ والحدودِ على النصف من الأَحرار، وفي تفاصيل ذلك اختلافات.

وقولُه: (**انقضتْ مدَّةُ تربُّصِهنَّ**): تفسيرٌ لقوله: ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، وأَنَّه على ظاهره، وهو بلوغُ نهايةِ أَربعة أَشهرٍ وعشرًا، فهو بلوغٌ لأَجَل العِدَّةِ حقيقةً.

وقولُه: (**أَيُّها الأَولياءُ**): بيانٌ للمخاطب بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

وقولُه: (**من التزيُّنِ...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ المرادَ فيما فعلن بعد انقضاء العدَّةِ في أَنفسهنَّ مما كان محرمًا عليهنَّ وقتَ العِدَّةِ من التزيُّن وغيره.

وقولُه: (**شرعًا**): يُبيِّنُ أَنَّ المرادَ بما يفعلهن في أنفسهن هو المأذونُ فيه شرعًا.

وقولُه: (**عالمٌ بباطنه كظاهره**): بيانٌ لمعنى الخبير، وهو العالمُ بظواهر الأُمور وبواطنها.



وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥]:

لَمَّا أمر اللهُ الأَزواجَ المتوفَّى عنهنَّ بالتربُّصِ عن النكاح ودواعيه مدَّةَ العدَّةِ، وأَباحَ لهنَّ إذا بلغنَ أَجلهنَّ ما شِئنَ من ذلك؛ بيَّنَ تعالى حُكمَ خِطبتهنَّ في العدَّةِ؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾، والتعريضُ ضدَّ التصريحِ، فالتعريضُ هو الكلامُ مع المعتدَّةِ، مما يدلُّ على الرغبة في النكاح؛ مثل: أَني أَرغب في نكاح زوجةٍ ثانيةٍ، أَو: ليت لي زوجة مثلك. وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: أَي: أَضمرتم خِطبتهنَّ بعد انقضاء عِدَّتهنَّ، فنفى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الجُناحَ -وهو الإثمُ- عن التعريض بالخطبة، أَو: نيَّةِ الخطبةِ التي تكون في القلب، ثم بَيَّنَ تعالى سببَ هذه الرخصة، وهو عِلمُه تعالى برغبة الرجال في نكاح المتوفَّى عنهنَّ؛ فقال تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾.

ثم بَيَّنَ تعالى ما لا يحلُّ؛ وهو التصريحُ في الخطبة بمواعدتهنَّ النكاحَ بعد انقضاء العدَّةِ، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾؛ أَي: لا تُسِرُّونَ إِليهنَّ بخطبتهنَّ وعزمِكم على نكاحهنَّ بعد انقضاء عِدَّتِهنَّ.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: وهذا استثناءٌ منقطعٌ، والقولُ المعروفُ: ما أَباحهُ اللهُ من التعريض بخطبتهنَّ. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾: نهيٌ من الله -تعالى- عن عقد النكاحِ على المعتدَّةِ من الوفاة حتى يبلُغَ الكتابُ أَجلَه؛ وهو حُكمُ اللهِ المبينِ في الآية السابقةِ، وذلك بأَن تمضي أَربعةُ أَشهرٍ وعشرٌ.

ثم أَخبر تعالى أَنَّه عالمٌ بما في نفوس العباد؛ أي: مُطَّلعٌ على ما يُسرُّونه مما يُخالفُ أَمرَه، فعليهم أَن يحذروا عقابَه؛ ولهذا قال: ﴿فَٱحۡذَرُوهُ﴾. ثم أَعلمهم أَنَّه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعاجلهم بعقوبته، فجمعت الآيةُ بين الأَمر والنهي والوعد والوعيد.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ﴾ لوَّحتم ﴿بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المتوفَّى عنهنَّ أَزواجُهنَّ في العدَّةِ؛ كقول الإنسان مثلًا: إنك لجميلةٌ، ومَن يجدُ مثلك؟ ورُبَّ راغبٍ فيك ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ﴾ أَضمرتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نِكاحهنَّ ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ بالخطبة، ولا تصبرون عنهنَّ، فأَباح لكم التعريضَ ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أَي: نكاحًا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أَي: ما عُرف شرعًا من التعريض؛ فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أَي: على عَقده ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أَي: المكتوبُ من العدَّةِ ﴿أَجَلَهُ﴾ بأَن ينتهيَ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيرِه ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ أَن يُعاقبَكم إذا عزمتم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن يَحذره ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبةِ عن مُستحقِّها.

وقولُ المؤلِّف: (**لوَّحتم**): فسَّرَ التعريضَ بالتلويح، ومعناهما مُتقاربٌ، وكلاهما ضدَّ التصريحِ، فالتصريحُ نصٌّ في مُراد المتكلِّمِ به، والتعريضُ يُشعِرُ بمراد المتكلِّم به[1].

وقولُه: (**المتوفَّى عنهنَّ...**) إلى آخره: بيانٌ للمراد بالنساء في قوله: ﴿مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾.

وقولُه: (**في العدَّة**): مُتعلِّقٌ بقوله: ﴿خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾.

(١) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٨٩).

وقولُه: (**أَضمرتم**): تفسيرٌ لقوله: ﴿أَكْنَنتُمْ﴾، ومعناه: أَخفيتم، وما أَضمره الإنسانُ: ما أَخفاه في ضميره ولم يتكلَّم به(١).

وقولُه: (**من قصد نِكاحهنَّ**): أَي: ما أَضمرتم من نية نكاحهنَّ.

وقولُه: (**بالخِطبة...**) إلى آخره: تفسيرٌ لقوله: ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾؛ أَي: ستخطبونهنَّ ولا تصبرون عن ذلك؛ لذلك أَباح لكم التعريضَ في خِطبتهنَّ.

وقولُه: (**أَي: نكاحًا**): هذا هو التصريحُ في الخِطبة، المعنى: لا تُسرُّوا إِليهنَّ التصريحَ في خطبتهنَّ بمواعدتهنَّ النكاحَ عند انقضاء عدتهنَّ.

وقولُه: (**لكنْ**): يُبيِّنُ بذلك أَنَّ الاستثناءَ مُنقطعٌ.

وقولُه: (**ما عُرف شرعًا**): يعني: ما أُذنَ فيه، ونُفِيَ الإثمُ عن فاعله، وهو: التعريضُ.

وقولُه: (**على عَقده**): عقدِ النكاحِ، هو دليلُ العزم على عقدة النكاح، فلا يجوزُ إِلَّا بعد انقضاءِ العدَّةِ.

وقولُه: (**بأَن ينتهي**): معناه: أَنَّ أَجلَ العدَّةِ انقضاؤها.

وقولُه: (**من العزم وغيرِه**): يُبيِّنُ أَنَّ الاسمَ الموصولَ عامٌّ لكلِّ ما يكون في النفس.

وقولُه: (**أن يُعاقبَكم إذا عزمتم**): يريد أَنَّ المعنى: احذروا عقابَ الله إذا خالفتم أَمرَه أَو نهيه. وقولُه: (**لمن يحذره**).

وقولُه: (**بتأخير العقوبة عن مُستحقِّها**): بيانٌ لمعنى الغفورِ والحليمِ، فهو تعالى غفورٌ: كثيرُ المغفرةِ لمَن خافَه، وحليمٌ: لا يُعاجِلُ العاصي بالعقوبة.



---

(١) ينظر: «المفردات» (ص٧٢٧).

وقوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾ [البقرة: ٢٣٦-٢٣٧]:

في هاتين الآيتين رجوعٌ إلى أَحكام المطلقات، فبيَّن تعالى في الآية الأُولى أَنَّه لا جُناح -أي: لا إِثمَ- على مَن طلَّقَ قبل المسيس، بل وقَبْل فَرضِ صَداقٍ، ثم أمرَ تعالى مَن طلَّق في هذه الحال بتمتيع المطلَّقةِ بإعطائها ما تنتفعُ به من مالٍ جبرًا لكسرها بالطلاق، وأَنَّ ذلك حقٌّ على ذوي الإحسان، وأَنَّ قدرَ هذا المتاع بحسب حال المطلِّقِ يسارًا وإعسارًا، ولذا قال تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾؛ أَي: المعروفِ شرعًا وعُرفًا.

وقولُه: ﴿حَقًّا﴾: صفةٌ لمتاع؛ أَي: متاع حقًّا، وقيل: مصدرٌ مؤكَّدٌ لمضمون الجملة؛ أَي: أَحقَّ اللهُ ذلك حقًّا[(١)].

ثم ذكر تعالى في الآية الثانية حُكمَ المطلَّقةِ قبل المسيس، وقد فُرض لها صداقٌ، وأَنَّ للمطلقة نصفَ ما فُرِضَ لها، والنصفُ الآخر للزوج.

وقولُه: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾: الضميرُ يعود إلى النساء المطلَّقات، فإن عفونا رددنا على الأَزواج كلَّ الصَّداق، وقال تعالى: ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: قيل: المرادُ بالذي بيده عُقدةُ النكاح: الزوجُ، فإن عفا تركَ لزوجته المطلقةِ كلَّ الصَّداق، وقيل: ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ هو: الوليُّ الذي يتولَّى عقدَ نكاح موليته، فإن عفا عن نصف الصَّداق رُدَّ إلى الزوج، والصوابُ:

---

(١) ينظر: «الكتاب الفريد» (١/ ٥٣٧)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٣٠٨)، و«الكشاف» (١/ ٤٦٣)، و«البحر المحيط» (٢/ ٥٣٤).

القولُ الأَوَّل[١]، وقد حكى ابنُ جريرٍ القولين، ورجَّحَ هذا القول؛ أَي: أَنَّ المرادَ بـ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ الزوجُ، وضعَّفَ قولَ مَن يقول: إِنَّه الولي من وجوهٍ، وذكر أَنَّ معنى ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾؛ أَي: نكاح نفسَه، وهذا هو الزوجُ قبل الطلاق وبعده[٢].

ثم رغَّبَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في العفو عن الحقوق التي بين الأَزواج والمطلقات قبل المسيس، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾، والخطابُ للأزواج والمطلقات. وقوله: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾: أَي: لا تغفلوا فتتركوا الإحسانَ والمسامحةَ فيما بينكم، وهذا تأكيد لقوله: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾: أَي: عليمٌ بأَعمالكم كلِّها فمجازيكم عليها، وفي هذا وعدٌ للمحسنين ووعيدٌ للمسيئين.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءةٍ (تُمَاسُّوهُنَّ)[٣]؛ أَي: تُجامعوهنَّ ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرًا، و«ما»: مصدريةٌ ظرفيةٌ؛ أَي: لا تَبعةَ عليكم في الطلاق زمنَ عدمِ المسيس

(١) ومن الذين اختاروا أن المراد به هو الزوج: علي، وابن عباس ـفي رواية مجاهد وعمار ابن أبي عمارـ وجبير بن مطعم، في آخرين من السلف، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، والشافعي في الجديد، وهو ظاهر مذهب أحمد، واختاره: الفراء، والطبري، والواحدي ونسبه لعامة الفقهاء. **ينظر**: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٥٥)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٣٢٤-٣٣٣)، و«التفسير البسيط» (٤/ ٢٨٧-٢٨٨)، و«زاد المسير» (١/ ٢١٣)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٤٤).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٣١٧-٣٣٣).

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ بغير ألف وفتح التاء. وقرأ حمزة والكسائيّ: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾ بألف وضم التاء. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٨٣-١٨٤)، و«النشر» (٢/ ٢٢٨).

والفرضِ بإثمٍ ولا مهرٍ؛ فطلقوهنَّ ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أَعطوهنَّ ما يتمتَّعنَ به ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾ الغنيِّ منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ الضيِّقِ الرِّزق ﴿قَدَرُهُ﴾ يُفيد أَنَّه لا نظر إلى قدر الزوجة ﴿مَتَاعًا﴾ تمتيعًا ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعًا، صفة «متاعًا» ﴿حَقًّا﴾ صفةٌ ثانيةٌ، أَو مصدرٌ مؤكِّدٌ ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهنَّ، ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُونَ﴾ أَي: الزوجات فيتركْنَه ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الزوجُ، فيتركُ لها الكلَّ، وعن ابن عباس: الوليُّ إذا كانت محجورةً فلا حرج في ذلك ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؛ أَي: أَن يتفضَّلَ بعضُكم على بعضٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازيكم به.

وقولُ المؤلِّف: (أَي: **تُجامعوهنَّ**): تفسيرُ المسيس بالجماع، وهذا من باب الكنايةِ عمَّا لا يَحسُنُ التصريحُ به، وهو كثيرٌ في كلام الله، فكنَّى عن الجماع بالمسيس واللمس والمباشرة والدخول. وقولُه: (**لم**): أَي: لم تفرضوا؛ لأَنَّه معطوفٌ على ﴿لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾؛ فالمعنى: لم تمسوهنَّ ولم تفرضوا لهن.

وقولُه: (**مهرًا**): بيانٌ لمعنى الفريضة؛ أي: لم تُسمُّوا لهنَّ صَداقًا.

وقولُه: (**«وما»: مصدرية ظرفية**): يريد ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾، فيكون التقديرُ: لا جُناح عليكم إن طلقتموهنَّ في مدَّةِ عدمِ المسيس، وعبَّر المؤلِّفُ عن معنى الآية بقوله: (**أَي: لا تَبِعَةَ عليكم في الطلاق زمنَ عدمِ المسيس**).

وقولُه: (**بإثم ولا مهرٍ**): يريد: أَنَّ فرضَ الصَّداقِ يكون بتسميته أَو بذلِ عينه.

وقولُه: (**فطلِّقوهنّ**): أَي: إن شئتم، فالأَمر للإباحة.

وقولُه: (**يُفيدُ أنَّه لا نظرَ إلى قدر الزوجة**): يريد: أَنَّ المعتبرَ في قدر المتاعِ هو حالُ الزوجِ يسارًا وإِعسارًا، لا حالُ الزوجة، فلو كانت المطلقةُ موسرةً والمطلِّقُ غيرَ موسرٍ؛ فإنَّه يُمتِّعها متاعَ المعسر. وقولُه: (**تمتيعًا**): يُبيِّنُ أنَّ ﴿مَتَاعًا﴾ اسمُ مصدر، لا الشيء الممتع به.

وقولُه: (**شرعًا، صفة «متاعًا»**): يُبيِّنُ أنَّه يُعتبَرُ في متاع المطلقةِ الشرعُ والعرفُ، وهذا معنى قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وقولُه: (**صفةٌ ثانيةٌ، أو مصدرٌ مؤكِّدٌ**): يُبيِّنُ أنَّ في إِعراب حقًّا وجهين: صفةٌ لمتاع؛ أي: متاعٌ بالمعروف حقًّا.

أو: مصدرٌ مؤكِّدٌ لفعلٍ محذوفٍ مفهومٍ من مضمون الجملة؛ أي: أَحقَّ اللهُ ذلك حقًّا.

وقولُه: (**المطيعين**): تفسيرٌ لـ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾، وهذا يشملُ إِحسانَ العمل بالإخلاص والاتباع، والإحسانَ إلى الناس.

وقولُه: (**يجب لهنَّ...**) إلى آخره: يُقدر إعرابَ ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، فإمَّا أن يكون فاعلًا لفعلٍ محذوفٍ تقديره: يجبُ النصفُ لهنَّ، أو: مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ تقديره: فلهنَّ[1].

وقولُه: (**لكن**): يُبيِّنُ أنَّ الاستثناءَ مُنقطعٌ.

وقولُه: (**أي: الزوجات**): يُبيِّنُ أنَّ المرادَ في قوله: ﴿يَعْفُونَ﴾: الزوجاتُ المطلَّقاتُ، وذلك أن يُسقطنَ ما وجبَ لهنَّ، وهو: نصفُ الصَّداق، فيتركْنَه للأزواج.

وقولُه: (**وهو الزوج...**) إلى آخره: تضمَّنَ كلامُه ذِكرَ القولين في المراد بـ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾؛ فقيل: الزوجُ، وقيل: الوليُّ، والصواب: أَنَّه الزوجُ، وعفوه أن يتركَ للمطلَّقةِ الصَّداقَ كلَّه، وأَمَّا الوليُّ فلا يملكُ العفوَ عن

(١) **ينظر**: «التبيان للعكبري» (١/ ١٨٩-١٩٠)، و«الكتاب الفريد» (١/ ٥٣٨).

شيءٍ من حقوق مُوليته، وإن كانت محجورًا عليها؛ بل عليه أَن يستوفيَ ما لها من حقٍّ على زوجٍ أو غيره، فكيف إذا لم تكن محجورًا عليها.

وقولُه: (**أَن يتفضَّلَ بعضُكم على بعضٍ**): تفسيرٌ للفضل الذي ندب اللهُ إلى رعايته ونهى عن نسيانه؛ أَي: تركه.

وقولُه: (**فيُجازيكم به**): يُبيِّنُ أَنَّ قولَه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مُتضمِّنٌ للوعد والوعيد، ففيه الترغيبُ في الطاعة والتحذيرُ من المعصية.



وقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ٢٣٩﴾ [البقرة: ٢٣٨-٢٣٩]:

يأمرُ اللهُ ـ تعالى ـ المؤمنين بالمحافظة على الصَّلوات الخمس والصَّلاةِ الوسطى؛ وهي: صلاةُ العصرِ على الصحيح من أقوال المفسرين(١)؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المشركين: ((شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ اللهُ أجوافهم وقبورهم نارًا))(٢). وعطفُها على الصلوات من عَطف الخاصِّ على العام، وهذا يقتضي الأَمر بالمحافظة عليها مرَّتين، وسُمِّيت وسطى؛ قيل: من الوسط؛ بمعنى: الخيار، فيكون معنى الوسطى: الفُضلى، وقيل: لتوسُّطها بين صلاة النهار وصلاة الليل(٣).

والمحافظةُ على الصلوات هي المداومةُ عليها في أوقاتها وبشروطها كما صلَّاها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقولُه: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾: أي: أَدُّوا الصلاةَ قيامًا طاعةً لله قانتين؛ أي: خاضعين خاشعين ساكتين لا تتكلمون بشيءٍ من كلام الناس، ومن القنوت في الصلاة: تركُ الكلام، وفي الصحيح عن زيد بن أَرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنَّا نتكلَّمُ في الصلاة، يُكلِّمُ الرجلُ صاحبَه وهو إلى جنبه في الصلاة، حتى نزلت ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾، فأُمرنا بالسكوت ونُهينا عن الكلام»(٤).

---

(١) وهو قول الجمهور. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٣٤٢-٣٥٩)، (٤/ ٣٧٢-٣٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٨)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٩٩-٦٠٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣١) (٤٥٣٣)، ومسلم (٦٢٧) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم (٦٢٨) عن عبد الله بن مسعود، واللفظ له.

(٣) وهذا مبني على الخلاف السابق في تعيينها. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٣٧٥)، و«الكشاف» (١/ ٤٦٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٩٨-٦٠٠)، و«زاد المسير» (١/ ٢١٥-٢١٦)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٤٦٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٠٠)، و(٤٥٣٤)، ومسلم (٥٣٩) واللفظ له.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾؛ أَي: كنتم في حال خوفٍ من عدو أَو غيره؛ ﴿فَرِجَالًا﴾؛ أَي: فصلُّوا رجالًا، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾؛ أَي: مشاةً أَو راكبين.

وقولُه: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾: أَي: كنتم في حال أَمنٍ ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾؛ أَي: صلُّوا صلاةَ الأَمن كما أَمركم اللهُ، وكما علَّمكم النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك أَن تُصلُّوا قيامًا مع القدرة لا ماشين ولا راكبين.

والكاف في قوله: ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾: للتشبيه أَو التعليم؛ فالمعنى: مثلَ ما علَّمكم، أَو لأَجل أَن علَّمكم اللهُ ما لم تكونوا تعلمون قبل ذلك، فذكره تعالى كما أَمر شكرًا على ما أَنعم به من العلم.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمسِ، بأَدائها في أَوقاتها ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ هي: العصرُ أَو الصبحُ، أَو الظهرُ، أَو غيرها، أَقوالٌ. وأَفردَها بالذِّكر لفضلِها ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ في الصَّلاة ﴿قَانِتِينَ﴾ قيل: مُطيعين؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كلُّ قنوتٍ في القرآن فهو طاعةٌ)) رواه أَحمدُ وغيرُه[1]، وقيل: ساكتين؛ لحديث زيدِ بن أَرقم: «كنا نتكلَّم في الصلاة حتى نزلت فأُمرنا

(١) أخرجه أحمد (١١٧١١)، والطبري في التفسير (٣٥/ ٤٠٠) من طريق ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت؛ فهو الطاعة)).
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٢٨)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٩)، والطبراني في «الأوسط» (٥١٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٥) من طريق عمرو بن الحارث، عن دراج، به.
قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد».
وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٩٧-٣٩٨): «هذا الإسناد ضعيف لا يعتمد عليه، ورفع هذا الحديث منكر، وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه، والله أعلم»، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤١٠٥).
=

بالسكوت ونُهينا عن الكلام» رواه الشيخان ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوٍّ أو سيلٍ أو سبعٍ ﴿فَرِجَالًا﴾ جمعُ راجلٍ؛ أي: مُشاةً صلُّوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمعُ راكبٍ؛ أي: كيف أمكن مُستقبلي القبلة أو غيرها، ويُومَأُ بالركوع والسُّجود ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صلُّوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها. والكاف: بمعنى مثل. و«ما»: موصولةٌ أو مصدريةٌ.

وقولُ المؤلِّف: (هي العصر...) إلى آخره: ذكرَ ثلاثةَ أقوالٍ في المراد بالصَّلاة الوسطى[(١)]، والصوابُ: أنها العصر، كما صحَّ بذلك الحديث.

وقولُه: (وأفردَها بالذِّكر لفضلِها): معناه: خصَّها بالأمر بالمحافظة عليها من أجل فضلها على غيرها من الصلوات، ولهذا وصَفَها بالوسطى؛ أي: الفُضلى، وجاء في السنَّة الوعيدُ الشديدُ على تركها، وهو قولُه ﷺ: ((مَن ترك صلاةَ العصرِ حَبطَ عملُه))[(٢)].

وقولُه: (في الصَّلاة): بيانٌ لمحلِّ القيام المأمورِ به.

وقولُه: (قيل: مُطيعين...) إلى آخره: تضمَّنَ تفسيرَ القنوت بالطاعة وبالسكوت، وكلٌّ من المعنيين صحيحٌ، ويدلُّ لهما ما ذُكرَ من الحديثين.

وقولُه: (من عدوٍّ...) إلى آخره: يُبيِّنُ أنَّ سببَ الخوف عامٌّ لكلِّ مَخوفٍ.

= قلنا: ابن لهيعة ضعيف لسوء حفظه واحتراق كتبه. **ينظر**: «المجروحين» لابن حبان (١٠/ ٥٠٤، رقم ٥٣٢)، ورواية درَّاج أبي السمح عن أبي الهيثم فيها ضعف. «التقريب» (١٨٢٤).

(١) جمع الدمياطي في ذلك جزءًا عن الصلاة الوسطى؛ فبلغ تسعة عشر قولاً، نقلها الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٩٦-١٩٨)، وقال الطاهر بن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢/ ٤٦٧): «أنهيت الأقوال فيه -أي الخلاف- إلى نيف وعشرين».

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣) و(٥٩٤)، من حديث بريدة رضي الله عنه.

وقولُه: (**جمعُ راجلٍ...**) إلى آخره، وقولُه: (**جمعُ راكبٍ...**) إلى آخره: بيانٌ للرُّخصة للخائفِ أَن يُصلِّي ماشيًا وراكبًا كما يتيسَّرُ له.

وقولُه: (**أُي: صلُّوا**): فسَّر الذِّكر بالصلاة ليُناسبَ المقامَ.

وقولُه: (**قبل تعليمه**): بيانٌ أَنَّ المسلمينَ قبل تعليمِ اللهِ لهم صفةَ الصلاة لم يكونوا عالمين بها.



وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة: ٢٤٠]:

ذكر كثيرٌ من المفسرين أَنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، بل حكى كثيرٌ إِجماعَ العلماء على ذلك[١]، وذهب بعضُ العلماء إلى أَنها ليست منسوخةً، وفي ذلك عن مجاهدٍ[٢] روايتان؛ رواهما عنه ابنُ جرير[٣]؛ فالذين قالوا بعدم النسخ؛ قالوا: الآيةُ الأُولى في وجوب التربُّصِ عليهنَّ أَربعةَ أَشهرٍ وعشرًا؛ وهي: عِدَّةُ الوفاة، فلا يحلُّ لهنَّ أَن يتزوجنَ في هذه المدَّةِ، وفي الآية الثانية وصيةٌ من الله لأَزواج المتوفَّى عنهنَّ بأَن يمتعنَ سنةً، وذلك بالسُّكنى في بيت المتوفَّى، فإِن شاءت أَقامت إلى تمام الحولِ، وإِن شاءت خرجت، والمخاطَبُ بهذه الوصيةِ ورثةُ الميتِ، فعليهم متاعها بالسُّكنى؛ لقوله: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، فليس لهم إِخراجُها إذا اختارتِ البقاءَ، وإِن اختارت الخروجَ فلا جناحَ عليهم، وليس في الآية تعرُّضٌ للنفقة عليها مدَّةَ الحولِ، ولا لحكم نكاحهنَّ، كما أنه

---

(١) حكى الإجماع غير واحد من أهل العلم؛ منهم: الشافعي، والجصاص، والماوردي، وابن عبد البر، وابن رشد، وابن عطية، وابن حجر، وغيرهم. **ينظر**: «الأم» (٦/ ٥٦٦)، و«أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ١١٩)، و«الحاوي» (١١/ ٢٣٢)، و«التمهيد» (٤/ ٢٧٧)، و«المقدمات» (١/ ٥١٣-٥١٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٦٠٧)، و«فتح الباري» (٩/ ٤٩٣).

(٢) مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج، تابعي جليل، مقرئ مفسر، حافظ ثقة، ولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب فسمع من عدد من الصحابة، ولازم ابن عباس وقرأ عليه القرآن، وتلقى عنه التفسير، قال قتادة: «أعلم من بقي بالتفسير مجاهد»، توفي ساجدًا سنة (١٠٣هـ)، وقيل غير ذلك. **ينظر**: «السير» (٤/ ٤٤٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٣٠٥).

(٣) «تفسير الطبري» (٤/ ٤٠٢، ٤٠٥).

ليس في الآية الأُخرى تعرُّضٌ لسُكنى ولا نفقةٍ، إنما هو التربُّصُ بترك النكاح، فالآيتان في حكمين مختلفين، فلا تعارضَ بينهما.

وإذن: فلا ناسخ ولا منسوخ، وأمَّا الذين قالوا: إنَّ الآيةَ منسوخةٌ بالآية الأُخرى، فعندهم معناها: أَمرُ اللهِ الذين يُتوفَّونَ ولهم أَزواجٌ إذا حضرهم الموتُ أَن يُوصوا لأَزواجهم بالمتاع سنةً، فتُسكَن المتوفَّى عنها في بيت زوجِها، ويُنفق عليها من ماله، وعلى هذا فتعتدُّ المتوفَّى عنها سنةً، ولها السُّكنى والنفقة، ثم نُسخَ اعتدادُها سنةً بآية ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، ونُسخت السُّكنى والنفقةُ بآية الميراث، وعلى هذا القول؛ فالوصيةُ من الأزواج الذين يُتوفَّون لأَزواجهم أَمرهم اللهُ إذا حضرهم الموتُ أَن يُوصوا لأَزواجهم بالمتاع سنةً؛ فالموصي هم: الأَزواجُ المتوفَّين، والموصَى إليهم هم: ورثةُ الميت، والموصَى له هنَّ: الزوجات، ويُشكِلُ على هذا أَنَّ المذكورين في الآية هم الذين ماتوا وتركوا أَزواجهم، فكيف يأمر مَن مات بأَن يُوصي؟! ولهذا احتاجَ أَهلُ هذا القول أَن يتأوَّلوا ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ بمَن حضرهم الموتُ، ومن الفرق بين الآيتين: أَنَّ المخاطَب في الآية الأُولى الزوجات، أُمِرنَ بالتربُّصِ بترك النكاح، والخطابُ في قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لأوليائهنَّ، والمخاطَبُ في الآية الثانية في قوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ ورثةُ الميت، فنُسخت آيةُ الاعتدادِ سنةً بالاعتداد أَربعةَ أَشهرٍ وعشرًا، وقد أَشكل ترتيبُ الآيتين؛ فالآيةُ الناسخةُ ترتيبها في المصحف قبل الآية المنسوخة، وقد استشكل ذلك عبدُ الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسأَل عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ذلك؟ فقال: «يا ابنَ أَخي، لا أُغيِّرُ شيئًا منه من مكانه»[١].

وقد رأيتُ أَن أُلخِّص ما ذكره ابنُ جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية لأَهميته وعِظم فائدتِه مع بعض التصرُّفِ؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكر الآية: «يعني تعالى ذِكرُه بذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ أَيُّها الرجال ﴿وَيَذَرُونَ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٠).

﴿أَزْوَٰجًا﴾؛ يعني: زوجات كنَّ له نساءً في حياته، بنكاح لا مِلكَ يَمين»، قال: «ثم صرفَ الخبرَ عن ذكر مَن ابتدأ الخبرُ بذكره إلى الخبر بذكر أَزواجهم»، قال: «ثم قال تعالى ذِكرُه: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾، فاختلفت القُرَّاءُ في قراءة ذلك، فقرأ بعضُهم: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ بنصب الوصيةِ؛ بمعنى: فليُوصوا وصيةً لأَزواجهم، أَو عليهم أَن يوصوا وصيةً لأَزواجهم، وقرأ آخرون: ﴿وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ برفع الوصية»[1]، قال: «ثم اختلف النحويون في وجه الرفع فقال بعضُهم: رفعت بمعنى: كتبت عليهم الوصية، واستدلَّ لذلك بأنها كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود»[2]، قال: «فتأويلُ الكلامِ على ما قاله هذا القائل: والذين يُتوفَّون منكم ويذرون أزواجًا كتبت عليهم وصية لأَزواجهم، ثم ترك ذكر «كتبت» ورفعت الوصية بذلك المعنى وإن كان متروكًا ذكره».

قلت: فمعنى هذا الكلام أَنَّ وصيةً مرفوعةٌ بفعلٍ محذوفٍ؛ تقديرُه: كتبت عليهم وصية.

قال: «وقال آخرون منهم: بل الوصيةُ مرفوعةٌ بقوله: ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾، فتأول: لأَزواجهم وصية». قلت: وحاصلُ الوجهين في رفع وصية أَنها نائبُ فاعل للفعل المحذوف «كتبت»، أَو أَنها مبتدأٌ وخبرُه ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ على التقديم والتأخير، وهو معنى قوله: « فتأول: لأزواجهم وصية»؛ لأَنَّ النكرةَ لا يُبتدأُ بها.

قال: «والقولُ الأَوَّلُ أَولى بالصواب في ذلك، وهو أَن تكون الوصيةُ إذا رُفعت مرفوعة بمعنى: كتبتُ عليهم وصيةً لأَزواجهم»، قال: «وأَولى القراءتين

---

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ نصبًا، وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي: ﴿وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ بالرفع. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٧٤)، و«النشر» (٢/ ٢٢٨).

(٢) عزاها لابن مسعود غير واحد بألفاظ مختلفة، وهي قراءة شاذة. **ينظر**: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص ٢٢)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٥٦)، و«الكشاف» (١/ ٤٦٩)، و«البحر المحيط» (٢/ ٥٥٣).

بالصواب في ذلك عندنا قراءةُ مَن قرأَ: ﴿وَصِيَّةٌ﴾ بالرفع، بدليل أَنَّ مقامَ المتوفَّى عنها زوجُها في بيت زوجها المتوفَّى حولًا كاملًا، كان حقًّا لها قبل نزول آية يتربصنَ أَربعةَ أَشهرٍ وعشرًا، وقبل نزول آية الميراث، أَوصى لهنَّ أَزواجهن بذلك قبل وفاتهم أَو لم يُوصوا لهنَّ به».

ثم قدَّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ سائلًا، قال: ما الدليلُ على أَنَّ قعود المتوفَّى عنها في بيت زوجها كان حقًّا لها قبل آيةِ العدَّةِ وآيةِ الميراث؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما حاصله: أَنَّ اللهَ أَخبر عن الرجال المتوفَّين ولهم أَزواجٌ، والمتوفَّى لا يُؤمر بالوصية وإنما يؤمر بالوصية مَن حضره الموتُ كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، عُلم أَنَّ اللهَ جعل لامرأة المتوفَّى أَن تقعدَ في بيته حولًا بعد وفاته؛ قال: «ولو كان المعنى: فليوصوا وصيةً؛ لوجبَ أَن يكون لفظُ الآية: (والذين يحضرهم الموت)»، وأيضًا فلو كان قعودُ المتوفَّى عنها في بيت زوجها حولًا واجبًا بوصيةٍ من زوجها قبل وفاتِه لَمَا كان ذلك حقًّا لها إذا لم يوصِ ولا جاز لورثته إخراجها، وقد قال تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾.

إذن: فليس معنى الآية أَمر الأَزواجِ بالوصية لزوجاتهم قبل وفاتهم كما تقتضيه قراءة من قرأ ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب على معنى: فليوصوا وصيةً، أَو عليهم أَن يوصوا وصيةً، ولَمَّا نفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يكون معنى الآية أَمر الأَزواج بالوصية لزوجاتهم؛ قال: «وإنما معنى الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ كتب اللهُ لأزواجهم عليكم وصيةً منه لهنَّ أَيها المؤمنون، أَن لا تُخرجوهنَّ من منازل أَزواجهنَّ حولًا، كما قال تعالى ذكره في سورة النساء: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾[النساء:١٢]».

قلت: فعُلم مما تقدَّم من كلام ابن جرير أَنَّ في المراد بالوصية في الآية قولان:

الأَول: أَنَّ المرادَ الوصية من الأزواج المتوفين لزوجاتهم أَمرهم الله بها.

والثاني: أَنها وصيةٌ من الله لورثة الميت.

فعلى القول الأَول: المخاطَبُ بالوصية هم الأَزواجُ المتوفين، ولهذا جاء في تقدير الكلام؛ فليوصوا وصيةً، أَو عليهم أَن يوصوا وصيةً، كلُّ هذا على قراءة نصبِ وصية.

وعلى القول الثاني: الخطابُ لورثة الميت كما يُفيده التقدير في عبارة ابن جرير إذ قال: «﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ كتب اللهُ لأَزواجهم عليكم وصية منه لهنَّ أَيها المؤمنون؛ أَن لا تُخرجوهنَّ من منازل أَزواجهنَّ حولًا، كما قال تعالى ذكره في سورة النساء: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾».

ثم ذَكر مَن قال من السَّلف: إِنَّ حُكمَ هذه الآية وصيةٌ من الله لزوجات المتوفَّين بالسُّكنى والنفقة حولًا، وأَنَّ ذلك نُسِخَ بآية الميراث وآية العدة ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، وهو القولُ الذي رجَّحه ابنُ جرير كما تقدَّم، فروى ذلك بإسناده عن قتادة[(١)] والربيع[(٢)] وابن عباس والضحاك[(٣)] وعطاء[(٤)]

---

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السّدوسيّ، أبو الخطاب البصري، الضرير الأكمه المفسّر، قال معمر: سمعت قتادة يقول: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا». قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء، ووصفه بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره. مات بواسط في الطاعون سنة (١١٧هـ)، وقيل بعدها. **ينظر**: «السير» (٥/ ٢٦٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٤٧-٤٨).

(٢) الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني، لقي ابن عمر وأنس بن مالك وجابر، وهرب إلى مرو في زمن الحجاج فكان عالم مرو في زمانه، وكانت وفاته سنة (١٣٦هـ)، وقيل (١٣٩هـ). **ينظر**: «السير» (٦/ ١٦٩)، و«طبقات المفسرين» للأدنه وي (ص١٦).

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، كان من أوعية العلم، وله باع في التفسير وبه اشتهر، توفي سنة (١٠٢هـ)، وقيل غير ذلك. **ينظر**: «السير» (٤/ ٥٩٨)، و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٢٢٢).

(٤) عطاء بن أبي مسلم، أبو عثمان الخراساني، واسم أبيه ميسرة، وقيل: عبد الله، له كتاب «تنزيل القرآن»، و«تفسيره»، عرف بالعبادة والفتوى والتفسير، وكان صاحب رحلة. توفي سنة (١٣٥هـ). **ينظر**: «السير» (٦/ ١٤٠)، و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٣٨٥).

ومجاهد وابن زيد[١]، ثم ذكر مَن قال من المفسرين بأَنَّ معنى هذه الآية أَمرُ اللهِ الأَزواجَ إذا حضرَهم الموتُ بأَن يوصوا لزوجاتهم بالسُّكنى والنفقة حولًا، وقد سبقَ تضعيف ابنِ جرير لهذا القول، ثم رواه بإسناده عن قتادة وعن السدي[٢]، ثم ذكر عن إبراهيم النخعي[٣] أَنَّ أَمر الأزواج بالوصية لهنَّ نُسخ بما كان لهنَّ من المتاع؛ قال ابن جرير: «من غير تبيينه[٤] على أَيِّ وجهٍ كان ذلك لهنَّ»، ثم ذكر عن الحسن[٥] وعكرمة[٦] وابن عباس أَنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ، ولَمَّا ذكر القائلين بأَنَّ الآية منسوخةٌ على اختلافهم في تأويل الآية، وهل الوصيةُ في الآية من الله لأَزواج المتوفين كتبها على ورثة الميت، أَو من المتوفين أَمرهم الله بأَن يوصوا كما تقدَّم لَمَّا ذكر ابنُ جرير ذلك كُلَّه؛ قال: «وقال آخرون:

---

(١) ابن زيد: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرًا في مجلد، وكتابًا في الناسخ والمنسوخ، توفي سنة (١٨٢هـ) **ينظر**: «السير» (٨/ ٣٤٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٢٧١).

(٢) السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي، الأعور، وهو السدي الكبير، قال إسماعيل بن أبي خالد: «كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ»، وقال الخليلي: «إن أمثل التفاسير تفسير السدي»، توفي سنة (١٢٧هـ). **ينظر**: «السير» (٥/ ٢٦٤)، و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ١١١).

(٣) إبراهيم النخعي: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، كان إمامًا حافظًا، فقيها من أكابر التابعين، توفي سنة (٩٦هـ). **ينظر**: «الطبقات» لابن سعد (٦/ ٢٧٠)، و«السير» (٤/ ٥٢٠)

(٤) في أصل طبعة هجر: (تنبيه)، وأشاروا إلى خمس نسخ كتبت (بينة)، والسادسة غير منقوطة، والمثبت (تبيينه) من طبعة شاكر، وقال: «في المطبوعة: (من غير بينة)، والصواب ما في المخطوطة»، وهو الذي رجحه شيخنا.

(٥) الحسن بن أبي الحسن، واسم أبيه يسار، أبو سعيد البصريّ، كان من سادات التابعين وأفتى في زمن الصحابة، بالغ الفصاحة وبليغ المواعظ، كثير العلم بالقرآن ومعانيه، وله تفسير رواه عنه جماعة، توفي سنة (١١٠هـ). **ينظر**: «السير» (٤/ ٣٦٥)، و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ١٥٠).

(٦) عكرمة مولى ابن عباس، العلامة الحافظ المفسر، أبو عبد الله القرشي مولاهم، المدني، البربري الأصل، قال قتادة وسلام بن مسكين بأنه أعلم الناس بالتفسير، توفي سنة (١٠٤هـ)، وقيل: بعد ذلك. **ينظر**: «السير» (٥/ ١٢)، و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٣٨٦).

هذه الآيةُ ثابتةُ الحكم، لم يُنسخْ منها شيءٌ»، وروى ذلك بإسناده عن مجاهد أنه قال في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ...﴾ الآية: كانت هذه للمعتدة تعتدُّ عند أَهل زوجها واجبًا ذلك عليها، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم...﴾ الآية، قال: جعل اللهُ لهنَّ تمام السنة سبعةَ أَشهرٍ وعشرين ليلةٍ وصيَّة، إن شاءت سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت»، فتضمَّن قولُ مجاهد أَنَّ حكمَ الآية الأُولى واجبٌ على المرأة؛ وهو الاعتدادُ بأَربعة أَشهر وعشرٍ، وأَمَّا حُكمُ الآيةِ الثانية وهو الاعتدادُ تمامَ الحولِ فالمرأةُ فيه مخيَّرةٌ؛ لقوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، فجعل مجاهدٌ الآيةَ الثانيةَ هي الأخيرةُ نزولًا، وحُكمها باقٍ لم يُنسخ، وهذا خلافُ قولِ الجمهور؛ وهو أَنَّ الآيةَ الأُولى هي الناسخةُ لحكم الآية الثانية، كما تقدَّم حكايةُ ابن جرير لأَقوالهم، ثم روى بإسناده إلى عطاء[(١)] عن ابن عباس؛ قال: «نَسَخَتْ هذه الآيةُ ـ قلت: يريد الآية الثانية ـ عِدَّتَهَا عِنْدَ أَهْلِهِ ـ يريد: حُكمَ الآيةِ الأُولى ـ تعتدُّ حيث شاءت ـ يريد: حكمَ الآية الثانية وهو قولُ اللَّهِ: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾»، ثم روى عن عطاء قريبًا من معنى قول ابن عباس ثم رجَّح قولَ الجمهور؛ وهو أَنَّ الآيةَ الثانيةَ منسوخةٌ بالآية الأولى وبآية الميراث؛ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب أَن يُقال: إِنَّ اللهَ ـ تعالى ذكره ـ كان جعل لأَزواج مَن مات من الرجال بعدَ مَوتهم سُكنى حولٍ في منزله، ونفقتها في مال زوجها الميت إلى انقضاء السَّنة، ووجبَ على ورثة الميت أَن لا يُخرجوهنَّ قبل تمام الحولِ من المسكن الذي يسكنه، وإن هنَّ تركنَ حقهنَّ من ذلك وخرجنَ؛ لم تكن ورثةُ الميت من خروجهنَّ في حرجٍ، ثم إِنَّ اللهَ ـ تعالى ذكره ـ نسخَ النفقةَ

---

(١) عطاء بن أبي رباح أسلم المكي، أبو محمد، كان ثقة فقيهًا عالمًا بالقرآن ومعانيه، توفي سنة (١١٤هـ)، وقيل: بعد ذلك. «السير» (٥/ ٧٨)، و«طبقات المفسرين» للأدنه وي (ص١٤).

بآية الميراث، وأَبطل مما كان جُعل لهنَّ من سُكنى حولٍ سبعةَ أَشهرٍ وعشرين ليلة، وردهنَّ إلى أَربعة أشهرٍ وعشرٍ على لسان رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

قلت: يُشير إلى حديثِ فُريعةَ[1] الذي سيذكره، ثم ذكر بإسناده حديثَ فُريعة التي قُتل زوجُها فاستفتت النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن تنتقل من بيت زوجِها، فأَمرها النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن تمكثَ حتى يبلغَ الكتابُ أَجله؛ وهو تمامُ أَربعةِ أَشهرٍ وعشرٍ[2]، وحاصلُ كلامه رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ ما كان حقًّا للمتوفَّى عنها من السُّكنى والنَّفقة حولًا نسخ النفقة الميراث ربع أَو ثمن ونسخ تمام الحول؛ وهو سبعةُ أَشهرٍ وعشرون يومًا بآية التربُّص -أربعة أشهر وعشرًا- وبحديث فُريعة.

---

(١) فُريعة: بضم الفاء بالتصغير في أكثر الروايات وفي طبعة شاكر، ووقع اسمها في طبعة هجر: «الفارعة»، وكذا في رواية النسائي (٣٥٢٨)، و«شرح مشكل الآثار» (٣٦٥٠) ووقع اسمها «الفرعة» في «شرح مشكل الآثار» (٣٦٤٩).
وهي الفريعة بنت مالك، ويقال لها أيضًا: الفارعة والفرعة، أنصارية خُدرية، وهي أخت أبي سعيد الخدري. **ينظر**: «الإصابة» (١١٧٢٠)، (١١٧٥٤)، (١١٧٦٤).

(٢) أخرجه مالك (٢١٩٣/ ٥٢٦)، وأحمد (٢٧٠٨٧)، وأبو داود (٢٣٠٠)، والترمذي (١٢٠٤)، والنسائي (٣٥٢٨)، وابن ماجه (٢٠٣١)، والحاكم (٢٨٣٣) بعضهم مطولًا، وبعضهم مختصرًا،كلهم من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة، أن الفريعة بنت مالك بن سنان أخبرتها، أنها جاءت إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكرته.
ورجاله ثقات غير زينب بنت كعب، ذكرها ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢٧١، رقم ٢٨٧٣)، وقال: «لها صحبة»، وكذا قال الذهبي في «التجريد» (٢/ ٢٧٤، رقم ٣٢٨٩)، أما في «الميزان» (٤/ ٦٠٧) فقد ذكرها ضمن النساء المجهولات، ونقل عن ابن حزم بأنها مجهولة، ما روى عنها غير سعيد. **وينظر**: تعقيب الحافظ عليه في «الإصابة» (١١٣٨٣)، وقال الحافظ في «التقريب» (رقم ٨٥٩٦): «مقبولة من الثانية، ويقال لها صحبة».
وقال ابن القيم: «فهذه امرأة تابعية كانت تحت صحابي، وروى عنها الثقات ولم يطعن فيها بحرف، واحتج الأئمة بحديثها وصححوه». «زاد المعاد» (٦/ ٦٨١).
وصحَّحه جمع من الحفاظ؛ مثل محمد بن يحيى الذهلي كما في «المستدرك» (٢٨٣٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢١/ ٣١)، والترمذي (١٢٠٤)، وابن الجارود (٧٥٩)، وابن حبان (٤٢٩٢)، والحاكم (٢٨٣٣)، والذهبي، وابن القطان في «بيان الوهم» (٥/ ٣٩٣-٥٩٥)، وابن القيم في «إعلام الموقعين» (٦/ ٤٧٣)، و«زاد المعاد» (٦/ ٦٧٩-٦٨١)، والألباني في «صحيح سنن أبي داود»، وابن ماجه، وغيرها.

وبعد القول في معنى الآيةِ وحُكمِها؛ ذَكر وجهَ النَّصب في قوله: ﴿مَّتَـٰعًا﴾، وقولِه: ﴿غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ﴾، بأَنَّ ﴿مَّتَـٰعًا﴾ نُصب بمضمون الجملة قبله، فهو مصدرٌ مؤكدٌ، و﴿غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ﴾ نُصب على أَنه صفة لـ«متاع»؛ قال رَحِمَهُٱللَّهُ: «وأَمَّا قولُه: ﴿مَّتَـٰعًا﴾ فإِنَّ معناه: جعل ذلك لهنَّ متاعًا؛ أَي: الوصية التي كتبها اللهُ لهنَّ. وإنما نصب «المتاع»؛ لأَنَّ في قوله: ﴿وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ معنى متعهنَّ اللهُ، فقيل: ﴿مَّتَـٰعًا﴾ مصدرٌ من معناه، لا من لفظه.

وقوله: ﴿غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ﴾: فإِنَّ معناه أَنَّ اللهَ ـ تعالى ذكره ـ جعل ما جعل لهنَّ من الوصية متاعًا منه لهنَّ إلى الحول، لا إِخراجًا من مسكن زوجِها؛ يعني: لا إِخراجَ فيه منه حتى ينقضي الحول، فنصب ﴿غَيۡرَ﴾ على النعت للمتاع»، ثم ذكر معنى آخر الآية من قوله: ﴿فَإِنۡ خَرَجۡنَ﴾، فذكر ما يدلُّ عليه قوله: ﴿فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾، وهو أَنَّ اعتدادهنَّ في بيوت أَزواجهنَّ وإِحدادهنَّ حولًا ليس فرضًا عليهنَّ، فإِن خرجنَ فلا جُناحَ عليهنَّ، ولا على ورثة الميت، ﴿فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖ﴾ من النكاح وترك الإحداد، وذكر ما يدلُّ عليه قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٤٠﴾، وهو تهديدُ مَن خالف من الرجال والنساء أَحكامَ الله المتقدمة في الآيات بترك ما فَرَضَ اللهُ من الأَحكام، وأَداء الحقوق وترك المحافظةِ على الصلوات، وأَنَّ اللهَ حكيمٌ في جميع أَحكامه وأَقضيته بين عباده، وكلامُه رَحِمَهُٱللَّهُ في مدلول هذين الاسمين «العزيز، الحكيم» كلامٌ نفيسٌ جديرٌ بتدبُّره وفهمِ معناه[1].

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليُوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾ وفي قراءة بالرفع؛ أَي: عليهم ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ ويُعطوهنَّ ﴿مَتَاعًا﴾ ما يتمتعنَّ به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿الْحَوْلِ﴾ من موتهم الواجب عليهنَّ

(١) ينظر النقل كاملاً في: «تفسير الطبري» (٤/ ٣٩٦-٤٠٩).

تربُّصه، ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال؛ أَي: غيرَ مُخرجات من مسكنهنَّ ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأَنفسهنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أَولياءَ الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ شرعًا؛ كالتزيُّنِ وتركِ الإِحداد وقطعِ النفقة عنها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في مُلكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. والوصيةُ المذكورةُ منسوخةٌ بآية الميراث، وتربُّص الحولِ بآية (أَربعة أشهرٍ وعشرًا) السابقةِ المتأَخِّرةِ في النزول، والسُّكنى ثابتةٌ لها عند الشافعي[1].

وقولُ المؤلِّف: (**فليوصوا**): يقتضي أَنَّ معنى الآية عنده: أَمرُ المتوفَّين بالوصية لأَزواجهم.

وقولُه: (**وفي قراءةٍ بالرفع؛ أي: عليهم**): يُبينُ أَنَّ كلمةَ ﴿وَصِيَّةً﴾ في الآية فيها قراءتان؛ بالنصب وبالرفع، وعلى قراءة الرفع فـ﴿وَصِيَّةٌ﴾: مبتدأٌ وخبرُه محذوفٌ، وتقديره: عليهم.

وقولُه: (**ويعطوهنَّ**): يريد أَنَّ ﴿مَتَاعًا﴾ منصوبٌ بفعل محذوفٍ؛ تقديره: ويُعطوهنَّ متاعًا.

وقولُه: (**ما يتمتعنَّ به...**) إلى آخره: تفسيرٌ للمتاع بالنفقة والكسوة.

وقولُه: (**تمام**): يُبيِّنُ أَنَّ المتاعَ يدومُ حقًّا للمرأة إلى نهاية الحول.

وقولُه: (**من موتهم...**) إلى آخره: بيانٌ لبداية الحولِ، وأَنَّ الواجبَ عليها التربُّصُ هذه المدَّة. وقولُه: (**حال**): يريد أَنَّ ﴿غير﴾ منصوبٌ على الحال من الأَزواج، ولذا قدره: غير مخرجات، وعلى هذا يكون قولُه تعالى: ﴿غَيْرَ

---

(١) في سكنى المعتدة عن وفاة قولان للشافعية، أحدهما: أنها لا تستحقها؛ وهذا ما اختاره المزني، وصححه منصور التميمي والغزالي، والثاني: أنها تستحقها، وهو الأصح عند العراقيين، وتابعهم الروياني وغيره. **ينظر**: «الشرح الكبير» للرافعي (٩/ ٤٩٧-٤٩٨)، و«تكملة المجموع» (٢٠/ ١٤-١٦)، و«كفاية النبيه» لابن رفعة (١٥/ ٢١٨).

﴿إِخْرَاجٍ﴾ حالًا مؤكدةً لقوله: ﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾، واختار ابنُ جريرٍ أَنَّ ﴿غَيْرَ﴾ منصوبٌ على النعت لمتاع.

وقولُه: (**بأنفسهنَّ**): يريد: باختيارهنَّ لا بإخراج من ورثة الميت.

وقولُه: (**يا أَولياءَ الميت**): بيانٌ للمخاطبين بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

وقولُه: (**شرعًا**...) إلى آخره: فسَّرَ المعروفَ بما يُباحُ للمرأة شرعًا من الزينة بأنواعها.

وقولُه: (**وقطع النفقة عنها**): يريد أَنَّه داخلٌ في نفي الجناح عن ورثة الميت، فلا جناح على أَولياء الميت في قطع النَّفقة عنها إذا خرجت.

وقولُه: (**في ملكه**)، وقولُه: (**في صنعه**): يريد أَنَّه تعالى ذو عزَّةٍ وحكمةٍ، يدلُّ لذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقولُه: (**والوصية المذكورة**...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ الوصيةَ بالنفقة والسُّكنى حولًا المذكورة في الآية منسوخةٌ بآية الميراث، وبآية التربُّصِ أَربعة أَشهرٍ وعشرًا، فعنده أَنَّ آيةَ الوصيةِ منسوخةٌ بآية: ﴿أَربعةَ أَشهرٍ وعشرًا﴾، وإن كانت متقدِّمةً عليها في ترتيب الآيات في المصحف، لكنها مُتأَخِّرةٌ عنها في النزول، وهذا قول الجمهور، وقال جماعةٌ: لا نسخَ، والآياتُ على ترتيبها.



وقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ [البقرة: ٢٤١-٢٤٢]:

هاتان الآيتان آخر الآياتِ المتعلقةِ بأَحكام الطلاق والعِدَد، وقد تضمَّنت الآيةُ الأُولى الحكمَ بالمتاع لكلِّ مطلَّقةٍ على أَزواجهنَّ، وأَنَّه حقٌّ أَحقَّه اللهُ على المتقين، وظاهرُ الآية وجوبُ المتاعِ لكلِّ مُطلَّقةٍ، وذهب الجمهورُ إلى أَنَّ المتاعَ الواجبَ للمطلقة قبل المسيس ولم يفرض لها صَداق، وقد دلَّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٣٦]، وفي الآية الأَمرُ بالمتاع، وأَمَّا المطلقةُ قبل المسيس التي فُرض لها صداقٌ، فمتاعُها النصفُ الذي تستحقُّه مما فرض لها، وأَمَّا المطلقةُ المدخولُ بها فمتاعُها مستحبٌّ، فقد ذهب بعضُ أَهل العلم إلى القول بظاهر الآية؛ وهو وجوبُ المتاعِ لكلِّ مطلَّقةٍ[1]، ويؤيِّدُه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب: ٤٩]، فأمر بمتاع المطلقةِ قبل المسيس فُرض لها صداق أو لم يفرض، ويؤيده أيضًا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨]، فأَمر اللهُ نبيَّه أَن يَعِد أَزواجه بالمتاع إذا اخترن الطلاقَ، فهذه خمسُ آياتٍ ثلاثٌ منها في البقرة:

الأُولى: في المطلقة قبل المسيس ولم يفرض لها، فوجوبُ المتاعِ لها ظاهرٌ.

---

(١) وإلى وجوب المتاع لكلِّ مُطلَّقةٍ: ذهب سعيد بن جبير، وأبو العالية، والحسن البصري، ورجحه الطبري، واختاره من الفقهاء: أبو ثور، والشافعي في أحد قوليه. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٠٩-٤١٢)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٦٠٧-٦٠٨)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٢٢٨-٢٢٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٤١-٦٤٢)، (١/ ٦٦٠). وينظر أيضًا: «تكملة المجموع شرح المهذب» (١/ ٧٠)، و«المغني» (١٠/ ١٣٧) وما بعدها.

والثانية: في المطلقة قبل المسيس وقد فرض لها؛ فإذا قيل أَنَّ متاعها النصفُ الذي تستحقُّه فهو وجهٌ قويٌّ؛ لأَنَّ مقصودَ المتاع حاصلٌ بما ثبت لها من نصف الصداق، كيف ومن المستحبِّ أَن تعفوَ عنه للزوج؟ وعلى هذا تكون المطلقةُ قبل المسيس وقد فرض لها مخصوصة من عموم: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾، ومن عموم آية الأَحزاب: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب: ٤٩].

والثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

واثنتان في الأَحزاب:

الأولى: في الدخول بها التي سُمِّيَ لها صداق، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾، وقد ذكر فيها المتاع.

والثانية قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وهي في المطلقة قبل المسيس، وقد تقدَّم ذكرُ حكم متاعها.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: المعنى: مثل ذلك البيان الذي تقدَّمَ في آيات الأَحكام، من قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠] إلى قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾؛ أَي: مثل هذا البيان يُبيِّنُ اللهُ لكم آياته في أَحكام شرعِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾؛ أَي: لأَجْل أَن تعقلوا عن الله ما شرع لكم.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ يُعطَينه[1] ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ نُصِبَ بفعله المقدَّر ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اللهَ. كرَّره ليعمَّ الممسوسةَ أيضًا، إذ

(١) هذا ما رجحه شيخنا، وأشار قباوة لنسخة كما أثبتناه، وقال: «فيما عدا الأصل و(ع)، (خ) والفتوحات: (يعطونه)، وأثبت (يعطونه)».

الآيةُ السابقةُ في غيرها ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بيَّن لكم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تتدبرون.

وقولُ المؤلِّف: (**يُعطَينه**): أَي: يُعطي الأَزواجُ المطلِّقين المتاعَ للمطلقات.

وقولُه: (**بقدر الإِمكان**): يعني: بحسب حالِ الزوج يُسرًا وإعسارًا.

وقولُه: (**بفعله المقدَّر**): أَي: الفعل الذي هو مضمون ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾، والتقديرُ: أَحقَّ اللهُ المتاعَ حقًّا.

وقولُه: (**اللهَ**): بيانٌ لمن هو أَهلٌ أَن يُتَّقى، والمتقون يتقونه سبحانه.

وقولُه: (**كرَّره...**) إلى آخره: يريد: كرَّرَ الأَمر بالمتاع للمطلقة ليعمَّ الممسوسةَ؛ أَي: المدخول بها؛ لأَنَّ الذي تقدَّم الأَمرُ بمتاع المطلقةِ قبل المسيس.



وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣]:

هذه الآيةُ والآياتُ التي تتلوها في هذا الرُّبع عَودٌ إلى موضوع القتال، ولَمَّا كان القتالُ مكروهًا بالطبع لِمَا يُفضي إليه من الموت؛ بدأت هذه الآياتُ بذكر قصةِ أُولئك القومِ الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت بسبب وباءٍ نزل بديارهم، أَو بسبب خوفٍ من عدوٍّ فخرجوا من ديارِهم؛ فرارًا منه وجُبنًا عن قتالهم[1].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الخطابُ للنبي ﷺ أَو لكلِّ مَن يَصلُحُ للخطاب، والاستفهامُ للتقرير، فقولُه: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أَي: أَلم تعلم، وضُمِّنَ الفعلَ معنى: ينتهي، ولذا عُدِّي بـ «إلى»، وتقديرُه: أَلم ينتهِ علمُك إلى أُولئك القومِ الذين خرجوا من ديارهم[2]، والحالُ أَنهم كثيرٌ يبلغون الْألوفَ، خرجوا فرارًا من الموت، فأَماتهم اللهُ بقوله: ﴿مُوتُوا﴾، ولم يُغنِ عنهم الفرارُ شيئًا. وقولُه: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: يرجحُ أَنهم فرُّوا خوفًا من عدوٍّ، فكان فرارُهم جُبنًا، فلم يُغنِ عنهم ذلك الفرارُ شيئًا، وقال لهم اللهُ: ﴿مُوتُوا﴾ فماتوا، ثم أَحياهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليدلَّ على قُدرته تعالى على البعث، ثم نوَّه تعالى بفضله العظيم على الناس الذي يستحقُّ الشكرَ عليه، ثم أَخبر أَنَّ ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، والشكرُ: تعظيمُ المنعمِ بالقول والفعل، بالقلب واللسان والجوارح[3].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٤١٤ وما بعدها)، (٤/ ٤٢٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٦٠٩).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج (١٨/ ٣٢٢)، و«التبيان في إعراب القرآن» (١/ ١٩٣)، و«الدر المصون» (٢/ ٥٠٥).

(٣) ينظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٣٤)، (١١/ ١٣٥) ما بعدها، (١٤/ ٣٠٨)، «مدارج السالكين» (٢/ ٥٩٣-٥٩٤).

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهامُ تعجيبٍ وتشويقٍ إلى استماع ما بعده؛ أَي: ينته علمُك ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أَربعةٌ أَو ثمانيةٌ أَو عشرةٌ أَو ثلاثون أَو أَربعون أَو سبعون أَلفًا ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعولٌ له، وهم قومٌ من بني إسرائيل، وقع الطاعونُ ببلادهم ففرُّوا ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بعد ثمانيةِ أَيامٍ أَو أَكثر بدعاء نبيِّهم حِزْقِيل، بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي، فعاشوا دهرًا عليهم أَثَرُ الموت، لا يلبسون ثوبًا إلا عاد كالكفن، واستمرَّت في أَسباطهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه إحياءُ هؤلاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ هم: الكفَّار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ والقصدُ مِن ذِكر خبرِ هؤلاء تشجيعُ المؤمنين على القتال، ولذا عطف عليه.

وقولُ المؤلِّف: (**استفهامُ تعجيبٍ...**) إلى آخره: بيانٌ للمقصود من الاستفهام، وهو أَن يعجبَ المخاطبُ مما سيذكر له ويشتاق إلى سماعه.

وقولُه: (**ينتهِ علمُك**): يُبيِّنُ أَنَّ فعل ترى بمعنى: تعلم مضمَّنٌ معنى: ينتهي؛ أَي: يبلغ أو يصل. وقولُه: (**أَربعةٌ أَو ثمانيةٌ...**) إلى آخره: يشير إلى الأَقوال في عدد الأُلوف، والمعنى: قيل وقيل وقيل.

وقولُه: (**وهم قومٌ...**) إلى آخره: هذا أَحدُ القولين في أُولئك القوم، أَنهم من بني إسرائيل، وأَنهم فرُّوا من الطاعون، وقيل: أَنهم قومٌ من غيرهم، وأَنهم فرُّوا من عدوٍّ غزاهم، والآيةُ مجملةٌ، والله أعلم.

وقولُه: (**بعد ثمانيةِ أيام...**) إلى آخره: هذا كلُّه من جنس الإسرائيليات التي لا تُصدَّق ولا تُكذَّب[(١)].

وقولُه: (**ومنه إِحياءُ هؤلاء**) يعني: من فضل اللهِ على الناس فضلُه على هؤلاء القومِ بإِحيائهم ليتوبوا ويعلموا أَنه لا يُنجي حذرٌ من قَدَر.

وقولُه: (**هم الكفَّار**): لأنَّ الكفَّارَ هم أَكثرُ الناس، وهم لا يشكرون اللهَ، ولا يؤمنون به، ولا يعلمون حقَّه عليهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقولُه: (**والقصدُ من ذِكر خبرِ هؤلاء...**) إلى آخره: بيانٌ لمناسبة ذِكر هذه القصة، وهو تشجيعُ المؤمنين على القتال، وتحذيرُهم من الفرار أَنه لا يُنجي من الموت، ولذا اتصلَ بالقصة الأَمرُ بالقتال في سبيل الله[(٢)].



(١) قال ابن عطية: «وهذا القصص كله لين الأسانيد، وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبارًا في عبارة التنبيه والتوقيف، عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم؛ ليروا هم وكل من خلف بعدهم أن الإماتة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا اغترار مغتر، وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد بالجهاد. هذا قول الطبري، وهو ظاهر رصف الآية، ولموردي القصص في هذه القصة زيادات اختصرتها لضعفها» «المحرر الوجيز» (١/ ٦١٠).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٢٥)، و«الكشاف» (١/ ٤٧٠)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٦١٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٦١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة: ٢٤٤-٢٤٥]:

هذا أَمرٌ من الله لعباده المؤمنين بقتال الكفار والمشركين في سبيل الله؛ أَي: إِعلاءً لكلمة الله، ويُعلمهم تعالى أَنه سميعٌ لأَقوالهم ودعائهم، عليمٌ بإسرارهم وإعلانهم، ثم يدعوهم إلى الإِنفاق في سبيله بقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾، والاستفهامُ للترغيب والتشويق، وسمَّى اللهُ ما يُنفَقُ في سبيله قرضًا؛ لأَنَّه مردودٌ عليهم أَضعافًا مضاعفة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾، ويُفسِّرُ هذا التضعيفَ وهذه الكثرة قولُه تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ أَي: أكثر من ذلك ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١]، والقرضُ الحسنُ ما كان لله وعن طِيبِ نفسٍ.

وفي قوله: ﴿يضاعف﴾ قراءات: بالأَلف بعد الضاد وكسر العين مع فتح فاءِ الفعلِ وضمِّها، وقرأَ بتشديد العين مع فتح الفاءِ وضمِّها؛ فهذه أَربع قراءات[1]، والفاءُ إِمَّا سببيةٌ فيُنصَبُ الفعلُ بعدها، وإِمَّا عاطفةٌ فيُرفَعُ الفعلُ بعدها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾: أَي: إِنَّ اللهَ بحكمته البالغة يقبض عمَّن يشاء فيقدر عليه ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾؛ أَي: يوسِّع على مَن يشاء، ثم إليه يرجعُ العبادُ فيجزيهم بما عملوا من القتال والإنفاق في سبيله.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: لإِعلاء دينِه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأَقوالِكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأَحوالِكم، فمُجازيكم ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾

(١) ينظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٢٨).

بإنفاق مالِه في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأَن يُنفقَه لله عن طِيب قلبٍ ﴿فَيُضَاعِفُهُ﴾ وفي قراءة: «فيُضَعِّفُهُ» بالتشديد ﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ من عشرٍ إلى أَكثر من سبعمائة كما سيأتي ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ يُمسكُ الرزقَ عمَّن يشاء ابتلاءً ﴿وَيَبْسُطُ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحانًا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث فيُجازيكم بأعمالكم.

وقولُ المؤلِّف: (**لإعلاء دينِه**): بيانٌ لمعنى: في سبيل الله.

وقولُه: (**فمُجازيكم**): بيانٌ للحكمة من ذكر الاسمين «السميع العليم»، وهو التذكيرُ بالجزاء ترغيبًا وترهيبًا.

وقولُه: (**لله عن طِيب قلبٍ**): هذا بيانٌ لمعنى القرض الحسن.

وقولُه: (**كما سيأتي**): يُشيرُ إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآية [البقرة: ٢٦١].

وقولُه: (**يُمسكُ الرزقَ**...) إلى آخره: بيانٌ لمعنى القبض والبسط، وأَنَّ ذلك كلَّه لحكمة الابتلاءِ، والابتلاءُ والامتحانُ معناهما واحدٌ وذكرهما لتنويع اللفظ.

وقولُه: (**بالبعث**...) إلى آخره: بيانٌ لمعنى الرجوع إلى الله وحكمتِه؛ لأَنَّ الناسَ إذا بُعثوا لقوا ربَّهم فجازاهم على أَعمالهم.



وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: القولُ في هذه الجملة كالقول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤٣]، فالاستفهامُ للتقرير، و﴿تَرَ﴾: تعلم، ضُمِّنَ معنى «ينتهي علمك» ولذا عُدِّي بـ«إلى»، و﴿ٱلْمَلَإِ﴾: الأشراف.

وقوله: ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾: أي: حين قالوا ﴿لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾، لم يُسمَّ هذا النبيُّ، إلا أنه من أَنبياء بني إسرائيل الذين من بعد موسى، وقد ذكر ابنُ جرير اختلافَ المفسرين في اسمه ونسبه، وأَطال في ذلك[1]، وليس في شيءٍ مما ذكره ما يمكن الجزم به؛ لأَنَّ الروايات في ذلك من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها في العلم، ومما ذكروا أَنَّ اسمَه شمويل أَو شمعون، وقيل: إنه يوشع بن نون، وقد ضعَّف ذلك ابنُ كثير[2]؛ فاللهُ أعلم، واللهُ قد أَبهم هذا النبيَّ ولم يُسمِّه؛ فلنسكُت عمَّا سكت اللهُ عنه، وقولُ الملأ لنبيِّهم: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنون: عيِّنْ أَميرًا وقائدًا نقاتل معه في سبيل الله.

وقوله: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ المعنى: قال لهم نبيُّهم: هل تتوقعون إن كُتب عليكم القتالُ أَلَّا تُقاتلوا؟ فالاستفهامُ على ظاهره، و«عسى» من أَفعال الرجاء، ومعناها هنا التوقع؛ فمعنى الكلام: هل تتوقعون من أَنفسكم إن كُتب عليكم القتالُ أَلَّا تُقاتلوا؟ واسمُ «عسى»:

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٣٥-٤٣٧).
(٢) ينظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٦٤-٦٦٥).

ضميرُ المخاطب، وخبرُها: المصدرُ المؤول أَلَّا تقاتلوا، وجملة: ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾: جملةٌ شرطيةٌ مُعترضة بين اسم عسى وخبرها، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾، فالتقديرُ: «إن كتب عليكم القتال فهل عسيتم»؛ أَي: فلعلَّكم لا تقاتلون.

وقوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾: المعنى: أَيُّ مانعٍ يمنعنا من القتال والحالُ أَنَّا أُخرجنا من ديارنا وأَبنائنا، فهذا الإخراجُ من أَعظم الدواعي لقتال العدو، فليس لنا عذرٌ في التأَخُّر عن القتال.

وقوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾: يُخبر تعالى أَنَّ أُولئك الملأُ من بني إِسرائيل لَمَّا أُمروا بالقتال تولَّى أَكثرُهم؛ أَي: أَعرضوا فلم يستجيبوا لله لَمَّا دعاهم لقتال عدوِّهم، لكن استجاب قليلٌ منهم. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦﴾: يعني: الناكلين عن القتال، وفي هذا تهديدٌ لهم بعقوبة الله في الدنيا أَو في الآخرة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ الجماعة ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾ موتِ ﴿مُوسَى﴾ أَي: إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾ هو: شمويل ﴿ابْعَثْ﴾ أَقِمْ ﴿لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ﴾ معه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تنتظمُ به كلمتُنا ونرجعُ إليه ﴿قَالَ﴾ النبيُّ لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بالفتح والكسر ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ خبرُ عسى، والاستفهامُ لتقرير التوقُّع بها ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ بسبيهم وقتلهم، وقد فعل بهم ذلك قومُ جالوت. أَي: لا مانع لنا منه مع وجود مُقتضيه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمِ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ عنه وجَبنوا ﴿إِلَّا

﴿قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهرَ مع طالوت كما سيأتي. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فمُجازيهم.

وقولُ المؤلِّف: (**الجماعة**): فسَّر الملأَ بالجماعة، وهذا أَحدُ القولين، وقيل: الملأُ: الأَشرافُ والرؤساءُ، وهذا هو المشهور في معنى الملأ[(١)].

وقولُه: (**موتِ**): يُبيِّنُ أَنَّ ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ على حذفِ مضافٍ تقديرُه: من بعد موتِ موسى، فعُلم بذلك أَنَّ قصةَ الملأ لم تكن في حياة موسى بل بعد موته.

وقولُه: (**أي: إلى قصتهم وخبرهم**): يُبيِّنُ أَنَّ معنى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾: أَلم تر إلى قصة الملأ.

وقولُه: (**شمويل**): هذا أَحدُ الأقوال في اسم هذا النبي، ولم يثبت بخبرٍ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذن: فلا يُجزم به.

وقولُه: (**أَقِمْ**): أَي: عيِّنْ وانصب ملكًا.

وقولُه: (**معه**): بيانٌ لمرادهم في بعث الملك، وكذلك قولُه: (**تنتظمُ به كلمتُنا ونرجعُ إليه**). وقولُه: (**بالفتح والكسر**): أَي: فتح السين وكسرها قراءتان، والفتح قراءة الجمهور[(٢)].

---

(١) اختار القول الأول: الراغب الأصبهاني، وابن عطية، والقرطبي، والبيضاوي، وابن عاشور. والمشهور أن الملأ هم الأشراف، واختاره: ابن قتيبة، والطبري، والزجاج، والبغوي، والرازي، وأبو حيان. **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٩٢)، و«المفردات» للراغب (ص٧٧٦)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٤٣٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٢٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٦١٤)، و«تفسير الرازي» (١/ ٦٠١)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٢٤٣)، و«تفسير البيضاوي» (١/ ١٤٩)، و«البحر المحيط» (٢/ ٥٥٩)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٤٨٤).

(٢) قرأ نافع وحده ﴿عَسِيْتُمْ﴾ بكسر السين؛ وقرأ الباقون ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بفتحها. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٠).

وقولُه: (**خبرُ عسى**): يريد: أَلَّا تقاتلوا.

وقولُه: (**والاستفهامُ...**) إلى آخره: يريد: الاستفهام بهل في قوله: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾.

وقولُه: (**بسبيهم وقتلهم**): بيانٌ لمعنى إخراجهم من أبنائهم.

وقولُه: (**وقد فعل بهم...**) إلى آخره: بيانٌ للعدو الذي أَخرجهم من ديارهم وأَبنائهم، ويدلُّ له قولُه تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾.

وقولُه: (**لا مانعَ لنا منه**): تفسيرٌ لقولهم: ﴿وَمَا لَنَا﴾.

وقولُه: (**مع وجود مُقتضيه**) وهو الإِخراجُ من الديار والأبناء.

وقولُه: (**عنه**): يعني: تولوا عن القتال؛ أَي: أعرضوا وجبنوا.

وقولُه: (**وهم الذين...**) إلى آخره: فسَّر القليلَ في هذه الآية بالقليل في قوله: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ولهذا قال: (كما سيأتي).

وقولُه: (**فمُجازيهم**): بيانٌ للمراد من ذكر العلم، وهو الوعيدُ بالمجازة على الظلم.



وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٤٧﴾ [البقرة: ٢٤٧]:

يُخبر تعالى أَنَّ نبيَّ بني إسرائيل الذي طلبوا منه أن يُعيِّنَ لهم ملكًا يقاتلون معه عدوَّهم الذي أَخرجهم من ديارهم وأبنائهم، وهو جالوتُ وجنودُه، أَنَّ نبيَّهم قال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾: فيحتمل أَنَّ بعثَ طالوت كان بوحي من الله على النبيِّ، ولعلَّ النبيَّ قد دعا ربَّه أَن يبعثَ له ملكًا منهم، فبعث اللهُ طالوتَ، ويحتملُ أَنَّ النبيَّ اختارَ طالوتَ لما رأى فيه من الصفات الحسيةِ والمعنويةِ التي تُأَهِّلُه لقيادة الجيش، ولكن بني إسرائيل كعادتهم لم يستجيبوا لنبيهم في اختيار طالوت، ولهذا قالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾؛ يعني: كيف يكون ملكٌ علينا ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾، ولعلَّ طالوتَ لم يكن من أَشرافهم(١).

قالوا: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ فيُقدَّمُ علينا بسببه، فردَّ عليهم النبيُّ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ يعني: اختاره وفضَّله ببسطةٍ في العلم: من سعةِ العلم ووفرةِ العقل، وببسطةٍ في الجسم: طولًا وقوةً.

وقولُه: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٤٧﴾: يحتملُ أَن يكون من تمام كلامِ النبي، ويحتملُ أَن يكون كلامًا مُستأنفًا للدلالة على أَنَّ مردَّ الاصطفاء والتفضيلِ إلى مشيئة الله، وأَنَّ اللهَ واسعُ الفضل والعطاء، عليمٌ بمَن يستحقُّ ذلك ومن لا يستحق(٢).

(١) قال المفسرون: إنما أنكروا أن يكون ملكًا عليهم؛ لأنه لم يكن من سبط النبوة، ولا من سبط المملكة، بل كان فقيرًا من أخمل سبط في بني إسرائيل. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٤٨-٤٥٤)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٥-٦).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٥٦)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٧)، و«البحر المحيط» (٢/ ٥٧٦)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٤٩٢).

وسأل النبيُّ ربَّه إِرسالَ ملكٍ، فأَجابَه إلى إِرسال طالوت ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأَنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة، وكان دبَّاغًا أَو راعيًا ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ يستعينُ بها على إِقامة المُلك ﴿قَالَ﴾ النبيُّ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختاره للمُلك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ سعةً ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وكان أَعلمَ بني إسرائيلَ يومئذٍ وأَجملَهم وأَتمَّهم خَلقًا ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إِيتاءه، لا اعتراضَ عليه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضلُه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمَن هو أَهلٌ له.

وقولُ المؤلِّف: (**وسأل النبيُّ...**) إلى آخره: ذكر المفسرون أَنَّ هذا النبيَّ لَمَّا طلب منه بنو إسرائيل أَن يبعث ملكًا دعا ربَّه فبعث اللهُ طالوت، وذكر المفسرون أنه كان فقيرًا، وليس من بيت المُلك فيهم، ولذلك قالوا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا...﴾ إلى آخر كلامهم.

وقولُه: (**كيف**): تفسيرٌ لقوله في الآية: ﴿أَنَّى يَكُونُ﴾، وهو استفهامٌ يُفيد التعجُّب أو الاستنكار.

وقولُه: (**لأنه ليس من سبط المملكة...**) إلى آخره: هذا مأخوذٌ من الروايات الإسرائيلية التي لا يُجزم بها.

وقولُه: (**يستعينُ بها على إِقامة المُلك**): هذا توجيهٌ لاعتبار سعة المال مسوغ لاصطفائه ملكًا. وقولُه: (**اختاره للمُلك**): تفسيرٌ لقوله: ﴿اصْطَفَاهُ﴾، والاصطفاءُ: افتعالٌ من الصفو، قُلبت فيه التاءُ طاءً لاتصالها بالصاد وتقارب مخرجيهما، فأصلُ الكلمة «اصْتَفَاه»[(١)].

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٢٨)، و«تفسير الفاتحة والبقرة» لابن عثيمين (٣/ ٢١٣).

وقولُه: (**سعةً**): تفسيرُ بسطة، والكلمةُ مأخوذةٌ من البسط؛ وهو التوسعةُ؛ كما قال تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٢٦][(١)].

وقولُه: (**وكان أعلمَ بني إسرائيل...**) إلى آخره: بيانٌ لحاله في العلم والجسم.

وقولُه: (**إيتاءه**): تقديرٌ لمفعول ﴿يَشَاءُ﴾.

وقولُه: (**لا اعتراض عليه**): لأَنَّ تدبيره لحكمةٍ بالغة وبمشيئةٍ نافذةٍ.

وقولُه: (**فضلُه**)، وقولُه: (**بمن هو أَهل له**): هذا بعضُ ما دلَّ عليه الاسمان الشريفان من أسماء الله، ومعناهما أَوسعُ مما ذكر المؤلِّفُ.



---

(١) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٩٢)، و«المفردات» للراغب (ص١٢٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٤٨﴾ [البقرة: ٢٤٨]:

يُخبرُ تعالى عن نبيٍّ بني إسرائيل أنه قال لهم: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾؛ أَي: علامةَ أَهليةِ طالوت للملك، وأَنَّ اللهَ بعثه لكم ملكًا؛ إِنَّ آيةَ ذلك: ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾؛ وهو صندوقٌ له شأنٌ عند بني إسرائيل، روى فيه ابنُ جريرٍ عن وهب بن منبه[١] وغيرِه رواياتِ إسرائيلية عجيبةٍ لا يتوقف عليها ما أُريد منَّا فهمُه من القرآن[٢].

قال النبيُّ: ﴿فِيهِ﴾: أَي: في التابوت ﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، واختلف المفسرون في المراد بالسكينة؛ قيل: هي طمأنينةٌ تحصل لهم عند وجود التابوت، فتقوى عزائمُهم وشجاعتُهم، وعلى هذا فالسكينةُ أَمرٌ معنويٌّ، وقيل: إنها شيءٌ معيَّنٌ موضوعٌ في التابوت، واختلفت عباراتُ أَصحابِ هذا القول عن المراد بالسكينةِ، والقولُ الأَوَّلُ أَظهرُ[٣]، وروى ابنُ جريرٍ أَقوالَ المفسرين في السكينة عن جماعةٍ من السَّلف عن عليٍّ وابنِ عباس ومجاهدٍ والسُّدي ووهبِ بن منبه[٤]، وكلُّها من نوع الإسرائيليات، ومنها ما هو قريبٌ

(١) وهب بن منبه، أبو عبد الله، اليماني، صاحب الأخبار والقصص، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء، وسير الملوك، ولد في زمن عثمان سنة (٣٤هـ)، ورحل وحج، وثقه أبو زرعة والنسائي وجماعة، وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب، توفي سنة (١١٠هـ) وقيل: بعد ذلك. **ينظر**: «الطبقات» لابن سعد (٥/ ٥٤٣)، و«السير» (٤/ ٥٤٤).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٥٩-٤٦٣).

(٣) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٦٧-٤٧١)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٦٦-٦٦٧).

(٤) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٦٧-٤٧٠).

ومنها ما هو غريبٌ، وروى عن ابن جريجٍ[(١)] عن عطاء: أَنَّ السكينةَ هي الآيات التي تسكنُ إليها النفسُ[(٢)]، واختار ذلك ابنُ جرير، وأَنَّ ذلك يعمُّ كلَّ ما قيل في المراد بالسكينة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَولى هذه الأَقوال بالحقِّ في معنى السكينة، ما قاله عطاءُ بن أَبي رباح، من الشيءِ تسكنُ إليه النفوسُ من الآيات التي تعرفونها»، ثم قال: «وإذا كان معنى السكينة ما وصفت، فجائزٌ أَن يكون ذلك على ما قاله عليٌّ ومجاهدٌ ووهبُ بن منبه والسُّديُّ»[(٣)].

وقولُه: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾: قيل: إنها بعضُ الأَلواحِ التي كتب اللهُ فيها التوراةَ لموسى، وذكر ابنُ جريرٍ في المراد بالبقيَّة أَقوالًا كثيرةً واختارَ أَنَّها كلَّها جائزةٌ، فلا يُجزَمُ بتضعيف شيءٍ وتصويب شيءٍ[(٤)]، وكلُّها من نوع الإسرائيليات، وما ذهب إليه ابنُ جرير هو معنى الحديث: ((إذا حدثكم أهل الكتاب؛ فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم))[(٥)].

وقوله: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أَي: تأتي به الملائكةُ تحمله في الهواء؛ أي: وأنتم تشاهدون ذلك، وتعريف التابوت بـ«أل» يدلُّ على أَنَّه تابوتٌ معروفٌ لهم؛ قاله ابنُ جريرٍ ورجَّحه[(٦)].

وجملةُ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾: يُحتملُ أَنَّ تكون من تمام كلام نبيِّ بني إسرائيل، ويَحتملُ أَن تكون مُستأنفةً؛ خطابٌ للمؤمنين أَصحابِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فعلى الاحتمالِ الأَوَّلِ: اسمُ الإشارةِ يرجعُ إلى إِتيان التابوت

---

(١) ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الروميّ الأموي، أبو خالد، وقيل: أبو الوليد، كان إمامًا حافظًا فقيهًا، له مصنفات؛ منها «التفسير» وغيره، توفي سنة (١٥٠هـ). **ينظر**: «السير» (٦/ ٣٢٥)، و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٣٥٨).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٧١).

(٣) «تفسير الطبري» (٤/ ٤٧٢).

(٤) «تفسير الطبري» (٤/ ٤٧٢-٤٧٧).

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة بنحوه.

(٦) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٦٦).

تحمله الملائكة، وعلى الاحتمال الثاني: اسمُ الإِشارة يرجعُ إِلى قصة الملأِ من بني إسرائيل مع نبيهم[١]، وجوابُ الشرط ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ محذوفٌ دلَّ عليه ما قبله.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لَمَّا طلبوا منه آيةً على مُلكه ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوقُ، كان فيه صورُ الأَنبياء، أَنزله اللهُ على آدم واستمرَّ إليهم فغلبتهم العمالقةُ عليه وأَخذوه، وكانوا يستفتحون به على عدوِّهم ويُقدمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ طُمأنينةٌ لقلوبكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ أَي: تركاه هما ـ وهو نعلا موسى وعصاه، وعمامةُ هارون وقَفِيزٌ من المنِّ الذي كان ينزل عليهم، ورضاضٌ من الألواح ـ ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حالٌ من فاعل «يأتيكُم». ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾ على مُلكِه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فحملته الملائكةُ بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه، حتى وضعته عند طالوت، فأقرُّوا بمُلكه وتسارعوا إلى الجهاد، فاختار من شُبَّانهم سبعينَ أَلفًا.

وقولُ المؤلِّف: (لَمَّا طلبوا): معنى هذا: أَنَّ بني إسرائيل لم يُصدقوا نبيَّهم أَنَّ اللهَ بعث طالوت ملكًا عليهم حتى يأتيهم بآيةٍ تدلُّ على صِدقه، وهذا ما ذكره المفسِّرون، وليس هذا بمستبعدٍ من بني إسرائيل؛ لِمَا عُرف من تعنُّتهم على أَنبيائهم، ولكن ليس في القرآن تصريحٌ بذلك، وقولُ نبيِّهم: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾: يحتمل أَن يكون جوابًا لطلبهم آية، ويحتمل أَن يكون ذلك تأكيدًا لخبره؛ لأَنَّ اللهَ بعث لهم طالوت ملكًا.

---

(١) ينظر: «تفسير البيضاوي» (١/ ١٥١).

وقولُه: (**الصندوق...**) إلى آخره: ما ذكرَهُ من شأنِ التابوتِ وما فيه هو من الأخبارِ الإسرائيليَّةِ، والَّذي يجبُ الإيمانُ به هو ما تضمَّنَه قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ...﴾ إلى قوله: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾، واللهُ أعلمُ.

وقولُه: (**طُمأنينةٌ لقلوبكم**): بيانٌ للمراد بالسكينة، وهو أَجود ما قيل في تفسيرها.

وقولُه: (**تركاه هما...**) إلى آخره: جمعَ في هذه العبارة أَكثر أَقوال المفسرين في المراد بالبقيَّة، وكلُّها أَقوالٌ إسرائيليةٌ لا يمكن الجزمُ منها بشيءٍ.

وقولُه: (**حالٌ...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ جملةَ ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ في محلِّ نصبٍ على الحال من ﴿التَّابُوتُ﴾، وهو فاعلُ «يأتي».

وقولُه: (**فحملته الملائكةُ...**) إلى آخره: هذا بعضُ ما جاء في الروايات الإسرائيلية، فاللهُ أعلم.



وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ
فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ
بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ
لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ
كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ
جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ
ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩-٢٥٢]:

يُخبر تعالى عن طالوت أنه بعدما صار ملكًا على الجنود من بني إسرائيل حين رأَوا الآيةَ التي ذكرها نبيُّهم آيةً لملك طالوت فصدَّقوا نبيَّهم وأَقرُّوا بمُلك طالوت عليهم واستعدُّوا للقتال والخروج مع طالوت فخرجَ بهم، فلمَّا فصل من البلد؛ أَي: فارقَ البلدَ وسار بهم، يخبر تعالى أَنَّه قال لجنوده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: أَي: سيبتليكم؛ أَي: يختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ سنأتي عليه في طريقنا، فلا تشربوا منه، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾: أَي: ليس من أَصحابي ولا يتَّبعني، ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: أَي: لم يَذقْه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾: أَي: من أَصحابي وجندي.

وقولُه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾: أَي: فلا حرج عليه ولا يمنعه ذلك من صحبتي، والاستثناء من قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، ومن قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾، فإِنَّ مَن اغترفَ غُرفةً فقد شرب قدرًا من الماء، وطَعِم الماءَ؛ أَي: ذاقه.

ثم أَخبر تعالى أَنَّ أَكثَرَ الجنود شربوا من النهر، وقليلٌ منهم لم يشرب، وهؤلاء القليل منهم من لم يَطعَم الماء، ومنهم مَن اغترف غُرفةً بيده، فصار جنودُ طالوت ثلاثَ طوائف:

طائفةٌ شربوا: قيل معناه: كرعوا[١] يشربون من النهر بأَفواههم، وهؤلاء هم الأكثرون، قيل: كان الجنودُ ثمانينَ ألفًا، فشرب منهم ستةٌ وسبعون ألفًا[٢].

والطائفةُ الثانيةُ: هم الذين لم يَطعموا ماءَ النهر.

والثالثةُ: هم الذين اغترفوا غرفةً واحدةً، وقُرِئَ بفتح الغين من ﴿غَرْفَةً﴾، وبضمِّها[٣]، واختار ابنُ جرير قراءةَ ضم الغين وقال: هي اسمٌ للماء المغترَف بالكف، وبالفتح هي: المرَّةُ من الغرف؛ بمعنى: الاغتراف[٤].

وأَخبر تعالى أَنَّ طالوتَ ومَن ثبتَ معه ـ وهم: الطائفةُ الثانيةُ والثالثةُ ـ لَمَّا جاوزوا النهرَ ضَعُفَ أَكثرُهم وخافوا من العدو، وقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾، فثبَّتهم إخوانُهم الموقنون بوعد الله، الذين يظنُّون أَنهم مُلاقو الله؛ فقالوا لهم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾، وذلك قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ﴾؛ أَي: جاوز طالوتُ النهرَ، والذين معه؛ أَي: جاوزوا النهرَ، فعُلم بذلك أَنَّ الذين شربوا من النهر ردَّهم طالوتُ وبقي معه الذين لم يشربوا، لكنَّ أكثرَهم هابوا القتال فنَصَحَهم إِخوانُهم فثبتوا وبرزوا لقتال جالوت وجنوده؛ أَي: صاروا في

---

(١) الكرع: أن يشرب الرجل بفيه من النهر غير أن يشرب بكفيه أو بإناء. «تهذيب اللغة» (١/ ٢٠١).

(٢) قاله السدي. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٨٧-٤٨٨).

(٣) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿غَرْفَةً﴾ بفتح الغين. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿غُرْفَةً﴾ بضمها. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٨٦-١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٠).

(٤) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٨٦).

البراز، وهو المكانُ المتسعُ من الأَرض[(١)]، فلمَّا برزوا لقتال العدو دعوا ربَّهم واستنصروه فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾؛ أي: أَنزل علينا، ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ فلا نَفِر، ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾؛ وهم: جالوتُ وجنودُه، فصبَّرهم اللهُ وثبَّتهم ونصرَهم على جالوت وجنودِه، ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾، وكان في جند طالوت نبيُّ الله داود، فقتل داودُ جالوتَ، ولعلَّ ذلك قبل أَن يكون نبيًا.

وقد روى ابنُ جرير رواياتٍ إسرائيليةٍ في شأن طالوت وجنوده والنهر، وصفةِ قتلِ داودَ لجالوت[(٢)]، وكلّها مما لا يُصدَّقُ ولا يُكذَّبُ، أَمَّا ما دلَّ عليه القرآنُ فيجب الإيمانُ به والقطعُ بصحَّته مثل: أَنَّ الملأ من بني إسرائيل سألوا نبيَّهم أَن يبعث لهم ملكًا يُقاتلون معه، وأَنَّ اللهَ بعث لهم طالوتَ ملكًا، وجعل له آيةً تدلُّ على أَنَّ اَللهَ بعثه ملكًا عليهم، وهي: أَن يأتيهم التابوتُ تحملُه الملائكةُ، وأَنَّ طالوتَ سار بجنوده، وأَنهم ابتُلوا بنهرٍ ونهاهم طالوتُ عن الشرب منه، وأَنهم صاروا في الشرب من النهر طوائف، وأَنهم برزوا لقتال جالوت وجنودِه، وأَنهم هزموهم وقتلَ داودُ جالوتَ، كلُّ هذا يجبُ القطعُ به لدلالة القرآن عليه، وما سوى ذلك مما ذُكر في الروايات الإسرائيليةِ فمشكوكٌ فيه لا يُصدَّقُ ولا يُكذَّبُ.

وقولُه تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: أَي: آتى اللهُ داودَ الملكَ على بني إسرائيل، والحكمة: وهي النبوة[(٣)]، ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾: من العلوم الدينية والسياسية والصناعية. وقولُه تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾: كدفع الكافرين بجهاد المؤمنين؛ ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ بنشر

---

(١) ينظر: «المفردات» (ص١١٨). (٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٩٨-٥١٣).

(٣) ينظر: «الوجوه والنظائر» لمقاتل (ص٧٣)، و«نزهة الأعين النواظر» (ص٢٦٢).

الكفر والشرك والمعاصي وهدم بيوت العبادة. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ﴾: أي: إحسانٍ ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾، بإقامة الدِّين ونصرِ المؤمنين على الكافرين.

وقولُه تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: الإشارةُ لِمَا تقدَّم من الآيات وغيرها من آيات القرآن، يتلوها جبريلُ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحق؛ أي: مشتملةً على الحقِّ صدقًا في الأَخبار وعدلًا في الأحكام، ليتلوها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الناس؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢﴾: خبرٌ من الله وبشارةٌ بأَنَّ محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من رُسل اللهِ الذين اصطفاهم وأَرسلهم بالبينات، وأَنزل عليهم الكتابَ والحكمةَ، وجعلهم حجَّةً على عباده، وأَخرج بهم مَن شاء من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى الصِّراط المستقيم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرجَ ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حرًّا شديدًا، وطلبوا منه الماءَ ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مُختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي. وهو بين الأُردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أَي: من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أَي: من أَتباعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقْهُ ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غَرْفَةً﴾ بالفتح والضَّمِّ ﴿بِيَدِهِ﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها؛ فإنَّه منِّي. ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لَمَّا وافوه بكثرةٍ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فاقتصروا على الغُرفة. روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم، وكانوا ثلاثمائة وبضعةَ عشر[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٧) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: حدثني أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن شهد بدرًا: «أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت، الذين جازوا معه النهر، بضعة عشر وثلاث مائة»، قال البراء: «لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن».

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغُرفة ﴿قَالُوا﴾ أَي: الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ﴾ قوَّةَ ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أَي: بقتالهم. وجبنوا ولم يُجاوزوه. ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾ بالبعث، وهم الذين جاوزوه ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى: كثيرٍ ﴿مِنْ فِئَةٍ﴾ جماعةٍ ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإِرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنَّصرِ.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أَي: ظهروا لقتالهم وتصافُّوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ اصبُبْ ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ كسروهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإِرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ﴾ أَي: داود ﴿اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في بني إِسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوَّةَ بعد موت شمويل وطالوت، ولم يجتمعا لأَحدٍ قبله ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصنعة الدُّروع ومَنطقِ الطير. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل بعض من «الناس» ﴿بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبةِ المشركين وقتلِ المسلمين وتخريبِ المساجد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فدفع بعضَهم ببعضٍ.

﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ نقصُّها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمَّد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصِّدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. التأكيد بـ«إن» وغيرها ردٌّ لقول الكفَّار له: «لَستَ مُرسَلًا».



وقولُ المؤلِّف: (خرج): أَي: فارقَ البلد.

وقولُه: (من بيت المقدس...) إلى آخره: هذا مما ذُكر في المرويات عن بني إسرائيل.

وقولُه: (**وهو بين الأُردن وفلسطين**): هذا يقتضي أنَّه نهرٌ معيَّنٌ، والنهرُ في الآية مُنكَّرٌ، واللهُ أَعلم.

وقولُه: (**أَي: من مائه**): هذا بدهيٌّ لا يحتاج إلى تفسير.

وقولُه: (**من أَتباعي**): أَي: من جند الذين يُقاتلون معي.

وقولُه: (**يذقْهُ**): يُقال: طعمَ الماءَ والشرابَ: ذاقَه، بوضع شيءٍ منه في فمه.

وقولُه: (**بالفتحِ والضَّمِّ**): يُشير إلى القراءتين؛ يعني: قُرِئَ بفتح الغين وضمِّها.

وقولُه: (**ولم يزد عليها**) يعني: غرفَ بيده غرفةً واحدةً.

وقولُه: (**لَمَّا وافوه**): أَي: النهر، وافوه: أَي: وصلوا إليه.

وقولُه: (**فاقتصروا على الغرفة...**) إلى آخره: هذا مما ذُكر في الروايات الإسرائيلية.

وقولُه: (**هم الذين اقتصروا على الغرفة**): وأَولى منهم مَن لم يطعمِ الماءَ؛ لقول طالوت: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾.

وقولُه: (**الذين شربوا**): هذا غلطٌ من المؤلِّف؛ فإن الذين شربوا لم يجاوزوا النهر؛ لقوله عن طالوت: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾.

وقولُه: (**وجبنوا ولم يجاوزوه**): يريد: الذين شربوا لم يُجاوزوا النهر، وهم: الذين قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾، كما صرَّح به قبل، وظاهرُ القرآن أَنَّ الذين قالوا: ﴿لا طاقةَ لنا اليومَ بجالوت وجنوده﴾؛ هم كثيرٌ ممن جاوزَ النهر مع طالوت[١].

---

(١) وهو قول عن البراء، والحسن، وقتادة، والربيع، وابن زيد: أنه ما تجاوز النهر إلا مؤمن. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٨٩-٤٩٦)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ١٤)، و«زاد المسير» (١/ ٢٢٦).

وقولُه: (**يوقنون**): فسَّرَ الظنَّ باليقين، وهذا أَحدُ معاني الظنِّ، وهو المناسبُ للسياق في هذه الآية.

وقولُه: (**وهم الذين جاوزوه**): ظاهرُه أَنَّ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾، وقالوا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾؛ هم كلُّ الذين جاوزوا النهرَ مع طالوت، وظاهرُ القرآن أَنهم طائفةٌ منهم.

وقولُه: (**ظهروا لقتالهم**): تفسيرٌ لقوله: ﴿بَرَزُوا﴾، والمعنى: ظهروا في براز من الأرض؛ أي: مُتَّسع.

وقولُه: (**ولم يجتمعا لأَحدٍ قبلَه**): أَي: النبوةُ والملكُ.



قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣]:

يُخبر تعالى أَنَّ الرسلَ الذين سبق ذكرُهم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ قد فضَّل بعضَهم على بعضٍ، وخصَّ مَن شاء منهم بما شاء من التفضيل؛ فمنهم مَن كلَّمه اللهُ؛ كموسى ومحمد ـصلى الله عليهما وسلمـ، ومنهم مَن رَفعه الله درجاتٍ؛ كإبراهيم ومحمد ـعليهما الصلاة والسلامـ، وذلك قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾، وقوله: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، لا يُعارضه قولُه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((لا تفضلوا بين أنبياء الله))[١]، وقولُه: ((**لا تخيروني على موسى**))[٢]، أي: لا تفضلوني، وأَحسن ما قيل في الجمع: أَنَّ النهيَ عن التفضيل ما يكون على وجه التعصُّب للمفضَّل، أو على وجه الازدراء للمُفضَّل عليه، وذُكر في الجمع وجوهٌ أُخرى[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: أَي: الحججَ الواضحاتِ، ويدخل فيها إِيتاءَ الإنجيل وما ذكر من خَلْقِ الطيرِ وإِبراءِ الأَكمه والأَبرصِ وإِخراجِ الموتى، وكلُّ ذلك بعلم الله.

وقولُه: (**أَيَّده**): أَي: قوَّاه، ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جبريل، وقيل: هو العلمُ الذي أَوحاه اللهُ إلى عيسى؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، والقولُ الأَولُ أَشهرُ[٤]، وأخبر أنه آتى عيسى ابن مريم البينات

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٣) وهناك أجوبة أخرى بلغت خمسة أوجه. **ينظر**: «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٥٦-٥٧) وما بعدها، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (٣/ ١٤٣-١٤٤)، و«شرح مسلم» للنووي (١٥/ ٣٧-٣٨)، و«فتح الباري» (٦/ ٤٤٤).
(٤) تقدم في (ص ١٩٠) في الآية ٨٧.

وأيَّده بروح القدس؛ وهو جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾، وفضَّل سبحانه عيسى بن مريم بما آتاه من البينات، وأيَّده بروح القدس؛ وهو جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: يعني تعالى: أَنَّ الذين اقتتلوا من بعد ما جاءتهم الرسلُ بالبينات أَنَّ اقتتالهم بمشيئة الله وتقديره، ولو شاء اللهُ ما اقتتلوا، وسببُ ذلك أنهم اختلفوا، فمنهم مَن آمن ومنهم مَن كفر، وهو ما بيَّنه تعالى بقوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَ﴾، ثم أكَّد تعالى أَنَّ الاقتتالَ بين المؤمنين والكفار كان بإرادته؛ أَي: الإرادة الكونية، ولو شاء اللهُ أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾، فلا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّبَ لحكمه، وله الحكمةُ البالغةُ فيما يفعل ويريد.

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأٌ ﴿الرُّسُلُ﴾ صفةٌ، والخبرُ ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقَبةٍ ليست لغيره ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أَي: محمدًا ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على غيره؛ بعمومِ الدَّعوة، وختمِ النبوَّة به، وتفضيل أُمَّته على سائر الأُمم، والمعجزاتِ المتكاثرةِ، والخصائص العديدة ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قوَّيناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل، يسير معه حيث سار.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هُدى الناسِ جميعًا ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرُّسل؛ أَي: أُممهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ لاختلافهم وتضليلِ بعضِهم بعضًا ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

مَا اقْتَتَلُوا﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق مَن شاء وخذلان مَن شاء.

وقولُ المؤلِّف: (**بتخصيصه...**) إلى آخره: يعني: أَنَّ التفضيلَ لبعضهم يكون بإِعطاء فضيلةٍ لم يُعطَ غيرُه مثلها؛ كتكليم اللهِ لموسى، وخلقِ آدم بيديه.

وقولُه: (**أَي: محمدًا**): رفع الدرجات لا يختصُّ بمحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد جاء في القرآن ذِكرُ رفعِ الدَّرجات لإبراهيمَ ويوسفَ وإدريسَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لكنَّ محمدًا أَرفعُهم درجات.

وقولُه: (**على غيره...**) إلى آخره: يريد: أَنَّ محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُضِّل على غيره من الأنبياء والرُّسلِ بفضائلَ كثيرةٍ، منها ما ذكره المؤلِّفُ.

وقولُه: (**يسير معه حيث سار**): هذا تفسيرٌ للتأييد، وهذا التفسيرُ يحتاج إلى دليلٍ، فيكفي قولُه: (**قوَّيناه**).

وقولُه: (**أَي: أُممهم**): تفسيرٌ للاسم الموصول في قوله: ﴿الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

وقولُه: (**لاختلافهم...**) إلى آخره: بيانٌ لسبب الاقتتال، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾.

وقولُه: (**لمشيئته ذلك**): بيانُ أَنَّ سببَ الاقتتالِ ـوهو: الاختلافـ واقعٌ بمشيئته تعالى. وقولُه: (**كالنصارى**): تخصيصُ المؤلِّف النصارى بالذكر بمناسبة ذكر عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ في أَوَّل الآية.

وقولُه: (**من توفيق مَن شاء...**) إلى آخره: بيانُ أَنَّ التوفيقَ والخذلان من أفعاله تعالى، وأَنَّ ذلك بإرادته التي بمعنى المشيئة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].



وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤]:

هذا أَمرٌ من الله لعباده المؤمنين بالإنفاق مما رزقهم من المال ما داموا في هذه الحياةِ التي جُعلت ميدانًا للتسابق في الخيرات، وأَن يُبادروا قبل أَن يأتيَ اليومُ الذي لا يخلصُ مِن شرِّه بيعٌ؛ وهو ما يكون بالافتداء، ولا فيه خُلَّةٌ يدفع بها الخليلُ عن خليله، وليس فيه شفاعةٌ تُقبَل من الشافع وتنفعُ المشفوع له، وهذا الأمر بالإنفاق مُتصلٌ بما تقدَّم من الأمر بالقتال في سبيل الله [آية: ٢٤٤]، ومؤكِّدٌ للترغيب في إقراض الله قرضًا حسنًا [آية: ٢٤٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾: بيانٌ لأَخسر الناس في ذلك اليوم، فلا يُنجيهم من عذاب الله فديةٌ ولا شفاعةٌ ولا مودَّةٌ، كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ زكاتَه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ﴾ فداءٌ ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ صداقةٌ تنفع ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ بغير إذنه، وهو يومُ القيامة. وفي قراءةٍ: برفع الثلاثة. ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله، أَو بما فرضَ عليهم ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم أَمرَ الله في غير محلِّه.

وقولُ المؤلِّف: (**زكاتَه**): هذا يقتضي قصرَ مقصود الآية على الزكاة، وليس بظاهرٍ؛ فإِنَّ الآيةَ عامَّةٌ ومُطلَقَةٌ، فيدخل فيها جميعُ النفقات الواجبة والمستحبة.

وقولُه: (**فداءٌ**): فسَّر البيعَ المنفيَّ بالفداء؛ لأَنَّ المتوعَّد بالعقاب يريد أَن يشتري نفسَه بمالٍ يدفعه؛ اسمه: الفداءُ أَو الفديةُ.

وقولُه: (**صداقةٌ تنفع**): فسَّر الخُلَّةَ بالصداقة، والصداقةُ تتضمَّن المحبةَ، وإذا كَمُلت صارت خُلَّةً، وقيَّدها بالتي تنفعُ؛ لأَنَّ المقصودَ في ذلك اليوم هو النفع؛ وهو: التخليصُ من العذاب.

وقولُه: (**بغير إذنه**): بيانٌ للشفاعة المنفيَّة؛ لأَنَّ الشفاعةَ المثبتةَ هي التي تكون بإذن الله ورضاه. وقولُه: (**وفي قراءةٍ...**) إلى آخره: بيانُ أَنَّ في الكلمات الثلاث: ﴿بيعٌ﴾، و﴿خُلَّةٌ﴾، و﴿شفاعةٌ﴾؛ قراءتين، إِحداهما بنصب الثلاث؛ وهي: التي مشى عليها المؤلِّف، والثانيةُ: برفع الكلماتِ الثلاث؛ وهي قراءةُ الجمهور[1].

وقولُه: (**أو بما فرض عليهم**): أَي: بما فرض عليهم الإيمان به؛ كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل.

وقولُه: (**لوضعهم أَمرَ الله...**) إلى آخره: هذا راجعٌ إلى أَصل معنى الظلم؛ وهو وضعُ الشيءِ في غير موضعه، فالكفارُ المشركون عبدوا مع الله غيرَه، فوضعوا العبادةَ في غير موضعِها.



(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: ﴿لا بَيْعَ فِيهِ وَلا خُلَّةَ وَلا شَفاعَةَ﴾ بالنصب في كل ذلك بلا تنوين، وقرأ الجمهور كلّ ذلك بالرّفع والتنوين. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٨٧)، و«النشر» (٢/ ٢١١).

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

هذه الآيةُ أَعظمُ آيةٍ في كتاب الله، وتُسمَّى: آيةَ الكرسي؛ لذكرِ كرسيِّ الربِّ فيها، وقد افتُتِحت بكلمة التوحيد: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وبذكرِ اسمين جامعين من أَسماء اللهِ الحسنى؛ وهما: الحيُّ القيوم؛ فاسمُه الحيُّ يرجع إليه جميعُ الصفات الذاتية، واسمُه القيُّومُ ترجعُ إليه جميعُ الصفات الفعلية[1].

وقولُه تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾: تنزيهٌ لله عن السِنَةِ والنوم، وفيه تأكيدٌ لكمال حياتِه وقيُّوميَّته، والسِّنَةُ: مبدأُ النوم[2]، والنومُ أَخو الموت، واللهُ حيٌّ لا يموت.

وقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: اللام: للملك؛ فالمعنى: أنه مالكُ السماوات والأرض ومدبِّرُهما.

وقولُه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾: ﴿مَن﴾: اسمُ استفهام إنكاري، يدلُّ على النفي؛ فالمعنى: لا أَحد يشفع عنده إِلَّا بإذنه، وهذا يدلُّ على كمال مُلكِه، والإذنُ: كونيٌّ شرعيٌّ؛ فيكون المعنى: إِلَّا بمشيئته ورضاه.

وقولُه تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾: إِخبارٌ لكمال علمه سبحانه، وإحاطته بما تقدَّم وما تأَخَّر. ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: ما قبله. ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾: ما بعده.

وقولُه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: إِخبارٌ عن قصور علمِ العبادِ، وأَنهم لا يعلمون إِلَّا ما علَّمهم.

---

(١) ينظر: «الصواعق المرسلة» (٣/ ٩١١-٩١٢)، و«مدارج السالكين» (٤/ ١٧٦)، و«شرح الطحاوية» لشيخنا (ص٩٠).

(٢) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٩٣).

وقولُه: ﴿بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾: أَي: بشيءٍ مما يعلمه سبحانه، فيكون العلمُ بمعنى: المعلوم، والمصدرُ مُضافٌ إلى فاعله، وقيل: بشيءٍ من علم ذاتِه وأَسمائه وصفاتِه[(١)]، والضميرُ المجرورُ على التقديرين راجعٌ إلى الله، وهذا النفيُ يتضمَّنُ إِثباتَ كمال عظمته. وقولُه: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: أَي: إِلَّا بالذي شاءَه من المعلومات، أَو إِلَّا بمشيئته، فـ«ما» على الأَول موصولةٌ، وعلى الثاني مصدريةٌ.

وقولُه تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾: معناه: أَنَّ كرسيه تعالى أَوسعُ من السماوات والأرض، وقد وسعها، وقد جاء في الأثر: ((ما السماواتُ السَّبعُ في الكرسي إِلَّا كدراهمَ سبعةٍ أُلْقيت في ترس))[(٢)].

وقد اختلف العلماءُ في المراد بالكرسي؛ فقيل: ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾: علمُه، روي عن ابن عباس[(٣)]، وفي ثبوته عنه نظرٌ، ولعلَّه لا يصحُّ، وذلك لأمرين:

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٣٦-٥٣٧)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٢٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٧٦-٦٧٧)، و«التحرير والتنوير» (٣/ ٢٢).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧)، من طريق أصبغ بن الفرج، والطبري في التفسير (٤/ ٥٣٩) من طريق ابن وهب، كلاهما عن عبد الرحمن بن زيد، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وذكره. وهذا مرسل؛ لأن زيد بن أسلم تابعي، وعبد الرحمن بن زيد ضعيف جدًا كما في «الضعفاء الصغير» للبخاري (٢١٤)، و«الميزان» (٤٨٦٨).

(٣) روي عن ابن عباس ولا يصح عنه: أخرجه الطبري (٤/ ٥٣٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٠، برقم ٢٥٩٩)، واللالكائي في «السنة» (٣/ ٤٤٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٢٣٣) من طريق مطرف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: «علمه».
وخالف مطرفَ: سفيانُ الثوري؛ فرواه في «تفسيره» ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ١٩٩) ـ عن جعفر، عن سعيد بن جبير من قوله، وأخرجه عنه ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ١٨٥)، وعلّقه البخاري في «صحيحه» (٦/ ٣١)، والعهدة في هذا الاختلاف على جعفر بن أبي المغيرة، وخالفه مسلم البطين فرواه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كما سبق، وهو المحفوظ. =

الأول: أَنه لا يُعرف في اللغة إطلاقُ اسمِ الكرسي على العلم[(١)].

الثاني: أَنه خلافُ ما صحَّ؛ من أَنَّ المرادَ بالكرسي موضعُ القدمين[(٢)]،

= قال ابن منده: «ولم يُتابع عليه جعفر، وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير»، وأقره الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٤٨)، ثم قال: «قد روى عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كرسيه موضع قدمه، والعرش لا يقدر قدره». فكأنه يشير إلى أن هذه الرواية هي المحفوظة.

وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٣): «والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه الثوري وغيره عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: الكرسي: موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره، وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها، والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم، فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار».

(١) **ينظر**: «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٣)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٣٦٣-٣٦٥)، و«فتح الباري» (٨/ ١٩٩). وما جاء في بعض المراجع أن العلماء يقال لهم كراسي؛ فلجمعهم العلم، فإن مادة (كرس) الكاف والراء والسين أصل صحيح يدل على تلبد شيء فوق شيء وتجمعه. **ينظر**: «مقاييس اللغة» (٥/ ١٦٩)، و«لسان العرب» (٣/ ١٩٤).

(٢) أخرجه محمد بن أبي شيبة في «كتاب العرش» (رقم ٦١)، والدارمي في «الرد على المريسي» (١/ ٣٩٩)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (رقم ٥٨٦) و(١٠٢٠)، وعبد الرزاق في تفسيره (رقم ٣٠٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم ٢٦٠١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٨ -٢٤٩)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٩، رقم ١٢٤٠٤) ـومن طريقه الضياء في «المختارة» (رقم ٣٣١) و(٣٣٢)ـ، والحاكم في «المستدرك» (٣١١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٧٥٨) من طرق، عن سفيان الثوري، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، موقوفًا.

ورواية الطبراني: عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، بإسقاط مسلم البطين، وهو منقطع؛ لأن عمار الدهني لم يسمع من سعيد بن جبير، كما قال أبوبكر بن عياش. «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٥٥).

وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٥٢) و(٢/ ٥٨٢) من وجهين آخرين عن عمار الدهني، به.

وهذا الأثر عن ابن عباس: قال عنه الدارمي: «صحيح مشهور»، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وتعقبه الشيخ مقبل الوادعي في نسخته من «المستدرك» (٢/ رقم: ٣١٧٥): بأنه على شرط مسلم فقط؛ لأن البخاري لم يخرج لعمار الدهني، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٣) وقال: «رجاله رجال الصحيح»، وذكره الذهبي في «العلو» (ص٧٦)=

وهو القولُ المعتمدُ عند جمهور أهلِ السنَّةِ[(١)].

وقيل: الكرسيُّ: العرش.

وقيل: إنه غيره، وهو موضعُ قدمي الربِّ تعالى، وروي هذا عن ابن عباسٍ أيضًا كما تقدَّم، وله شواهدُ، وهو المشهورُ عند أهل السنَّةِ[(٢)].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾: الأَوَدُ: المشقةُ[(٣)]؛ فالمعنى: لا يشقُّ عليه حفظهما، ولا يُثقله، ونفي الأَوَدِ عنه يدلُّ على كمال قوَّته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾: خُتمت هذه الآيةُ بذكر هذين الاسمين؛ وهما: العليُّ العظيمُ، كما افتُتحت بذكر اسمين من أَسماء الله الحسنى؛ وهما: الحي القيوم، فتضمَّنت الآيةُ أَربعةً من أَسماء الله الحسنى عدا الاسم الجامع الله.

وفيها إِثباتُ كمال ملكه؛ لقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ومن كمال مُلكِه أَلَّا يشفع أَحدٌ إِلَّا بإذنه.

= وقال: «رواته ثقات». وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٠٢): «هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وتابعه يوسف بن أبي إسحاق، عن عمار الدهني».

وقد روي عن ابن عباس مرفوعًا: رفعه شجاع بن مخلد والضحاك، عن سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين به. أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٣٠)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص ٢١) وغيرهما، ولا يصح؛ كما قال العقيلي، والبيهقي، وابن كثير، وغيرهم.

وأورده الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٨) عن أبي موسى، والسدي، والضحاك، ومسلم البطين.

(١) قال الذهبي في «العرش» (١/ ٣٥٢): «وهذا القول في الكرسي نقل عن كثير من الصحابة والتابعين، منهم: ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، ومجاهد، وغيرهم». وينظر: «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص٥٤)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٣٦٣-٣٦٥)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٣٦٨-٣٧١).

(٢) تقدم، وينظر أيضًا الخلاف في: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٣٧-٥٤٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٤٩٠-٤٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢١-٣١٣)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٢٦-٢٨)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٨٠-٦٨١).

(٣) **ينظر**: «المفردات» للراغب (ص٩٧-٩٨).

وفيها: إثباتُ إِحاطةِ علمه بكلِّ ما تقدَّم وكلِّ ما تأَخَّر، وأَنَّ العبادَ ﴿لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، فلا يعلمون إِلَّا ما علَّمَه.

وفيها: إِثباتُ عُلوِّه وعظمتِه وكمالِ قوَّتِه وسعةِ مُلكِه.

ولِمَا اشتملت عليه من أَسماء الله الحسنى وصفاته العلى كانت أَعظمَ آيةٍ في كتاب الله.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ﴾ أَي: لا معبودَ بحقٍّ في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائمُ البقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾ المبالغُ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ نعاسٌ ﴿وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ أَي: لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أَي: الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أَي: من أَمر الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ لا يعلمون شيئًا من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أَن يُعلمهم به منها بإِخبار الرُّسلِ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل: أَحاط علمُه بهما. وقيل: مُلكه. وقيل: الكرسيُّ بعينه مُشتملٌ عليهما لعظمته، لحديث ((ما السماواتُ السبعُ في الكرسي إِلَّا كدراهمَ سبعةٍ أُلقيت في ترس)).

﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ يُثقلُه ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أَي: السماوات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوقَ خلقِه بالقهر ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبيرُ.

وقولُ المؤلِّف: (**الدائمُ البقاء**): تفسيرٌ للحياة بلازمها؛ لأَنه الحيُّ الذي لا يموت، والحياةُ من لوازم ذاته أزلًا وأبدًا.

وقولُه: (**المبالغ...**) إلى آخره: لأَنَّ «قيوم» و«قيام» صيغةُ مبالغةٍ تدلُّ على كمال قيامِه بنفسه تعالى، وكمالِ قيامه على خلقه بالتدبير.

وقولُه: (**ملكًا...**) إلى آخره: يُبينُ أَنَّ اللام للملك، فتدلُّ الجملةُ على أَنَّ ما في السماوات وما في الأرض من العوالم ملكُه وعبيدُه؛ لأَنَّه خالقهم ومدبِّرهم.

وقولُه: (**أَي: لا أَحد**): يُبينُ أَنَّ الاستفهامَ للإنكار، وهو يدلُّ على النفي.

وقولُه: (**له فيها**): المعنى: إِلَّا بإذنه للشافع في الشفاعة.

وقولُه: (**من أَمر الدنيا والآخرة**): يقتضي أَنَّه فسَّر ما بين أَيديهم من أمر الدنيا، وما خلفهم من أَمر الآخرة.

وقولُه: (**لا يعلمون...**) إلى آخره: المعنى: لا يعلمون شيئًا مما يعلمه تعالى في الماضي والحاضر والمستقبل.

وقولُه: (**أن يُعلمهم...**) إلى آخره: يقتضي أَنَّه جعل «ما» بمعنى الذي.

وقولُه: (**قيل: أَحاط علمُه بهما...**) إلى آخره: فالمرادُ بالكرسيِّ ثلاثةُ أقوالٍ:

قيلَ: علمُهُ تعالى.

وقيلَ: هو العرشُ.

وقيلَ: أنَّه مخلوقٌ عظيمٌ غيرُ العرشِ وهو موضعُ القدمَين، على ما جاءَ عن ابنِ عبَّاس.

وقد أشارَ المصنِّفُ إلى القولِ الأوَّلِ والثالثِ، والراجحُ هو القولُ الثالثُ. واللهُ أعلمُ.

وقولُه (بالقهر): هذا التقييدُ لا وجهَ له، بل هو تعالى العليُّ على كلِّ شيءٍ ذاتًا وقدرًا وقهرًا، فله العلوُّ بكلِّ أنواعِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والذين يُقيِّدونَ علوَّه تعالى بالقدر أو القهر يفرُّون من إثباتِ علوِّ الذات؛ لأنَّ مذهبَهم نفيُ علوِّه تعالى بذاتِه فوقَ خلقِه، وهو مذهبٌ باطلٌ من أقوال المعطِّلةِ من الجهميَّة والمعتزلة ومَن

تَبعَهم. ومذهبُ سلفِ الأمَّةِ وأَئمتِها: أَنَّه تعالى بذاتِه فوق سماواتِه على عرشه، كما دلَّت على ذلك النصوصُ من الكتاب والسُّنَّة[١].

والمؤلِّفُ -عفا اللهُ عنه- مشى على مذهبِ النفاةِ فلا يُغتَرُّ بهِ، واللهُ أعلمُ.

وقولُه: (**الكبيرُ**): تفسيرٌ للعظيم بالكبير، وهو تفسيرٌ صحيحٌ، ويؤيدُه أَنَّ اللهَ قَرن بين العليِّ والكبيرِ في آياتٍ، كما قَرن بين العليِّ والعظيمِ.



(١) قال شيخ الإسلام: «وفي القرآن والسنة ما يقارب ألف دليل على ذلك، وفي كلام الأنبياء المتقدمين ما لا يحصى». «الجواب الصحيح» (٤/ ٣١٨)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٢٦)، وبنحوه قال ابن القيم في «الصواعق» (١/ ٣٦٨)، وفي نهاية كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ٣٣١). وينظر أنواع أدلة العلو النقلية في: «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٨٠-١٣٤٠)، و«إعلام الموقعين» (٤/ ٦٧)، و«توضيح مقاصد الواسطية» (ص١٠٩)، وللاستزادة **ينظر**: «العلو» للذهبي، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم، و«الكلمات الحسان في بيان عُلُوِّ الرحمن» لعبد الهادي وهبي.

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]:

هذا نفيٌ معناه: النهيُ عن الإكراه على الدخول في الإسلام؛ فالمعنى: لا تُكرهوا أَحدًا من أَجل أَن يُسلِمَ، ويحتملُ أَن يكون على ظاهره، فالجملةُ خبريةٌ، وعليه؛ فالمعنى: ليس في الدِّين إكراهٌ؛ أي: ليس الإكراه على الدخول في الإسلام مشروعًا، وهذا حقٌّ، ولا يُرَدُّ على هذا الأَمر بقتال الكفار؛ فإِنَّ القتالَ له أسبابٌ متعددةٌ وغاياتٌ مختلفةٌ؛ فالسببُ الأَول هو: الكفرُ، والسببُ الثاني: العدوانُ الواقعُ، أو العدوانُ المتوقَّعُ، ومَن أَظهر الإسلامَ وجب الكفُّ عنه، ومَن جنح إلى المصالحة وأُمِنَت خيانتُه وَجبت إِجابتُه إِلَّا أَن يَظهر ما يدلُّ على قصد الخديعة والخيانة، وقتالُ الكفارِ ليس فيه حقيقةُ الإِكراه، فإِنَّ حقيقةَ الإكراهِ أَن يوقف الشخص فيُقال له: أَسلم وإِلَّا قتلناك، وهذا لم يفعله أَحدٌ من المسلمين في شيءٍ من غزواتهم، إِلَّا المرتد؛ فإنَّه يُجبرُ على التوبة؛ فيُقال له: تُبْ وإِلَّا قتلناك، فإِنَّ عقوبةَ المرتدِّ القتلُ، والمسلمون إذا فتحوا البلادَ صُلحًا فإنهم يُقرُّون أَهلها فيها ولا يُكرهون أَحدًا منهم على الإسلام، لكنهم يدعونهم إلى الإسلام، وإذا فتحوا البلادَ عَنوةً؛ كانت أَرضُهم وديارُهم غنيمةً للمسلمين، والنساءُ والذريةُ يكونون رقيقًا عند المسلمين، ولا يُكرَهُ أَحدٌ منهم على الإسلام، والرِّجالُ المقاتلة أَسرى، يُخيَّرُ الإمامُ فيهم بين الاسترقاقِ والقتلِ والمنِّ والمفاداةِ، ومَن أَسلم منهم وَجب إِطلاقُه وعُصِمَ دمُه ومالُه، ويشهد لما دلَّت عليه هذه الآيةُ من نفي الإكراه في الدِّين والنهي عنه قولُه تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس: ٩٩]، فعُلم من الآيتين أَنَّ الإكراهَ على الدخول في الإسلام ليس مشروعًا لا في أَوّل الإسلامِ ولا في آخره، إِلَّا مَن ثبتت رِدَّتُه بأَن

كفر بعد الإيمان؛ فإنَّه يُستتابُ، فإن تاب وإِلَّا قُتل؛ لقوله ﷺ: ((مَن بدَّلَ دينَه فاقتلوه))[(١)].

فعُلم مما تقدَّم أَنَّ الآيَةَ محكمةٌ عامَّةٌ وإن نزلت على سببٍ، فإِنَّ العبرةَ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأَكثرُ العلماء من المفسرين وغيرهم يرون أَنَّ هذه الآيَةَ منسوخةٌ بآية السيف[(٢)]؛ وهي آياتُ الأمر بقتال الكفار من أَهل الكتاب والمشركين، وهذا يقتضي أنهم يَعدُّون القتالَ إِكراهًا، وهذا لا يستقيمُ في قتال أهل الكتاب، وهم يُخيَّرون بين الإسلام وإِعطاءِ الجزيةِ وهذا بالإجماع[(٣)]، وكذا قتالُ غيرِهم؛ لا يُعَدُّ إِكراهًا ـ على القول بأَخذ الجزية من غير أَهل الكتاب ـ فإنَّه لا يجتمعُ الإِكراهُ مع التخيير.

وقولُه تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾: أَي: قد تميَّزَ سبيلُ الرُّشد عن سبيل الغيِّ، والرُّشدُ: هو العلمُ بالحقِّ واتباعِه، والغيُّ ضِدُّه؛ وهو: الجهلُ بالحقِّ واتباعُ الباطل، فتميَّزَ الحقُّ من الباطل والهدى من الضَّلال، وهذا التميز إنما حصل بتبيين الله وتبيين رسوله بالآيات الكونية والآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ [الأنعام: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [آل عمران: ٤].

وقولُه تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: أَي: يجحدُ عبادةَ كلِّ ما يُعبَدُ من دون الله، ويؤمنُ بالله ربًّا وإلهًا، وهذا هو معنى: لا إله إلا الله، فما فيها من النفي هو معنى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، وما فيها من الإثبات هو معنى: ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾؛ ولهذا قال: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾؛ وهي: لا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧) و(٦٩٢٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) **ينظر**: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص٢٨١-٢٨٢)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص٢٥٨-٢٦٠)، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي (ص٥٣-٥٥).

(٣) **ينظر**: «مراتب الإجماع» (ص١٩٦)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» (١/ ٣٥٢)، و«موسوعة الإجماع» (٦/ ٢٧٧-٢٨٠).

إله إلا الله، وسمَّاها عروةً؛ للتنبيه على التمسُّك بها، و﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾ بمعنى: تمسَّك، والسينُ والتاءُ للدلالة على قوَّة التمسُّك[١]، وفي الجملة تشبيهٌ تمثيليٌّ، شبَّه المقيمَ على الدِّين والتوحيد بالمتمسِّك بأقوى حلقةٍ من الحبل.

و«وثقى»: صيغةُ تفضيلٍ مؤنَّث، أَوثقُ من وثق بالشيءِ إذا سكن إليه واعتمد عليه.

وقوله: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾: هذا وعدٌ من الله بأَنَّ كلمةَ التوحيد لا تنفصمُ؛ أي: لا تنقطعُ من مكانها، فدلَّ على وجوب التمسُّك بـ «لا إله إلا الله»، فمَن تمسَّك بها نجا، ومَن تركها هوى وهلك، والجملة قيل: حالية، وقيل: مُستأنفة لتأكيد ما دلَّ عليه معنى الوثقى[٢].

وقولُه: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾: أَي: سميعٌ لأَقوال العباد، عليمٌ بأَحوالهم وأَعمالهم الظاهرةِ والباطنة، وفي ذكر هذين الاسمين وعدٌ ووعيدٌ؛ وعدٌ لمن كفرَ بالطاغوت وآمن بالله فكان من أَولياء الله، ووعيدٌ لمن كفرَ بالله وعَبَدَ الطاغوت.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أَي: ظهر بالآيات البينات أَنَّ الإيمانَ رُشدٌ والكفرَ غَيٌّ.

نزلت فيمَن كان له من الأنصار أَولادٌ أراد أَن يُكرههم على الإسلام ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطانِ أَو الأَصنام، وهو يُطلَقُ على المفرد والجمع ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسَّك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالعقدِ المحكم ﴿لَا انْفِصَامَ﴾ انقطاعَ ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يُقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُفعَل.

(١) ينظر: «تفسير أبي السعود» (١/ ٢٥٠)، و«تفسير الألوسي» (٢/ ١٥).
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٢/ ٦١٨)، و«الدر المصون» (٢/ ٥٣٩).

وقولُ المؤلِّف: (**على الدخول فيه**): يُفيد أَنَّ المرادَ بالآية: أَنَّ الكافرَ الأَصليَّ لا يُكرَه على الدخول في الإسلام.

وقولُه: (**ظهر بالآيات البينات...**) إلى آخره: يُفيد أَنَّ تميزَ الرُّشدِ من الغيِّ كان بالآيات البينات، وأَنَّ الرُّشدَ في الإيمان بالله، وأَنَّ الغيَّ ضِدُّه.

وقولُه: (**نزلت...**) إلى آخره: إِشارةٌ إلى سبب نزول الآية[1].

وقولُه: (**الشيطان...**) إلى آخره: تفسيرٌ للطاغوت بأمرين: الشيطانُ والأَصنامُ[2]، يشهد للأول قولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ [النساء: ٧٦]، ويشهد للثاني قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقولُه: (**بالعقدِ المحكمِ**): يريد بالعقدِ المحكمِ: الاعتقاد الحق.



---

(١) **ينظر**: «أسباب النزول» للواحدي (ص٨٣-٨٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٦٠٩-٦١٥).

(٢) هذا من التفسير بالمثال، والحد الجامع للطاغوت هو: «كُل ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبود أو متبوع أو مُطَاعٍ». **ينظر**: «إعلام الموقعين» (٢/ ٩٢).

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧]:

يُخبر تعالى أنه وليُّ الذين آمنوا بالله ورسله، وعبدوه وحدَه، وكفروا بالطاغوت، فهو سبحانه يتولَّاهم بالنصر والتأييد والهداية، ومِن ولايته لهم: أنه يُخرجُهم من الظلمات؛ ظلماتِ الجهلِ والغفلةِ والكفرِ والشركِ، ويوصلُهم إلى نور العلمِ والإيمانِ، ويُخبر تعالى أَنَّ الذين كفروا بالله ورسله أولياؤهم الطواغيت؛ وهم شياطينُ الإنسِ والجنِّ، ومَن يتولونَه يُضلونَه ويهدونَه إلى عذاب السعير؛ لأنهم يخرجون أولياءهم من نور العلم والإيمان، ويوصلونهم إلى ظلمات الجهل والكفر والغفلة، فصارت عاقبتهم الخلودُ في النار كما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

وعُلم من الآية: أَنَّ الناسَ فريقان؛ مؤمنون هم أولياءُ الله، واللهُ وليهم، لا وليَّ لهم غيره؛ لأنه إلههُم ومَعبودهُم وحده لا يُشركون به شيئًا، وفريقٌ كافرون؛ وهم أَحزابٌ، كلُّ حزبٍ له وليٌّ يتَّبعونه، ومعبودٌ يعبدونه من دون الله، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، فإن قيل: لم يذكر اللهُ عاقبةَ الذين آمنوا كما ذكر عاقبة الذين كفروا؟ قيل: عاقبتُهم معلومةٌ من ابتداء الكلام، من أَوَّل جملةٍ، وهي قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ففي هذه الولاية كلُّ خيرٍ وفلاحٍ وسعادةٍ في الدنيا والآخرة.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ ناصرُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفرِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمانِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ

﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ ذكر الإخراج إمَّا في مقابلة قوله: «يخرجهم من الظلمات»، أو فيمَن آمن بالنبي قبل بعثه من اليهود ثم كفر به ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (ناصرُ): تفسيرًا للولي فيه قصورٌ؛ فإنَّ الوليَّ أعمُّ من الناصر والنصير؛ فإنَّ الوليَّ يجلبُ لمتولِّيه ما ينفعُه، ويدفع عنه ما يضرُّه، وأمَّا النصيرُ: فهو أخصُّ بالدفع؛ كالنصر على العدو، فكلُّ ولي نصيرٌ، وليس كلُّ نصيرٍ وليًا[1]، واللهُ وليُّ المؤمنين وناصرُهم، نِعمَ المولى ونِعمَ النصير.

وقولُه: (الكفرِ): تفسيرُ الظلمات بالكفر فيه قصورٌ أيضًا؛ فإنَّ الظلمات أنواعٌ؛ أعظمُها الكفر، ومنها ظُلمةُ الجهلِ وظلمةُ الغفلةِ وغير ذلك.

وقولُه: (الإيمانِ): تفسيرُ النور بالإيمان حقٌّ، ولكنَّ النورَ يدخل فيه نورُ العلمِ ونورُ الطاعةِ، والنورُ واحدٌ، ولهذا أُفردَ وجُمعتِ الظُّلمات[2].

وقولُه: (ذكر الإخراج...) إلى آخره: يُجيب بذلك عن إشكالٍ؛ وهو: هل كان الكفارُ في نور؟ وقد أجاب المؤلِّفُ بأنَّ ذكرَ الإخراجِ من الظلمات إلى النور جاء في مُقابل إخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور، وعلى هذا فلا إخراج أصلًا. أو المرادُ: مَن كان على شريعة موسى وعيسى قبل مَبعث النبي ﷺ، فلما بُعث كفروا به، فأخرجهم الشيطانُ من نور العلمِ والإيمانِ بأنبيائهم وكتبهم إلى ظُلماتِ الكفر بمحمد ﷺ، وهناك وجه ثالث، وهو أن المراد إخراجهم من نور الفطرة التي ولدوا عليها إلى ظلمات الكفر

(١) تقدم في (ص ٢٦٠).
(٢) ذكر العلماء هذه الفائدة في غير موضع من آي القرآن. **ينظر**: «كشف المعاني» لابن جماعة (ص١٥٤)، و«نظم الدرر» للبقاعي (٤/ ٤٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٨٥)، و«بدائع الفوائد» (١/ ٢٠٨).

التي فيها الأبوان، وهو معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه))[(١)][(٢)].



(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واللفظ للبخاري.

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٦٥-٥٦٦)، و«التفسير البسيط» (٤/ ٣٧٠-٣٧١)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٣٣-٣٤)، و«زاد المسير» (١/ ٢٣٢).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨]:

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الاستفهامُ للتقرير والتعجيب؛ المعنى: ألم ينتهِ علمُك إلى خبر الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه؛ أَي: الكافرُ الذي كفر بربِّ إبراهيم وصار يُجادله فيه بسبب غروره حين آتاه اللهُ الملكَ، وبلغ من غروره أَن ادَّعى الربوبيةَ وصار يجادلُ نبيَّ اللهِ إبراهيمَ في ربِّه، وكأَنَّه يقول لإبراهيم: ماذا فعل ربُّك؟ فاحتجَّ إبراهيمُ على الكافر بأنه الذي يُحيي ويُميت، وذكر المفسرون بأَنَّ الكافرَ قال في بيان حُجَّته: آتي باثنين قد استحقَّا القتلَ؛ فأقتلُ أَحدَهما وأُبقي الآخرَ[١]، فانتقل إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى حُجَّةٍ لا يستطيع الكافرُ أَن يموِّه بدعوى مثلها؛ قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، فبُهتَ الكافرُ ولم يجد جوابًا، وانقطعت حُجَّته، فبذلك حجَّ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الكافرَ وغلبَه بالحجَّة. وقولُه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾: أَي: لا يُوفِّق للإيمان القومَ الظالمين؛ عقوبةً على ظلمهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ جادلَ ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لـ ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أَي: حمله بطرُه بنعمة الله على ذلك وهو نمروذ ﴿إِذْ﴾ بدل من «حاج» ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لَمَّا قال له: «مَن ربُّك الذي تدعونا إليه»؟ ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أَي: يخلق الحياةَ والموتَ في الأَجساد. ﴿قَالَ﴾ هو

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/٥٧١-٥٧٢، ٥٧٤، ٥٧٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/٣٤١)، و«التفسير البسيط» (٤/٣٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/٣١٦)، و«البحر المحيط» (٢/٢٢٦).

﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه. ودعا برجلين فقتل أَحدَهما وترك الآخر. فلما رآه غبيًّا ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ منتقلًا إلى حجَّةٍ أَوضحَ منها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ تحيَّر ودهشَ ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر إلى محجة الاحتجاج.

وقولُ المؤلِّف: (لـ﴿أَنْ...﴾) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ ﴿إِذْ﴾ للتعليل، ليست ظرفًا؛ فالمعنى: أَنَّ هذا الكافرَ الذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه حمله على كفره وجِداله إبراهيم في ربِّه ما آتاه اللهُ من الملك؛ فكفرَ واستكبرَ حتى ادَّعى الربوبية، وسمَّاه المؤلِّفُ: (النمروذ) بالذال، ويُروى بالمهملة، ويقال: النمرود، والنمروذ[(١)].

وقولُه: (**بدل من حاج**): قال بعضُ الشارحين: إنه بدلُ اشتمال[(٢)]، والصوابُ: أنه لا يظهر وجهُ البدلية[(٣)].

---

(١) النمروذ أو النمرود: هو اسم جنس لكل ملك الكنعانيين، والمراد به هنا هو نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وقيل: إنه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وهو أوّل من تجبّر وقهر وغصب وسنّ سنن السّوء، وأوّل من لبس التاج، ووضع أمر النجوم ونظر فيه وعمل به. وأهلكه الله ببعوضة دخلت في خياشيمه، فعذب بها أربعين سنة ثم مات. **ينظر**: «المعارف» لابن قتيبة (١/ ٣١)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٥٦٨-٥٧٠).

(٢) **ينظر**: «حاشية الجمل» (١/ ٢٢٣)، وأجازه الزمخشري بناء منه على أن ﴿أَنْ﴾ واقعة موقع الظرف. **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٤٨٩).

(٣) قال العكبري: «و﴿إِذْ﴾: يجوز أن تكون ظرفًا لحاج، وأن تكون لآتاه. وذكر بعضهم أنه بدل من ﴿أَنْ آتَاهُ﴾ وليس بشيء؛ لأن الظرف غير المصدر، فلو كان بدلًا لكان غلطًا، إلا أن تجعل ﴿إِذْ﴾ بمعنى أن المصدرية، وقد جاء ذلك». «التبيان» (١/ ٢٠٦-٢٠٧)، وضعفه أيضا: أبو حيان، والسمين الحلبي، وغيرهما. **ينظر**: «البحر المحيط» (٢/ ٦٢٦)، و«الدر المصون» (٢/ ٥٥١-٥٥٢)، و«الكتاب الفريد» (١/ ٥٦٣)، و«إعراب القرآن وبيانه» (١/ ٣٩٢).

وقولُه: (**لَمَّا قال له...**) إلى آخره: يُبينُ أَنَّ قولَ إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، جاء جوابًا لقول الكافر لإبراهيم: (مَن ربك؟).

وقولُه: (**أَي: يخلق الحياةَ والموتَ في الأجساد**): تفسيرٌ صحيحٌ يدلُّ له قولُه تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [الملك: ٢].

وقولُه: (**هو**): يريد: أَنَّ القائلَ: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ هو الكافرُ الذي حاجَّ إِبراهيم.

وقولُه: (**بالقتل والعفو عنه...**) إلى آخره: هذا تفسيرُ قول الكافر: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، وهذا ما ذكره جمهورُ المفسرين، وهو من نوع الإسرائيليات.

وقولُه: (**فلما رآه غبيًّا**): يريد: أَنَّ إبراهيم لَمَّا رأى المخاصمَ غبيًّا؛ أي: جاهلًا لا يفقه؛ قال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾.

وقولُه: (**منتقلًا إلى حجَّةٍ أَوضح منها**): لأَنَّ الكافرَ قد موَّه بحجة إبراهيم الأُولى، ولكنَّه لا يستطيع في حجة إِبراهيم الثانية أَن يموِّه، فلهذا انقطعت حجَّتُه.

وقولُه: (**أنت**): الخطابُ من إبراهيم للذي حاجَّه، والضميرُ المنفصلُ «أنت» تأكيدٌ للضمير المتصل المستتر في قوله: ﴿فَأْتِ بِهَا﴾.

وقولُه: (**تحيَّر ودهشَ**): تفسيرٌ لـ﴿بُهِتَ﴾، وهو يدلُّ على انقطاع حجَّته وعجزِه عن الجواب[1]. وقولُه: (**بالكفر إلى محجة الاحتجاج**): يتضمَّن تفسيرَ الظلمِ بالكفر، وهو صحيحٌ؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ونفيُ الهداية إلى الحجة الصحيحة، وأَنَّ المراد بنفي الهداية؛ أي: إلى الحجة الصحيحةِ في مقام الاحتجاج.



(١) ينظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص١٤٨).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩]:

قولُه: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى﴾: ﴿أَوْ﴾: حرفُ عطفٍ يدلُّ على التنويع؛ المعنى: ألم ترَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ، أو إلى الذي مرَّ على قريةٍ.

والكاف: قيل: إنها زائدة للتأكيد، وعلى هذا فالمعطوفُ هو الموصول، وقيل: إنها بمعنى: مثل، وعلى هذا فهي المعطوف؛ فالتقدير: ألم ترَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ، أو إلى مثل الذي مرَّ على قريةٍ، وهذا أَصحُّ؛ لأَنَّ الأصلَ في الكاف أنها بمعنى: مثل، فعلى الأَول هي حرفٌ، وعلى الثاني هي اسمٌ[(١)].

وقولُه: ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: الجملةُ حالٌ، ومعنى خاوية: خاليةٌ من سكانها، وقيل: متهدِّمةٌ[(٢)]. و﴿عُرُوشِهَا﴾: سُقُفِهَا[(٣)]؛ المعنى: قد سقطت حيطانُها على سُقُفِهَا، فقد هلك السكانُ وخَرُبَ البنيانُ.

وقولُه: ﴿أَنَّىٰ﴾: قي: أَنه اسمُ استفهام بمعنى «كيف» وهو للاستبعاد؛ المعنى: كيف يُحيي اللهُ هذه القرية التي هلك أَهلُها وتهدَّمت، وهذا من جهله أَو غفلته عن قدرة الله.

---

(١) واختاره الطبري، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وغيرهم. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٧٧-٥٧٨) و«البحر المحيط» (٢/ ٦٣٠-٦٣١)، و«الدر المصون» (٢/ ٥٥٦-٥٥٧)، و«التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٢٠٨)، و«إعراب القرآن وبيانه» (١/ ٣٩٤).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٨٤-٥٨٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٤٢)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٣٣١).

(٣) **ينظر**: «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص٥٥٨).

وهذا المارُّ قيل: هو عُزيرٌ، قاله الجمهور[١]، وهو الذي قال اليهود: إِنَّه ابنُ الله، وهو من علماء بني إسرائيل وصالحيهم، وجاء في بعض الروايات الإسرائيلية أَنَّه حفظَ التوراةَ كلَّها عن ظهر قلب.

وقولُه: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾: أَي: صيَّره ميتًا وأَبقاه ميتًا مئة عامٍ.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾؛ أَي: أحياه.

وقولُه: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾: أَي: لم يتغيَّر، وقد مضت عليه مئة عامٍ منذ مات. و﴿يَتَسَنَّهۡ﴾: فعلٌ مضارع من تسَنَى.

﴿قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَ﴾: القائلُ هو الله، أَو ملك بأمر الله، والأَولُ أَظهر[٢]، ودلَّ السياقُ على أَنَّه كان على حمارٍ، فأَماته اللهُ وأَمات الحمارَ حتى عريت عظامُه من اللحم وتفرَّقت، فردَّ اللهُ عظامَه وكساها لحمًا، ولهذا قيل له: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾، ودليلًا على قدرته تعالى على إحياء الموتى.

وقولُه: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾: أَي: نرفع بعضَها فوق بعضٍ، حتى تعودَ كما كانت، وقُرئ: ﴿كَيْفَ نُنْشِرُهَا﴾ بالراء؛ أي: نُحييها[٣].

وقولُه: ﴿ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا﴾: أَي: نُغطِّي العظامَ باللحم لتعودَ كما كانت، ويعودَ الحمارُ كما كان صالحًا للركوب والحمل.

فهذه ثلاثُ آياتٍ:

الأُولى: إِحياءُ الرجل بعد أَن كان ميتًا مئة سنة.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٧٨-٥٧٩)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٣٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٨٧-٦٨٨).

(٢) وهو قول الطبري والرازي، واستظهره القرطبي وأبو حيان. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٩٦)، و«تفسير الرازي» (٧/ ٣٠)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٢٩١)، و«البحر المحيط» (٢/ ٦٣٣).

(٣) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٩٥).

الثانيةُ: بقاءُ طعامِه وشرابِه على حالهما هذه المدَّة الطويلة.

الثالثةُ: إِحياءُ الحمار وإِعادتُه إلى ما كان عليه قبل موته.

وقولُه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾: قدرةُ الله على إِحياء الموتى. ﴿قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾: أي: أُقِرُّ بكمال قدرةِ الله، وهذا على قراءة مَن قرأه فعلًا مضارعًا مبدوءًا بهمزة القطع، وقُرِئَ بهمزة الوصل على أَنَّه فعل أَمر، ﴿قَالَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، فأَراه اللهُ في نفسه وفي حماره ما دلَّه على قدرته تعالى في كلِّ شيءٍ، وفي ذلك إِبطالٌ لاستبعادِه إِحياء القريةِ التي قال فيها: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾.

﴿أَوْ﴾ رأيت ﴿كَالَّذِي﴾ الكافُ زائدةٌ ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هي بيتُ المقدس، راكبًا على حمار، ومعه سلَّةُ تينٍ وقدحُ عصيرٍ، وهو عزيرٌ ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطةٌ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفِها لَمَّا خرَّبها بُختنصَّر ﴿قَالَ أَنَّى﴾ كيف ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعظامًا لقدرته تعالى ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ وأَلبثه ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أَحياه ليُريه كيفيةَ ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ مكثت هنا؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأَنه نامَ أَوَّلَ النهارِ، فقُبِضَ وأُحيي عند الغروب، فظنَّ أنه يوم النوم.

﴿قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغيَّر مع طول الزمان، والهاءُ قيل: أَصلٌ من «سانهتُ»، وقيل: للسكت من «سانيتُ».

وفي قراءةٍ بحذفها ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف هو؟ فرآه ميتًا، وعظامُه بيضٌ تلوحُ، فعلنا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ على البعث ﴿لِلنَّاسِ وَانْظُرْ

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: ﴿أَعْلَمُ﴾ بقطع الألف وضم الميم، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿اعْلَمْ﴾ موصولة الألف ساكنة الميم. ينظر: «السبعة في القراءات» (ص١٨٩)، و«النشر» (٢/ ٢٣١-٢٣٢).

إِلَى الْعِظَامِ﴾ من حمارك ﴿كَيْفَ نُنْشِرُهَا﴾ نُحييها، بضمِّ النون وفتحها، من «أنشر ونشر» لغتان، وفي قراءةٍ بضمِّها، والزاي: نُحرِّكُها ونرفعُها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إليها، وقد تركَّبت وكُسيت لحمًا ونُفخ فيه الروحُ ونهقَ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ عِلم مشاهدةٍ ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي قراءةٍ: (اعلمْ)؛ أَمرٌ من الله له.

وقولُ المؤلِّف: (رأيت): المناسبُ في التقدير في مثل هذا السياق أَن يُقدَّر المعطوفُ مثل المعطوف عليه، وعلى هذا فالتقديرُ المناسبُ: أَو ألم ترَ كالذي مرَّ على قرية، وهذا على أَنَّ الكاف بمعنى: مثل، وعلى القول بأنها «زائدة» فالتقديرُ: أَو أَلم ترَ إلى الذي مرَّ على قريةٍ، فيكون الموصولُ في ﴿الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ معطوفًا على الموصول في ﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾، واللهُ أعلم.

وقولُه: (زائدة): هذا خلافُ الأَصل في كاف التشبيه؛ فالأَصلُ أنها بمعنى: مثل، وهو القول الآخر.

وقولُه: (هي بيت المقدس...) إلى آخره: القريةُ في الآية مُبهمةٌ، وتعيين أَنها بيت المقدس قولُ جمهورِ المفسرين[(١)]، والمعوَّلُ في هذا على بعض الروايات الإسرائيلية، ومن هذا القبيل تعيينُ جنسِ الطعام والشراب الذي معه، فاللهُ أعلم. وأَمَّا أنه كان راكبًا حمارًا فهذا ظاهرُ القرآن.

وقولُه: (لَمَّا خرَّبها بُختنصَّر): بُختنصَّر؛ هو: ملكُ الفُرسِ الذي سُلِّطَ على بني إسرائيل، وقتلَ منهم وسبى وخرَّب الديار، وقصَّتُه مشهورةٌ عند المفسرين والمؤرخين[(٢)].

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٨٢-٥٨٣)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٣٩-٤٠)، و«زاد المسير» (١/ ٢٣٣)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٨٨).

(٢) ينظر: «الكامل في التاريخ» (١/ ٢٢٨)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٥٨٧-٥٩٣)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤١-٤٢).

وقولُه: (**استعظامًا لقدرته تعالى**): هذا يقتضي أنه جعل الاستفهامَ للتعجُّب للاستبعاد، كما قال زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]. وقولُه: (**وألبثه**): أي: أَبقاه ميتًا مئةَ عامٍ ثم أَحياه.

وقولُه: (**ليُريه كيفيةَ ذلك**): في هذا التعليلِ نظرٌ، والمناسبُ لسياق الآية: بعثه؛ ليُعرِّفَه كمالَ قدرتِه.

وقولُه: (**تعالى له**): يقتضي أَنَّه أعاد الضميرَ في قال إلى الله، وهذا هو الصوابُ؛ لأَنَّه تعالى هو الذي أَماته وبعثه وقال له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾.

وقولُه: (**هنا**): فالمعنى: كم لبثتَ في هذا المكان الذي أَنت فيه.

وقولُه: (**لأَنَّه نام أَوَّل النهار...**) إلى آخره: هذا التقديرُ مبنيٌّ على ظنٍّ أَو بعضِ الرواياتِ الإسرائيليةِ، واللهُ أَعلمُ بحقيقة الحال.

وقولُه: (**التين...**) إلى آخره: تعيينُ جنسِ الطعام والشراب من المرويَّات الإسرائيليةِ التي لا يُجزَمُ بما دلَّت عليه.

وقولُه: (**والهاء...**) إلى آخره: ذُكر فيها قولين: الأَول: أَنها أصلٌ؛ أي: أنها من حروف الفعلِ الأصليةِ، فهي لامُ الفعل، والسكونُ علامةُ الجزم لدخول حرفِ الجزم على الفعل المضارع. والقولُ الثاني: أَنها هاء السكت؛ فتكون زائدةً ليست من حروف الفعل، فعلى القولِ الأَول: «تسنه» من سنه، وعلى الثاني «تسنه»: من سنا، وكلاهما يدلُّ على التغير[١].

وقولُه: (**وفي قراءةٍ بحذفها**): هذه القراءةُ جارية على أَنَّ الهاءَ للسكت[٢].

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٩٩-٦٠٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٤٣)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٣-٤٥)، و«البحر المحيط» (٢/ ٦٢٣)، و«التحرير والتنوير» (٣/ ٣٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي: ﴿لَمْ يَتَسَنَّ﴾ بحذف الهاء في الوصل خاصة، والباقون بإثباتها في الحالين. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٨٨-١٨٩)، و«النشر» (٢/ ١٤٢).

وقولُه: (**كيف هو...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ المعنى: انظر إِلى حمارِكَ لتعلمَ حالَه، وأَنه قد مات وعَرِيت عظامُه عن اللحم.

وقولُه: (**على البعث**): المعنى: لتكون إذ أَحياك اللهُ بعد أَن أَماتك مئةَ عام آيةً؛ أي: دليلًا على قدرته تعالى على بعث الأَموات من قبورهم، ولا ريب أَنَّ هذا من أَعظم الأدلةِ على إمكان البعث، ولقد تكرَّرَ هذا النوعُ من أَدلة البعث في سورة البقرة:

وأَول ذلك ما ذُكر في قصة القتيل الذي ضُرب ببعض البقرة فأَحياه اللهُ؛ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا...﴾ الآية [البقرة: ٧٣].

والثانية: قصةُ بني إسرائيل الذين ماتوا بالصاعقة لَمَّا قالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾؛ فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، قال اللهُ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

والثالثة: قصةُ الأُلوف الذين خرجوا من ديارهم حذرًا من الموت، فأَماتهم اللهُ ثم أَحياهم.

والرابعة: قصةُ الذي مرَّ على قريةٍ.

وستأتي قصةُ الطيرِ التي ذبحها إبراهيمُ بأمرِ اللهِ ثم أحياها اللهُ، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾ إلى آخر الآية[(١)].

وقولُه: (**من حمارك**): يدلُّ له قولُه: ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾.

وقولُه: (**نُحييها...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ معنى: نشر، وأَنشر؛ نشرَ الميتَ وأَنشرَه أَحياه؛ فقولُه في الآية: ﴿نُنْشِزُهَا﴾ بضم النون وفتحها؛ يقول: لغتان، وكأَنه يُشيرُ إلى قراءتين في الآية على اللغتين.

---

(١) ينظر: (ص ٥٨٩).

وقولُه: (**وفي قراءةٍ بضمِّها...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنه قُرِئَ بضمِّ النون، والزايُ بدلُ الراء من أنشز[١]؛ أي: رفع؛ فالمعنى: ﴿نُنْشِزُهَا﴾؛ أَي: نرفع بعضَها على بعض.

وقولُه: (**فنظر إليها...**) إلى آخره: لعلَّ هذا مأخوذٌ من قوله ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾.

وقولُه: (**عِلم مشاهدةٍ**): يدلُّ لذلك قولُه: ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾.

وقولُه: (**أَمرٌ من الله له**): هذا على القراءة بصيغة الأَمرِ وهمزةِ الوَّصل، وأَمَّا على القراءة بصيغةِ المضارع وهمزةِ القطع؛ فهو إِقرارٌ من صاحب الحمارِ لكمالِ قدرةِ الله.



(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿نُنْشِرُهَا﴾ بضم النون الأولى وبالراء، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿نُنْشِزُهَا﴾ بالزاي، وقد روى أبان عن عاصم ﴿نَنْشُرُهَا﴾ بفتح النون الأولى وضم الشين والراء، وروى أيضًا عبد الوهاب عن أبان عن عاصم: ﴿نَنْشُزُهَا﴾ بفتح النون وضم الشين مثل قراءة الحسن وأبي حيوة، والزَّعْفَرَانِيّ، والمفضل. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٨٩)، و«مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص٢٣)، و«معاني القراءات» للأزهري (١/ ٢٢٢)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص٥٠٩).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠]:

يقول تعالى: واذكُرْ يا محمَّدُ حين قال إبراهيمُ داعيًا ربَّه: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ المعنى: أَرِنِي آيةً مُشاهَدةً أعلمُ بها كيف تُحْيِي الْمَوْتَى؛ قال اللهُ لإبراهيمَ ـردًّا على طلبِه أن يُريَهُ كيف يُحْيِي الموتىـ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ أَوَ ليسَ قد آمنتَ بأنِّي أُحيي الموتى وأنِّي على إحيائِهِم قادرٌ؛ قالَ إبراهيمُ مجيبًا لربِّهِ: بلى قد آمنتُ، ولكن طلبتُ ما طلبتُ؛ لأزدادَ إيمانًا فَيَطْمَئِنَّ قلبي، فأجابَهُ اللهُ إلى طلبِهِ؛ فقال له: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾؛ أي: أربعةً مِن أنواعِ الطير، أو مِن بعض أنواع الطير، ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: أَمِلْهُنَّ إليك وضُمَّهُنَّ إليك[(١)]، ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ وهذا يقتضي أنه يَذبَحُهُنَّ ويُقَطِّعُهُنَّ ثم يجعل عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مما حولَهُ مِن الأجبال[(٢)] جزءًا منهن، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ يعني: ادعُ الطيرَ الأربعةَ التي على الجبال بالتصويتِ لَهُنَّ بالطريقة المعتادةِ في دعاءِ الطير. وقولُه: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ المعنى: إذا دعوتهُنَّ أتينك سعيًا؛ أي: مسرعاتٍ طيارًا أو مَشيًا على أرجلِهِنَّ.

وقولُه: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾: يحتملُ أن يكون خطابًا لإبراهيمَ، أو خطابًا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٣)]، و﴿عَزِيزٌ﴾: أي: قويٌّ غالبٌ لا يُعجزُهُ

---

(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٤٩٨).

(٢) جمع جبل، فهو يجمع على أجْبُل وجبال وأجبال، وشاهد الأخير قول الشاعر ـوهو ابن الأعرابيـ:

يَا رُبَّ ماءٍ لَكَ بالأَجْبَالِ   أجْبَالِ سَلْمَى الشُّمَّخ الطِّوَالِ

ينظر: «لسان العرب» (١١/ ٩٦)، و«تاج العروس» (٢٨/ ١٧٤).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٦٤٩-٦٥٠).

شيءٌ. ﴿حَكِيمٌ﴾: أي: ذو حكمةٍ في تدبيرِهِ وتقديرِهِ وفي كلِّ أقوالِهِ وأفعالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويجب أن يُعلَم أَنَّ هذا الطلبَ من إبراهيمَ من ربه أن يُريَه كيف يُحيي الموتى لا عن شكٍّ في قدرتِهِ تعالى، ولهذا قالَ الله له: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ﴾، ولكن لفظُ السؤالِ ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾؟ قد يقولُ مثلَه مَن عنده شَكٌّ، ولكن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بريءٌ مِن ذلك؛ كيف وهو الذي قال الله فيه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام:٧٥]، وأَمَّا قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحِ: ((نحن أَحقُّ بالشكِّ من إبراهيم))[(١)]، فلا يدلُّ على إثباتِ وقوع الشكِّ من إبراهيم؛ لأنه إذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى بالشك ولم يشك؛ فإبراهيم أولى ألا يشك[(٢)]، وقصةُ الطيور التي أحياها اللهُ لإبراهيمَ هي القصةُ الخامسةُ مما قصَّهُ الله في هذه السورةِ من إحياء الموتى، وكلُّها حُجَجٌ على قدرته ـ تعالى ـ على بَعْث الأموات من القبور؛ ففيها ردٌّ على الكافرينَ بالبعث المستبعدينَ لقدرةِ الله عليه.

﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ﴾ تعالى له ﴿أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ﴾ بقدرتي على الإحياء؟ سأَلَه مع علمه بإيمانه بذلك ليُجيبه بما سأل فيعلم السامعون غرضَه.

﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألتك ﴿لِيَطْمَئِنَّ﴾ يسكن ﴿قَلْبِي﴾ بالمعاينة المضمومةِ إلى الاستدلال.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسرِ الصَّادِ وضمِّها، أَمِلهُنَّ إليك وقطِّعهنَّ واخلُط لحمهنَّ وريشهنَّ ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أَرضك ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ سريعًا

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢) و(٤٥٣٧)، ومسلم (١٥١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: «شرح مسلم» للنووي (٢/ ١٨٣)، و«فتح الباري» (٦/ ٤١٢-٤١٣).

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعجزه شيءٌ ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. فأخذ طاووسًا ونسرًا وغرابًا وديكًا، وفعل بهنَّ ما ذكر، وأَمسكَ رؤوسهنَّ عنده ودعاهنَّ، فتطايرت الأجزاءُ إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أَقبلت إلى رؤوسها.

وقولُ المؤلِّف: (**اذكرْ**): هذا تقديرُ العاملِ في الظَّرفِ ﴿إِذْ﴾، وعلى هذا فالظرفُ مفعولٌ به. وقولُه: (**تعالى له**): يُبيِّن أنَّ القائلَ لإبراهيمَ: ﴿أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ﴾ هو اللهُ تعالى.

وقولُه: (**بقدرتي على الإحياء** ...) إلى آخره: هذا تقديرُ المعمولِ لـ﴿تُؤْمِنْ﴾.

وقولُه: (**سأَله مع علمه**): بيانٌ لحكمةِ سؤالِ اللهِ إبراهيمَ عن إيمانه.

وقولُه: (**فيعْلم السامعون غرضَه**): المراد: فيعْلم السامعون دعاءَ إبراهيمَ؛ غرضَه من دعائه، وذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

وقولُه: (**آمنتُ**): جوابٌ لقوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ﴾. وقولُه: (**سألتك**): هذا تقديرُ مُتعلّقِ الجارِ والمجرورِ ﴿لِيَطْمَئِنَّ﴾.

وقولُه: (**يسكن**...) إلى آخره: سكونُ القلبِ: زيادةُ الإيمانِ، وهو يحصلُ بتضافر الأدلَّةِ، ولهذا طلبَ إبراهيمُ دليلَ المعاينةِ لِيَنضمَّ إلى دليل النظرِ بالعقل، وهذا معنى قول المؤلِّف: (**بالمعاينة المضمومةِ إلى الاستدلال**)، وبذلك يرتقي من علم اليقينِ إلى عين اليقينِ. وقولُه: (**بكسرِ الصَّادِ وضمِّها**...) إلى آخره: يشيرُ إلى القراءتَين في قوله: ﴿صُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، فبضمّ الصَّادِ من «صَارَهُ يَصْرُوهُ»، وبكسرها من: «صَارَهُ يصيروه»[1]، ومعناهما: «أمالَهُ»، ولهذا قالَ المؤلِّف: «﴿فَصِرْهُنَّ﴾: أَمِلْهُنَّ إِلَيْك».

---

(١) قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف، ويعقوب برواية رويس: ﴿فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد. وقرأ الباقون: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ بضم الصاد. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٨٩-١٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٢).

وقولُه: (**وقطِّعهنَّ...**) إلى آخره: هذا مفهومٌ من السياق من قوله: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾.

وقولُه: (**من جبال أَرضك**): لأنَّ من المعلوم أنه ليس المرادُ جميعُ جبالِ الدنيا.

وقولُه: (**إليك**): أي: لِيَأْتِينَ إليك.

وقولُه: (**سريعًا**): أي: يأتينَ مُسرعاتٍ.

وقولُه: (**لا يُعجزه شيءٌ**): يُبيِّنُ أن العِزَّةَ تتضمَّنُ كمالَ القدرةِ.

وقولُه: (**في صنعه**): أي: ذو حكمةٍ في خلقهِ لا يخلقُ شيئًا عَبَثًا.

وقولُه: (**فأخذ طاووسًا...**) إلى آخرِهِ: تعيينُ الطيورِ وكيفيةُ ما فعلَهُ إبراهيمُ ـكما ذكرَ المؤلِّفـ هو مِن الرواياتِ الإسرائيليَّة، وتعيينُ أنواعِ الطيورِ لا مصلحةَ فيه؛ فلذلك لم يُعيِّنها اللهُ ـتعالىـ ولم يُسَمِّها واللهُ عزيز حكيمٌ.



وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة:٢٦١-٢٦٣]:

هذه الآيةُ وما بعدَها إلى الآية «٢٧٤» متصلةٌ بآياتِ الأمرِ بالإنفاقِ والجهادِ في سبيلِ الله، ففي هذه الآياتِ عَوْدٌ إلى موضوعِ الجهاد في سبيلِ الله والإنفاقِ فيه، وفي هذه الآيةِ ترغيبٌ في الإنفاقِ في سبيلِ الله مِن جهادٍ وغيرِه بمُضاعَفةِ النفقةِ إلى سبعمئةِ ضِعْفٍ، وتشبيهُ ذلك بالحبَّةِ مِن الزرعِ تُزرَعُ في الأرضِ فيَنبتُ منها سبعُ سنابلَ في كلِّ سُنبلةٍ مئةُ حَبَّةٍ، ولا ينتهي التضعيفُ عندَ هذا القَدْرِ بلِ اللهُ يضاعِفُ لِمَنْ يشاءُ أضعافًا كثيرةً بلا حَدٍّ ولا عَدٍّ.

وقولُه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ أي: صفةُ الذين، والموصولُ على تقديرِ مضافٍ محذوفٍ؛ تقديره: مثلُ نفقةِ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ...﴾ الآية، فالمشبَّهُ هو: المالُ المنفَقُ المضاعَفُ إلى سبعمئةِ ضِعفٍ، والمشبَّهُ بِهِ؛ هي: الحَبَّةُ التي ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾، ومعلومٌ: أن هذا رِبحٌ عظيمٌ، وهذا التشبيهُ عند علماءِ البيانِ مِن التشبيهِ التمثيليّ الذي يكونُ فيه المشبَّهُ والمشبَّهُ به مجموعُ هيئةٍ بهيئةٍ، ويمكن اعتبارُه من تشبيه الأفرادِ بالأفراد؛ كأنْ يُقال: المنفِقُ كالزارِع، والمالُ كالحبَّةِ، والأضعافُ المضاعَفةُ كحبَّاتِ السنابلِ السَّبْعِ[١]. وقولُه: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: الطريقُ الذي شرعَه، وهذا شاملٌ للإنفاق في كلِّ ما يُحِبُّه اللهُ من الجهاد وغيرِه من وجوه البِرِّ وأنواعِ القُرَبِ[٢].

(١) **ينظر**: «الكشاف» (١/ ٤٩٤)، و«الدر المصون» (٢/ ٥٧٨-٥٧٩)، و«التحرير والتنوير» (٣/ ٤١).

(٢) وهو قول سعيد بن جبير والشعبي، واختاره ابن عطية وأبو حيان وابن القيم. **ينظر**: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٥١٤، رقم ٢٧٢٣)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٥٧)، و«زاد المسير» (١/ ٢٣٨)، و«البحر المحيط» (٣/ ٦٥٣)، و«إعلام الموقعين» (٢/ ٣١٥).

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾: يدلُّ على أنَّ مضاعفةَ الحسناتِ يكون بمشيئتِه -تعالى- تَفضُّلًا منه، ويدلُّ على أنَّ مضاعفةَ الحسناتِ لا ينتهي بسبعمئةٍ، بل يضاعِفُ اللهُ لِمَن يشاء أكثرَ من ذلك أضعافًا كثيرةً.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾: واسعُ العطاءِ والعلمِ والرحمةِ والقدرةِ، عليمٌ: بكلِّ شيءٍ ومن ذلك عِلمُه بأحوال العاملين ونيَّاتِهم وما يستحقونَه من الثواب، وهو حكيمٌ يضعُ الأشياءَ في مواضعِها.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: الاسمُ الموصولُ في موضع جرٍّ بدلٍ من الموصولِ في قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾، وعلى هذا تكونُ هذه الجملةُ متصلةً بالتي قبلها في المعنى، ويحتملُ أن تكون مُستأنفةً والموصولُ مبتدأٌ، وخبرُه: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٦٢﴾[1].

وقولُه: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾: معطوفةٌ على صلة الموصولِ فلا محلَّ لهما من الإعراب؛ المعنى: لا يَمُنُّونَ على مَن تصدَّقوا أو أنفقُوا عليه بدعوى التفضُّلِ عليه، ولا يؤذونَه بقولٍ ولا فعلٍ؛ فإنَّ ذلك مما يُبطِلُ ثوابَ النفقة؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾: يخبرُ -تعالى- أنَّ القولَ السديدَ المعروفَ في الشرع وفي الفطرة السَّليمةِ -وهو القولُ الحسنُ الخالي عن الفُحشِ والبذاءِ والعفوُ عن الإساءة- أفضلُ من الصدقة التي يتبعُها أذىً، مع أنَّ القولَ المعروفَ والعفوَ عن الإساءةِ ليس فيها بذلُ مالٍ، وفي هذا ترغيبٌ في القولِ المعروفِ والمغفرةِ للمُسيءِ، وذمٌّ للمَنِّ والأذى في الصدقة.

(١) ينظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٢١٣)، و«الدر المصون» (٢/ ٢٨٢-٢٨٣).

وقولُه: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ٢٦٣﴾: ثناءٌ من الله على نفسه بالغنى عن العبادِ وعن أعمالِهم فلا تنفعُهُ طاعاتُهم ولا تضرُّهُ معاصيهِم، وهو حليمٌ ـ تعالى ـ لا يُعاجِلُ بالعقوبةِ مَن عصاه، وفي ذكر هذا الاسمِ في هذا المقامِ تحذيرٌ لِمَن يُتْبِعُ صدقتُهُ بالـمَنِّ والأذى، فلولا حِلمُه ـ تعالى ـ لعاجَله بالعقوبةِ؛ لأنه مُستحِقٌّ لها.

﴿مَثَلُ﴾ صفةُ نفقات ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ فكذلك نفقاتُهم تُضاعَفُ لسبعمائة ضِعْفٍ ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أَكثرَ من ذلك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضلُه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمَن يستحقُّ المضاعفة.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على المنفق عليه بقولهم مثلًا: «قد أَحسنتُ إليه وجبرتُ حالَه» ﴿وَلَا أَذًى﴾ له بذكر ذلك لمن لا يحبُّ وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثوابُ إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ كلامٌ حَسنٌ وردٌّ على السائل جميلٌ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ بالمنِّ وتعييرٍ له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبةِ عن المانِّ والمؤذي.

وقولُ المؤلِّف: (**صفةُ نفقات**): تفسيرٌ للمَثَلِ بالصفةِ، والصفةُ تكونُ بطرقٍ من الكلامِ، والصفةُ في هذه الآية بطريقِ التشبيهِ التمثيليِّ.

وقولُه: (**نفقات**): بيانٌ للمُشبَّه.

وقولُه: (**أي: طاعتِه**): تفسيرٌ لسبيل اللهِ، وهو تفسيرٌ صحيحٌ؛ فكلُّ طاعةٍ لله هي من سبيل الله تُقرِّبُ إلى الله.

وقولُه: (**فكذلك** ...) إلى آخره: بيانٌ لوجه الشبهِ، وهو الاتفاقُ في العددِ بين تضعيفِ النفقةِ وحباتِ السنابل.

وقولُه: (**أَكثرَ من ذلك**): لأنَّ هذا هو فائدةُ الجملةِ الـمُستأنَفَةِ.

وقولُه: (**فضلُه**): خصَّ السعةَ بالفضل؛ مراعاةً لمقامِ الإنفاقِ وتضعيفِ الأجرِ، وإلا فاللهُ واسعُ الفضلِ والرحمةِ والعلم كما قال تعالى: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]. وقولُه: (**بمَن يستحقُّ المضاعفة**): هذا التخصيصُ فيه مراعاةُ المقامِ أيضًا، وإلَّا فاللهُ بكلِّ شيءٍ عليمٌ.

وقولُه: (**على المُنفَقِ عليه**...) إلى آخره: بيانٌ لحقيقةِ الـمَنِّ وأنه يكون من الـمُنفِق على الـمُنفَقِ عليه، ومن المَنِّ قولُ المنفِقِ: «قد أَحسنتُ إلى فلانٍ وأَعطيتُهُ ونفعتُهُ»؛ على وجهِ التطاولِ عليه وأنَّ له فضلًا عليه.

وقولُه: (**له بذكر ذلك** ...) إلى آخره: تفسيرٌ للإيذاء ببعض أنواعِه، وهو ذِكر المُنْفِق مَن أنفقَ عليه عند مَن يكرهُ الـمُنْفَق عليه اطِّلاعَه عليه، والأذى عامٌّ لكلِّ ما يكرهُ المتسلِّطُ عليه من قولٍ أو فعلٍ.

وقولُه: (**كلامٌ حسنٌ** ...) إلى آخره: فسَّرَ القولَ المعروفَ بالكلام الحَسنِ، والحَسنُ ضِدُّ القبيحِ، فالقولُ المعروفُ هو المستحبُّ شرعًا المقبولُ عقلًا وفطرةً، ومن القول المعروفِ رَدُّ السائلِ بالكلمةِ الطيبةِ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فاتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ فمَن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ))(١)؛ كأنْ يُقالَ للسائل: «أَبْشِرْ»، وإذا أُعْطِيَ قيلَ له: «هذا ما تيسَّرَ، وما يأتي أكثر، وسامِحْ عن التقصيرِ» وما أشبهَ ذلك مِن القولِ الحسَنِ المعروفِ، فكلُّ ذلك ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾، فمِن أَشدِّ الأذى للمُعطَى: الـمَنُّ عليه، والصدقةُ المتبوعةُ بالـمَنِّ والأذى لا أجرَ فيها؛ لأنَّها باطلةٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦)، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقولُه: (**لهُ في إلحاحِه**): يريد: أَنَّ المغفرةَ المرغَّبَ فيها في الآية يرادُ بها: المغفرةُ للسائلِ إذا أساءَ كإلحاحِه في السؤالِ، وهو الإلحافُ المذكورُ في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣][(١)].

وقولُه: (**بالمَنِّ** ...) إلى آخره: فسَّرَ الأذى بنوعَينِ وهما: المنُّ، والتعييرُ للمسكينِ المتصدَّقِ عليه سائلًا أو غيرَ سائلٍ، والأذى: اسمٌ عامٌّ يَعُمُّ كلَّ ما يُؤذي المتصدَّقَ عليه مِن قولٍ أو فعلٍ.

وقولُه: (**عن صدقةِ العبادِ**): اللهُ غنيٌّ عن جميعِ أعمالِ العباد، وخصَّ المؤلِّفُ الصدقةَ؛ مراعاةً لسياقِ الآيات.

وقولُه: (**بتأخيرِ العقوبةِ** ...) إلى آخره: بيانٌ لوجه ذِكر اسمِ الله «الحليم»، وأنَّ فيه تهديدًا وتحذيرًا للمَانِّ والمُؤذِي.



(١) سيأتي في (ص٦٣٠).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة:٢٦٤]:

ينهى الله عباده المؤمنين عن التسبُّب في إبطال صدقاتِهم، ومن أَعظم أَسباب بُطلان الصدقة المنُّ والأذى والرياءُ، وهذا معنى قوله: ﴿بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾؛ أي: بسببِ الـمَنِّ بالصدقة على المتصدَّقِ عليه أو الأذى له بقولٍ أو فعلٍ، فإنَّ ذلك مُبطِلٌ لصدقتِكُمْ كما يُبطِلُ الرياءُ أجرَ ما يُنفقُهُ المرائي، والذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ إنما يحملُهُ على ذلك أنه لا يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ؛ لذلك لا يبتغي أجرًا عندَ الله ولا يخشى عقابَه، ثم يُشبِّهُ اللهُ عملَ هذا المرائي في ذهابِ أجرِه بالصَّفوان؛ وهو الحجرُ الأملسُ[١] إذا كان ﴿عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ﴾؛ أي: مطرٌ قويٌّ[٢]، فإنه يُزيلُ ما عليه من الترابِ فيبقى الصفوانُ أملسَ لا شيءَ عليه مِن ذلك التراب، وهذا معنى: الصَّلْد، ولهذا قال: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗا﴾، وهذا تشبيهٌ تمثيليٌّ؛ شبَّهَ عملَ المرائي ـالذي يقتضي في أصلِهِ أجرًا ولكن بريائِهِ أَذْهبَ أجرَهُـ بالصفوانِ الذي عليه ترابٌ فأزالَ المطرُ كلَّ ما عليه مِن ذلك فصارَ صَلدًا؛ أي: أملسَ لا شيءَ عليه من ترابٍ ولا نباتٍ[٣]. وقوله تعالى: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ أي: لا يقدِرُ المراؤونَ بنفقاتِهم على شيءٍ ينفعُهم جزاءً على أعمالهم؛ لأنهم أبطلوها بفساد نِيَّاتِهم فلم يُنفقُوا ما أنفقوا ابتغاءَ وجهِ الله، بل أنفقوهُ رئاءَ الناس؛ أي: ليَرَاهُمُ الناسُ فيحمدوهم على

---

(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٤٨٧-٤٨٨).
(٢) «المفردات» للراغب (ص٨٥٢).
(٣) «المفردات» للراغب (ص٤٩٠).

إنفاقهم في وجوه الخير، وليس لهؤلاء المرائينَ مِن أعمالهم إلا ما نَوَوا لقولِهِ ﷺ: «إنما الأعمالُ بالنيَّات وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى ...»[1] الحديث.

وقوله تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾: تشبيهٌ لِمَن يُتْبِعُ صدقتَهُ بالـمَنِّ والأذى بالذي يُنفِقُ رئاءَ الناسِ، ووجهُ الشبهِ بينهما: إبطالُ الصدقة والنفقة، وكذلك يُشبَّهُ الذي يُتبعُ صدقتَهُ بالـمَنِّ والأذى بمَن شَبَّه به الذي يُنفِقُ مالَهُ رئاءَ الناس؛ أي: بالصَّفوان الذي عليه ترابٌ فأَصابَه وابلٌ فتركهُ صَلْدًا، فدلَّ هذا التمثيلُ على أنَّ هذه الـمُبطلاتِ للصدقة لا تُبقِي للعامل من أجرِها شيئًا. وقولُه: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝٢٦٤﴾: وعيدٌ للكافرين باللهِ، ومنهمُ المنافقونَ الذين يُنفقونَ أموالَهم رئاءَ الناسِ ولا يؤمنونَ بالله ولا باليوم الآخرِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ أَي: أُجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إبطالًا ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ مرائيًا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهو المنافقُ ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أَملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطرٌ شديدٌ ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ صلبًا أَملس لا شيءَ عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف؛ لبيان مثل المنافقِ المنفق رياءً. وجمعَ الضميرَ باعتبار معنى «الذي» ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا، أي: لا يجدون له ثوابًا في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيءٌ من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وقولُ المؤلِّف: (**أي: أُجورها**): هذا من التفسيرِ باللَّازمِ؛ فإنَّ العملَ إذا بطَلَ في حكم الشرع لم يترتَّب عليهِ أجرٌ.

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

وقولُه: (**إبطالًا**): هذا مصدرٌ مُبيِّنٌ للنوعِ، قَدَّرهُ المؤلِّفُ ليكون هو المشبّه، والكافُ صفةٌ له؛ فالمعنى: لَا تُبْطِلُوا صدقاتكم إبطالًا مثلَ إبطالِ نفقةِ الذي يُنفقُ مالَه رِئاءَ النَّاسِ. وقولُه: (**مرائيًا لهم**): جعلَ المصدرَ في موضع الحال، ويُحتمَلُ أنه مفعولٌ لأجله[1].

وقولُه: (**وهو المنافقُ**): لأَنَّ هذا الوصفَ لا ينطبقُ إلا على المنافقِ دونَ مَن يُرائي وهو من المؤمنين.

وقولُه: (**حجر أَملس**): هذا بيانٌ لمعنى: الصَّفوان.

وقولُه: (**مطرٌ شديدٌ**): بيانٌ لمعنى الوابلِ، ومعنى شديد؛ أي: شديدُ الوَقْعِ على الأرض وغزيرٌ يجري في الأرض الصَّلبةِ.

وقولُه: (**صَلبًا** ...) إلى آخره: تفسيرٌ للصَّلد بثلاثةِ أمورٍ؛ بالصَّلابةِ، والـمُلوسةِ، وخُلُوِّه عمَّا يُغطِّيه من نباتٍ أو ترابٍ[2].

وقولُه: (**استئنافٌ**): إمَّا أنَّ الجملةَ مُستأنفةٌ فهو ظاهرٌ، وأما قولُه: (**لبيان مثل المنافقِ المنفق رياءً**) فليس بظاهرٍ؛ فإن مَثل المنافقِ قد تقدَّمَ قبل الجملةِ المستأنفةِ، ولو قال: لبيانِ عاقبةِ المنافقِ الذي ينفقُ رياءً لكانَ أَسَدَّ وأنسبَ.

وقولُه: (**وجُمِعَ الضميرُ** ...) إلى آخره: يريد: الواو في قوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾. وقولُه: (**باعتبارِ معنى: «الذي»**): يريد: الموصولَ في قوله: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ﴾؛ فإنَّ لفظَهُ مفردٌ ومعناهُ جمعٌ؛ لأنَّ المرادَ به الجنس، وهذا معنى قوله: (**باعتبار معنى: «الذي»**).

وقولُه: (**عملوا**...) إلى آخره: بيانٌ لوجهِ الشبه بين عملِ الـمُنْفِقِ رياءً والصفوانِ، وكلامُ المؤلِّف واضحٌ.



(١) **ينظر**: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٢١٤)، و«البحر المحيط» (٢/ ٦٦٣).

(٢) **ينظر**: «لسان العرب» (٣/ ٢٥٧).

وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة:٢٦٥]:

هذا مَثَلٌ آخر ضربَهُ اللهُ لنفقةِ مَن يُنفقُ في سبيل اللهِ، والمثلُ الأول في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾، ومعنى المثَل هو: الصِّفةُ؛ المعنى: وصفةُ نفقةِ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ﴾؛ أي: طلبًا لرضاهُ وتسليةً من أنفسِهم؛ أي: تصديقًا ويقينًا، وقيل: تثبتًا، وضَعَّفَ ذلك ابنُ جريرٍ ورجَّحَ الأولَ(١).

وقولُه: ﴿كَمَثَلِ﴾: أي: كصفةِ ﴿جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾؛ أي: في مُرتَفعٍ من الأرض(٢).

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: أي: نزلَ عليها مطرٌ غزيرٌ سقاهَا فَأَرْوَاها.

﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾: أي: فأثمرتْ ثمرَها ضِعفين؛ أي: مثلَ ثمرِها في العادة مرَّتين، أو مثلَ ثمرِ أمثالِهَا من الجنَّاتِ مرتينِ.

وقولُه: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: أي: إنْ لم يُصبها مطرٌ شديدٌ أصابَها طَلٌّ، وهو المطرُ الخفيفُ(٣)؛ المعنى: أنها لا تَعدمُ ما يَسقيها، فإمَّا وابلٌ وإمَّا طَلٌّ، وهذا التفاوتُ في المشبَّه به راجعٌ إلى التفاوت في المشبَّه؛ وهي: نفقةُ المنفقين في سبيلِ الله، فمنهم مَن يكونُ أكملَ إخلاصًا وسخاءً وأكثرَ بذلًا وأعظمَ تصديقًا ويقينًا فتُضاعفُ صدقتُه بحسبِ ذلكَ، ومنهم مَن يكون دون ذلك فيما تقدَّم فينزلُ عن درجته، ولهذا قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ المنفقينَ على درجتين: سابقين مُقرَّبينَ، وأبرارٌ أصحابُ يمينٍ(٤)، وبنى على ذلك التفاوت في سقي الجنةِ التي بربوةٍ، وهي: المشبَّهُ به، وهذا التشبيهُ في هذه الآيةِ مثل ما

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٦٧٠-٦٧١).
(٢) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٩٧). (٣) ينظر: «المفردات» (ص٥٢٢).
(٤) ينظر: «طريق الهجرتين» (ص٨٠٤-٨٠٥).

سبقَهُ في المثلَين السابقينِ كلّها من قَبيلِ التشبيهِ التمثيليِّ الذي يُراعَى فيه تشبيهُ جملةٍ بجملةٍ أو هيئةٍ بهيئةٍ كما تقدَّم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾: أي: بما تعملون عليمٌ علمًا تامًّا بجميع أعمالِه وأسبابِهَا، وغاياتِها محمودةً أو مذمومةً، وآثارِها حسنة أو سيئةً، نافعةً أو ضارَّةً، فعلمُ اللهِ محيطٌ بذلك كلِّه، ثم يجزي كُلًّا بعملِه إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًا فشَرٌّ، ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ [النجم:٣١]، ففي قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾ وعدٌ ووعيدٌ، وعدٌ للمنفقينَ المخلصينَ الصادقينَ، ووعيدٌ للمُرائينَ والـمُتْبِعينَ صدقاتهم الـمَنَّ والأذى.

﴿وَمَثَلُ﴾ نفقاتِ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ﴾ طَلَبَ ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: تحقيقًا للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له، و«من»: ابتدائية ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستانٍ ﴿بِرُبْوَةٍ﴾ بضمِّ الراءِ وفتحِها: مكانٍ مرتفع مستوٍ ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ﴾ أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾ بضمِّ الكاف وسكونِها: ثمرَها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مِثلَي ما يُثمرُ غيرها ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ مطرٌ خفيفٌ يُصيبُها ويكفيها لارتفاعها. المعنى: تُثمرُ وتزكو كَثُرَ المطرُ أم قلَّ، فكذلك نفقات مَن ذكر، تزكو عند الله كثُرت أم قلَّت ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازيكم به.

وقولُ المؤلِّف: (**نفقاتِ**): بيانٌ للمُشبَّهِ على أحد القولينِ، وقيل: المشبَّهُ هو الموصولُ ﴿الَّذِينَ﴾، ومَن يقولُ ذلك يُقدِّرُ في المشبَّهِ به: «كَمَثَلِ صاحبِ جَنَّةٍ»[1].

(١) تقدم في (ص ٥٩٣).

وقولُه: (**طلبَ**): يقتضي أنَّ ﴿ابْتِغَاءَ﴾ مفعولٌ لأجلِه.

وقولُه: (**أي: تحقيقًا للثوابِ** ...) إلى آخره: يريد: احتسابًا للثوابِ الذي وعدَ اللهُ به المنفقينَ ابتغاءَ مرضاتِ الله.

وقولُه: (**و«مِنْ»: ابتدائيةٌ**): يُبيِّنُ أنَّ تثبيتَهم ـوهو تصديقُهم ويقينُهم عند الإنفاقِـ حاصلٌ بمجاهدةٍ من أنفسِهم.

وقولُه: (**بستانٍ**): بيانٌ لمعنى الجنةِ، ولكن اسم «الجنةِ» يدلُّ على أنها البستانُ كثيرُ الأشجارِ بحيث يسترُ مَن فيه، فالجنةُ أخصُّ من البستان، فكلُّ جنةٍ بستانٌ وليسَ كلُّ بستانٍ جَنَّةٌ. وقولُه: (**بضمِّ الراءِ وفتحِها**): يشيرُ إلى أنَّ فيها لغتينِ وقراءتين[(١)].

وقولُه: (**مكانٍ مرتفعٍ مستوٍ**): تفسيرٌ للرَّبوةِ، والجنةُ في الربوةِ أطيبُ ما تكونُ ثمرًا وأكثرُهُ؛ لِبُروزِها للشمسِ والرياحِ.

وقولُه: (**أعطَتْ**): هو معنى: «آتَتْ»، والإيتاءُ والإعطاءُ يُضافُ إلى الجنة وإلى الشجرة، فقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم:٢٥] معناه: تُخرِجُ ثمرَها، وذلك بإذنِ الله ومشيئتِه.

وقولُه: (**بضمِّ الكافِ وسكونِها**): يشيرُ إلى اللغتين في «أُكُل» وقد قُرِئ باللُّغتَين[(٢)].

---

(١) قرأ عاصم وابن عامر: ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بفتح الراء، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿بِرُبْوَةٍ﴾ بضم الراء، أما لغة فجاءت مثلثة الراء مع رَباوَةٌ، وبغير ما تقدم ـمن الفتح والضمـ جاءت روايات شاذة عن: ابن عباس، والأشهب العقيلي، والحسن، والأعمش، وابن أبي إسحاق. **ينظر**: «النشر» (٢/ ٢٣٢)، و«مختصر شواذ القرآن» (ص٢٣)، و«الكامل في القراءات» (ص٥٠٩)، و«الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٣٥٠).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿أُكْلَهَا﴾ بسكون الكاف، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿أُكُلَهَا﴾ بضمها. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٩٠)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص٢٩٩-٣٠٠).

وقولُه: (**ثمرَها**): تفسيرُ ﴿أُكُلَهَا﴾، وهو كلُّ ثمرٍ مأكولٍ كالتمرِ والعنبِ وغيرهما.

وقولُه: (**مِثلَي ما يُثمرُ غيرُها**): ضعفُ الشيءِ: مثلُهُ، وضعفاهُ: مِثْلاه؛ فمعنى: ﴿آتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أي: أثمرتْ مثل ثمرِ غيرها مرَّتين، وهذا في صفة المشبَّهِ به، فيقتضي أنَّ الـمُشبَّهَ وهو نفقةُ الـمُخلِص يثابُ عليها مثلَ ما يُثابُ غيرُه مرتين، وبذلك يظهرُ وجهُ الشَّبهِ.

وقولُه: (**مطرٌ خفيفٌ** ...) إلى آخره: تضمَّنَ تفسيرَ الطَّلِّ بأنه المطرُ الخفيفُ، وبيان أنَّ هذه الجنة يزكو ثمرُها إنْ أصابَها وابلٌ أو طَلٌّ. ثم يُبيِّنُ وجهَ الشبهِ بين المشبَّهِ والمشبَّهِ به بقوله: (**فكذلك نفقات مَن ذكر، تزكو عند الله كثُرت أم قلَّت**).

وقولُه: (**مَن ذُكر**): أي: مَن ذُكر في أول الآية، وهم ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أموالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

وقولُه: (**فيُجازيكم به**): يُنبِّه على أنَّ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيه الإشارةُ إلى الجزاء وعدًا ووعيدًا.



وقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة:٢٦٦]:

الخطابُ في هذه الآيةِ للمؤمنينَ؛ فإنَّ معناها مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾، والاستفهامُ إنكاريٌّ معناه: النفيُ، ومُتضمِّنٌ للتقريرِ؛ فالمعنى: لا يحبُّ أحدٌ منكم أنْ تكون لهُ هذه الجنة مع ما ذُكِرَ من مصيرها، وما ذُكر من ضعفِ صاحبِها وضعفِ ذريتِه، وهذه الجنةُ مثلٌ ضربَه اللهُ لِمَن عملَ عملًا صالحًا يستحقُّ عليه الثوابَ، ثم أبطله بقولٍ أو فعلٍ مما يبطلُ الأعمالَ كالـمَنِّ والأذى في الصدقةِ، وبهذا يظهرُ اتصالُ هذه الآيةِ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم ...﴾ الآيةَ.

وأعظمُ ما ينطبقُ عليه هذا المثلُ مَن أمضى عمرَهُ في طاعة الله وعند الموتِ ارتدَّ عن الإسلام فأبطلَ كلَّ ما مضى منه من أعمالٍ صالحةٍ، وهذا معنى ما جاء عن ابن عباس، وعن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في تفسير الآية[١].

وقولُه: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ﴾: أي: من تحت أشجارِها. وقولُه: ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أي: من أنواع الثمارِ، وهو يدلُّ على أنَّ في هذه الجنةِ أنواعَ الأشجارِ ذاتِ الثمرِ، وخصَّ النخلَ والعنبَ بالذكر؛ إما: لكثرتِهما فيها، وإما لفضلِهما على سائر الشجرِ لكثرةِ منافعِهما[٢].

وقولُه: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾: الواو واو الحال؛ أي: وقد أصابَه الكِبرُ فهو عاجزٌ عن الكسب. ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾: هم عاجزون كذلك، و﴿ضُعَفَآءُ﴾:

(١) ينظر: صحيح البخاري (٤٥٣٨)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٦٨٢-٦٨٤)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٥٢٢)، و«الدر المنثور» (٢/ ٤٧-٤٩).

(٢) ينظر: «الكشاف» (١/ ٤٩١)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٧٠)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٣١٩).

جمعُ ضعيفٍ، ويُجمَعُ على ضِعَافٍ، والإعصارُ: هي الريحُ الشديدةُ الباردةُ، وقيل: ريحٌ شديدةٌ فيها سمومٌ[1]، وهو ما يدلُّ عليه قوله: ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾؛ أي: احترقَتْ أشجارُ الجنةِ وثمارُها فلم يبقَ فيها نفعٌ لصاحبِها مع ما هو عليه من عجزِه وعجزِ ذريتِهِ فذهب عملُهُ فيها وما أنفقَه في غرسها وإصلاحها باطلًا وخسرَ خسرانًا مُبينًا.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: أي: مثلُ هذا البيانِ والتفصيلِ للآياتِ السابقةِ يُبيِّنُ سائرَ الآياتِ من كتابه.

وقولُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾: «لعلَّ»: للتعليل؛ فالمعنى: بيَّنَ لكم الآياتِ لِتتفكَّروا فيها وتتدبَّروها فتَفهموها وتهتدوا بها.

﴿أَيَوَدُّ﴾ أيحبُّ ﴿أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستانٌ ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا﴾ ثمرٌ ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ﴾ قد ﴿أَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ فضعفَ من الكبر عن الكسب ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ أولادٌ صغارٌ لا يقدرون عليه ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ريحٌ شديدةٌ ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ففقدها أَحوج ما كان إليها، وبقي هو وأولادُه عجزةً مُتحيِّرين لا حيلةَ لهم. وهذا تمثيلٌ لنفقة المرائي والمانِّ في ذهابها وعدمِ نفعها أَحوج ما يكون إليها في الآخرة. والاستفهامُ بمعنى النفي. وعن ابن عباس: هو لرجلٍ عملَ بالطاعات ثم بعثَ له الشيطانُ فعمل بالمعاصي حتى أَحرقَ أعمالَه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين ما ذُكِر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون.

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٦٩٠-٦٩٣)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٧٠)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٣١٩-٣٢٠).

وقولُ المؤلِّف: (أَيحبُّ): قيل: المودّةُ: خالصُ المحبةِ(١)، وقيل: الودُّ: محبةُ الشيءِ مع تَمنِّيه(٢). وقولُه: (بستانٌ): أي: بستانٌ كثيرُ الأشجارِ.

وقولُه: (ثمرٌ): هو تقديرٌ للمبتدأِ، وخبرُه: الجارُّ والمجرورُ ﴿لَهُ﴾.

وقولُه: ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: صفةٌ للمبتدأِ المقدَّرِ.

وقولُه: (قد): يريدُ «وقد أصابَه الكِبَرُ»، فالجملةُ حالٌ.

وقولُه: (فضعفَ ...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ الكِبر: حالةُ ضعفٍ يعجزُ معها الإنسانُ عن الكسبِ الذي يُغنيهِ عن الحاجة إلى الغير.

وقولُه: (أولادٌ صغارٌ ...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ المرادَ بالذرية الصِّغارِ لقوله: ﴿ضُعَفَاءُ﴾؛ لأنَّ الصِّغر حالةُ ضعفٍ لا يتهيأُ معه الكسبُ.

وقولُه: (ريحٌ شديدةٌ): قيل: باردةٌ شديدةُ البردِ، وقيل: سمومٌ، ويؤيدُ هذا قوله: ﴿فِيهِ نَارٌ﴾. وقولُه: (ففقدَها ...) إلى آخره: بيانٌ لِعظَم المصيبةِ بما أصابَ الجنةَ مع ما عليه صاحبُها من ضعفه وضعفِ ذريتِه، فلم يبقَ لهُ مع هذه الحال نفعٌ من جنَّته، ويُبيِّنُ المؤلِّفُ وجهَ الشبهِ بين مَن أبطلَ صدقتَه وعملَه الصالح فلم يجدْ له ثوابًا في الآخرة وصاحبِ هذه الجنةِ. وقولُه: (والاستفهامُ بمعنى: النَّفي): يريد: الاستفهام في أول الآيةِ.

وقولُه: (وعن ابنِ عباسٍ ...) إلى آخره: هذا الأثرُ رواهُ البخاريُّ(٣)، وهو من أحسنِ ما تُفسَّر به هذه الآيةُ، وقد أحسنَ المؤلِّفُ بنقله.

وقولُه: (ما ذُكِر): بيانٌ لمرجع الإشارةِ في قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾.

وقولُه: (فتعتبرون): بيانٌ للغاية من التفكُّرِ.



---

(١) ينظر: «روضة المحبين» (ص٧٤).

(٢) ينظر: «لسان العرب» (٣/ ٤٥٣-٤٥٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٤٥٣٨).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة:٢٦٧]:

لَمَّا رغَّب تعالى في الآيات السابقة في الإنفاق في سبيله وحذَّر من كلِّ ما يُبطل الصدقات من المنِّ والأذى والرياء وضربَ الأمثال لذلك؛ أَمرَ تعالى عبادَه المؤمنين في هذه الآية بالإنفاق من الطيبات مما اكتسبوه بالتجارة وغيرِها، ومما أخرجَ لهم من الأرض من الحبوب والثِّمار، ونهاهم تعالى عن قصد الخبيثِ من المال ـ وهو: الرديءُ ـ عند قصْدِ الإنفاق، فبيَّن تعالى ما ينبغي الإنفاق منه وهو الطيِّب؛ أي: الجيد من أنواع المال، وما لا ينبغي قصْدُه في الإنفاق وهو الخبيث، وأَكَّد تعالى هذا النهيَ بأنَّ اختيارَ الرديءِ فيما تنفقونه لله لا يليقُ بكم، وأنتم لا تختارونَه لأَنفسكم؛ بل لا تقبلونه لو أُهديَ إليكم إلَّا على إغماض؛ أي: إلَّا على كراهةٍ وحياءٍ ممن أَعطاكُموه؛ وهو ما يُعبَّرُ عنه بالمجاملة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾.

ثم أَعلمَ تعالى عبادَه بأنه غنيٌّ عن نفقاتهم، فلم يأمرْ بالإنفاق في سبيله من الطِّيبات لحاجتِه إلى ذلك؛ بل ليُظهر ما في قلوب المؤمنين من تقوى اللهِ والتصديق بوعده كما قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: ٣٧].

وهو الحميد؛ أي: المحمودُ على جميع أفعالِه وتدبيرِه في شرعه وقَدَرِه؛ وذلك لكمال حكمته، فله الحمدُ كلُّه، ولهذا جمعَ تعالى في تعليمه لعباده بين هذين الاسمين «الغني الحميد»؛ فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾، ويُحتمل أَنَّ «حميد» بمعنى: حامد، وهذا معنى صحيحٌ؛ لأَنَّه تعالى يُثني على عباده المؤمنين وعلى المنفقين ويُضاعفُ لهم الأُجور؛ فيكون معنى ﴿حَمِيدٌ﴾

قريبًا من معنى ﴿شَكُورٌ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

واختلف المفسرون في الإنفاق المأمور به في الآية؛ فقيل: هو الزكاةُ، وقيل: صدقةُ التطوع، وظاهرُ الآية العمومُ؛ كقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ٣]، يشمل النفقةَ الواجبةَ والمستحبةَ[(١)].

وقد استُدلَّ بالآية على وجوب الزكاةِ في عروض التجارة؛ لقوله: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾، وعلى وجوب الزكاةِ في الخارج من الأرض من قوله: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، فأَمَّا عروضُ التجارةِ فذهب جمهورُ العلماءِ على وجوب الزكاةِ فيها[(٢)]، وهي: كلُّ ما أُعِدَّ للبيع وطُلِبَ به الرِّبحُ، وذهبت الظاهريةُ إلى عدم وجوب الزكاةِ في العروض[(٣)].

وأَمَّا الخارجُ من الأرض؛ ففي وجوبِ الزكاةِ فيه مذاهب[(٤)]؛ فقيل: تجبُ الزكاةُ في كلِّ خارجٍ من الأرض؛ من الحبوب والثمارِ والفواكهِ والخضرواتِ؛ لعموم الآية.

وقيل: يختصُّ وجوبُ الزكاة بما يُوسَقُ من الحبوب والثمار؛ كالتمر والعنب والبر والشعير؛ لقوله ﷺ: ((ليس فيما دونَ خمسةِ أَوْسُقٍ من حب أو ثمر صدقةٌ))[(٥)].

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٧٠٩-٧١٠)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٧١-٧٢).
(٢) ينظر: «المجموع شرح المهذب» (٦/ ٣-٥)، و«المغني» (٤/ ٢٤٨-٢٤٩).
(٣) ينظر: «المحلى» (٤/ ٣٩).
(٤) ينظر: «المجموع شرح المهذب» (٥/ ٤٣٠ وما بعدها)، (٥/ ٤٦٨-٤٧١)، و«المغني» (٤/ ١٥٤ ما بعدها).
(٥) أخرجه البخاري (١٤٥٩)، ومسلم (٩٧٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقيل: لا تجبُ الزكاةُ إلَّا في أربعة التمر والزبيب والبر والشعير؛ لحديث أبي موسى ومعاذ وفيه أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((لا تأخذوا الصدقةَ إلا من هذه الأربعة: الشعير، والحنطة، والزبيب، والتمر))[1]، وأَدخل بعضُ المفسِّرين في عموم: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم﴾ المعدنَ والرِّكازَ؛ فأَوجب فيهما الزكاةَ من هذه الآية، ويدلُّ لوجوب الزكاةِ في الرِّكازِ قولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وفي الرِّكازِ الخُمسُ))[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾ أَي: زكُّوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ جِياد ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ من المال ﴿وَمِـ﴾ـن طيبات ﴿مَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من

---

(١) أخرجه الدارقطني (١٩٢١)، والحاكم (١٤٥٩)، والبيهقي (١٤٥٩) من طريق أبي حذيفة موسى بن مسعود النهدي، عن سفيان الثوري، عن طلحة بن يحيى، عن أبي بردة، عن أبي موسى ومعاذ بن جبل حين بعثهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن يعلمان الناس أمر دينهم: ((لا تأخذوا الصدقة إلا من هذه الأربعة:..)) وذكره.
وأبو حذيفة فيه ضعف من قبل حفظه، وأخرج له البخاري في المتابعات. «التقريب» (٧٠١٠)، وقال الذهبي في «الميزان» (٨٩٢٣): «صدوق إن شاء الله، يهم، تكلم فيه أحمد، وضعفه الترمذي، وقال ابن خزيمة: لا يحتج به».
وطلحة بن يحيى التيمي مختلف فيه، وثقه يحيى بن معين وغيره، وقال يحيى القطان: «لم يكن بالقوي»، وقال البخاري: «منكر الحديث»، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: «كان يخطئ». **ينظر**: «الميزان» (٢/ ٣٤٣).
وتابع أبا حذيفة في روايته عن سفيان: عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي. أخرجه البيهقي (٧٤٥٢) من طريق يحيى بن آدم، ولفظه غير صريح في الرفع.
وأخرجه أحمد (٢١٩٨٩)، والدارقطني (١٩١٤)، والحاكم (١٤٥٧) من طريق موسى بن طلحة قال: عندنا كتاب معاذ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أنه إنما أخذ الصدقة ...)) وذكره.
وموسى بن طلحة لم يدرك معاذًا، لكنها وجادة صحيحة.
وللحديث شواهد ومراسيل يشد بعضها بعضًا كما قال البيهقي. **ينظر**: «نصب الراية» (٢/ ٣٨٦)، و«البدر المنير» (٥/ ٥١١)، و«التلخيص الحبير» (٣/ ١٣٣٥، رقم ١٠٣٩)، و«إرواء الغليل» (٣/ ٢٧٦، رقم ٨٠١).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٩)، ومسلم (١٧١٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ تقصدوا ﴿الْخَبِيثَ﴾ الرديءَ ﴿مِنْهُ﴾ أي: من المذكور ﴿تُنْفِقُونَ﴾ه في الزكاة: حالٌ من ضمير «تيمَّموا» ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ أَي: الخبيثَ لو أُعطيتموه في حقوقكم ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ بالتساهلِ وغضِّ البصرِ. فكيف تؤدُّون منه حقَّ اللهِ؟ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن نفقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾ محمودٌ على كلِّ حالٍ.

وقولُ المؤلِّف: (أي: زكوا): هذا أَحدُ الأقوال في معنى الأمر في هذه الآية؛ وهو أَنَّ المرادَ إِخراجُ الزكاةِ المفروضة. وقيل: المرادُ بالأمر صدقةُ التطوع. وقيل: إِنَّ الأمرَ يَعمُّهما، وهذا أَظهرُ؛ لإطلاقِ الأمرِ بالإنفاق؛ قال ابنُ جرير في تأويل قولِه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾: «زكُّوا وتصدَّقوا»[(١)].

وقولُه: (جِياد): جمعُ جيِّد، وذكره بلفظ الجمعِ مراعاةً للفظ الطيباتِ، والجيدُ والطيِّبُ: هو المستحسنُ المرضيُّ، خلافَ الرديء.

وقولُه: (من المال): يُبيِّنُ أَنَّ المرادَ الإنفاقُ من الطيِّب من أنواع المال.

وقولُه: (﴿وَمِـ﴾ن طيبات): يُبيِّنُ أَنَّ قولَه: ﴿مَا أَخْرَجْنَا﴾ معطوفٌ على قولِه: ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾؛ إذن: فهو على تقدير: ومن طيباتِ ما أَخرجنا كما قدَّره المؤلِّف.

وقولُه: (من الحبوب والثمار): بيانٌ للمُراد بالمخرج من الأرض والحبوب والثمار هي أَكثرُ وأَشهرُ ما يمتنُّ اللهُ على عباده بإخراجه كما في سورة الأنعام والنحل وغيرهما، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق: ٩-١٠].

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٦٩٤).

وقولُه: (**تقصدوا**): تفسيرٌ لـ﴿تَيَمَّمُوا﴾، وأَصلُه تتيمموا، حُذفت منه إحدى التاءين، ويُقال في الماضي: يمَّم كذا، وتيمَّم؛ أي: قصدَ ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]؛ أي: اقصدوا.

وقولُه: (**الرديء**): تفسيرٌ للخبيث، وهذا في مقابل الطيبات، فأَمرَ بالإنفاق من الطيبات ونهى عن قصد الإنفاقِ من الخبيث.

وذُكر بسبب نزولِ هذه الآيةِ أَنَّ بعضَ الصحابةِ لَمَّا أَمر اللهُ بالإنفاق علَّقوا قنوان في المسجد للفقراء، فعلَّقَ بعضُهم قنو حشف[١] فأَنزل الله هذه الآية[٢]، وقيل: الخبيثُ هو الحرامُ[٣]، والطيِّبُ هو الحلالُ، وهذا معنىً صحيحٌ، ولكنْ تفسيرُ الطيِّبِ والخبيثِ في الآية بذلك لا يُناسبُ السِّياقَ[٤] إذا عُلم أَنَّ الأصلَ في مال المسلمِ أَنَّه من الحلال.

وسببُ نزولِ الآية يُرجِّحُ القولَ الأَوَّل وهو قولُ الجمهور.

وقولُه: (**من المذكور**): يُبيِّنُ أَنَّ الضميرَ في ﴿مِنْهُ﴾ يعود على الخبيث المذكور قبل. وقولُه: (**حالٌ من ضمير «تيمموا»**): معناه: أَنَّ جملةَ ﴿تُنْفِقُونَ﴾ في موضع نصبٍ على الحال من الواو في قوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾؛ فالتقدير: ولا تيمَّموا الخبيثَ مُنفقين منه؛ أي: قاصدين الإنفاقَ منه؛ أَي: من الخبيث خاصَّة كما يدلُّ عليه تقديمُ الجار والمجرور.

---

(١) القنو: العذق بما فيه من الرطب، وجمعه: أقناء. والحشف: اليابس الفاسد من التمر، وقيل: الضعيف الذي لا نوى له كالشيص. **ينظر**: «النهاية» (٤/ ١١٤)، و(١/ ٣٩١).

(٢) **ينظر**: «أسباب النزول» (ص٨٨)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٦٢٣).

(٣) في الآية قولان؛ أحدهما: أنهم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة. وهو قول عليٍّ، والبراء بن عازب، وجمهور المفسرين، ونقل الطبري اتفاق أهل التأويل عليه. والثاني: أن الخبيث هو الحرام، وضعّف ابن عطية هذا القول من جهة نسق الآية ومعناه. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٤/ ٦٩٨-٧٠٣)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٧٢)، و«زاد المسير» (١/ ٢٤١)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٩٧).

(٤) **ينظر**: «المحرر الوجيز» (٢/ ٧٢).



وقولُه: (**أَي: الخبيث** ...) إلى آخره: بيانٌ لمرجع الضمير المجرور في قوله: ﴿آخِذِيهِ﴾؛ المعنى: لا تقبلون الخبيثَ لو أُعطيتم حُقوقَكم منه، أَو أُهديَ إليكم منه.

وقولُه: (**بالتساهل** ...) إلى آخره: بيانٌ لمعنى الإغماضِ؛ وهو التساهلُ والمجاملةُ في أَخْذ الحقِّ مع ما فيه من العيب لهم بأَنْ رَضوا للهِ ما لا يرضون به لأنفسهم.

وقولُه: (**عن نفقاتكم**): خصَّ النفقات بالذكر مراعاةً لسياق الآياتِ، وإِلَّا فاللُّه غنيٌّ عن جميع طاعات العبادِ.

وقولُه: (**محمودٌ على كلِّ حال**): هذا أَحدُ الوجهين في معنى «الحميد»، وقيل بمعنى: حامد، والأَوَّلُ أَظهرُ وأَشهرُ.



وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨]:

لَمَّا أَمر اللهُ بالإنفاق في سبيله ورغَّب في ذلك وأَمرَ بالإنفاق من طَيِّبِ المالِ؛ حذَّرَ سبحانه من العدوِّ الذي يأمرُ بضدِّ ما أَمر اللهُ به، ويعدُ بضدِّ ما يعدُ اللهُ به؛ وهو الشيطانُ إبليس وذريته وأَتباعه؛ فقال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ يعني: يُخوِّفكم الفقرَ إذا أَنفقتم أَموالَكم. ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾؛ قيل: هي البخلُ، وقيل: المعاصي عامَّة[1].

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗا﴾: مغفرةً لذنوبكم مما يحصل من التفريط بما أَوجب عليكم، ويَعدكم فضلًا؛ أي: ثوابًا وزيادةً في أَموالكم بما يُخلفه لكم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ: ٣٩]، وفي هذا تحذيرٌ من طاعة الشيطانِ فيما يأمرُ به، وترغيبٌ في الإنفاق مع حُسْنِ الظنِّ بالله وتصديقِ وعدِه.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: لا حدَّ لعطائه، ولا ينفذُ ما عنده. ﴿عَلِيمٞ ٢٦٨﴾: بكلِّ شيءٍ، وبأَعمال العبادِ، وبما في قلوبهم من النيَّات، وقد ذكر ابنُ كثيرٍ في تفسيره عند هذه الآية[2] حديثًا رُويَ عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا وموقوفًا، أَخرجه ابنُ أبي حاتمٍ والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ حبان؛ قال فيه الترمذي بعد روايته: «حَسنٌ غريبٌ، وهو حديثُ أبي الأحوص -يعني سلام بن سليم- لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديثه»[3]، ولفظُه عند ابنِ أَبي حاتم كما ذكر ابنُ كثير عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إنَّ للشيطان لمَّة بابن آدم، وللملك لمَّة، فأَمَّا لمَّةُ الشيطانِ فإيعادٌ بالشرِّ وتكذيبٌ بالحقِّ، وأَمَّا لمَّةُ المَلَكِ فإيعادٌ

(١) ينظر: «زاد المسير» (١/ ٢٤٢)، و«تفسير البيضاوي» (١/ ١٦٠)، و«البحر المحيط» (٢/ ٦٨١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٩٩-٧٠٠).

(٣) ينظر: «جامع الترمذي» (٢٩٨٨).

بالخير وتصديقٌ بالحقِّ، فمن وَجَدَ ذلك فليعْلَم أَنَّه من الله، فليحمد اللهَ، ومَن وَجدَ الأُخرى فليتعوَّذ من الشيطان))، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًا﴾ الآية[1].

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ يُخوفكم به إِن تصدَّقتم فتُمسكوا ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ البخلِ ومنعِ الزكاةِ ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ﴾ على الإنفاق ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ رزقًا خَلفًا منه. ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضلُه ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمنفق.

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٨٥)، والطبري (٥/ ٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢٨١٠)، وابن حبان (٩٩٧)، كلهم من طريق أبي الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

وعطاء بن السائب مشهور بالاختلاط، وقد اضطرب في هذا الحديث لاختلاطه. **ينظر:** «التهذيب» (٣٨٦).

وأخرجه موقوفًا:

حسين المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (١٤٣٥)، عن فطر، عن المسيب بن رافع، عن عامر بن عبدة، عن عبد الله بن مسعود، به.

وعبد الرزاق (٣٤٨) عن معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود، به.

وأخرجه الطبري (٥/ ٦) عن عمرو، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله به.

وقال عمرو: وسمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال: إذا أحس أحدكم من لمة الملك شيئًا فليحمد الله، وليسأله من فضله، وإذا أحس من لمة الشيطان شيئًا، فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان.

وأخرجه الطبري (٥/ ٧-٨) عن حماد وعن جرير، كلاهما عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني أن ابن مسعود، وذكره موقوفا أيضًا.

والموقوف هو الصحيح، وقد صحح وقفه: أبو زرعة وأبو حاتم. **ينظر:** «العلل» (٢٢٢٤)، كما صحح وقفه أحمد شاكر في تحقيقه لـ «تفسير الطبري» (٥/ ٥٧٢)، والألباني في «النصيحة» ـ في الرد على ابن عبد المنان ـ (ص١٠٨).

وقولُ المؤلِّف: (**يُخوفكم** ...) إلى آخره: تفسيرٌ لوعد الشيطانِ المنفقين بتخويفهم الفقرَ إن هم تصدَّقوا يقول: «يذهب مالُكم وتصيرون فقراءَ بعد أَن كنتم أَغنياء».

وقولُه: (**البُخل** ...) إلى آخره: تفسيرُ الفاحشةِ بالبخل هو أَحدُ القولين لتفسير الفاحشةِ في الآية، وقيل: الفاحشةُ: كلُّ ما فَحُشَ من المعاصي. ومن الفواحش منعُ الزكاةِ، وهو أَفحشُ البخل.

وقولُه: (**على الإنفاق**): يُبيِّنُ أَنَّ المغفرةَ والفضلَ جزاءٌ على الإنفاق.

وقولُه: (**لذنوبكم**): يُبيِّنُ أَنَّ من وعد الله للمنفقين مغفرةَ ذنوبهم، فيدلُّ على أَنَّ الإنفاقَ من أَسباب المغفرةِ، وهذا مضادٌّ لِمَا يأمرُ به الشيطان من الفواحش، فالشيطانُ يأمر بالذنوب واللهُ يعدُ بمغفرة الذنوب.

وقولُه: (**رزقًا خَلفًا منه**): هذا تفسيرٌ للفضل الموعود به ببعض مدلولِه، فإِنَّ الفضلَ الذي وعد اللهُ به المنفقينَ يعمُّ الثوابَ العاجلَ والآجلَ.

وقولُه: (**فضلُه**): خصَّه بالفضل مراعاةً للمقام وسياقِ الكلام، وكذا قولُه: (**بالمنفق**)؛ لأَنَّه تعالى عليمٌ بكلِّ شيءٍ، وكذا اسمه تعالى «الواسعُ» يشمل سعةَ العلمِ والرحمةِ والعطاءِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].



وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩]:

يُخبر تعالى أَنَّه يَمنُّ على مَن يشاء فيؤتيه من فضله العظيم، وهو أن يؤتيه الحكمةَ، والحكمةُ: إصابةُ الحقِّ في العلم والعمل، فتشملُ كلَّ علم صحيح وعملٍ صالحٍ، ويجمعُ ذلك الفقهُ في الدِّين، ولهذا فُسِّرت الحكمةُ في هذه الآية بالفقه في كتاب اللهِ وسنَّةِ رسولِه ﷺ، وأَعلى مراتبِ الحكمة هي النبوةُ، وتُفسَّرُ بها في بعض المواضع من آي القرآن؛ كقوله تعالى في داود: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١][1].

وقوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: وهذا امتنانٌ من الله على مَن آتاه الحكمةَ بأنه قد أُوتيَ حظًّا عظيمًا، ومعلومٌ أَنَّ مَن آتاه اللهُ العلمَ الصحيحَ النافعَ والعملَ الصالحَ فقد نال أَعظمَ سببٍ للسعادة والفوزِ العظيمِ.

وقوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾: أَي: لا يتذكَّرُ بالتذكير ولا ينتفعُ بالذكرى إِلَّا أُولوا الألباب؛ أَي: العقولِ الزكيةِ والفِطَرِ السويَّةِ والقلوبِ التقيَّةِ.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ أَي: العلمَ النافعَ المؤدِّي إلى العمل ﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية. ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ فيه إِدغامُ التاءِ في الأصل في الذال: يتَّعظُ ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أَصحابُ العقولِ.

وقولُ المؤلِّف: (**العلمَ** ...) إلى آخره: فسَّرَ الحكمةَ بالعلم؛ أَي: العلم الشرعي، وهو يشمل العلمَ بالقرآن والسنَّةِ، وقيَّده بالعلم المؤدِّي إلى العمل،

(١) تقدم (ص ٥٥٥).

فشملت الحكمةُ العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ، ولا يتحقَّقُ ذلك إِلَّا بالفقه في الدِّين في دلائله ومسائله.

وقولُه: (**لمصيرِه** ...) إلى آخره: لأَنَّ العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ هما سببُ هذا المصير.

وقولُه: (**فيه إدغامُ التاءِ** ...) إلى آخره: معناه: أَنَّ أَصلَ ﴿يَذَّكَّرُ﴾: يتْذَكَّرُ، فقُلبت التاءُ ذالًا وأُدغمتْ في الذال، ثم فسَّر ﴿يَذَّكَّرُ﴾ بـ«يتَّعظ».

وقولُه: (**أَصحابُ العقولِ**): معناه: أَنَّ أَصحابَ العقولِ المتفكرةِ هم الذين إذا ذُكِّروا تذكَّروا؛ أَي: اتَّعظوا وانتفعوا.



وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة: ٢٧٠-٢٧١]:

يُخبر تعالى عن علمه بما يُنفقُ العبادُ من نفقةٍ صغيرةٍ أو كبيرةٍ، وما ينذرون من نذرٍ قليلًا كان أو كثيرًا، ويعلم تعالى نيَّاتهم في نفقاتهم ونُذورهم، والنذرُ: هو أَن يوجب الإنسانُ على نفسه ما لم يجب عليه في أَصل الشرعِ[1]، وقرن اللهُ بين النفقةِ والنذرِ؛ لأَنَّ النذرَ كثيرًا ما يكون في الصدقة من المال، فيكون عبادةً باعتبار المآل، وأَمَّا عقدُ النذر فإنه منهيٌّ عنه في السنَّةِ الصحيحةِ؛ من ذلك قولُه ﷺ: ((النذرُ لا يأتي بخيرٍ، وإنما يُستخرجُ به من البخيل))[2]، لكنْ مَن نذرَ طاعةً وَجبَ عليه الوفاءُ بنذره؛ لقوله ﷺ: ((مَن نذرَ أَن يُطيعَ الله فليُطعه))[3]، وقولِه تعالى مُثنيًا على عباده: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧].

وقولُه تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾: جوابُ الشرط في قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم﴾، فمعنى الآية: أَيُّ نفقةٍ أَنفقتموها وأَيُّ نذرٍ نذرتموه فاللهُ عالمٌ به وسيجزيكم به ثوابًا حسبَ ما يعلمه من نياتكم.

وقولُه: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾: تهديدٌ للظالمين؛ كمانعي الزكاة ومتبعي صدقاتِهم المنَّ والأَذى، والمنفقين رياءً؛ المعنى: ليس للظالمين مَن ينصرُهم فيدفعُ عنهم عذابَ اللهِ.

ثم أَخبر تعالى بحُكم إبداءِ الصدقات وإخفائها فقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وإبداءُ الصدقات: إظهارُها وإعلانُها، وإخفاؤها: الإسرارُ بها.

---

(١) ينظر: «التعريفات» (ص٢٤٠)، و«المطلع على ألفاظ المقنع» (ص٤٧٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقولُه: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾: مدحٌ للصدقة الظاهرةِ؛ لأَنها عملٌ صالحٌ، فهي شَرفٌ لصاحبها، وإبداؤها؛ كالإنفاقِ في مشهدٍ من الناس، ولا يضرُّ ذلك المنفقَ إذا صحَّت نيَّتُه وخَلُصَ قصدُه؛ كمَن يُظهِرُ صدقته ليُقتدَى به.

وقولُه: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: تفضيلٌ لصدقة السرِّ إذا وُضعت في موضعها. وقولُه: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾: ترغيبٌ في الصدقات سِرِّها وعَلنِها؛ لبيانِ أَنَّ اللهَ يُكفِّرُ بها السيئات كما قال ﷺ: ((الصدقةُ تُطفِئُ الخطيئةَ كما يُطفِئُ الماءُ النارَ))[1]، وفي الحديث الآخر: ((صدقةُ السرِّ تُطفِئُ غضبَ الربِّ))[2].

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٠، رقم ٢٠٠) من طريق حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن شهر بن حوشب، عن معاذ، به. وعاصم بن أبي النجود فيه لين، وشهر بن حوشب مختلف في توثيقه وتضعيفه، ولم يدرك معاذًا.
وأخرجه عبد الرزاق (٢٠٣٠٣) ـومن طريقه أحمد (٢٢٠١٦)ـ، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠) من طريق معمر، عن عاصم، عن أبي وائل، عن معاذ، به. وأبو وائل لم يسمع معاذًا؛ كما حققه ابن رجب في «جامع العلوم» (٢/ ١٣٥). ثم إن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه، وقال الدارقطني: «وهو أشبه بالصواب».
وأخرجه البزار (٢٧ - «كشف الأستار»)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (٣٥٢٨)، وابن حبان (٢١٤) من طريق علي بن الجعد، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن معاذ، به. وعبد الرحمن بن ثابت ضعيف، ومكحول لم يسمع من معاذ. وله طرق أخرى عن معاذ، قال ابن رجب: كلها ضعيفة. **ينظر**: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٣٥).
وللحديث شاهد عن جابر، وصحح بعض المتأخرين الحديث بمجموع طرقه. **ينظر**: «الصحيحة» (٣٢٨٤)، و«إرواء الغليل» (٤١٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٤٥٠) من طريق عمرو بن أبي سلمة التنيسي، عن صدقة بن عبد الله، عن الأصبغ يعني ابن زيد الوراق، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده ـمعاوية بن حيدةـ به.
قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن بهز بن حكيم إلا الأصبغ بن زيد الوراق، ولا عن الأصبغ إلا صدقة، تفرد به عمرو بن أبي سلمة». وصدقة بن عبد الله وهو أبو معاوية السمين، ضعيف كما في «التقريب» (٢٩١٣)، والأصبغ صدوق يغرب وقد وثقه جماعة، =

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾: تأكيدٌ للترغيب في الإنفاق في وجوه البرِّ، ومعناه: أَنَّ اللهَ تعالى ذو خبرةٍ؛ أَي: علمٍ تامٍّ بما يعمل العبادُ، ومن ذلك نفقاتُهم وصدقاتُهم، وإِخبارُه تعالى بذلك يقتضي مُجازاتهم عليه بأَنواع الثوابِ في الدنيا والآخرة، واللهُ أَعلم.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ أَدَّيتم من زكاةٍ أَو صدقةٍ ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ فوفَّيتم به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيُجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بمنع الزكاةِ والنذرِ أَو بوضعِ الإنفاقِ في غير محلِّهِ من معاصي الله ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ مانعين لهم من عذابه.

﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تُظهروا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أَي: النوافلَ ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أَي: نِعم شيئًا إبداؤها! ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ تُسرُّوها ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من إِبدائها وإِيتائها الأغنياء، أَمَّا صدقةُ الفرضِ فالأفضلُ إِظهارُها؛ ليُقتدى به ولئلَّا يُتَّهم، وإِيتاؤها الفقراءَ مُتعيِّنٌ ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء وبالنون مجزومًا بالعطف على محل «فهو»، ومرفوعًا على الاستئناف ﴿عَنْكُمْ مِنْ﴾ بعض ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالمٌ بباطنه كظاهرِه لا يخفى عليه شيءٌ منه.

وقولُ المؤلِّف: **(من زكاة أو صدقة)**: يُبيِّنُ أَنَّ الآيةَ عامَّةٌ في الزكاة وصدقةِ التطوع، وهو يقتضي أَنَّ ﴿مِنْ﴾ بيانية.

= قال الدارقطني: «تكلموا فيه وهو عندي ثقة». **ينظر**: «التقريب» (٥٣٥)، و«تهذيب التهذيب» (٦٥٦). وعمرو بن أبي سلمة التنيسي صدوق له أوهام، كما في «التقريب» (٥٠٤٣).
وروي من حديث عبد الله بن جعفر، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عباس، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وأم سلمة، وأبي أمامة، وأنس بن مالك، وقواه الألباني بمجموع طرقه وشواهده. **ينظر**: «الصحيحة» (١٩٠٨)، و«إرواء الغليل» (٨٨٥).

وقولُه: (**فوفَّيتم به**): يُبيِّنُ أَنَّ الغايةَ المحمودةَ لنذرِ الطاعةِ هي الوفاءُ به.

وقولُه: (**فيُجازيكم عليه**): يُبيِّنُ أَنَّ المقصودَ من ذكر العلمِ التنبيهُ على الجزاء.

وقولُه: (**بمنع الزكاة والنذر ...**) إلى آخره: بيانٌ لأنواع الظلمِ في باب الإنفاق.

وقولُه: (**مانعين لهم من عذابه**): يُبيِّنُ أَنَّ نفعَ الأنصارِ بالدفع.

وقولُه: (**أَي: النوافلَ**): يُشيرُ إلى الفرق بين الزكاةِ وصدقةِ التطوع في الإبداء والإخفاء، وأَنَّ الأَفضلَ في التطوع الإخفاءُ وفي الزكاة الإظهارُ، والصوابُ: أَنَّ الإخفاءَ في الجميع أَفضلُ؛ لعموم الآيةِ، إِلَّا أَن يخشى التهمةَ بمنع الزكاةِ[1].

وقولُه: (**أَي: نِعْمَ شيئًا إبداؤها**): يُبيِّنُ بهذا أَنَّ «ما» الثانية نكرةٌ وقعت تميزًا؛ ولهذا عبَّرَ عنها بشيءٍ وقدر المخصوص بالمدح بقوله: (**إبداؤها**)، والأَظهرُ أَنَّ المخصوصَ بالمدح «هي» كما في لفظ الآية؛ فالتقدير المناسب: نِعِمَّا شيئًا هي؛ أي: الصدقات.

وقولُه: (**تُسرُّوها**): أي: تُعطوها الفقراءَ سرًّا فيما بينكم وبينه لا بمشهدٍ من الناس، وهذا مطلوبٌ في الزكاة وصدقةِ التطوعِ خلافًا لِمَا ذكرَ المؤلِّفُ كما تقدَّم.

وقولُه: (**من إِبدائها ...**) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ أَفعل التفضيل يتعلَّقُ بالإخفاء؛ أَي: فإخفاؤها خيرٌ من إِبدائها، وإعطاؤها الفقراءَ خيرٌ من إِعطائها الأَغنياءَ.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٥/ ١٤-١٧)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٨٠-٨١)، و«زاد المسير» (١/ ٢٤٣).

وقولُه: (وإيتاؤها الفقراءَ مُتعيِّنٌ): أَي: واجبٌ وجوبًا عينيًّا، فلا يجوزُ صرفُ الزكاةِ في الأغنياء؛ بل في الفقراء، كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ((تؤخذُ من أَغنيائهم فتُردُّ في فقرائهم))(١).

وقولُه: (بالياء وبالنون ...) إلى آخره: يُشير إلى القراءتين في ﴿يُكَفِّرُ﴾، وهي: بالياء مسندًا إلى الله بضميرِ الإفرادِ، وقُرئَ بالنون مسندًا إلى الله بضمير الجمعِ.

وقولُه: (مجزومًا): يُشيرُ إلى القراءتين في فعل ﴿يُكَفِّرْ﴾؛ إحداهما: بجزم الفعلِ، والفعلُ معطوفٌ على محلِّ جوابِ الشرط ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ لأَنَّ الجملَةَ في محلِّ جزم جوابِ الشرط. والثانية: برفعِ الفعلِ، وتكونُ جملةُ ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ مستأنفةً(٢).

وقولُه: (بعض): يُبيِّنُ أَنَّ ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ تبعيضيةٌ؛ فالمعنى: ويُكفرُ عنكم بعضَ سيئاتكم.

وقولُه: (عالمٌ بباطنه ...) إلى آخره: بيانٌ لمعنى ﴿خَبِيرٌ﴾، فالخبرةُ علمٌ خاصٌّ، وهو العلمُ بالخفيَّات(٣).

وقولُه: (بباطنه): أَي: بباطن عملِكم كما يعلمُ ظاهرَه، فالسِّرُّ والإعلانُ عنده سواءٌ سبحانه وتعالى؛ كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ١٠].



---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

(٢) قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وخلف: ﴿وَنُكَفِّرْ﴾ بالنون والجزم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم برواية أبي بكر ويعقوب: ﴿وَنُكَفِّرُ﴾ بالنون والرفع. وقرأ ابن عامر وعاصم برواية حفص ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء والرفع. ينظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٩١)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٦).

(٣) تقدم في (ص ٦٢١).

وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢-٢٧٤]:

يُخبرُ تعالى نبيَّه ﷺ مُسليًّا له بأَنَّ ليس عليه أَن يهديَ الناسَ؛ بل أَمْرُ الهدى إلى الله فإنه القادرُ عليه؛ لأَنَّ المراد بالهدى في هذه الآية هو الهدى الخاص؛ وهو التوفيقُ لقبولِ الحقِّ وشرحُ الصَّدرِ، وذلك لا يقدرُ عليه إلا اللهُ، لا الرسولُ ولا غيرُه، أَمَّا الهدى العامُّ؛ وهو البيانُ والإرشادُ والدلالةُ على الخير؛ فذلك مقدورٌ للرسول ﷺ وكلِّ مَن دعا إلى الله من أَتباعه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١]. وفي هذا الخبرِ تسليةٌ للنبي ﷺ لأَنَّه ﷺ كان حريصًا على هدى الناس كما قال تعالى في شأن الرسول: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ أَي: حريصٌ على هدايتكم، وقوله: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧].

وجاء ذِكرُ الهدايةِ واختصاصها بالله بين آياتِ الإنفاقِ؛ للدلالةِ على أَنَّ هدايةَ قلوب المؤمنين لشرح صدورهم للإنفاق في سبيل الله هو كذلك إلى الله، ليس على الرسول ولا إليه، وقد ذكر المفسرون أَنَّ سببَ نزول هذه الآية أَنَّ الأَنصارَ كانوا لا يتصدَّقون على أَقاربهم من أهل الكتاب، ورُوي أَنَّ النبيَّ

ﷺ أمر أَلَّا يُتصدَّقَ إِلَّا على مَن كان مسلمًا؛ فأَنزل اللهُ هذه الآيةَ(١)، وفيها الندبُ إلى الإنفاقِ على أهل الكتابِ وغيرهم من أهل الأديان، وبهذا يظهر وجهُ ورودها بين آيات الإنفاقِ.

ثم ذكر تعالى في هذه الآيةَ ثلاثَ جُملٍ تضمَّنت كلُّ واحدةٍ معنىً من المعاني المتعلِّقةِ بالإنفاق، أَفادت الأُولى: أَنَّ نفعَ الإنفاقِ وثوابَه عائدٌ إلى أَنفُسِ المنفقين، على حدِّ قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، وقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦].

وأَفادتِ الجملةُ الثانيةُ: أَنَّ المؤمنين إذا أنفقوا لا يُنفقون إِلَّا لوجه الله، لا يريدون ممن أَحسنوا إليه جزاءً ولا شكورًا.

وأَفادت الجملةُ الثالثةُ: أَنَّ ما يُنفقه المنفقون ابتغاءَ وجهِ الله يُوفَّى إليهم؛ أي: يُجزون به فيُعطونَ أُجوره كاملةً غير منقوصةٍ وذلك قولُه: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾.

ثم أَخبر تعالى بأَهمِّ مصارفِ الصدقات؛ وهم الفقراءُ المتعففونَ، فلا يسألون الناسَ، وإن سألوا لم يُلحفوا، لكن يعرفهم أَهلُ الفراسةِ بسيماهم؛ كرثاثةِ ثيابِهم ونحولِ أَبدانهم، قيل: هم فقراءُ المهاجرين، ومنهم أَهلُ الصُّفَّةِ(٢)، ومن تعفُّفهم يحسبهم الجاهلُ أَغنياءَ من التعفُّفِ، وقد أَحصرهم الفقرُ والجهادُ في سبيل الله عن التكسُّب، فلا يستطيعون ضربًا في الأرض ابتغاءَ فضلِ الله.

ثم رغَّب في الإنفاق فقال: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾؛ فإنه إذا استحضر المؤمنُ أَنَّ اللهَ يعلم ما يُنفقه ابتغاءَ وجه الله كان ذلك من أَعظمِ الحوافز له إلى الإنفاق؛ ولهذا رغَّبَ تعالى في كثرةِ الإنفاقِ، فأثنى على المنفقين

---

(١) ينظر: «أسباب النزول» (ص٨٩)، و«العجاب» (١/ ٦٢٨).

(٢) ينظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٣٧)، و«زاد المسير» (١/ ٢٤٥)، و«التحرير والتنوير» (٣/ ٧٤).

أَموالَهم بالليل والنهار سرًّا وعلانيةً، ورتَّب لهم على ذلك الأَجرَ، ونفى الخوفَ والحزنَ عنهم.

ولَمَّا مَنع رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التصدِّق على المشركين ليُسلموا نزل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ أَي: الناس إلى الدخول في الإسلام، إنما عليك البلاغُ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايتَه إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مالٍ ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ لأَنَّ ثوابَه لها ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أَي: ثوابَه لا غيره من أَعراض الدنيا، خبرٌ بمعنى النهي ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤُهُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تُنقَصونَ منه شيئًا. والجملتان تأكيدٌ للأولى.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: الصدقاتُ لهم ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: حَبسوا أَنفسَهم على الجهاد، نزلت في أَهل الصُّفةِ، وهم أَربعمائةٍ من المهاجرين أُرصِدوا لتعلُّم القرآنِ والخروجِ مع السرايا[١] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفرًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش؛ لشُغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي: لتعفُّفهم عن السؤال وتركِه ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يا مخاطَبًا ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ علامتِهم من التواضع وأَثرِ الجهد ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شيئًا فيُلحفون ﴿إِلْحَافًا﴾ أي: لا سؤالَ لهم أصلًا، فلا يقع منهم إلحافٌ؛ وهو الإلحاحُ ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمُجازٍ عليه.

وقولُ المؤلِّف: (**ولَمَّا مَنع رسولُ الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...) إلى آخره: يُشير إلى سبب نزولِ هذه الآيةِ، وهو نهيُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التصدُّقِ على غير

---

(١) ينظر: «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٦٣٣).

المسلمين من أَهل الكتاب والمشركين؛ من أَجل أَن يَحملهم مَنعهم من الصدقة على الإسلام، فأَخبر اللهُ نبيَّه أَن ليس عليه هدايتهم، فلا ينهى عن التصدُّق عليهم من أَجل ذلك، وأَنَّ أَمْرَ هدايتهم إلى اللهِ تعالى، فهو الذي يهدي مَن يشاء.

وقولُه: (**أَي: الناس** ...) إلى آخره: بيانٌ لمعنى الآيةِ المتعلقِ بالرسول ﷺ؛ وهو أَنَّه ليس عليه ﷺ أن يهديَ الناسَ فيَجعلهم مُهتدين، وإنما الواجبُ عليه البلاغُ كما قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [النور: ٥٤].

وقولُه: (**هدايتَه** ...) إلى آخره: فيه تقديرُ مفعولِ ﴿يشاء﴾، والمرادُ بهذه الهدايةِ هدايةُ التوفيق المستلزمة للدخول في الإسلام، وهي هدايةٌ خاصةٌ لا يقدر عليها إلَّا اللهُ؛ بخلاف هدايةِ البيان؛ فإنها عامَّةٌ ومقدورةٌ للرسول ﷺ ولكلِّ داعٍ إلى الله.

وقولُه: (**مالٍ**): هذا أَحدُ التفسيرين للخير في الآية، ولفظُ الخيرِ في القرآن يُراد به المال كثيرًا؛ كقوله تعالى في الإنسان: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، وقوله في هذه السورة: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، ويُراد به العملُ الصالحُ؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ١٩٧]،(١) والخيرُ في هذه الآيةِ يحتملُ الوجهين، وأَكثرُ المفسرين يُفسِّرونه بالمالِ كما فعلَ المؤلِّف(٢).

(١) أوصلها بعض العلماء إلى أكثر من عشرين وجهًا. **ينظر**: «الوجوه والنظائر» لمقاتل (ص٥٧-٥٨)، و«التصاريف ليحيى بن سلام» (ص١٧٤-١٧٥)، و«نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي (ص٢٨٥-٢٨٩).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٢)، و«الكشاف» (١/ ٥٠٢)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٨٧)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٣٣٩).

وقولُه: (**لأَنَّ ثوابَه لها**): بيانٌ لِمَا يعود إلى نفس المنفق من إنفاقه؛ وهو ثوابُ ما أَنفقه؛ فصار حظُّ المنفقِ مما أنفقه أَعظمُ من حظِّ المنفقِ عليه.

وقولُه: (**أَي: ثوابَه لا غيره من أَعراض الدنيا**): هذا صريحٌ في تفسيرِ الوجهِ بالثوابِ، وهو تأويلٌ بل تحريفٌ؛ لأَنَّه صرفٌ للكلام عن ظاهره بغير دليلٍ، وإنَّما يفعلُ هذا من لا يثبتُ حقيقةَ الوجهِ للهِ كما هي طَريقةُ المعطِّلةِ من الجهميَّةِ ومَن تبعَهم[1].

وأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يثبتون الوجهَ للهِ ولا يكيِّفونَ ولا يمثِّلونَ ولا يحرِّفونَ النصوصَ عن ظاهرِها.

والمؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشى على طريقةِ المعطِّلةِ فلذا أوَّلَ الآيَةَ وصرفَها عن ظاهرها حيثُ فسَّرَ الوجهَ بالثوابِ، فتنبَّهْ أيُّها القارئُ، واسلكْ طريقَ أهلِ السُّنَّةِ.

وقولُه: (**خبرٌ بمعنى النهي**): يريدُ جملةَ ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾؛ فالجملةُ خبريَّةٌ، ومعناهُ: لا تنفقوا إلَّا ابتغاءَ وجهِ اللهِ وهذا على أَنَّ الخطابَ عامٌّ، وقيل: أَنَّ الخطابَ خاصٌّ؛ وهم الصحابة، وعليه: فالنفيُ على بابه، ويكون الخبرُ ثناءً على الصحابة بالإخلاص، وهذا وجهٌ حسنٌ[2].

وقولُه: (**جزاؤه**): هذا تقديرُ مفعول ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾.

وقولُه: (**تُنقَصونَ منه شيئًا**): فسَّرَ الظلمَ بالنقص، وأَصلُ معنى الظلمِ: وضعُ الشيءِ في غير موضعه، ويأتي بمعنى النقصِ؛ كما قال تعالى في الجنتين: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣][3].

---

(١) **ينظر**: «النقض على المريسي» (٢/ ٧٠٣-٧٢٤)، و«مختصر الصواعق» (٣/ ٩٩٢) وما بعدها، و«توضيح مقاصد العقيدة الواسطية» لشيخنا (ص٨١)، (ص٨٢-٨٣)، و«التعليقات على المخالفات العقدية في الفتح» (ص٧٨، رقم ٤٩)، (ص١٦٠، رقم ١١٤)، (ص١٧٨، رقم ١٢٧).

(٢) **ينظر**: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٥)، و«الكشاف» (١/ ٥٠٢)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٨٦)، و«البحر المحيط» (٢/ ٦٩٥).

(٣) **ينظر**: أوجه أخرى في: «الوجوه والنظائر» لمقاتل (ص٨١-٨٢)، و«نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي (ص٤٢٦-٤٢٨).

وقولُه: (**والجملتان تأكيدٌ للأولى**): يريد بالجملتين ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، والجملة الأولى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾.

وقولُه: (**خبرُ مبتدأ محذوف** ...) إلى آخره: يُبيِّنُ مُتعلقِ الجار والمجرور ﴿للفقراء﴾ وأنه مُتعلقٌ بمحذوفٍ هو خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ قدَّره المؤلِّف: الصدقاتُ للفقراء؛ أَي: حقٌّ للفقراء.

وقولُه: (**أَي: حَبسوا أَنفسَهم** ...) إلى آخره: تفسيرٌ لقوله تعالى: ﴿أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وأَنَّ معنى ﴿أُحْصِرُوا﴾: حَصروا؛ أَي: حبسوا أَنفسَهم عن الجهاد فمنعَهم ذلك من التكسُّبِ والضربِ في الأرض للتجارة.

وقولُه: (**سفرًا**): فسَّرَ الضربَ في الأرض بالسفر، وهو صحيحٌ، كما يشهد له قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١]. وقولُه: (**للتجارة** ...) إلى آخره: بيانٌ للغرض من الضَّربِ في الأرض.

وقولُه: (**لشُغلهم عنه بالجهاد**): تعليلٌ لعدم استطاعتهم الضربَ في الأرض.

وقولُه: (**عنه**): أَي: عن الضرب في الأرض.

وقولُه: (**بحالهم**): خَصَّ الجهلَ في الآية بالجهل بحالِ أُولئك الفقراءِ؛ لدلالةِ السياقِ على ذلك. وقولُه: (**لتعفُّفهم عن السؤال وتركِه**): تعليلٌ لحسبان الجاهلِ أَنهم أغنياء، وهذا التعليلُ مُستفادٌ من ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ التَّعَفُّفِ﴾؛ فإنها للتعليل.

وقولُه: (**يا مخاطَبًا**): يريدُ أَنَّ قولَه تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ خطابٌ عامٌّ لكلِّ من يصلحُ له الخطابُ، النبيُّ أو غيره.

وقولُه: (**علامتهم**): تفسيرٌ لـ«سِيماهم»؛ لأَنَّ السِّيما في اللغة: العلامةُ[١]، وأَوضحَ المؤلِّفُ هذه العلامةَ بقوله: (**من التواضع وأَثر الجَهد**): لأَنَّ الفقرَ يُورثُ ضعفًا وجهدًا.

وقولُه: (**شيئًا فيُلحفون**): يريد أَنَّ نفيَ السؤال عنهم ثناءٌ عليهم بترك السؤال مُطلقًا، وأَنَّ السؤالَ يُفضي إلى الإِلحاف وهو الإِلحاحُ في المسألة، وليس المرادُ نفيَ السؤالِ بإلحافٍ؛ فإِنَّ تركَ السؤالِ مُطلقًا أَفضلُ وأَكملُ في التعفُّف.

وقولُه: (**لا سؤالَ لهم أصلًا...**) إلى آخره: يؤكدُ ما سبق؛ أَنَّ المرادَ نفيُ السؤالِ عنهم مُطلقًا، وإذا لم يسألوا مُطلقًا؛ لم يكن منهم إِلحافٌ؛ لأَنَّه إذا انتفى المعنى العامُّ انتفى الخاصُّ فَلَزِم أَلَّا يقعَ منهم سؤالٌ بإلحافٍ.

وقولُه: (**فمُجازٍ عليه**): يريدُ أنَّ قولَه تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّه به عليمٌ﴾ يتضمَّنُ الإخبارَ بالجزاء، فإنَّ إخبارَه تعالى بعلمِه بأعمالِ العبادِ يتضمَّنُ الوعدَ أو الوعيدَ بحسبِ المقامِ.



---

(١) **ينظر**: «لسان العرب» (١٢/ ٣١٢).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦]:

لَمَّا أمر اللهُ في الآيات السابقة بالإنفاق والصدقات وأثنى على المنفقين في سبيله ووعدَهم الأَجرَ العظيم عنده ونفى عنهم الخوفَ والحزنَ وذمَّ المُتْبِعين صدقاتِهم المنَّ والأذى والمرائين فيها؛ ذَكَر تعالى في هذه الآيات ضدَّ المحسنين إلى الناس بأَنواع النفقات فرضِها ونفلِها، بالليل والنهار، سرًّا وعلانيةً، وضدُّ المحسنين هم الظالمون للناس؛ وهم أَكلةُ الربا أَضعافًا مضاعفةً، فأَخبر تعالى عن سوء حالِهم يومَ القيامة إذا قاموا من قبورهم، وأَنهم يقومون بهيئة المجانين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾، وذلك بسبب استحلالهم الربا حتى قالوا: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، فردَّ اللهُ عليهم قولَهم فقال سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

ثم أَخبر تعالى أَنَّ مَن انتهى عن أَكل الربا بعدما جاءته موعظةٌ من ربِّه بالنهي عن الربا؛ فإنه يحلُّ له ما كسبه في الجاهلية؛ لأَنَّه معذورٌ بجهله، وأَمرُه إلى الله، يحكمُ فيه بحكمه العدلِ ويعفو عنه، وأَنَّ مَن عاد لأكل الربا بعد إسلامه وبعد نزول الآيات في تحريم الربا فذلك هو الظالمُ المستوجبُ لوعيد الله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾. فدلَّت الآيةُ على أَنَّ أَكل الربا من كبائر الذنوب، فمَن كان مُستحلًّا لأَكل الربا فهو كافرٌ مخلَّدٌ في النار كسائر الكفرة، ومَن لم يكن مستحلًّا فالوعيدُ بالخلود مخصوصٌ بمَن لم يتبْ، وبمَن لم يَقمْ به مانعٌ؛ وهو التوحيدُ، فإنَّه لا يخلدُ في

النار أَحدٌ من أَهل التوحيد كما استفاضت بذلك السنَّةُ في حديث الشفاعة[١] وغيره، وأَجمع على ذلك أَهلُ السنَّة.

وأَصلُ الربا في اللغة: الزيادة[٢]، وهو في الشرع نوعان: ربا فَضْلٍ، وربا نسيئةٍ[٣]، وفي كلٍّ منهما معنى: الزيادة؛ فربا الفضل: هو الزيادةُ في أَحد العوضين اللذين هما من جنسٍ واحدٍ من الأجناس الربويةِ الستَّة المذكورة في حديث عبادة، وهي: الذهبُ، والفضةُ، والبُرُّ، والشعيرُ، والتمرُ، والملحُ[٤]، وجمهورُ أَهلِ العلم يقيسون عليها ما أَشبهها، حَسب ما يُعلِّلون به تحريمَ الربا في هذه الأجناس[٥].

وربا النسيئة: هي الزيادةُ في الدَّين في مُقابل الزيادةِ في الأَجل، ويُقال له: ربا الجاهلية؛ يقول: الدائنُ للمَدين إذا حلَّ الدَّين: إِمَّا أَن تقضي أو تُربي.

ثم توعَّد تعالى أَكلةَ الربا بمحقِ ما كسبوه من الربا، وذلك بإتلافه أو حرمانهم الانتفاعَ به، ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾؛ أَي: يُنميها ويُكثرها بمضاعفة أَجرها كما في الحديث الصحيح: ((مَن تصدَّقَ بعدلِ تمرةٍ من كَسْبٍ طيِّبٍ ولا يقبلُ اللهُ إِلَّا الطيبَ، وإِنَّ اللهَ يتقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها كما يُربي أَحدكم فلوَّه؛ حتى تكون مثل الجبل))[٦].

---

(١) تواترت الأحاديث بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي أهل القبلة عن جمع من الصحابة في الصحيحين والسنن والمسانيد مما يصعب عده. **ينظر**: البخاري (٦٣٠٤-٦٣٠٥) (٧٤٤٠) (٧٤٧٤) (٧٥٠٩-٧٥١٠)، ومسلم (١٨٤) (١٩٣) (١٩٨-٢٠٠)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٧٩٧-٨٠٣)، و«الشريعة» للآجري (٧٧٨-٧٩٧)، و«السنة» للالكائي (٦/ ١١٦١-١١٨٣)، و«نظم المتناثر» (٣٠٤).

(٢) **ينظر**: «لسان العرب» (١٤/ ٣٠٤).

(٣) **ينظر**: «المغني» (٦/ ٥٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٨٧).

(٥) **ينظر**: «حاشية ابن عابدين» (٥/ ١٧١)، و«التاج والإكليل في شرح مختصر خليل» (٦/ ١٩٧)، و«الحاوي الكبير» (١/ ٨١)، و«المغني» (٦/ ٥٣).

(٦) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واللفظ للبخاري.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾: أَي: يُبغضه، ومَن أَبغضه اللهُ فاته كلُّ خيرٍ وباءَ بالشقوة فكان من الخاسرين، والكفَّارُ: المبالغُ بالكفر، والأَثيم: المقترف للآثام، وهي: المعاصي.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي: يأخذونه، وهو الزيادةُ في المعاملة بالنقود والمطعومات في القَدْر أو الأَجل ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ مِن قبورهم ﴿إِلَّا﴾ قيامًا ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصرعُه ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ الجنونِ بهم متعلقٌ بـ «يقومون». ﴿ذَلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ في الجواز. وهذا من عكس التشبيه مبالغةٌ.

فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ﴾ بَلَغَه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وعظٌ ﴿مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ عن أكله ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ قبل النهي؛ أي: لا يستردّ منه ﴿وَأَمْرُهُ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أَكله مُشبِّهًا له بالبيع في الحلِّ ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ يُنقصُه ويُذهبُ بركتَه ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ يزيدها وينميها ويُضاعفُ ثوابَها ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليلِ الرِّبا ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجرٍ بأَكله؛ أَي: يُعاقبُه.

وقولُ المؤلِّف: (**أَي: يأخذونه** ...) إلى آخره: تفسيرٌ للأكل بالأَخذ، وهو من التعبير بالشيء عن سببه، وفسَّر الربا بالزيادة؛ لأَنَّه من ربا يربو: إذا زاد، وأَشار إلى أَنَّ الربا في الشرع نوعان: ربا فضل، وربا نَسَأ؛ بقوله: (**وهو الزيادةُ في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو الأجل**)؛ فقولُه: (**في القَدْر**): يريد: ربا الفضلِ، وقولُه: (**الأَجَل**): يُشير إلى ربا النسأ.

وقولُه: (**من قبورهم**): هذا معنى ما جاء عن ابن عباس[١].

وقولُه: (**قيامًا**): يُبيِّنُ أَنَّ قولَه تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ؛ فالمعنى: إلَّا قيامًا كقيام الذي يتخبَّطُه.

وقولُه: (**يصرعُه**): هذا تفسيرُ ﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾.

وقولُه: (**الجنون بهم**): بيانٌ لمعنى من المسِّ؛ أي: من الجنون الذي بهم.

وقولُه: (**متعلِّقٌ بـ «يقومون»**): الصوابُ: أَنَّ الجارَ والمجرور ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿يَقُومُ﴾؛ لأَنَّ المعنى لا يقوم أَكَلَةُ الرِّبا من قبورِهم إلا مثل ما يقومُ المجنونُ الذي يصرعُه الشيطان من المسِّ؛ أي: الجنونِ الذي به[٢].

وقولُه: (**الذي نزل بهم**): يُبيِّنُ أَنَّ المشارَ إليه في قوله: ﴿ذَلِكَ﴾: هو ما يحصل لهم عند قيامهم من قبورهم كالمجانين.

وقولُه: (**بسبب أَنهم**): يُبين أَنَّ الباءَ بقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ سببيةٌ.

وقولُه: (**في الجواز**): بيانٌ لوجه الشَّبَه بين البيع والربا.

وقولُه: (**وهذا من عكس التشبيه مبالغةً**): لأَنَّ الأصلَ المناسب لهم أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع؛ فعكسوا التشبيهَ مُبالغةً في حلِّ الربا.

وقولُه: (**ردًّا عليهم**): يُبيِّنُ أَنَّ جملةَ ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ من كلامِ اللهِ لا من الكلام المحكي عن آكلي الربا.

وقولُه: (**بَلغَه**): يُبيِّنُ أَنَّ مجيءَ الحجَّةِ هو بلوغُها للمكلَّف.

وقولُه: (**وعظٌ**): يُبيِّنُ أَنَّ ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ مصدرٌ ميميٌّ من وعظ، والمصدر: الوعظُ.

وقولُه: (**قبل النهي** ...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ معنى الآية: أَنَّ ما مضى من العقود الربوية ما نتج عنها من المكاسب هو حلالٌ له لا يجب ردُّه.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٩).

(٢) **ينظر**: «الكتاب الفريد» (١/ ٥٩٣)، و«الكشاف» (١/ ٥٠٦)، و«الدر المصون» (٢/ ٦٣١).

وقولُه: (**في العفو عنه**): يُبيِّنُ أَنَّ أَمرَ العفو بعد التوبة مُفوَّضٌ إلى الله؛ إن شاء عفا، وإن شاء لم يعفُ.

وقولُه: (**إلى أَكله ...**) إلى آخره: يريد: إلى أَكلِ الربا مُستحلًّا له؛ لأَنَّه شبَّهه بالبيع، وهذا هو المستحقُّ للوعيد الذي في الآية.

وقولُه: (**يُنقصُه ويُذهبُ بركتَه**): هذا بعضُ معنى المحقِ، وليس في المال المستفادِ من عقود الربا بركةٌ أَصلًا.

وقولُه: (**يزيدها ...**) إلى آخره: كلُّ هذه العباراتِ متقاربةُ المعنى، ويشهد لمعنى الآية قولُه ﷺ: ((مَن تصدَّقَ بعدلِ تمرةٍ من كسبٍ طيِّبٍ ...)) الحديث، وفيه أَنَّ اللهَ يُربيها كما يُربي أَحدكم فُلوَّهُ[1] حتى تكونَ مثلَ الجبلِ.

وقولُه: (**بتحليلِ الرِّبا**): يُبيِّنُ أَنَّ استحلالَ الربا كفرٌ.

وقولُه: (**فاجرٍ**): تفسيرٌ لـ﴿أثيم﴾، ولعلَّه أَخذه من اقترانه بـ﴿كَفَّارٍ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

وقولُه: (**أي: يعاقبُه**): هذا تفسيرٌ لقولِه: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾، وهو يقتضي تفسيرَ نفي المحبَّةِ بالعقوبةِ، وهذا جارٍ على مذهبِ مَن لا يُثبتُ للهِ صفةَ محبَّةٍ؛ لذلك يؤوِّلون المحبَّةَ بالثوابِ وعدمَ المحبَّة بالعقاب، فيجمعون بين التعطيلِ والتأويلِ الذي هو في الحقيقة تحريفٌ[2]. والصوابُ: أَنَّ اللهَ يحبُّ المؤمنينَ والمتقينَ ولا يحبُّ الكافرينَ بل يمقتُهم كما قالَ تعالى: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠].



---

(١) الفلو: المهر الصغير، وقيل: هو الفطيم من أولاد ذوات الحافر. «النهاية» (٣/ ٤٧٤).

(٢) تقدم (ص ٤٠٧).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧]:

هذه الآيةُ اعتراضٌ بين آيات الربا، وفيها عَودٌ إلى الثناء على المؤمنين المتصدِّقين، وفيها مقابلةُ الذمِّ بالمدح، وتعريضٌ[(١)]؛ لَأنَّ أَكلة الربا على ضدِّ هذه الصفات، ومعنى الآية: خبرٌ من الله بعاقبة الذين آمنوا بالله ورسوله، وصدَّقوا إيمانَهم بعملِ الأعمالِ الصالحات، وهي: كلُّ ما يُحِبُّه اللهُ ويرضاه من الفرائض والتطوُّعات أقوالًا وأفعالًا ظاهرةً وباطنةً، وأَجلُّ ذلك إقامُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاة؛ ولذلك عُطِفَا على الأَعمال الصالحة من عَطفِ الخاصِّ على العام تعظيمًا لشأنهما وتنبيهًا على فضلهما.

وقولُه: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾: بيانٌ لعاقبة الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فوعدهم اللهُ بالأجر العظيم عنده؛ وهو: ثوابُ ما عملوا، وآمنهم مما يكرهون من الخوف والحزن؛ فقال: ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾، فلا يخافون من فوت مطلوبٍ ولا يحزنون على ذهاب محبوبٍ، ولم يتعرض المؤلِّف لهذه الآية بتفسير لظهور معناها، وكثرة ذكر كلماتها، وقد تقدم في أول السورة نظائرها.



(١) ينظر: «التحرير والتنوير» (٣/ ٩٣).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٨١]:

يأمرُ اللهُ عبادَه المؤمنين بتقواه؛ وهي: فعلُ ما أَمر اللهُ به ورسولُه، وتركُ ما نهى اللهُ عنه ورسولُه؛ خوفًا من عذاب اللهِ، وطمعًا في ثوابه، وتلك وصيةُ اللهِ للأَوَّلينَ والآخرينَ والناسِ أجمعين.

ثم أَمر تعالى المؤمنين أَن يتركوا ما بقي لهم من دَين الرِّبا عند المدينين؛ فقال تعالى: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾، فإنَّ الإيمانَ يقتضي ترك ما حرَّم اللهُ والتوبة منه، ثم حذَّرهم من الإصرار على أَخذ ما بقيَ من الربا وأَنَّ ذلك مؤذنٌ بحربٍ من الله ورسولِه؛ فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أَي: إن لم تتوبوا وتتركوا ما بقيَ من الربا؛ فاعلموا أَنَّ اللهَ ورسولَه حربٌ عليكم، ومَن كان اللهُ حربًا عليه أَخزاه وأَهلكَه، فباءَ بالخُسران المبين، ثم بيَّن حكمَهم إذا تابوا فقال تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾؛ أَي: وإن تُبتم إلى الله من تعاطي الرِّبا؛ فإنكم تستحقُّون رؤوسَ أَموالكم التي عند مَن عاملتموه بالربا دون زيادةٍ عليها، لا تظلمون بأَخذ الرِّبا ولا تُظلمون بالنقصِ من رؤوس أموالِكم.

ثم أَرشد تعالى مَن له الدَّيْنَ بإنظارِ مَن أَعسر فلم يقدر على وفاء الدَّينِ الذي وجبَ عليه أَداؤُه أَو التصدُّق عليه بإبرائه وهو خير؛ فقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾؛ أَي: وإن وجد ذو عسرة؛ أَي: إعسارٍ، فكان: تامَّة. و«ذو عُسْرَةٍ»: فاعلٌ، و«نَظرةٌ»: مبتدأٌ، وخبرُه محذوفٌ، والتقديرُ: فعليه نَظرةٌ؛ أَي: على صاحب الدَّينِ إنذارُ المعسر، وبعد: فقد ذكر ابنُ كثيرٍ سببَ نزولِ هذه الآيات ونقلَه عن جمعٍ من السَّلف؛ قالوا: إنَّ هذه الآيات نزلت

في بني عمرو بن عمير من ثقيف، وبني المغيرة من بني مخزوم، كان بينهم ربا في الجاهلية، فلما جاء الإسلامُ ودخلوا فيه، طلبت ثقيفُ أَن تأخذَه منهم، وقالت بنو المغيرة: لا نؤدي الربا في الإسلام .. فنزلت الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: اتقوا شرَّ ذلك اليوم وهو يومُ القيامةِ، اتقوه بالأعمال الصالحةِ وتركِ المحرَّمات لتنجوا من عذاب اللهِ.

وقولُه: ﴿تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أَي: تُرَدُّون في ذلك اليوم إلى الله فيُجازيكم على أَعمالكم، ومَن اتقى اللهَ وخاف ذلك اليوم وقاهُ اللهُ شرَّ ذلك اليوم وأَناله الفوزَ والكرامةَ.

وقولُه: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: أَي: كلُّ أَحدٍ يُجزى بعمله خيرِه وشرِّه، فمَن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ خيرًا يره، ومَن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ شرًّا يره. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾: أَي: لا يُنقَصُ أَحدٌ من ثواب حسناتِه، ولا يُزاد في سيئاته، فحُكمه تعالى الجزائي دائرٌ بين الفضل والعدلِ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]، هذا وقد ذكر ابنُ كثيرٍ عن ابن عباس وغيرِه أَنَّ هذه الآيةَ آخرُ ما نزل من القرآن، وأَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاش بعد نزولها تسعَ ليالٍ[٢].

وفي تعقيب آياتِ الربا بهذه الآية تأكيدٌ لِمَا تقدَّم في الآيات من النهي والوعيدِ، وترهيبٌ شديدٌ من ذلك اليوم الذي يقدمُ العبادُ فيه على الله فيجدون

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧١٦). وينظر: «أسباب النزول» (ص٩٣)، و«العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٦٣٨-٦٤٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٢٠). والأثر: أخرجه الطبري (٥/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٢٩٤٤) بهذا اللفظ، وفي البخاري (٤٥٤٤) باب: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، ذكر بإسناده أثر ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: «آخر آية نزلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية الربا». وفي المسألة أقوال تنظر في: «البرهان» للزركشي (١/ ٢٠٩-٢١٠)، و«الإتقان» للسيوطي (١/ ١٧٦) وما بعدها.

أَعمالَهم مُحصاةً عليهم، فيُجزون بها جزاءً لا ظُلْمَ فيه لمحسنٍ ولا مسيءٍ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨١﴾، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾ [يس: ٥٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم، فإِنَّ من شأنِ المؤمنِ امتثالَ أَمرِ اللهِ. نزلت لَمَّا طالب بعضُ الصحابةِ بعد النهي بربًا كان له قبل ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أُمرتم به ﴿فَأْذَنُوا﴾ اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لكم، فيه تهديدٌ شديدٌ لهم. ولَمَّا نزلت قالوا: [لا يَدَانِ][١] لنا بحربه ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾ رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾ أُصولُ ﴿أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادةٍ ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بنقصٍ.

﴿وَإِنْ كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ له؛ أَي: عليكم تأخيره ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح السِّين وضمِّها؛ أَي: وقتَ يُسره ﴿وَأَنْ تَصَّدَّقُوا﴾ بالتشديدِ على إدغام التاءِ في الأصل في الصاد، وبالتخفيفِ على حذفِها؛ أَي: تتصدَّقوا على المعسرِ بالإبراءِ ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خيرٌ فافعلوه.

في الحديث: ((مَن أَنظرَ مُعسرًا أَو وضعَ عنه؛ أَظلَّه اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظلَّ إِلَّا ظلُّه)) رواه مسلم[٢]. ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول، تُرَدُّون، وللفاعل: تصيرون ﴿فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يومُ القيامةِ ﴿ثُمَّ تُوَفَّى﴾ فيه

(١) هذا ما رجحه شيخنا ـ سدده الله ـ وخطَّأ لفظ (لا يَدَي) المثبت في طبعة قباوة، وجاء في حاشية الجمل، وطبعة دار ابن كثير، وطبعة دار السلام: (لا يد لنا).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) عن أبي اليسر كعب بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دون زيادة: ((يوم لا ظل إلا ظله))، وهي عند أحمد (١٥٥٢١) من هذا الوجه، وأخرجها الترمذي (١٣٠٦) عن أبي صالح، عن أبي هريرة، به. وقال: «وفي الباب: عن أبي اليسر، وأبي قتادة، وحذيفة، وابن مسعود، وعبادة، وجابر. وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاءَ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خيرٍ وشرٍّ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصِ حسنةٍ أَو زيادةِ سيئةٍ.

وقولُ المؤلِّف: (صادقين في إيمانكم): بيانٌ أَنَّ المرادَ بالإيمان في جملة الشرطِ هو الإيمانُ الصادقُ؛ لأَنَّه هو الذي يمنع من مقارفة الذنوبِ، وبهذا يزول الإشكالُ عن التقييد بالإيمان مع أَنَّ الخطابَ في الآية للمؤمنين.

وقولُه: (فإِنَّ من شأنِ المؤمنِ امتثالَ أَمرِ اللهِ): بيانٌ لوجه تقييدِ تركِ الربا بالإيمان؛ فالمعنى: أَنَّ المؤمنَ هو الذي يترك ما حرَّمَ اللهُ بوازع الإيمان.

وقولُه: (نزلت ...): إلى آخره: يُشير إلى سبب نزول هذه الآياتِ، وقد سبق بيانُه فيما نقله ابنُ كثير.

وقولُه: (ما أُمرتم به): يريد: ما أُمرتم به من ترك ما بقي من الربا في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾.

وقولُه: (اعلموا): الأذنُ بالشيء: العلمُ به بعد الإعلام، والإذانُ والأذانُ: هو الإعلام كما قال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٣][(١)].

وقولُه: (لكم ...) إلى آخره: يريد: أَنَّ الخطابَ للذين لم يفعلوا ما أُمروا به، وأَنَّ قولَه: ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ تهديدٌ للذين أَصرُّوا على أَخذ الربا.

وقولُه: (لا [يدان][(٢)] لنا بحربه): أَي: لا قدرةَ لنا بحربِ اللهِ ورسولِه، فمَن كان اللهُ ورسولُه حربًا له فله الهلاكُ والخسرانُ والعقابُ الشديدُ.

وقولُه: (رجعتم عنه): أي: رجعتم عن المطالبة بما بقي من الربا عند المدينين.

(١) ينظر: «المفردات» للراغب (ص٧٠).
(٢) هذا ترجيح شيخنا كما سبق.

وقولُه: (**أُصولُ**): يُراد بالأصول في الديون ما عدا الربح، فالمعاملُ بالرِّبا إذا تاب يستحقُّ رأسَ مالِه الذي أَعطاه المدينَ دون الربح الذي هو الربا، فله المطالبةُ به دون الفوائدِ؛ فإنها هي الربا الذي لا تجوز المطالبةُ به.

وقولُه: (**بزيادةٍ**): أي: لا تظلمون بمطالبة المدينِ بالزيادة على رأس المالِ؛ فإنَّ الزيادةَ هي الرِّبا.

وقولُه: (**بنقصٍ**): أَي: بنقص رأسِ المالِ، فالمطالبةُ بالزيادة ظلمٌ للمدين، والنقصُ من رأس المالِ ظلمٌ للدائن.

وقولُه: (**وقع غريم**): هذا تفسيرٌ لِكان التامة في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾، فمعنى (وقع غريم)؛ أي: وإن وجد مدينٌ ذو عسرة؛ أَي: مُعسِر.

وقولُه: (**عليكم تأخيره**): يُبيِّنُ أَنَّ على الدائنينَ إنظار المعسرَ؛ أَي: تأخير المطالبةِ برأس المال توسعةً على المعسر، والإنظارُ واجبٌ؛ لأَنَّ المعنى: فعليه نظرة؛ أَي: إنظار.

وقولُه: (**بفتح السِّين وضمِّها**): يُشير إلى قراءتين في ﴿مَيْسَرَةٍ﴾، فقُرئَ بفتح السينِ وضَمِّها[1].

وقولُه: (**أي: وقتَ يُسره**): بيانٌ لغاية الإنظار، وهو وقتُ اليُسرِ.

وقولُه: (**بالتشديدِ** ...) إلى آخره: يُشير إلى أَنَّ في الآية قراءتين، بتشديد الصادِ وتخفيفها[2]، وأَصلُ قراءةِ التشديدِ بتاءين فسُكِّنت الثانيةُ وقُلبت صادًا، وأُدغمت الصادُ في الصاد، والتقدير: وأَن تتصدقوا، والمصدرُ المؤول من أَن والفعل مبتدأ، وخبرُه ﴿خَيْرٌ﴾؛ فالتقديرُ: وتصدُّقكم على المعسر بإبرائه خيرٌ

---

(١) قرأ نافع: ﴿مَيْسُرَةٍ﴾ بضم السين، وقرأ الباقون: ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ بفتحها. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٦).

(٢) قرأ عاصم وحده: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بتخفيف الصاد، وقرأ الباقون: ﴿وَأَنْ تَصَّدَّقُوا﴾ بتشديد الصاد والدال. **ينظر**: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٦).

من إنظاره. وقولُه: (أَنه خيرٌ...) إلى آخره: تضمَّن تقدير مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾، وتقدير جوابِ الشرطِ المحذوف؛ وهو قولُه: (فافعلوه).

وقولُه: (بالبناء للمفعول ...) إلى آخره: يُبيِّنُ أَنَّ الفعلَ المضارعَ مبنيٌّ للمفعول، فهو بضمِّ التاء وفتح الجيم، وقُرئَ بكسر الجيم وفتح التاء[1]، وفاعلُ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ هو اللهُ أَو الملائكةُ.

وقولُه: (فيه): أَي: في يوم القيامة.

وقولُه: (جزاءَ): يريد: جزاءَ عملِه، وهو تقدير المفعول الثاني لـ﴿تُوَفَّى﴾، و«جزاء» مُضاف، والاسمُ الموصولُ مضافٌ إليه.

وقولُه: (عملت من خيرٍ وشرٍّ): يُبيِّنُ أَنَّ المعنى: ﴿كَسَبَتْ﴾ عملت، وأَنه عامٌّ للخير والشر، كما يفيده الاسمُ الموصولُ؛ لأَنَّه من ألفاظ العموم.

وقولُه: (بنقصِ حسنةٍ أَو زيادةِ سيئةٍ): يُبيِّنُ أَنَّ الظلمَ في الجزاء يكون بالزيادة على السيئات أَو بالنقص من الحسنات، واللهُ ـ تعالى ـ منزَّهٌ عن الظلم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤].



(١) قرأ أبو عمرو ويعقوب: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم. وقرأ الباقون: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم. ينظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص١٩٣)، و«الحجة للقراء السبعة» للفارسي (٢/ ٤١٧).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢-٢٨٣]:

لَمَّا ذكر اللهُ أهلَ الفضلِ؛ وهم المنفقون، وأهلَ الظلمِ؛ وهم أَكلةُ الربا؛ ذكر أَهلَ العدلِ؛ وهم الذين يكسبون المالَ للتجارة المشروعة، ومنها: البيعُ إلى أَجلٍ؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ ...﴾ الآية: يأمر اللهُ المؤمنين إذا تداينوا بأَن باعوا سلعةً بثمنٍ إلى أَجلٍ مُسمًّى، أو باعوا سلعةً بثمنٍ حاضرٍ وتسليمها مؤجلًا وهو بيعُ السَّلَم، وقد جاء عن ابن عباسٍ أَنَّ هذه الآيةَ نزلت فيه[1]، فإنَّ النبيَّ ﷺ قدِم المدينةَ وهم يُسلمون في الثمار السنةَ والسنتين؛ فقال رسول الله ﷺ: ((مَن أسلف في شيءٍ فليُسلفْ في كيلٍ

(١) قال ابن عباس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾، قال: نزلت في السلم في الحنطة في كيل معلوم إلى أجل معلوم. **ينظر**: «تفسير الطبري» (٥/ ٧٠-٧١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٥٥٤).

معلومٍ ووزنٍ معلومٍ إلى أَجلٍ معلوم))[١]، فالدَّينُ تارةً يكون الثمنَ وتارةً يكون المثمَّنَ؛ أي: المبيعَ، ولَمَّا كان الدَّينُ المؤجَّلُ عرضةً للاختلاف فيه؛ في مِقداره أو نوعِه أو أَجلِه؛ أَمرَ اللهُ المؤمنين في هذه الآية بالكتابة والإشهاد؛ فقال تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾، بحفظ الحقوقِ وقطعِ النزاع، وأَمر تعالى الكاتبَ بالكتابة بالعدل، ونهاهُ عن الامتناع عن الكتابة، وهو قولُه تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾؛ أَي: وليكتب بين الدَّائن والمدينِ بالعدل في كتابه، فلا يُظلَمُ الدائنُ بالنقص من الحقِّ الذي له، ولا يُظلَمُ المدينُ بالزيادة على الحقِّ الذي عليه، وعلى مَن علَّمه اللهُ الكتابةَ أَلَّا يمتنعَ إذا دعاه المتداينان إلى الكتابة بينهما؛ شكرًا لله على ما أَنعم به من تعليمه الكتابةَ، وهذا معنى قولِه: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾، ثم أَكَّد سبحانه أَمرَ الكاتبِ أَن يكتب، وأَمر أَن يُملي على الكاتب مَن عليه الحق وهو المدين؛ فقال تعالى: ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾: وهذا الخطابُ للمملي الذي عليه الحقُّ أمرًا له بتقوى الله ونهيًا عن أَن يبخسَ من الحقِّ شيئًا فيما يُمليه؛ أَي: ينقص من الحقِّ شيئًا. وقولُه تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾: أَي: لا يُحسن التصرفَ؛ فقد يُقِرُّ بما لا يَلزمُه، أو ضعيفًا؛ كصبيٍّ، أو لا يستطيع أَن يُملَّ هو نفسه؛ لخرسٍ أَو غيره؛ ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾؛ أَي: فليكن الإملاءُ على الكاتب من ولي المدين، وعلى الولي أَن يكون إِملاؤه بالعدل، لا يزيدُ في الدَّين ولا ينقصُ منه.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾: يعني: اطلبوا شهيدين من رجالكم أَيها المؤمنون يشهدان على إقرار مَن عليه الحقُّ عند كتابة العقدِ، وهذا هو الطريقُ الثاني لإثبات الحقِّ وحفظِه وقطعِ النزاعِ؛ وهو استشهادُ شاهدين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٤٠)، ومسلم (١٦٠٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ﴾: أَي: فإن لم يكن الشهودُ رجلين، ﴿فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ﴾ أي: فيشهد أو يكفي رجلٌ وامرأتان.

وقولُه: ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾: أَي: الرجلُ والمرأتان من الشهود المرضيّين عندكم لعدالتِهم وأَمانتِهم.

وقولُه: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾: تعليلٌ لاعتبار العدد في المرأتين. وقولُه: ﴿تَضِلَّ﴾: أَي: تنسى فتُذكِّرَها الأُخرى ما نسيت من الشهادة، وأَبهمَ تعالى كلًّا من التي ضلَّت والتي ذَكَّرت، فصار كلٌّ منهما مُذَكِّرةً ومذكَّرةً؛ لاحتمال وقوعِ النسيان من كلِّ واحدةٍ منهما، مما يجعلها محتاجةً إلى التذكير بما نسيت.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾: نهيٌ من الله للشهود عن الامتناع عن تحمُّلِ الشهادةِ أَو أَدائها إذا دُعوا إلى ذلك، والإجابةُ لتحمُّلِ الشهادةِ مُستحبَّةٌ، وقيل: فرضُ كفايةٍ، وقيل: مُتعيِّنةٌ على مَن دُعي[1]، والإجابةُ لأَدائها واجبةٌ؛ لأَنَّ الشهادةَ أَمانةٌ، ولتوقُّفِ ثبوتِ الحقِّ وأَدائه عليها. ثم نهى تعالى المتداينَيْن عن السآمة من كتابة الدَّينِ صغيرًا أو كبيرًا؛ أي: قليلًا كان الدينُ أو كثيرًا، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾: اسمُ الإشارةِ راجعٌ إلى ما تقدَّم من الأَمر بالكتابة والإشهاد. ﴿أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أَي: أَعدلُ؛ لأَنه من القِسط الذي أَمر اللهُ به. والقولُ الثاني: أَي: أَحرى أَن يقومَ الشهداءُ بالشهادة على وجهها. ﴿وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾: أَي: أَقرب إلى عدم وقوعِ الرَّيبِ في قلوبكم في شأن الدَّين في نوعِه أَو قدرِه أَو أَجلِه.

(١) ينظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ٢٥٥)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ٣٣٨)، و«أحكام القرآن» لإلكيا الهراسي (١/ ٢٥٨-٢٥٩)، و«المغني» لابن قدامة (١٤/ ١٢٤-١٢٥).

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾: استثناءٌ من الأَمر بالكتابة في قوله: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾.

وقولُه: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾: أَي: إِلَّا أَن تكون المعاملةُ تجارةً حاضرةً بحضور العوضين؛ لاستغنائهما عن الأَجل. ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: بتبادل الثمنِ والمثمَّنِ في وقت العقدِ.

وقولُه: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: أي: فلا إِثمَ عليكم في ترك كتابةِ المبايعةِ لبعد أَسباب النزاع. ثم قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: فأَذن بترك الكتابةِ في التجارة الحاضرةِ وأَمرَ بالإِشهادِ، وقد اختلف العلماءُ في حُكمه؛ فذهب الجمهورُ إلى أنه يُستحَبُّ، واستدلوا على صرف الأَمر عن الوجوب بأَنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشترى من أَعرابي فرسًا ولم يُشهد[1]، وباع

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٨٨٣)، وأبو داود (٣٦٠٧)، والنسائي (٤٦٤٧)، والحاكم (٢١٨٧) من طريق الزهري، عن عمارة بن خزيمة أن عمه حدثه، وهو من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتاع فرسًا من أعرابي، فاستتبعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتاعه، فنادى الأعرابي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن كنت مبتاعًا هذا الفرس وإلا بعته، فقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سمع نداء الأعرابي؛ فقال: ((أو ليس قد ابتعته منك؟)) فقال الأعرابي: لا، والله ما بعتكه، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بلى قد ابتعته منك))، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدًا، فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خزيمة فقال: ((بم تشهد؟))؛ فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ورجاله باتفاق الشيخين ثقات ولم يخرجاه، وعمارة بن خزيمة سمع هذا الحديث من أبيه أيضًا».

وقال ابن كثير في «تحفة الطالب» (١٨٤): «إسناده صحيح، حجة»، وصححه: ابن عبد الهادي في «تنقيح التحقيق» (٥/ ٧٨)، والألباني في «الإرواء» (١٢٨٦).

عبدًا ولم يُشهد[١]، وذهب جماعةٌ من السَّلف والخلف إلى وجوب الإشهادِ[٢]،

(١) أخرجه الترمذي (١٢١٦)، وابن ماجه (٢٢٥١) من طريق عباد بن ليث ـصاحب الكرابيسي ـ، عن عبد المجيد بن وهب، قال: قال لي العداء بن خالد بن هوذة: ألا نقرئك كتابًا كتبه لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: قلت: بلى، فأخرج لي كتابًا، فإذا فيه: «هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اشترى منه عبدًا ـ أو أمة ـ لا داء ولا غائلة ولا خبثة، بيع المسلم للمسلم».
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عباد بن ليث، وقد روى عنه هذا الحديث غير واحد من أهل الحديث».
وعباد بن ليث صدوقٌ يُخطئُ، كما في «التقريب» (٣١٤١)، لكنه توبع، تابعه المنهال بن بحر: أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تغليق التعليق» (٣/ ٢١٩)، وابن حجر (٣/ ٢١٨ - ٢١٩) من طريق المنهال بن بحر، عن عبد المجيد بن أبي يزيد، عن العداء، به. قال الحافظ: «والمنهال بن بحر المذكور في روايتنا وثقه أبو حاتم وابن حبان، وأما عباد فمختلف فيه، وعبد المجيد وثق، والحديث حسن في الجملة».
قلنا: المنهال بن بحر؛ هو أبو سلمة العقيلي، وثقه أبو حاتم كما في «الجرح والتعديل» (١٦٣٨)، وذكره ابن حبان في «الثقات» (١٥٩٩٨)، وقال العقيلي في «الضعفاء» (١٨٣٢): «في حديثه نظر».
وتابع عباد بن ليث أيضًا: أبو رجاء العطاردي كما في «المعجم الكبير» (١٥)، ـومن طريقه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٥٧٨)ـ، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١٠٨٨٦)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٢٠٢٤) من طريق الأصمعي، عن عثمان الشحام، عن أبي رجاء العطاردي، عن العداء بن خالد بنحوه.
تنبيه: هذا الحديث أورده البخاري معلقًا في باب: إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا (٣/ ٥٨)، لكن بلفظ: «ما اشترى محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العداء بن خالد».
قال الحافظ في «التغليق» (٣/ ٢٢٠-٢٢١): «وقد تتبعت طرق هذا الحديث من الكتب التي عزوتها إليها؛ فاتفقت كلها على أن العداء هو المشتري، وأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو البائع، وهو بخلاف ما علقه المصنف فليتأمل.
وقد تؤول، قال القاضي عياض: ما وقع في البخاري من ذلك بأن البخاري ذكره بالمعنى على لغة من يطلق اشترى مكان باع، وباع مكان اشترى، وهو تأويل متكلف، والله الموفق».

(٢) وممن قال بالوجوب: أبو موسى الأشعري، والضحاك، وسعيد بن المسيب، وجابر بن زيد، ومجاهد، وأشدهم عطاء، وإبراهيم ولو بأقل من ثلث درهم! وكان ابن عمر يفعله في قليل الأشياء وكثيرها، واختار وجوب الإشهاد: الطبري، وداود الظاهري، وابنه أبو بكر.
ينظر: «تفسير الطبري» (٥/ ١٠٩-١١١)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ١٢٢)، و«زاد المسير» (١/ ٢٥٢)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٤٠٢-٤٠٥).

وهو قويٌّ؛ لظاهر الأَمرِ، إِلَّا في المحقِّرات؛ كالصُّرَّة من البقل وعودِ السواك، ونحوهما.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: نهيٌ عن مُضارَّة المتداينين للكاتب والشهيدِ، وعلى هذا: الكاتبُ والشهيدُ نائبُ فاعلٍ، ونهيٌ للكاتب والشهيدِ عن مُضارَّةِ المتداينين، وعلى هذا: فالكاتبُ والشهيدُ فاعلٌ، واللفظُ يحتمل الصورتين؛ لأَنَّ الفعلَ المضعَّفَ يُضار لا تظهر عليه الحركةُ إِلَّا مع فكِّ الإدغامِ، والتقديرُ في الصورة الأولى: «ولا يضارَر»، بفتح الراءِ الأول وسكونِ الثانية، مبنيٌّ للمفعول، والتقديرُ في الصورة الثانية: «ولا يضارِر»، بكسر الراءِ الأولى وسكونِ الثانية، مبنيًّا للمعلوم[١].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾: يعني: إن تفعلوا المضارة فإِنَّ فعلَكم ذلك فسوقٌ بكم. وقولُه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: ختمٌ للأحكام السابقةِ بالوصية الجامعةِ، وتأكيدٌ لامتثالِ ما في الآية من الأوامر والنواهي، فإِنَّ امتثالَها من تقوى الله.

وقولُه: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾: جملةٌ مُستأنفةٌ فيها امتنانٌ من الله على المؤمنين بتعليمه إِيَّاهم كلَّ ما عَلموه وما سيعلمونه، ومن ذلك ما علَّمهم في هذه الآية من أَحكام التجارةِ والمداينةِ، وقد قيل: إِنَّ بين الامتنانِ بالتعليم والوصيةِ بالتقوى تناسبًا؛ وهو أَنَّ التقوى سببٌ للتعليم؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وهذا ظاهرٌ في آية الأنفال دون آيةِ البقرةِ[٢].

---

(١) **ينظر**: «مشكل إعراب القرآن» (١/ ١٤٥)، و«البحر المحيط» (٢/ ٧٤٠)، و«الدر المصون» (٢/ ٦٧٥-٦٧٦).

(٢) **ينظر**: «البرهان» للزركشي (٤/ ١٤٣)، و«تيسير اللطيف الرحمن» (ص١٩٠)، و«التحرير والتنوير» (٣/ ١١٨).

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾: إخبارٌ من الله بإحاطة علمِه بكلِّ شيءٍ، فتدلُّ الآيةُ أَنَّ كلَّ ما يعلمُه العبادُ من العلوم الكونيةِ والشرعيةِ فهو من علمه بتعليمهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞ﴾: هذا مُتعلِّقٌ بقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾، وبقولُه: ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ﴾: يُبيِّنُ تعالى ما يحفظُ به الحقُّ إذا لم يوجد كاتبٌ؛ وهو الرَّهنُ، وجَمعُ الرَّهنِ: رِهانٌ ورُهونٌ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞ﴾، وخصَّ هذا الحكم بالسفر؛ لأنَّه مَظنَّةٌ لعدم الكاتبِ. وقيَّدَ الرَّهنَ بالقبض؛ لأَنَّ التوثقة لا تتمُّ إلَّا به، وذلك إذا لم توجد الثقةُ بين المتداينين، فإن تحقَّقت الثقةُ بينهما لم يجب على المدين أن يوثِّقَ الدَّينَ برهنٍ، لكن يجب عليه أن يؤدِّي الحقَّ الذي عليه فلا جحدَ ولا مطلَ، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾، والأَمانةُ: هي الحقُّ الذي على المدين، والذي اؤتمنَ: هو الذي عليه الحقُّ، أَمِنه صاحبُه الدائن.

وقولُه: ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾: خطابٌ للذي اؤتمن؛ وهو المدينُ الذي عليه الحقُّ، عليه أَن يتَّقي اللهَ في الأَمانة؛ وهي: حقُّ الدائنِ الذي لديه، فلا يجحدُه ولا شيئًا منه، ولا يمطلُ، بل يُؤدِّيه للذي ائتمنه؛ وهو الدائنُ صاحبُ الحقِّ.

وقولُه: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾: نهيٌ للشهداء عن كتمان الشهادةِ، ثم عظَّم تعالى كتمانَ الشهادة فقال: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾، وأَضافَ الإِثمَ إلى القلب؛ لأَنَّ الكتمانَ يتعلَّقُ بالعلم الذي في القلب[1].

وقولُه: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾: تهديدٌ لمن يكتمُ الشهادةَ بأَنَّ اللهَ به عليمٌ وسيجزيه بعملِه، وكتمانُ الشهادةِ هو من الضِّرار الذي نهي عنه في قولِه: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾، بل هو من أَعظم الضِّرار.

---

(١) ينظر: «تفسير النسفي» (١/ ٢٣١)، و«تفسير ابن جزي» (١/ ١٤١)، و«البحر المحيط» (٢/ ٧٤٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كسَلَم وقرضٍ ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ استيثاقًا ودفعًا للنزاع ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كتابَ الدَّينِ ﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالحقِّ في كتابته، لا يزيدُ في المال والأَجل ولا ينقصُ ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ يمتنعَ ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ إذا دُعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أَي: فضَّله بالكتابة، فلا يبخل بها، والكافُ متعلقةٌ بـ «يأب» ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيدٌ ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يُملَّ الكاتب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدَّينُ؛ لأَنه المشهودُ عليه، فيُقرُّ ليعلمَ ما عليه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ ينقصْ ﴿مِنْهُ﴾ أَي: الحق ﴿شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مبذِّرًا ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإِملاء؛ لصغرٍ أَو كِبَر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرسٍ أَو جهلٍ باللغةِ أَو نحو ذلك ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ مُتولي أَمره من والدٍ ووصيٍّ وقيِّم ومُترجم ﴿بِالْعَدْلِ﴾.

﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ أَشهدوا على الدَّين ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أي: بالغي المسلمينَ الأحرار ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ أَي: الشاهدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ يشهدون ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لدينه وعدالته، وتعدُّدِ النساءِ لأَجْلِ ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادةَ لنقص عقلهنَّ وضبطهنَّ ﴿فَتُذْكِرَ﴾ بالتخفيفِ والتشديدِ ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الذاكرةُ ﴿الْأُخْرَى﴾ الناسيةَ، وجملةُ الإِذكارِ محلُّ العلةِ، أَي: لتذكر أن ضلت. ودخلت على الضلال لأَنه سببه. وفي قراءةٍ بكسر «إن» شرطية ورفع «تذكر» استئناف جوابه ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾ زائدةٌ ﴿دُعُوا﴾ إلى تحمُّل الشهادةِ وأَدائها. ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ تملُّوا من ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أَي: ما شهدتم عليه من الحقِّ؛ لكثرةِ وقوعِ ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلًا أو كثيرًا ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ وقتِ حُلوله. حالٌ من الهاء في «تكتبوه». ﴿ذَلِكُمْ﴾ أَي: الكَتْبُ ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدلُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أَي: أَعونُ على

إقامتها؛ لأنَّه يذكرها ﴿وَأَدْنَىٰ﴾ أَقربُ إلى ﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ تشكُّوا في قدرِ الحقِّ والأَجلِ. ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ تقعَ ﴿تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ﴾ وفي قراءةٍ بالنصب، فـ «تكون» ناقصة، واسمها ضمير التجارةِ ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أَي: تقبضونها ولا أَجلَ فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ والمرادُ بها المتجر فيه.

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه، فإِنَّه أَدفعُ للاختلاف. وهذا وما قبله أَمرُ ندبٍ ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحبُ الحقِّ ومَن عليه؛ بتحريفٍ أَو امتناعٍ من الشهادة أَو الكتابةِ أَو لا يضرهما صاحبُ الحقِّ بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة.

﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ ما نُهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ خروجٌ عن الطاعة لاحقٌ ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أَمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مصالحَ أُموركم، حال مقدرة أَو مستأنف ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أَي: مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرُهُنٌ﴾ وفي قراءةٍ: (فَرِهَانٌ) جمعُ رهنٍ ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ تستوثقون بها. وبيَّنتِ السنَّةُ جوازَ الرَّهنِ في الحضر ووجود الكاتب، فالتقييدُ بما ذكر؛ لأَنَّ التوثقَ فيه أَشدُّ. وأَفاد قولُه «مقبوضة» اشتراطَ القبضِ في الرَّهن والاكتفاءَ به من المرتهنِ ووكيلِه.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ أَي: الدائنُ المدينَ على حقِّه فلم يرتهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ أَي: المدين ﴿أَمَانَتَهُ﴾ دَينَه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أَدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دُعيتم لإقامتها. ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ خصَّ بالذِّكر لأَنَّه محلُّ الشهادةِ، وأَنَّه إذا أَثمَ تَبعه غيرُه فيُعاقب عليه معاقبةَ الآثمين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيءٌ منه.

وقولُ المؤلِّف: (**تعاملتم**): يريد: بتجارةٍ كالمبايَعة، ولكن المعاملة أعمُّ من المداينة، فالمداينة تختصُّ بما إذا كان أحدُ العِوَضَيْنِ مُؤجَّلًا، ففسَّر المؤلِّفُ لفظَ: ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ بما هو أعمُّ منه. وقولُه: (**كسَلَمٍ وقرضٍ**) السَّلَمُ المؤجَّلُ فيه هو الـمَبيع، والقرضُ دَيْنُ إرفاقٍ لا مُعاوضة، والصحيحُ: أنه يقبلُ التأجيل.

وقولُه: (**معلوم**): أي: بتعيينِ وقتِ حلولِ الدَّين وتحديدِهِ بالسنة والشهر.

وقولُه: (**استيثاقًا ودفعًا للنزاع**): بيانٌ لحكمةِ الأمر بالكتابة.

وقولُه: (**كتابَ الدَّينِ**): بيانٌ لمفعولِ ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾. وقولُه: (**بالحقِّ في كتابته** ...) إلى آخره: فسَّرَ العدلَ بالحقِّ، والحقُّ ضدُّ الباطل، والمراد؛ بالعدل: العدلُ الخالِصُ الذي ليس فيه باطلٌ، ثم بيَّنَ المؤلِّف ما يحصل به العدلُ في قوله: (**لا يزيدُ في المال والأَجل ولا ينقصُ**).

وقولُه: (**يمتنعَ**): يريد قولَه تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾ أي: لا يمتنعْ كاتبٌ من الكتابة إذا دُعِيَ إليها. وقولُه: (**من**): أي: من الكتابة؛ يريد: لا يمتنعْ كاتبٌ من الكتابة.

وقولُه: (**إذا دُعي إليها**): بيانٌ لحال النَّهي عن الامتناع؛ أي: لا يمتنعْ مِن الكتابة في هذه الحال. وقولُه: (**أَي: فضَّله** ...) إلى آخره: يُبيِّن أن عِلْمَ الكتابةِ نعمةٌ من الله على الكاتب، فالواجبُ مقابلتُها بالشكر، والبخلُ بالكتابة ينافي شكرَ هذه النعمة.

وقولُه: (**والكافُ؛ متعلقةٌ بـ «يأب»**): الصوابُ أن يقالَ متعلِّقة؛ بـ «لَا يَأْبَ»، وتكون للتعليل؛ فالمعنى: لا يأبَ كاتبٌ أن يكتبَ مِن أجلِ أنَّ اللهَ علَّمَهُ، فإنَّ ذلك يقتضي شكرَ اللهِ على هذه النعمة، ومِن شكرِ الله: الإجابةُ إلى الكتابةِ إذا دُعِيَ إليها[١].

---

(١) **ينظر**: «المحرر الوجيز» (٢/ ١١٢-١١٣)، و«البحر المحيط» (٢/ ٧٢٤-٧٢٥)، و«الدر المصون» (٢/ ٦٥٢-٦٥٣).

وقولُه: (**تأكيدٌ**): يبيِّن أن الأمر بالكتابة تأكيدٌ للنهي عن الإباءِ منها.

وقولُه: (**الكاتب**): تقديرٌ لمفعول: ﴿يُمْلِلْ﴾ بتضمينِهِ يُسمِعُ؛ أي: يُسمِعُ الذي عليه الحقُّ الكاتبَ ألفاظَ إقرارِه ليكتُبَها.

وقولُه: (**الدَّينُ** ...) إلى آخره: تفسيرٌ للحقِّ الذي يُقِرُّ به المدين فيعلم ويُشهِدُ عليه.

وقولُه: (**فيُقرُّ**): يعني: بإملائه بالدَّين الذي عليه.

وقولُه: (**في إملائه**): يريد أن على الـمُمْلِي الذي عليه الحقُّ أن يتقيَ اللهَ ويراقبَه فلا يُحرِّفَ في كلامه، ولا يُلبّس بل يكون كلامُهُ واضحًا لا يلتبسُ على الكاتب ولا على الشهود.

وقولُه: (**ينقصْ**): أي: لا ينقص في إقراره من الحق شيئًا، وهذا مما يدخلُ في التقوى.

وقولُه: (**أي: الحق**): بيانٌ لمرجعِ الضمير المجرور في قوله: ﴿لَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾.

وقولُه: (**مبذِّرًا**): أي: لا يحفظ المالَ ويُفرِّطُ في صرفِه، وهذا عنوانُ السَّفَهِ.

وقولُه: (**عن الإملاء** ...) إلى آخره: يتضمن أن الضعيفَ هو الصبي أو الكبير الذي لا يعقلُ، ومَن هذه حالُه لا يُحسنُ الإملاءَ؛ لنقصِ عقله.

وقولُه: (**لخرس** ...) إلى آخره: بيانٌ لأسباب العجز عن الإملاء.

وقولُه: (**مُتولي أَمره** ...) إلى آخره: بيان للمراد بوليّ الذي عليه الحق.

وقولُه: (**أَشهدوا على الدَّين**): يبيِّن أن المراد بالاستشهاد الإشهادُ، فإذا حصل الإشهاد فهو المطلوب، والسِّينُ والتاءُ للطلب عند الحاجة.

وقولُه: (**شاهدين**): تفسيرٌ لـ﴿شَهِيدَيْنِ﴾، والشاهد: مَن يشهدُ بما علم.

وقولُه: (**بالغي** ...) إلى آخره: بيانٌ لِما يدل عليه لفظُ ﴿رِجَالِكُمْ﴾ وهو ثلاثة أمور: البلوغُ، والحريةُ، والإسلامُ؛ أَمَّا البلوغُ والإسلامُ فدَلالة اللفظِ عليهما ظاهرةٌ، وأَمَّا الحريةُ ففي دَعوى دَلالة لفظ «الرجال» عليها نظرٌ؛ فإنَّ عبيدَ المسلمين مِن رجالهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١][(١)].

وقولُه: (**أي: الشاهدان**): بيانٌ لمرجع الضمير في قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ والضمير اسم: «يكون»، و«رَجُلَيْنِ» خبر.

وقولُه: (**يشهدون**): تقديرٌ لخبر المبتدأ وهو «رجلٌ» وما عُطِفَ عليه، ويمكن جعلُهُ فاعلًا؛ بتقدير: فيشهدُ رجلٌ وامرأتان.

وقولُه: (**لدينه وعدالته**): بيانٌ لصفة مَن يُرضى للشهادة، وهو المسلمُ العَدْلُ.

وقولُه: (**وتعدُّدِ النساءِ لأَجْلِ**): تنبيهٌ على الحكمة من استشهاد امرأتَين، وهي: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَهَا الْأُخْرَى﴾.

وقولُه: (**تنسى**): تفسيرٌ للضَّلال، وهو نسيانُ الشهادةِ أو شيءٍ منها.

وقولُه: (**لنقص عقلهنَّ وضبطهنَّ**): بيانٌ لسبب حصولِ النسيان من إحدى المرأتين أو من كلٍّ منهما كما قال ﷺ: ((ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودِينٍ))، ثم فسَّر ذلك بقوله: ((أليستْ شهادةُ المرأتينِ بشهادةِ رجلٍ؟))[(٢)].

وقولُه: (**بالتخفيفِ والتشديدِ**): يريد بتخفيف الكاف من «أَذْكَرَ»، وتشديدِها من: «ذَكَّرَ» وهو يشير بذلك إلى قراءتين.

---

(١) وبقبول شهادة العبيد: قال أنس بن مالك، وعروة، وابن سيرين، وداود، وغيرهم، وهو المعتمد في مذهب الإمام أحمد. **ينظر**: «المغني» (١٤/ ١٨٥-١٨٦)، و«شرح المنتهى» (٦/ ٦٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤) عن أبي سعيد الخدري، ومسلم (٧٩) عن ابن عمر رضي الله عنهم.

وقولُه: (الذاكرةُ): بيانٌ للمراد من ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الثانية فـ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الأولى هي الناسيةُ، فالذاكرة هي: التي تُذَكِّرُ الناسيةَ.

وقولُه: (الناسيةَ): بيانٌ للمراد بالأخرى، والـمُذكِّرة للناسية هي الذاكرةُ التي لم تنس فالذاكرة تُذَكِّرُ الناسيةَ.

وقولُه: (وجملةُ الإذكارِ): يريد قوله تعالى: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾.

وقولُه: (محلُّ العلةِ): يبيِّن أن العلَّة في تعدُّدِ المرأتين هو: تذكيرُ إحداهُما للأخرى إن نسيتْ، ويؤيِّدُ ذلك أنه قُرِأ: ﴿إِنْ تَضِلَّ﴾ بكسر الهمزة وتكونُ شرطيةً وجواب الشرطِ؛ ﴿فتُذَكِّرْ﴾.

وقولُه: (ودخلت على الضلال): يريد: لامَ التعليل؛ لأن التقديرَ عند المؤلِّف: «لأن تَضِلّ». وقولُه: (وفي قراءةٍ ...) إلى آخره: يشير إلى أن قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ في همزة ﴿أن﴾ قراءتان: بفتحِ الهمزة، وهي قراءةُ الجمهور، و﴿أَنْ﴾ مصدريةٌ، ولذا نصبَ الفعلَ بعدها، والقراءةُ الأخرى: بكسر الهمزة، وتكون شرطيةً، ومَن قرأ بكسرِ همزةِ ﴿إن﴾ قرأ ﴿تُذَكِّرَ﴾ بالرفع[1]، وعلى هذا يقول المؤلِّف: تكون جملة ﴿تُذَكِّرَ﴾ مُستَأْنَفةً، وهي: جوابُ الشرط.

وقولُه: (زائدةٌ): يريد: أن ﴿ما﴾ التي بعد ﴿إذا﴾ زائدةٌ في الإعراب؛ لأنه ليس لها معنى إلا التأكيد.

وقولُه: (إلى تحمُّلِ الشهادةِ وأَدائها): بيانٌ لِما يُدْعَى إليه الشهودُ وهو إما تحمُّلُ الشهادةِ عند كتابةِ العقدِ، وإما إلى أدائِها في حال الخصومة.

---

(١) قرأ حمزة: ﴿إِنْ تَضِلَّ﴾ بكسر الألف على محض الشرط، ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ بتشديد الكاف وضم الراء، والفاء جواب الشرط. وفتح الباقون الألف من ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾، والراء من ﴿فتُذَكِّرَ﴾. وأسكن الذال من قوله: ﴿فَتُذْكِرَ﴾ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب، وخفضوا الكاف، وقرأ الباقون: ﴿فتُذَكِّرَ﴾. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٦).

وقولُه: (**تملُّوا من**): بيانٌ لمعنى: السَّأَمِ، وهو الملَلُ والضَّجَرُ، وقولُه: (**من**) بيانٌ أن المصدرَ المؤوَّل ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ في محلِّ جرّ: بـ«من» فالمعنى: لا تملُّوا من أن تكتبوا الدَّين. وقولُه: (**ما شهدتم عليه من الحقِّ**): يقتضي: أن الخطاب في قوله: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ﴾ للشُّهداء أُمِرُوا أن يكتبوا ما شهدوا به، والصواب: أن قوله: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ خطابٌ للمُتداينين فهو معطوفٌ على قوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾؛ تأكيدًا للأمر بالكتابة[1].

وقولُه: (**لكثرةِ وقوعِ ذلك**): تعليلٌ لوقوع السآمة بسبب كثرة الـمُدايَنات.

وقولُه: (**كان**): بيانٌ أن «صغيرًا» و«كبيرًا» خبرٌ لكان المقدَّرة. وقولُه: (**قليلًا أو كثيرًا**): تفسيرٌ لـ«صغيرًا» و«كبيرًا»؛ لأن الكم هو الذي يوصفُ بالقلَّة والكثرة، والحجمُ يوصف بالصِّغَر والكِبَر.

وقولُه: (**وقتِ حُلولِه**): بيانٌ لمعنى «أجل الدَّين» فأجلُ الدَّين وقتُ حلولِه وهو وقتُ وجوب القضاء.

وقولُه: (**حالٌ من الهاء في «تكتبوه»**): يريد: أن الجار والمجرور ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ في موضعِ نصبٍ على الحال من الضمير المنصوب في قوله: ﴿تَكْتُبُوهُ﴾.

وقولُه: (**الكَتْبُ**): يعني: كتابةُ الدَّين.

وقولُه: (**أَعدلُ**): تفسيرٌ لـ﴿أَقْسَطُ﴾ أفعلُ تفضيل مِن القِسط وهو العدل.

وقولُه: (**أَعونُ على إقامتها**): أي: إقامةُ الشهادة على وجهِها؛ لأن الكتابة تُذَكِّرُ الشاهدَ. وقولُه: (**أَقربُ إلى**): بيانٌ لمعنى ﴿أَدْنَىٰٓ﴾؛ أي: أقرب إلى ﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓا﴾؛ أي: ألَّا تشكُّوا. وقولُه: (**في قدرِ الحقِّ والأَجلِ**): بيانٌ لما يقع فيه الشكُّ.

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٥/ ١٠٢)، و«التفسير البسيط» (٤/ ٥٠٤)، و«التحرير والتنوير» (٣/ ١٤٤).

وقولُه: (تقعَ): تفسيرٌ لـ﴿تكونَ﴾، وعلى هذا فـ﴿تَكُونَ﴾ تامّة و﴿تِجَارَةٌ﴾ بالرفع فاعلٌ على قراءة الجمهور.

وقولُه: (وفي قراءةٍ بالنصب): أي: بنصب ﴿تِجَارَةً﴾(١)، وعلى هذا فتكون ناقصةً، واسمُها ضميرٌ يعود إلى المعاملة، و﴿تجارةً﴾ خبرُ ﴿تكون﴾ منصوب.

وقولُه: (أَي: تقبضونها ولا أَجلَ فيها): تفسيرٌ لقوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تتقابضون العِوضَيْن لحلولِ كلٍّ منهما فلا دَيْن إذًا.

وقولُه: (في): تقديرٌ لحرف الجرّ العامل في المصدر المؤوَّل؛ فالمعنى: فلا جناحَ عليكم ألا تكتبوها؛ أي: المعاملةُ وهو تأكيدٌ للأمر بكتابة الدَّين.

وقولُه: (والمرادُ بها المتجر فيه): يُبيّن أن المراد بالتجارة الـمُتَّجرُ فيه وهو العِوضان: الثمنُ والـمُثْمَنُ، أو تقول: الثمنُ والسِّلعةُ.

وقولُه: (عليه ...) إلى آخره: المعنى: أشهِدوا على التبايُعِ؛ فإنه أقطعُ على النزاع.

وقولُه: (وهذا وما قبله أمرُ ندبٍ): يريد: الأمرَ بالإشهاد وما قبلَه من الأمر بالكتابة للنَّدبِ، وهو قول الجمهور؛ لما ثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشترى فرسًا من أعرابيٍّ ولم يُشهِد، وباعَ عبدًا ولم يُشهِد.

وقولُه: (صاحبُ الحقِّ ...) إلى آخره: يُبيِّن أن لفظ الآية يشمل نهيَ الكاتب والشاهد عن مُضارَّة المتداينَيْن، ونهيَ المتداينَيْن عن مُضارَّة الكاتب والشهيد أيَّ نوعٍ مِن المضارَّة.

وقولُه: (ما نُهيتم عنه): هذا تقديرٌ لمفعول: ﴿تَفْعَلُوا﴾.

وقولُه: (خروجٌ عن الطاعة لا حق): تفسيرٌ للفسوق؛ المعنى: أنَّ فعلَكم ما نُهيتم عنه مِن المضارَّة وغيرها فسوق لا حقٌّ بكم.

---

(١) قرأ عاصم وحده: ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ نصبًا، وقرأ الباقون: ﴿تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ﴾ رفعًا. ينظر: «السبعة في القراءات» (ص١٩٣)، و«معاني القراءات» (١/ ٢٣٥).

وقولُه: (في أَمره ونهيه): تقوى الله في أمره بفعلِ ما أمر به، وتقوى الله في نهيه بترك ما نهى عنه.

وقولُه: (مصالحَ أُموركم): هذا تقديرُ مفعول ﴿يُعَلِّمُكُمُ﴾؛ أي: يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ما تصلحُ به أمورُكم كالأحكام المتقدمة.

وقولُه: (حال مقدرة أَو مستأنف): بيانٌ لمحلّ جملة: ﴿يُعَلِّمُكُمُ﴾، يقول: إنها تحتمل أن تكون حاليةً أو مستأنفةً.

وقولُه: (أَي: مسافرين وتداينتم): بيانٌ لمحلّ هذا الحكم وهو الرهنُ، ومحلُّه التداينُ في السفر ولم يوجد كاتِبٌ.

وقولُه: (وفي قراءةٍ: (فرهان) جمعُ رهنٍ): يُبيّنُ أَنَّ في الآية قراءتان: «رُهُنٌ»؛ ككُتُبٌ، و«رِهَانٌ» كجبالٌ[1]، وكلاهما جمعُ رَهْنٍ؛ وهو العينُ التي يُوثَّقُ بها الدَّين.

وقولُه: (تستوثقون بها): أي: يستوثقُ بها صاحب الدَّين دينَه وهو القابضُ للرهن، ويقال له: «الـمُرْتَهِن» ومن عليه الحقُّ هو «الراهنُ»، والعين المستوثَقُ بها «رَهْنٌ».

وقولُه: (وبيَّنتِ السنَّةُ ...) إلى آخره: يُنبِّه إلى أن السفرَ ووجود الكاتبِ ليس شرطًا في جواز الرَّهن؛ لدَلالة السنَّة على ذلك؛ فإن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات ودِرعُه مرهونةٌ[2]. وقولُه: (فالتقييدُ ...) إلى آخره: أي: بما ذُكِرَ من السفر وعدم وجود الكاتب من أجل أن الحاجةَ في هذه الحال إلى التوثُّق أشدّ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فَرُهُنٌ﴾ بضم الراء والهاء من غير ألف، وقرأ الباقون: ﴿فَرِهَانٌ﴾ بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩١٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعًا من شعير».

وقولُه: (**وأَفاد** ...) إلى آخره: يُبيِّن أَنَّ وصفَ الرِّهان بالقبضِ يدلُّ على اشتراط قبض المرتهِن للرهنِ؛ لأن التوثيقَ لا يتحقق إلا بذلك.

وقولُه: (**أي: الدائنُ** ...) إلى آخره: بيان للمرادِ بالبعض الأول والثاني؛ فالأولُ هو: الدائن، والثاني هو: الـمَدينُ الذي عليه الحقّ فإذا أملئ الدائنُ المدينَ على حقِّه فلم يرهنهُ شيئًا فعلى الـمَدين أن يؤدِّي الحقَّ الذي عليه فلا يجحدْ ولا يماطِلْ.

وقولُه: (**أَي: المدين**): تفسيرٌ لـ﴿الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ لأنه الذي ائتمنَهُ صاحبُ الدَّين.

وقولُه: (**دَينَه**): بيانٌ للمراد بالأمانة. وقولُه: (**في أَدائه**): يبيِّن أن على الذي اؤتُمنَ أن يتقيَ الله. وقولُه: (**خصَّ بالذِّكر** ...) إلى آخره: يريد: خصَّ القلبَ بالذِّكرِ في قوله: ﴿آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ وذكرَ لهذا التخصيصِ سببين؛ الأول: أن القلب محلُّ الشهادة. الثاني: أنه إذا أثمَ القلبُ أثمتِ الأعضاء تبعًا له؛ كما في الحديث: ((إذا صلحَ صلحَ الجسدُ كله، وإذا فسدَ فسدَ الجسدُ كله))[1].



(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، بنحوه من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤-٢٨٦]:

هذه الآيات الثلاث؛ هي: خواتِم سورة البقرة التي أُنزلتْ مع سورة الفاتحة، نزلَ بهِنَّ ملَكٌ من الملائكة لأول مرةٍ ينزل من بابٍ من السماء لم يُفتَحْ إلا لنزولهِ، وبشَّرَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك كما روى مسلمٌ في صحيحه بسندِه عن ابن عباس؛ قال: بينما جبريلُ قاعدٌ عند النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسَهُ فقال: ((هذا بابٌ من السماء فُتِحَ اليوم لم يُفْتَحْ قطُّ إلا اليومَ فنزل منه مَلَكٌ فقالَ: هذا ملكٌ نزلَ إلى الأرض لم ينزلْ قطُّ إلا اليومَ فسلَّمَ)) أي: الملَكُ ((وقال: أَبشر بنورين أُوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك؛ فاتحةُ الكتابِ وخواتيمُ سورةِ البقرة، لن تقرأَ بحرفٍ منهما إلا أُعطِيتَه))[1]، وجاء في فضلِ الآيتين الأَخيرتين أَنَّ: ((مَن قَرأهما في ليلةٍ كَفَتاهُ)) رواه البخاري ومسلم عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

وقد دلَّتِ الآيةُ الأولى أن ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فهو مالكُهما وما فيهما وله ملكُ السموات والأرض، وأخبر ـتعالىـ أنه مُحاسِبٌ عبادَهُ بما في نفوسِهم أبدوهُ أو أخفوهُ، ثم يغفرُ لِمَن يشاء ويُعذِّب مَن يشاء وهو على كلِّ شيء قدير. وقد ذهب جمهورُ المفسرين إلى أَنَّ هذه الآية منسوخةٌ

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦).
(٢) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقال آخرون: إنها مُحْكَمَةٌ[١]، ومعناها عندهم: الخبرُ من الله بأنه محاسِبٌ عبادَه بما يُبدون من أعمالهم وما يُخفون، وهي عامةٌ في المؤمنين والكفار؛ ولهذا قال: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهم: المؤمنون ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ وهم: الكفار، ولا منافاةَ بين القولَين فمَن قال: إنها منسوخةٌ أراد أنه نسخَ منها ما فهمَهُ الصحابةُ وشقَّ عليهم وهو المحاسبةُ على حديث النفس مما لا يستطاعُ دفعُهُ، وليس هذا رفعًا لحكمِ الآية في كلِّ ما يُبدي العبادُ مما في نفوسِهم وما يُخفونه، وعلى هذا فيكون قولُه تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ رافعًا لحكم الآيةِ في بعض أفراد العامِّ، وهذا من قَبيل التخصيصِ، وكان المفسِّرون من السلف يُسمُّونه نسخًا، فالآية على عمومِها، وخصَّ منها ما لا يُستطاعُ التحرُّجُ منه من الخواطر والأفكار التي تَرِدُ على القلب بغيرِ إرادةِ العبد، وهو الذي خاف الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهم مُحاسَبون به، واختار ابنُ جرير أَنَّ الآيةَ محكمةٌ فلا نَسْخَ ولا تخصيصَ، وأَيَّدَ ذلك بأَنَّ المحاسبةَ لا تستلزمُ عقوبةً[٢]، وفي قوله هذا نظرٌ؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ نُوقِشَ الحسابَ عُذِّبَ))[٣]، وأيضًا فخوفُ الصحابة من الوعيد بالحساب يدلُّ على أنهم يرونَ الحساب قد يُؤدِّي إلى العذاب؛ قال بعد ذِكْرِ أقوالِ الناس فيها: «وأَولى الأقوالِ التي ذكرناها بتأويلِ الآية: قولُ مَن قال: إنها مُحْكَمَةٌ، وليست بمنسوخةٍ؛ وذلك أن النسخَ لا يكون في حكم إلا ينفيهِ بآخرٍ له نافٍ من كلِّ وجوهِه، وليس في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ نفي الحكم الذي أعلم عباده بقوله: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ لأن المحاسبةَ ليست بموجِبةٍ عقوبة، ولا مؤاخذة بما

(١) ينظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص٢٧٣-٢٧٧)، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي (ص٨٩-٩٥).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٥/ ١٤٣-١٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٣٦) واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

حوسب عليه العبدُ من ذنوبه»(١)، ولما نزلت هذه الآيةُ شقَّ ذلك على أصحابِ النبيِّ ﷺ؛ لِمَا يعلمون من أنَّ هواجسَ النفوسِ والخواطر التي تَرِدُ على القلب ليست بإرادةِ الإنسان ولا يستطيع دفعَها ولا التحرُّزَ منها فجاؤوا إلى النبيِّ ﷺ يَشْكُونَ ما يَجدُون من المشقَّة في هذا التكليفِ، فروى مسلمٌ في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: «لما نزلتْ على رسولِ الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ قال: فاشتدَّ ذلك على أصحاب رسولِ الله ﷺ فأتَوا رسولَ الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكَبِ فقالوا: أيْ رسولَ اللهِ، كُلِّفْنَا من الأعمالِ ما نطيقُ، الصلاةَ والصيامَ والجهادَ والصدقةَ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عليك هذه الآيةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قال رسول الله ﷺ: ((أَتريدون أن تقولوا كما قال أَهلُ الكتابين مِن قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾...)) إلى آخر الحديث(٢).

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾: ثناءٌ من الله على رسولِهِ والمؤمنين بإيمانِهم بالله وملائكته وكتبه وبجميع رسله، وبقولِهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾، وقد تضمنَ هذا الإقرارُ السمعَ والطاعةَ لله وسؤالَ المغفرة والإقرارَ بالمصير إليه، فتضمن الإيمانَ باليوم الآخر، فشمل إيمانُهم الأصولَ الخمسة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

---

(١) «تفسير الطبري» (٦/ ١١٨) ط. شاكر، و(٥/ ١٤٣-١٤٤) ط. هجر.
(٢) صحيح مسلم (١٢٥).

وقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾: مقولُ قولٍ محذوفٍ؛ يُقدّر: قالوا أو قائلين؛ المعنى: لا نُفرِّق بين رُسُلِ الله في الإيمان ببعضِهم دون بعضٍ كما فعلتِ اليهودُ والنَّصارى بل نؤمنُ بجميعِهم، وقرأ الجمهور بالنون، وقرأ بعضُ السلف بالياء: ﴿لا يُفرِّقُ﴾ بلفظِ المفرد ردًّا إلى لفظِ ﴿كلّ﴾[(١)]، ورجَّحَ ابنُ جريرٍ قراءةَ جمهور القرَّاء، وقال: إنه لا يستجيزُ القراءة بغيرها[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ﴾: معطوفٌ على «آمنوا»؛ المفهوم من قوله: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ فالمعنى: كلُّهم آمنوا وقالوا، أو معطوف على «قالوا» العامل في ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾، وتقديره: قالوا: لَا نُفَرِّقُ، وقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، ومعنى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: سَمِعْنا ما أنزلتَ على رسولكَ من الكتاب والحكمة وقَبِلْنَا واستجبْنا وأطعْنا لك فيما أمرتَنا به وما نهيتَنا عنه فامتثلنا وفعلْنا ما أمرْتَنا به واجتنبْنَا ما نهيتَنا عنه. وقولُه: ﴿غُفْرَانَكَ﴾: مفعولٌ لفعلٍ مُقدَّر؛ أي: نسألكَ غفرانكَ يا ربنا. وقولُه: ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ٢٨٥﴾: أي: إليك وحدكَ المرجعُ والمآب في يوم الحساب.

وقولُه تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: يخبرُ ـتعالى ـ عن رحمته بعباده في شرعِه بأنه لا يُكلِّفُ نفسًا إلا وسعَها؛ أي: ما تسعُهُ قدرتُها فلا يفرض على أحدٍ شيئًا من الفرائض إلا ما يستطيع ويقدرُ عليه بلا حَرَجٍ يلحقُهُ، وهذا الحكم من الله ـتعالى ـ يرفع الحرجَ الذي خافه الصحابةُ فهمًا من قوله ـتعالى ـ في الآية السابقة: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ ولهذا قيل: إن هذه الآيةَ ناسخةٌ للآية السابقة؛ لأنها دالةٌ على أن ما لا يُستطاعُ

---

(١) قرأ يعقوب: ﴿لَا يُفَرِّقُ﴾ بالياء؛ وقرأ بقية القراء: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ بالنون؛ فهي قراءة عشرية متواترة. **ينظر**: «المبسوط في القراءات العشر» (ص١٥٦)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٧)، وهي أيضًا قراءة سعيد بن جبير، ويحيى بن يعمر، وأبي زرعة بن عمرو بن جرير. **ينظر**: «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٥٦٠)، و«الكامل في القراءات» (ص٥١٣).

(٢) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٥/ ١٥١).

دفعُه من الخواطر لم يُكلَّفوا دفعَه، وقد تقدَّم ذكرُ الخلاف في علاقة هذه الآية بالآية السابقة وهل هي ناسخةٌ أو مُخصصةٌ؟ والصواب: أنها رافعةٌ لحكم الآية عن بعض أفرادِ العامِّ فهي ناسخةٌ من حيث رفعِ الحكم ومُخصصةٌ من حيث تعلُّقِ النسخ ببعض أفراد العامّ، فهي ناسخةٌ من وجهٍ ومخصصةٌ من وجهٍ، وبهذا يعلم أنه لا منافاةَ بين القولِ بأنها ناسخةٌ، وبين القول بأنها مُخصصةٌ، وقد جاء هذا التخفيفُ بعد أن قال المؤمنون: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾، وذلَّتْ بها ألسنتُهم فجزاهمُ اللهُ بإيمانِهم وانقيادِهم بإنزالِ هذه الآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾.

ثم أخبر ـتعالىـ أن لكلِّ نفسٍ ما كسبتْ من الخير والعمل الصالح وعليها ما اكتسبتْ من الأعمال السيئة؛ كقوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا﴾ [فصلت:٤٦]. ثم علَّم اللهُ المؤمنين هذه الدَّعوات: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ إلى قوله: ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾، وهي سبعُ دعواتٍ، وقد أخبر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ أجابَ دعاءَ المؤمنين، وأَنَّ اللهَ قال بعد كلِّ دعوة: ((قدْ فعلتُ))[1]، فعُلِمَ بذلك العفو عن الخطأِ والنسيانِ في هذه الشريعةِ، وأنه لم يُحمِّلْ على هذه الأمة فيما شرعَ لهم إصرًا كما حملَهُ على الأمم الماضية وأنه لا يُحمِّلْهُمْ ما لا يطيقون ووعدَهم العفوَ والمغفرةَ والرحمةَ والنصرَ على الكافرين، وما أحسن ما خُتِمَتْ به هذه السورةُ من هذه الدعواتِ المجابةِ فذلك من فضل الله على أمةِ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فللَّه الحمدُ والـمِنَّة والـمُلْكُ والنعمةُ، لا نُحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا﴾ تُظهروا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من السُّوء والعزمِ عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تُسرُّوه ﴿يُحَاسِبْكُمْ﴾

(١) أخرجه مسلم (١٢٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يُخبركم ﴿بِهِ اللَّهُ﴾ يومَ القيامة ﴿فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرةَ له ﴿وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبَه. والفعلان بالجزم عطفًا على جواب الشرطِ، والرفعُ؛ أَي: فهو. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه مُحاسبتكم وجزاؤكم.

﴿آمَنَ﴾ صدَّقَ ﴿الرَّسُولُ﴾ محمَّدٌ ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوضٌ من المضاف إليه ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع والإفرادِ ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ كما فعل اليهودُ والنصارى. ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أَي: ما أُمرنا به، سماعَ قبولٍ ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألُكَ ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجعُ بالبعث.

ولَمَّا نزلت الآيةُ التي قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة، وشقَّ عليهم المحاسبة بها، فنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أَي: ما تَسَعُه قدرتُها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير؛ أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشرِّ؛ أَي: وِزره. ولا يؤاخذُ أَحدٌ بذنب أَحدٍ ولا بما لم يكسبْه مما وسوست به نفسُه.

قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصوابَ لا عن عمدٍ، كما آخذت به مَن قبلنا، وقد رفعَ اللهُ ذلك عن هذه الأُمَّة كما ورد في الحديث. فسؤاله اعترافٌ بنعمة اللهِ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أَمرًا يثقل علينا حَملُه ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أَي: بني إسرائيل؛ من قتل النَّفسِ في التوبة وإِخراج ربع المالِ في الزكاة وقرض موضعِ النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾ قوَّةَ ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكاليف والبلاءِ ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ امحُ ذنوبَنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرَّحمة زيادةٌ على المغفرة ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومتولي أُمورنا. ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بإقامةِ الحجَّةِ والغَلَبةِ في قتالهم، فإِنَّ من شأَن المولى أَن ينصرَ

مواليه على الأَعداء، وفي الحديث: لَمَّا نزلت هذه الآيةُ فقرأها صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيل له عَقِبَ كلِّ كلمةٍ: ((قد فعلت)).

وقولُ المؤلِّف: (**من السُّوء والعزمِ عليه**): يبيِّن ما تتعلَّق به المحاسبةُ وقد يستلزم الحسابُ العقابَ، ويدخلُ في ذلك ما يَرِدُ على القلب من الخواطر السيئة وما يُحدِّثُ به الإنسانُ نفسَه من ذلك، وهذا هو الذي أشفقَ الصحابةُ حَرَجًا من محاسبتِهم به حتى جاؤوا إلى النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: «إن هذه الآيةَ لا نُطيقها» كما تقدَّم في حديث أبي هريرة. وقولُه: (**يُخبركم**): تفسيرٌ للمحاسبة بالإخبار، وفي هذا التفسير قصورٌ، والمحاسبةُ قد تتضمَّنُ التقريرَ بالذنوب وقد تكون مع مناقشةٍ.

وقولُه: (**يومَ القيامة**): بيانٌ لوقت الحساب.

وقولُه: (**المغفرةَ له**): تقديرٌ لمفعولِ ﴿يَشَاءُ﴾.

وقولُه: (**تعذيبَه**): تقديرٌ لمفعولِ: ﴿يَشَاءُ﴾ الثانية.

وقولُه: (**والفعلان بالجزم** ...) إلى آخره: يشيرُ إلى أنه قُرِئَ الفعلان ﴿يَغْفِرْ﴾، و﴿يُعَذِّبْ﴾ بالجزم عطفًا على جواب الشرط(١).

وقولُه: (**والرفعُ؛ أي: فهو**): يُشير إلى قراءة الفعلين بالرفع: ﴿يَغْفِرُ﴾، و﴿يُعَذِّبُ﴾ وعليهِ: فالجملة مُستَأْنَفَة، والفعلان خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٌ قدَّرَهُ المؤلِّف؛ بقوله: «أي: فهو».

وقولُه: (**ومنه مُحاسبتكم وجزاؤكم**): بيانٌ لمناسبة هذه الجملة لـما قبلَها.

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بجزم الراء والباء. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٧).

وقولُه: (**صدَّقَ**): تفسيرُ الإيمان الشرعيّ بالتصديقِ فقط فيه قصورٌ؛ فإن الإيمان الشرعيَّ تصديقٌ وانقيادٌ واتباعٌ، فيدخل فيه العملُ كما يدلُّ لذلك حديثُ وفدِ عبدِ القيسِ[(١)] وغيره[(٢)].

وقولُه: (**محمَّدٌ**): بيانٌ للمراد بالرسول، ومحمدٌ أشهرُ أسماءِ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ورد في القرآن أربعَ مراتٍ، والرسولُ عَلَمٌ على نبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالغَلَبَةِ. وقولُه: (**من القرآن**): بيانٌ للمراد بما أَنزلَ، وأكثر ما يُضاف إليه الإنزالُ والتنزيلُ: القرآن، وقد ورد إضافةُ الإنزال إلى السُّنة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء:١١٣].

وقولُه: (**عطف عليه**): أي: عطف على الرسول، وهذا أحدُ الوجهَين في إعرابِ «المؤمنون»، والوجهُ الثاني: أنه مبتدأٌ والجملة التي بعده خبر[(٣)].

وقولُه: (**تنوينه عوضٌ من المضاف إليه**): لأَنَّ المعنى كلّهم آمنَ فصار التنوينُ مكانَ الضميرِ المضافِ إليه.

وقولُه: (**بالجمع والإفرادِ**): يُشير إلى أنه قُرئ: «كُتُبٌ» بلفظ الجمع، و«كتابٌ» بلفظ الإفراد[(٤)]، وذكرَ القراءتين ابنُ جريرٍ ورجَّحَ القراءة بالجمع بضمِّ الكاف والتاء[(٥)].

---

(١) حديث وفد عبد القيس: أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧) عن ابن عباس، وفيه: ((أتدرون ما الإيمان بالله وحده)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس)).

(٢) **ينظر الآثار وأقوال أئمة السلف أن العمل من الإيمان في**: «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٧)، والشريعة (٢/ ٦١١)، و«الإبانة» لابن بطة (٢/ ٧٦٠)، و«شرح أصول أهل السنة» (٤/ ٩١١).

(٣) **ينظر**: «التبيان في إعراب القرآن» (١/ ٢٣٣-٢٣٤)، و«إعراب القرآن وبيانه» (١/ ٤٤٨).

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿وكِتَابِهِ﴾ مُوَحَدًا، وقرأ الباقون: ﴿وَكُتُبِهِ﴾ جمعًا. **ينظر**: «السبعة في القراءات» (ص١٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٣٧).

(٥) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٥/ ١٤٩).

وقولُه: (**يقولون**): تقديرٌ لقول المحذوف العامل في ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾.

وقولُه: (**فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ** ...) إلى آخره: بيان لمعنى: التفريقِ بين الرسل بأنه الإيمان ببعضٍ دونَ بعضٍ كما فعل أهلُ الكتاب.

وقولُه: (**أَي: ما أُمرنا به، سماعَ قبولٍ**): يُبيِّن أَنَّ نوع السماعِ في هذه الآية سماعُ القبولِ والاستجابةِ، وأنه ليس المراد مجرَّد سماعِ الصوت.

وقولُه: (**نسألُكَ**): هذا تقديرٌ للفعل الناصب لغفران.

وقولُه: (**المرجعُ بالبعث**): تفسيرٌ للمصير وأنَّ ذلك يكون بالبعث يوم القيامة.

وقولُه: (**ولـمَّا نزلت** ...) إلى آخره: بيانٌ لسببِ نزولِ هذه الآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]. وقولُه: (**ما تَسَعُه قدرتُها**): معناه: ما تقدرُ عليه بلا مشقّةٍ ولا حرجٍ، فإضافةُ الوُسْعِ إلى النفسِ من إضافة الصفةِ إلى الموصوف.

وقولُه: (**من الخير؛ أي: ثوابه**): يُفيد أن المعنى: لها ثواب ما كسبت من الخير.

وقولُه: (**من الشرِّ** ...) إلى آخره: المعنى: وعلى النفسِ عقوبةُ ما اكتسبَتْ من الشرِّ لا على غيرِها كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:١٦٤].

وقولُه: (**ولا بما لم يكسبْه مما وسوست به نفسُه**): معناه: لا يُؤاخَذُ أحدٌ بما تُوسوِسُ به نفسُه من الشرّ ما لم يعملْ به في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إنَّ الله تجاوزَ عن أُمَّتي ما حدَّثتْ به أنفسَها ما لم تعملْ أو تتكلَّم))[1].

وقولُه: (**قولوا**): فيه بيانٌ أن هذه الدعوات مقولُ قولٍ محذوفٍ قدَّره المؤلِّف: «قولوا» وعلى هذا فهذه الدعوات قالها المؤمنون بتعليمٍ من الله وإرشادٍ لهم.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقولُه: (**بالعقاب**): هذا ما يقتضيه معنى: المؤاخذةِ؛ فالمؤاخذةُ؛ هي: المجازةُ على الذنبِ بما يقتضيه فعلُه.

وقولُه: (**تركنا الصواب** ...) إلى آخره: يبيّن المؤلِّف أن تركَ الصواب من القولِ والعملِ يكون عمدًا ويكون نسيانًا وخطأً، والمطلوب: في هذا الدعاء عدمُ المؤاخذة بالنسيان والخطأ، وهذا الذي بشَّرَ به النبيُّ ﷺ بقوله: ((إنَّ اللهَ تجاوزَ لي عن أُمَّتي الخطأَ والنسيانَ وما استُكرهوا عليه))[(١)]، وجاء في الحديث القدسيِّ أنَّ الله قال بعد كلِّ دعوةٍ: ((نعم، قد فعلتُ))، فكل هذه الدعوات مستجابةٌ، وكلُّ مَن دَعا بها فهو موعودٌ بالاستجابة.

وقولُه: (**فسؤاله اعترافٌ بنعمةِ الله**) معناه: أن الدعاءَ بهذا الدعاءِ إيمانٌ بنعمة الله على هذه الأمة وهي: تركُ المؤاخذة بالخطأ والنسيان.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، والطبراني في «الأوسط» (٨٢٧٣)، من طريق الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، به. وهذا إسناد منقطع، عطاء لم يسمعه من ابن عباس، بينهما: عُبيد بن عمير، والوهم فيها من الوليد، فقد اختلف عليه في هذا الحديث.

وأخرجه ابن حبان (٧٢١٩)، والدارقطني (٤٣٥١)، والبيهقي (١٥٠٩٤) وغيرهم، من طرق، عن الربيع بن سليمان المرادي، عن بشر بن بكر، عن الأوزاعي، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، به.

وأخرجه الحاكم (٢٨٠١) من طريق بحر بن نصر بن سابق الخولاني، عن بشر بن بكر. ومن طريق الربيع بن سليمان، عن أيوب بن سويد، كلاهما عن الأوزاعي، به.

وقد رواه الوليد بن مسلم، واختلف عنه اختلافًا كثيرًا، أخرجها الطبراني في الأوسط (٨٢٧٣- ٨٢٧٦)، وساقها ابن أبي حاتم في «العلل» (١٢٩٦) وقال: «قال أبي: هذه أحاديث منكرة، كأنها موضوعة»، وأنكرها الإمام أحمد جدًا، وقال ـ كما في «العلل» لابنه عبد الله (١٣٤٠) ـ: «ليس يروى فيه إلا عن الحسن، عن النبي ﷺ».

وأصل الحديث: أخرجه البخاري ومسلم باللفظ السابق. **وينظر**: «نصب الراية» (٢/ ٦٤-٦٦)، و«البدر المنير» (٤/ ١٧٧-١٨٣)، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٦١-٣٦٥)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٨١١ رقم ٥٢٩)، و«المقاصد الحسنة» (٥٢٨)، و«إرواء الغليل» (٨٢).

وقولُه: (أمرًا يثقُل علينا حَملُه): هذا تفسير «الإصرِ» في الآية، وأصلُ الإصرِ: الحِملُ الثقيلُ(١)؛ المعنى: لا تفرض علينا ما يشقّ العمل به وقد تحقق ذلك بقوله تعالى: ((قد فعلتُ)).

ومن صفات نبيِّنا في التوراة والإنجيل أنه يضعُ الإصرَ الذي كان في الشرائع السابقة.

وقولُه: (مَن قتل النَّفسِ في التوبة ...) إلى آخره: هذه ثلاثة أمثلةٍ من الآصار التي كانت محمولةً على مَن قبلنا، وهم: بنو إسرائيل، وقتلُ النفس في التوبةِ مذكورٌ في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٥٤]، وأما إخراجُ ربعِ المال في الزكاةِ وقرضُ موضعِ النجاسةِ فلعلَّهُما مذكورانِ في التوراة(٢).

وقولُه: (من التكاليف والبلاءِ): يبيِّن أن ما لا قوةَ عليه ولا يُطاقُ قد يكون في بعض التكاليفِ الشرعيَّة وقد يكون في المصائبِ التي يُبتلى بها العبد.

وقولُه: (سيدنا ومتولي أُمورنا): تفسيرٌ لـ﴿مَوْلَانَا﴾ والمولى؛ بمعنى: الوليّ، والله وليُّ المؤمنين، وقال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف:١٠١].

وقولُه: (بإقامة الحُجة ...) إلى آخره: فيه أن النصرَ يكون بالحجةِ واللسانِ والسيفِ والسِّنانِ، وفيه أن النصرَ على الأعداء من مقتضياتِ الولاية، ولهذا رتِّبتْ هذه الدعوة بالفاء على قوله: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾.

وقولُه: (وفي الحديث ...) إلى آخره: يشيرُ إلى حديثِ أبي هريرة الذي رواه مسلمٌ، وقد تقدَّم.

---

(١) **ينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص١٠٠)، و«المفردات» (ص٧٨).

(٢) أورده الثعلبي والواحدي والرازي عن بعض أهل التفسير. **ينظر**: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٥٩٢-٥٩٣)، و«التفسير البسيط» (٤/ ٥٣٩-٥٤٠)، و«تفسير الرازي» (٧/ ١٢١).

قائمة المصادر والمراجع

(أ)

١. **الإبانة الكبرى،** ابن بطة العكبري، دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض.
٢. **الإتقان في علوم القرآن،** جلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة النشر: ١٤٢٦هـ.
٣. **اجتماع الجيوش الإسلامية،** ابن قيم الجوزية، تحقيق عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤. **أحكام القرآن،** أحمد بن علي الجصاص الحنفي، تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٥. **أحكام القرآن،** محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦. **أحكام القرآن،** علي بن محمد إلكيا الهراسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
٧. **الإحكام في أصول الأحكام،** الآمدي، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - لبنان.
٨. **الأذكار،** يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
٩. **إرشاد الفحول،** الشوكاني، تحقيق أبي حفص سامي العربي، دار الفضيلة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٠. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود،** محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١١. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل،** ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
١٢. **أسباب نزول القرآن،** أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٣. **الأسماء والصفات**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي - جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٤. **اشتقاق أسماء الله**، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٥. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.
١٦. **إعراب القرآن**، أبو جعفر النَّحَّاس، تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١٧. **إعراب القرآن وبيانه**، محيي الدين بن أحمد درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، دار اليمامة - دمشق - بيروت، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.
١٨. **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.
١٩. **إعلام الموقعين**، ابن قيم الجوزية، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٢٠. **آكام المرجان في أحكام الجان**، محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن - مصر - القاهرة.
٢١. **الانتصار لأهل الأثر**، ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن حسن قائد، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة.
٢٢. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي**، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٣. **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
٢٤. **إيضاح الوقف والابتداء**، أبو بكر الأنباري، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، عام النشر: ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

٢٥. **الإيمان**، ابن تيمية، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان – الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
٢٦. **الإيمان الأوسط = شرح حديث جبريل**، ابن تيمية، تحقيق علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٢٣هـ.

(ب)

٢٧. **البحر الزخار =مسند البزار**، أحمد بن عمرو البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة النبوية، الطبعة الأولى.
٢٨. **البحر المحيط في أصول الفقه**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٢٩. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.
٣٠. **بدائع الفوائد**، ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.
٣١. **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.
٣٢. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان – صيدا.
٣٣. **البداية والنهاية**، ابن كثير، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٣٤. **البدر المنير في تخريج الشرح الكبير**، ابن الملقن، تحقيق مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض، السعودية – الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٣٥. **بيان الوهم والإيهام**، ابن القطان الفاسي، تحقيق د. الحسين آيت سعيد، دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٣٦. **بيان تلبيس الجهمية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

(ت)

٣٧. **تاج العروس من جواهر القاموس**، المرتضى الزبيدي، دار الهداية.
٣٨. **التاج والإكليل لمختصر خليل**، محمد بن يوسف المواق، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٤م.
٣٩. **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٤٠. **تاريخ الرسل والملوك**، ابن جرير الطبري، دار التراث - بيروت، الطبعة الثانية - ١٣٨٧هـ.
٤١. **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٤٢. **التبيان في تفسير غريب القرآن**، أحمد بن محمد ابن الهائم، تحقيق د. ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ.
٤٣. **تحرير ألفاظ التنبيه**، يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبد الغني الدقر، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٤٤. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م.
٤٥. **الترغيب والترهيب**، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق مصطفى محمد عمارة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٤٦. **التسهيل لعلوم التنزيل = تفسير ابن جزي**، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٤٧. **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**، يحيى بن سلام، تحقيق هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، عام النشر: ١٩٧٩م.
٤٨. **التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٩. **التعليق على القواعد المثلى**، عبد الرحمن البراك، إعداد عبد الله المزروع، دار التدمرية - الرياض، الطبعة الثانية،١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٥٠. **تعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري**، عبد الرحمن البراك، دار التوحيد للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
٥١. **التعليقات على المسائل العقدية في كتاب التسهيل لابن جزي**، عبد الرحمن البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ.
٥٢. **تفسير أسماء الله الحسنى**، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.
٥٣. **التفسير البسيط**، علي بن أحمد الواحدي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
٥٤. **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق ودراسة د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٥. **تفسير عبد الرزاق**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٥٦. **تفسير الفاتحة والبقرة**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٥٧. **تفسير القرآن العظيم**، عبد الرحمن ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
٥٨. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٩. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٦٠. **تقريب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦١. **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد الثاني عمر بن موسى، دار أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٦٢. **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، مطبعة دائرة المعارف النظامية - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
٦٣. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م
٦٤. **التوحيد وإثبات صفات الرب**، ابن خزيمة، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٦٥. **توضيح مقاصد العقيدة الواسطية**، عبد الرحمن البراك، إعداد عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ.
٦٦. **توضيح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية**، عبد الرحمن البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ.
٦٧. **التوقيف على مهمات التعاريف**، عبد الرؤوف المناوي، تحقيق عبد الخالق ثروت، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
٦٨. **التيسير في القراءات السبع**، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د. خلف حمود الشغدلي، دار الأندلس للنشر والتوزيع - حائل - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
٦٩. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق أسامة بن عطايا، دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
٧٠. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي.
٧١. **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

(ث)

٧٢. **الثقات**، ابن حبان، دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد - الدكن - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(ج)

٧٣. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٧٤. **جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٧٥. **جامع الشروح والحواشي**، عبد الله محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٤م.
٧٦. **جامع العلوم والحكم**، ابن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٧٧. **جامع المسائل**، ابن تيمية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة.
٧٨. **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٧٩. **الجرح والتعديل**، ابن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.
٨٠. **الجنى الداني في حروف المعاني**، حسن بن قاسم المرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة ومحمد فاضل، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٨١. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ابن تيمية، تحقيق علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٨٢. **جواب في الإيمان ونواقضه**، عبد الرحمن البراك، اعتناء، عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ١٤٧٣هـ - ٢٠١٦م.

(ح)

٨٣. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ابن قيم الجوزية، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة.

٨٤. **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي**، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٨٥. **الحجة في بيان المحجة**، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق محمد عبد اللطيف الجمل، دار الفاروق - مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٣٧هـ.
٨٦. **الحجة للقراء السبعة**، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسيّ، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٨٧. **حروف المعاني والصفات**، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
٨٨. **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٨٩. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية - بيروت.

(خ)

٩٠. **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، محمد أمين بن فضل الله المحبي، دار صادر - بيروت.

(د)

٩١. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق.
٩٢. **الدر المنثور**، السيوطي، دار الفكر، بيروت.
٩٣. **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٩٤. **درج الدرر في تفسير الآي والسور**، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، مجلة الحكمة - بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٩٥. **دقائق أولي النهى لشرح المنتهى =شرح منتهى الإرادات**، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة - ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٩٦. **ديوان الضعفاء والمتروكين**، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة - مكة، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(ر)

٩٧. **رد المحتار على الدر المختار = حاشية ابن عابدين**، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٩٨. **الرد على المنطقيين**، ابن تيمية، تحقيق عبد الصمد الكتبي، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٩٩. **الرسالة**، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م.

١٠٠. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الألوسي**، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٠١. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد - مكة.

١٠٢. **روضة الناظر وجنة المناظر**، ابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م.

(ز)

١٠٣. **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ.

١٠٤. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(س)

١٠٥. **السبعة في القراءات،** أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
١٠٦. **سلسلة الأحاديث الصحيحة،** محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى.
١٠٧. **سلسلة الأحاديث الضعيفة،** الألباني، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٠٨. **السنة،** أبو بكر بن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
١٠٩. **السنة،** عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١١٠. **سنن أبي داود،** أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١١١. **سنن ابن ماجه،** أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١١٢. **سنن الترمذي،** أبو عيسى الترمذي، تحقيق د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.
١١٣. **السنن الكبرى،** البيهقي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
١١٤. **السنن الكبرى،** النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١١٥. **سنن النسائي،** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١١٦. **سير أعلام النبلاء،** شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
١١٧. **السيرة النبوية،** ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

(ش)

١١٨. **شأن الدعاء**، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١١٩. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة - سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٢٠. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة - السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٢١. **شرح تسهيل الفوائد**، محمد بن عبد الله ابن مالك، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٢٢. **شرح العقيدة الأصبهانية**، ابن تيمية، تحقيق محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٢٣. **شرح العقيدة التدمرية**، عبد الرحمن البراك، إعداد عبد الرحمن السديس، دار التدمرية - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٢٤. **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٢٥. **شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الرحمن البراك، إعداد عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ.

١٢٦. **شرح العمدة**، ابن تيمية، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة.

١٢٧. **شرح مشكل الآثار**، الطحاوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٢٨. **الشريعة**، محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي، تحقيق عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢٩. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن أحمد ابن العماد، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣٠. **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن محمد بن عمر بن مخلوف، تعليق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٣١. **شواذ القراءات**، محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق شمران العجلي، مؤسسة البلاغ - بيروت.

(ص)

١٣٢. **الصحاح**، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٣٣. **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٣٤. **صحيح البخاري**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٣٥. **صحيح بن خزيمة**، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٣٦. **صحيح سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٣٧. **الصفدية**، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
١٣٨. **الصواعق المرسلة**، ابن قيم الجوزية، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(ض)

١٣٩. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
١٤٠. **الضعفاء الكبير**، أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٤١. **الضعفاء والمتروكون**، ابن الجوزي، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت.

(ط)

١٤٢. **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
١٤٣. **طبقات المفسرين**، محمد بن علي الداودي، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٤٤. **طبقات المفسرين**، حمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٤٥. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، ابن قيم الجوزية، دار عالم الفوائد - مكة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

(ع)

١٤٦. **العبودية**، ابن تيمية، تحقيق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٤٧. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ابن القيم، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة.
١٤٨. **العذب النمير في مجالس الشنقيطي في التفسير**، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
١٤٩. **العجاب في بيان الأسباب**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس، دار بن الجوزي.
١٥٠. **علل الحديث**، ابن أبي حاتم، تحقيق فريق من الباحثين بإشراف وعناية د. سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٥١. **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، الدارقطني، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٥٢. **العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(غ)

١٥٣. **غاية النهاية في طبقات القراء**، محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية.

١٥٤. **غريب القرآن**، بن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٥٥. **غريب القرآن =نزهة القلوب**، محمد بن عُزير السجستاني، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٥٦. **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب**، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، مؤسسة قرطبة - مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(ف)

١٥٧. **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٥٨. **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب = حاشية الطيبي على الكشاف**، الحسين بن عبد الله الطيبي، إشراف د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٥٩. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الشوكاني، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٦٠. **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين بالدقائق الخفية = حاشية الجمل**، سليمان بن عمر الجمل، المطبعة العامرة الشرفية - مصر الطبعة الأولى، ١٣٠٢هـ.

١٦١. **فتيا في صيغة الحمد**، ابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الله البطاطي، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة.

١٦٢. **الفروق اللغوية**، العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - مصر.

١٦٣. **فقه السيرة**، محمد الغزالي السقا، دار القلم - دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

(ك)

١٦٤. **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)**، دار عالم الفوائد - مكة.

١٦٥. **الكامل في التاريخ**، عز الدين ابن الأثير، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٦٦. **الكامل في ضعفاء الرجال**، عبد الله بن عدي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٦٧. **الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها**، أبو القاسم الهُذَلي اليشكري، تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٦٨. **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد**، المنتجب الهمذاني، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان - المدينة النبوية - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٦٩. **كشاف القناع عن متن الإقناع**، منصور بن يونس البهوتي، طبعة وزارة العدل في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٧٠. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٧١. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، مكتبة المثنى - بغداد، تاريخ النشر: ١٩٤١م.

١٧٢. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي**، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، دار التفسير - جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

١٧٣. **كواشف زيوف**، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٧٤. **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(ل)

١٧٥. **لباب التأويل في معاني التنزيل= تفسير الخازن**، علاء الدين علي بن محمد الخازن، تحقيق محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٧٦. **اللباب في علوم الكتاب**، عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٧٧. **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٧٨. **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، ابن رجب الحنبلي، تحقيق عامر ياسين، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

(م)

١٧٩. **المبسوط في القراءات العشر**، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، عام النشر: ١٩٨١م.

١٨٠. **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، طبعة ١٣٨١هـ.

١٨١. **المجموع شرح المهذب - مع تكملة السبكي والمطيعي - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي**، مكتبة الإرشاد - جدة.

١٨٢. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع وترتيب ابن قاسم، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض.

١٨٣. **محاسن التأويل**، جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ.

١٨٤. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٨٥. **المحرر الوجيز**، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق الرحالي الفاروق وغيره، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية في قطر، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

١٨٦. **المحلى بالآثار**، ابن حزم الأندلسي، دار الفكر - بيروت.

١٨٧. **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، ابن خالويه، مكتبة المتنبي - القاهرة.

١٨٨. **مختصر الصواعق المرسلة**، ابن قيم الجوزية، تحقيق د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف - الرياض.

١٨٩. **مدارج السالكين**، ابن القيم، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة.

١٩٠. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي**، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٩١. **المراسيل**، ابن أبي حاتم، تحقيق شكر الله نعمة الله قوجاني، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

١٩٢. **المراسيل**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٩٣. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله النيسابوري الحاكم، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٩٤. **المستصفى**، أبو حامد الغزالي، تحقيق حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة النبوية للطباعة.

١٩٥. **المسند**، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٩٦. **مشكل إعراب القرآن**، مكي بن أبي طالب، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

١٩٧. **المصاحف**، أبو بكر بن أبي داود، تحقيق محمد بن عبده، الفاروق الحديثة - مصر - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٩٨. **المصنف**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٩٩. **المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٠٠. **المطلع على ألفاظ المقنع**، شمس الدين البعلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٠١. **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٠٢. **معاني القراءات**، محمد بن أحمد بن الأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٢٠٣. **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر.
٢٠٤. **معاني القرآن**، سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي - القاهرة.
٢٠٥. **معاني القرآن وإعرابه**، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٠٦. **المعجم الأوسط**، الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
٢٠٧. **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
٢٠٨. **المعجم الفلسفي**، إعداد مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٠٩. **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية.
٢١٠. **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢١١. **معجم المفسرين**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر- بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٢١٢. **معرفة القراء الكبار**، الذهبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢١٣. **المغني**، ابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر.
٢١٤. **المغني في الضعفاء**، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. نور الدين عتر، إدارة إحياء التراث - قطر.
٢١٥. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، بن هشام، تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
٢١٦. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٢١٧. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
٢١٨. **المفردات غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٢١٩. **المفصل في تفسير القرآن الكريم = تفسير الجلالين**، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان - ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٢٢٠. **مقاييس اللغة**، ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٢١. **مقدمة التفسير**، ابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٢٢٢. **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، أبو حامد الغزالي، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار الجفان والجابي - قبرص، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٢٣. **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢٢٤. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٢٥. **منهاج السنة**، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، أشرفت على طباعته جامعة الإمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٢٢٦. **الموافقات**، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٢٧. **مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل**، محمد بن محمد الحطاب، تحقيق محمد يحيى بن محمد الأمين الشنقيطي، دار الرضوان، سنة النشر: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٢٨. **موطأ مالك**، مالك بن أنس، محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٢٩. **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٣٠. **ميزان الاعتدال**، الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

(ن)

٢٣١. **الناسخ والمنسوخ**، أبو جعفر النَّحَّاس، تحقيق د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٣٢. **الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن**، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد - شركة الرياض - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٣٣. **النبوات**، ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٣٤. **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٣٥. **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٣٦. **النشر في القراءات العشر**، محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

٢٣٧. **نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته: بغية الألمعي في تخريج الزيلعي**، الزيلعي، تحقيق محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٣٨. **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، محمد بن أبي الفيض الكتاني، شرف حجازي، دار الكتب السلفية - مصر، الطبعة الثانية.
٢٣٩. **نقض الدارمي على المريسي**، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٤٠. **النكت والعيون= تفسير الماوردي**، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢٤١. **نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه**، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق آل زهوي، شركه أبناء شريف الأنصاري - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٤٢. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٤٣. **نهاية المطلب في دراية المذهب**، عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٤٤. **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**، محمد الحمود النجدي، مكتبة الإمام الذهبي - الكويت.

(هـ)

٢٤٥. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن**، مكي بن أبي طالب، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٤٦. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، وكالة المعارف الجليلة - إستانبول، ١٩٥١م.

(و)

٢٤٧. **الوابل الصيب**، ابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة.

٢٤٨. **الوجوه والنظائر**، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٤٩. **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز**، الحسين بن محمد الدمغاني، تحقيق عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٥٠. **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**، مقاتل بن سليمان، تحقيق حاتم صالح الضامن، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.



فهرس الموضوعات

